

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْكِمَنَّ لَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

# الحياة

موريه فخاريه ملائمه يحيى هاموند العياشه  
ومجتمعه التراث - القراءه، الجماهير



رمضان 1442هـ / ماي 2021م



**مدير المجلة:**

أ.د / محمد بن قاسم ناصر بوجام

**رئيس التحرير:**

أ/ محمد بن أحمد جهان

**نائب رئيس التحرير:**

د/ إيلاس بن عمر حاج عيسى

**لجنة التحكيم:**

- أ.د/ محمد بن صالح ناصر
- أ.د/ مصطفى بن صالح باجو
- أ.د/ إبراهيم بن بكير بحاز
- أ.د/ مصطفى بن الناصر وينتن
- أ.د/ يحيى بن بهون حاج احمد
- د/ مصطفى بن محمد شريفي
- د/ حمو بن عيسى الشيهاني
- د/ بالحاج بن أحمد ناصر
- أ/ مصطفى بن محمد ابن ادريس
- أ/ مسعود بن بالحاج خرازي

**تدقيق لغوي ومراجعة:**

الأستاذ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج  
البريد الإلكتروني للمجلة:  
[elhayat.revue@gmail.com](mailto:elhayat.revue@gmail.com)

**نشر جمعية التّرات**

**القراءة غرداية الجزاير**

صندوق بريد: 19، غردية 47110. الجزائر

هاتف / فاكس : (+213) 29 26 22 58

E-mail : [ettourath@gmail.com](mailto:ettourath@gmail.com)

الموقع على الانترنت:

[www.tourath.org](http://www.tourath.org)

**مجلة الحياة**

العدد السادس والعشرون (26)

رمضان 1442هـ / ماي 2021م

الإيداع القانوني رقم: 97 - 1008

I.S.S.N : 1111-28-67

كل الحقوق  
محفوظة

O

ابتداء من العدد 12

# دورية الحياة

## مجلة فكرية محكمة

تصدر عن معهد الحياة وجمعية التراث

### قواعد النشر:

- \*- تنشر دورية «الحياة» البحوث العلمية الأصلية للباحثين من داخل القطر الجزائري ومن خارجه.
- \*- تهتمُ الدورية بالبحوث والدراسات في شتى المجالات الفكرية والشرعية والأدبية والتاريخية، شريطة أن تتميز بالأصالة والجدة، والعمق في الطرح، والأسلوب السليم، والمنهجية العلمية الدقيقة، مع الإحالة إلى المصادر والمراجع، والالتزام بالأمانة العلمية، والاعتدال في الفكر.
- \*- تنشر الدورية البحوث التي لم يسبق نشرها في أي مكان آخر.
- \*- تخضع جميع البحوث للتقويم من قبل لجنة محاكمة، مكونة من دكتورة وأساتذة يساعدهم خبراء من تخصصات معرفية مختلفة، وهذه اللجنة وحدها هي المخولة بقبول البحوث أو رفضها.
- \*- تقوم هيئة التحرير بإرسال البحوث إلى لجنة التحكيم أو الهيئة الاستشارية، وتخضع البحوث للتحكيم السري لتحديد صلاحيتها للنشر، ويلتزم الباحث بالأخذ بملحوظات المحكمين.

- \* لا تُعاد البحوث التي تُرسل إلى الدورية، سواءً أُنُشِرت أم لم تُنشر، ولا تلتزم اللجنة المحكمة بذكر أسباب عدم قبول نشر أي بحث، وتُعتبر قراراً لها نهائية.
- \* يتم إعلام صاحب البحث بقرار لجنة التحكيم، وفي حالة الرد السلبي، فإنَّ للباحث حرية تقديم بحثه للنشر في أي مجلة أو دورية أو جهة علمية أخرى.
- \* ترتيب البحوث في الدورية موضوعيٌّ وتنسيقيٌّ، ولا يُعَرِّب بأي حال من الأحوال عن مكانة الباحث أو البحث.
- \* الالتزام بإرسال ملخص مُعَيَّن عن محتوى البحث باللغة العربية في حدود 150 إلى 250 كلمة. مع إرسال ترجمة دقيقة وشاملة للملخص باللغة الإنجليزية. وإثبات الكلمات الدالة على الموضوع: (يُـ بين 3 و 7 كلمات).
- \* الالتزام بإرسال سيرة ذاتية مختصرة بالنسبة للباحثين الذين يرسلون الدورية للمرة الأولى، متضمنة أهم الوسائل التي تسهل الاتصال بالباحث في حالة الضرورة (هاتف ثابت، جوال، فاكس، بريد إلكتروني...).

### المواصفات التقنية:

- \* تُرسل البحوث مرقونة بنظام (Word) بصيغة (Doc)، ونسخة أخرى بصيغة (PDF)، على قرص مضغوط (CD)، أو إلى البريد الإلكتروني للمجلة، مع كتابة اسم الباحث الثلاثي، وذكر وظيفته الحالية، ورتبته العلمية.
- \* يجب أن لا يتجاوز عدد صفحات البحث 20 ولا يقل عن 10 (بما فيها الملاحق)، وأن تكون الصفحة بمقاس (14×26 سم)، وهوامش 2 سم من كلِّ الحواشي.
- \* في حالات خاصة، وبقرار من لجنة التحكيم، تقبل الدورية نشر بحوث تتجاوز الحد المسموح به من عدد الصفحات، فينشر البحث في حلقتين، مُقسَّماً على عددين.

- \* يُكتب البحث ببرنامج (Word)، بخط عربي (Sakkal Majalla) بحجم 15، وبخط (Times New Roman) للغات الأجنبية بحجم 12.
- (العنوان الرئيس بحجم: 18 / العنوان الفرعية بحجم: 16 / متن المقال بحجم: 15 / الهامش (الإحالات) بحجم: 13)
- \* تخصص الصفحة الأولى من البحث لكتابه المعلومات الأساسية الآتية فقط:
- عنوان البحث، اسم الباحث أو الباحثين، الدرجة العلمية، اسم المؤسسة أو الجهة العلمية التي ينتمي إليها الباحث، عنوان المراسلة، عنوان الصندوق البريدي العادي (P.o.Box)، البريد الإلكتروني.
- \* تُدرج جميع الإحالات بطريقة آلية، إما بجعلها متسلسلة في شكل حاشية سفلية، أو في شكل تعليقات ختامية في آخر البحث.
- \* الالتزام بالإحالة في الهامش إلى مصادر الصور والخرائط والجدائل المدرجة في البحث، ووضع عنوان أو نص تعريفي لكل صورة أو خريطة أو جدول.
- \* تسجّل مصادر البحث ومراجعه في آخر البحث بصورة مرتبة ترتيباً ألفبانياً، بذكر كافة معلوماتها، مهما كانت هذه المصادر: كتبًا مطبوعة أو مخطوطه، أو وثائق، أو دوريات، أو مقابلات، وكذا البرامج الإلكترونية وموقع الأنترنت.
- \* الدورية تقوم بنشر مواضيع في أبواب ثابتة: (وثيقة العدد، خطاب العدد، نصوص شعرية... إلخ) وهي لا تخضع لنفس ضوابط النشر المذكورة أعلاه.

**\*-ترسل البحوث في قرص إلى العنوان البريدي:**

دورية الحياة . جمعية التراث  
ص، ب: 19 القراءة، غردية، 47110، الجمهورية الجزائرية

أو رقميا إلى البريد الإلكتروني:  
[ehayat.revue@gmail.com](mailto:ehayat.revue@gmail.com)

تلتزم الدورية بأن ترسل إلى الباحث المقبول بحثه، شهادة مشاركة،  
ونسختين من العدد الذي نشر فيه البحث، وذلك على العنوان  
البريدي الذي يثبته الباحث.

وللاتصال:  
هاتف/فاكس: (+213)29262258  
[ehayat.revue@gmail.com](mailto:ehayat.revue@gmail.com)  
[www.tourath.org](http://www.tourath.org)

### **ملاحظة:**

ما تنشره الدورية لا يعبر إلا عن الرأي الشخصي لصاحب البحث،  
ولا يعبر بالضرورة عن رأي الدورية، أو لجنة التحكيم،  
أو هيئة التحرير، أو الناشر.

### **تذكير**

آخر أجل لاستقبال بحوث العدد 27 هو:  
10 جمادى الأولى 1443  
15 ديسمبر 2021

# المحتويات

❖- الافتتاحية ..... أ. د/ محمد بن قاسم ناصر بوجام ... 13

## دراسات حضارية

- ❖- في حياة الإمام جابر بن زيد الأزدي مشروع أمّة (الحلقة الأولى)  
أ. د/ محمد بن قاسم ناصر بوجام ..... 16
- ❖- مدرسة الإمام أبي سعيد الكدمي، وأثارها الفكرية والحضارية (ق4ه)  
أ. د/ سعيد بن راشد الصوايف (وآخرون) ..... 36
- ❖- القيادات العلمية ودورها في اختيار أمّة الحكم بعمان (الحلقة الأولى)  
د/ عبد الله بن سليمان الريامي ..... 53

## دراسات شرعية

- ❖- ضوابط خروج المرأة للدراسة والعمل، بين الشريعة والواقع  
أ/ الحاج أحمد بن حمود كروم ..... 69
- ❖- قانون المشيئة في الكتاب من خلال بعض أسماء الثواب  
(الرحمة والمغفرة، نموذجا) (الحلقة الأولى)  
الباحث/ إبراهيم بن صالح حمدي ..... 84

## التربية والمجتمع

- ❖- المهن والحرف العائلية بوادي مزاب، مهنة «الجزارة» نموذجا  
أ. د/ يحيى بن بهون حاج احمد ..... 100
- ❖- عدم رقمنة التعليم الثانوي، إشكاليات وحلول  
الباحث/ خضرير بن محمد باعلي وسعيد ..... 124

## دراسات تاريخية

---

- ❖ ملامح الكتابة التاريخية عند الشيخ أبي مهدي عيسى المصبغي  
الباحث / أحمد بن داود امعيز الحاج أحمد ..... 151
- ❖ أبو طالب بن عبد المطلب، رؤية في الأدبيات الإباضية  
الباحث / بدر بن سالم العبري ..... 166
- ❖ الآثار العلمية للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفسطائي (الحلقة الأولى)  
الباحث / منير محمد خليفة زندوج ..... 181

## النظم وال العلاقات الدولية

---

- ❖ النظام القضائي في المجتمع المزابي (الحلقة الثانية)  
أ.د / محمد بن صالح حمدي ..... 192
- ❖ أثر الدبلوماسية الثقافية العمانية على الهوية العربية والإسلامية  
الباحث / سالم بن هلال الحبسى وأ.د / مولانا أكبر شاه ..... 206

## السير والترجم

---

- ❖ القواسم المشتركة في فكر وكفاح الشيوخين والفقهيدين والصحفيين:  
أبو اليقظان إبراهيم وسليمان الباروني  
د / ميلود أحمد عمر ..... 283
- ❖ الشيخ الحاج حمو بن محمد الرَّغبة (الملقب بـ "المعلم")  
الباحثة / مريامه بنت محمد بوراس ..... 240

## تقويم وتحقيق

- ❖ تحقیق قصيدة الشیخ اطفیش فی مدح سلطان عُمان "فیصل بن تركی"  
أ / مصطفی بن محمد ابن ادريس ..... 253
- ❖ الحیاة فی "مجلة الحیاة" ... الیوبیل الفضی لمجلة الحیاة  
(قراءة وصفیة إحصائیة)  
الباحث/ یوسف بن الحاج یحيی الواھج ..... 271

## رجالٌ في ذاكرة الأمة

- ❖ حتی لا ننسى أعلام الجزائر:  
ابراهیم بن سلیمان ناصر (بریوشة) وجمعیة الإخاء العلمی. بسکرة (1935.1931)  
أ. د / محمد بن صالح ناصر ..... 288

## واحة الإبداع

- ❖ الشیخ أحمد بن حمد الخلیلی فی حوار خاص (نشر)  
«الشیخ الناصر المرموري المفتی الخبر، والأب الحانی للطلبة»  
حمو بن یونس أوجانة ..... 293
- ❖ «من وھي التواصل الجزائري العماني» (شعر)  
أ / سلیمان بن عمر دوّاق ..... 279
- ❖ «ملتقى الجزائر وعمان، والعقیق والجمان» (شعر)  
أ / موسى بن قسور العامري ..... 299

## الرسائل الجامعية

- ❖ القضاء في "مجلس عمّي سعيد": نظامه - إجراءاته - مصادره  
1300-1342 هـ / 1883-1925 م دراسة نموذجية للمحاكم الشرعية في الجزائر  
(ملخص أطروحة دكتوراه)  
د/ يوسف بن سليمان بابا وإسماعيل ..... 302
- ❖ المُتَّحِدُ العلمي في السياق الحضاري المتأزم، على ضوء نموذج الرشد  
فريق البحث العلمي لجمعية التراث الجزائرية (1990-2006) نموذجاً  
(ملخص رسالة ماجستير)  
أ/ جابر بن محمد ناصر بوجام ..... 308

## «أهلُ الله وخاصَّته»

- ❖ المستظهرون لكتاب الله العزيز بالقرار (2021-1442 / 2020-1441) ..... 315





# ٦

## افتتاح العدد السادس والعشرين

بعلم: أ.د/ محمد ناصر بوجام  
باحث ومؤلف. مدير مجلة الحياة

الكتابه رسالة يتحمّلها من أوتي الكفاية على التّحرير، والنشر وسيلة لتبلیغ الأمانة لمن هو في حاجة إليها. ما يُطلب هو حسن اختيار الموضوعات، وانتقاء الأساليب، التي بها تصل المعلومة إلى المتلقّي بدقة، وتبلغ الفكرة إلى المعنى بنجاعة، و تستقطب المخاطبين ليلتقوّا حول ما يقدم لهم، و تستثيرهم ليتفاعلوا مع المنشور، و يعملوا على المشاركة الوجدانية فيه، ثم الإفاده منه في تطوير ذواتهم ومعارفهم وتنمية روح المبادرة في الإقبال الجماعي على هذه الكتابة والنشر. أي يكون لما يُنشر دور تثقيفي وبنائي وتكويني وتوجيهي وتصحيحي.

هذا الدور ينشد التنويع في مجالات الكتابة، والتنوع في أساليبها وطرق معالجة الموضوعات، ويهدف إلى فتح المجال للإثارة وال الحوار والنقد. إن هذا النهج هو الذي يطور الكتابة وينمي القدرات، ويفتح الأفاق لولوج مختلف الميادين التي تُوجَد في خضم الحياة المتطورة المتغيّرة المتعددة في كل لحظة، ومع تسارعها وتقلباتها تتکاثر القضايا والمشاكل المستجدّات، وتتعدد المطالب والرغبات والمناشدات؛ في المجالات العلمية والفكريّة والأدبية والاجتماعية والتاريخية والحضارية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية إلخ.. خاصةً مع الانفجار المعرفي وثورة المعلومات ودوران عجلات التكنولوجيا بقوّة، وتشابك العلاقات الإنسانية؛ إيجاباً وسلباً، وتعزيز موازين التقدير والتقويم لكل شيء، منها مجال الكتابة والنشر. كما تعددت الرؤى في طرق النشر: ورقياً ورقمياً وغيرهما.

هذه المظاهر تجعل من الكتابة مسؤولةً عنها، ولا التراخي أو السير فيها بمهل وتسويف؛ بما يُفوت فرصة مواكبة المستجدات ومعالجة المتغيرات، واستشراف المستقبل. كما أنها مسؤولة لا يتقدّم إليها إلا كفءٌ لما يتناول ويعالج، ويقضى فيه برأي أو رؤية، أو تصويب أو تصحيح أو استدراك، وهي مسؤولة في طرق اختيار الأساليب المناسبة لطبيعة الموضوعات التي يكتب فيها، ولمستويات المخاطبين المعينين بالكتابية، وللملامالت التي توصل إليها هذه الكتابات. هي مسؤولة متعددة الوجهات والأهداف والمرامي.

الكتابية يجب أن تجمع بين تناول الماضي والحاضر والمستقبل، وتتوخى الربط بين هذه الحالات، من منطلق البناء الحضاري الذي يتغذى بالماضي ويتقوى بالحاضر ويستمر بالمستقبل. فهذا التوجه أو المنهج هو الذي يكفل الحياة المعنوية قبل المادية للأمة. فهذه المسؤولية تتطلب الدرأة والكافحة والعنابة والرعاية.

يقال: إن طقوس الكتابة الجادة كطقوس العبادة. نحكم على هذه الرؤية بالصحّة؛ إذا عدنا الكتابة عبادة؛ لأن الكاتب يتونح فيها الصدق والأمانة والإخلاص، والقيام بالواجب، وتحري الحقيقة، وتقديم النفع للقارئ. فهذه الشروط مطلوبة في العبادة. والكاتب في النهاية يؤدي بما يحرر رسالة سامية بأمانة، فلا غرابة في هذا التقدير وهذا الوصف، ولا اندهاش ولا ابتعداً عن المعقول، حين يقول في هذا السياق شاعر الثورة الجزائرية عن الشعر، وهو من فنون الكتابة:

رسالة الشعر في الدين مقدسة  
لولا البوة كان الشعر قرآن

«مجلة الحياة» تجتهد أن تحقق هذه المطالب، وتبقى في هذا الخطّ قدر المستطاع، فهي تحرص على التطور والتجدد والتنوع في الموضوعات التي تنشرها؛ لتؤدي رسالتها المنوطة بها في النشر، كما تفتح باباً خاصاً للإبداع بمختلف صنوفه، و تقوم بالتعريف ببعض الرسائل والأطروحات الجامعية.

هذا العدد السادس والعشرون اشتمل على مقالاتٍ ودراساتٍ متنوعة، توزّعت بين الدراسات القرآنية، والفقه، والنظارات الحضارية، والسير والترجم، والأدب والتاريخ، والقضاء، والتحقيق، وموضوعات متفرّقة.

إنَّ رسالة المجلة واضحة، وأهدافها غير خفية، ونهجها يُبيّن: تنشر الفكر الأصيل، والأدب الرفيع، وتعنى بالفكر الإسلامي، وتخصّص مساحةً فسيحةً للفكر الإباضي، وتستقبل أبحاثاً في التّاريخ والحضارة، بما في ذلك تاريخ «مزاب» وحضارته. وتقبل كلَّ مشاركةٍ تُسهم في البناء والتنقيف والتنوير والتعرّيف بالتراث.

هي تنشد الرؤية الواضحة والتحليل العميق، والدراسة الموثقة، وتستقبل الإبداعات الأدبية.. فمن أراد الإسهام في الكتابة في مجلّة الحياة، فعليه مراعاة ضوابط الكتابة الرصينة الجادّة: فكراً ولغةً وأسلوبًا ومنهجًا. مع التذكير أنّها تنشدُ أعمالاً ظبيّف جديداً في مسار الدراسات؛ فبابُ النشر مفتوح لكلِّ راغب في النشر، فأهلاً وسهلاً بكم كتابنا الأعزاء بكلِّ اللغات، ونخصُّ بالذكر الشّباب النّاهض الصّاعد الّواعد... نسأل الله العون والتوفيق والسداد والرشاد.

أ. د/ محمد بن قاسم ناصر بوجام  
(مدير مجلة الحياة)

nacer.b.mohamed@gmail.com

الجزائر: الخميس 10 رمضان 1441هـ

الموافق 22 أفريل 2021م

# في حياة الإمام جابر بن زيد مشروع أمة (الحلاقة الأولى)

أ. د: محمد بن قاسم ناصر بوجام  
مؤلف وباحث - الجزائر (مدير المجلة)

مخصوص :

تميزت شخصية الإمام جابر بن زيد بخصائص مهمة، وحياته بعالم لافتة للنظر، يمكن اتخاذها نموذجاً لمشروع حياة الأمة؟ حاول هذا البحث عرض صور ومواصفات ومشاهد وأقوال وآراء لجابر بن زيد، قد تجib أو تستجيب لطلعات من يريد الإفادة من التجارب المتقدمة وسير السابقين في العمل المنهجي الموجه بقواعد وضوابط، والمُسيّج بمبادئ وأصول، والمشدود إلى أهداف ومقاصد واضحة بيّنة، والمرتبط برؤى مستقبلية استشرافية، وطموح في تمهيد الطريق لمن يبغى السير في ميدان الدّعوة والإرشاد والتوجيه والبناء والتشييد.

لبيان ذلك تناول البحث عناصر مستوحاة من حياة الرجل، وهي كالتالي:  
شخصية جابر بن زيد وخصائصها، المجالات التي صال فيها وجال أو شغلها أو تفوق فيها، قواعد عمله وضوابط تحركاته ونشاطه بها، جابر بن زيد الداعية، جابر بن زيد الفقيه، جابر بن زيد المفكّر السياسي، جابر بن زيد واضح أسس العمل الحضاري والمنهجي، حياة جابر بن زيد سيرة ملهمة للعمل المنهجي والتنظيمي والاستراتيجي.

**Title: In Life of Imam Jabir Ibn Zayd, a project of a Nation****Abstract:**

The personality of Imam Jabir bin Zayd was distinguished by important characteristics, and his life had remarkable features that could be taken as a model to build the nation.

This paper attempts to present sayings, opinions and stands by Jabir bin Zayd, with images and scenes from his life, that could be an inspiration to those who seek to benefit from the wisdom and experience of the ancestors whose work had methods, rules and regulations, standards and principles, and was drawn by clear and forward-looking goals and purposes. In their work, they had ambitious future visions to pave the road for those who would follow in their path and take over the torch to guide the nation.

That is detailed through the following elements:

- ❖ the characteristics of Jaber bin Zayd's personality
  - ❖ the fields in which he worked and excelled
  - ❖ his work rules and the activity principles
  - ❖ Jabir bin Zayd the preacher
  - ❖ Jaber bin Zayd the jurisprudent
  - ❖ Jabir bin Zayd the political thinker
  - ❖ Jabir bin Zayd, who laid the foundations for civilized and methodological work
  - ❖ Jabir bin Zayd's life, an inspiring biography of methodical, organizational and strategic work.
- 

:

يعيش العالم تحديات كثيرة في مختلف المجالات الحياتية: الدينية والفكرية والتربوية والاجتماعية والسياسية. يعيش مشاكل من إفرازات المدينة، يعيش أزمات نفسية واجتماعية؛ نتيجة غياب قواعد صحيحة تنظم سيرورة حياة الناس، ويسبب الافتقار إلى ضوابط محددة توجه مسيرة البشر وتستشرف مصيرهم.

الناس في هذا العالم المتغير المتطور سريع النمو، يستجدهاته ومطالبه التي لا تنتهي ولا توقف ولا تحد بحدود ولا سود أو قيود. هم في هذه الدوائر في حاجة إلى إيجاد أسس في البناء الفكري والنفسى، في حاجة إلى قواعد في تنظيم شؤون الحياة.

في سيرة الإمام جابر بن زيد ملامح ومظاهر وقواعد وضوابط وموافق ومشاهد، يُستفاد منها في إعداد مشروعات حضارية لتخطيّي كثير من العقبات والعائقات في بناء المجتمع القوي المتماسك، الذي يمكن له أن يقوم بالتصحيح والتصويب والتعديل في مسيرة الحياة، ويقدم إضافات في سيرورتها، ما يمكن عده مشروعًّاً أمة.

الإمام جابر بن زيد الأزدي شخصية علمية وقيادية ورائدة، في مجال الدعوة والتعليم والتوجيه والتكوين، شخصية لها خصوصياتها في سيرورة الحياة، ووضع قواعد وأسس للتحرّك في الحياة بعدد الكفاية والدرأة والاستعداد للتكيف، والتأقلم مع الظروف والملابسات والتحولات التي هي سنة الحياة وإكسيرها، وما يحقق حقيقتها ويجسد طبيعتها.

هو إمام من أئمّة المسلمين الأوائل الذين أرسوا قواعد العمل المؤسّس للمسيرات التي تستمر، والنشاط الذي لا يتوقف، وهو من كان يتحرّك بمبادئ العمل الحضاري، الذي يستمدّ انتلاقه من الماضي، ويربط بينه وبين الحاضر ويصله بالمستقبل، في قوّة وحزم وصلابة ومرؤنة في آن واحد، هو من كان يستغلّ كلَّ الإمكانيات المتاحة: العلمية والمادية والبشرية، ويعتمد سياسة عدم التفرير في أيّ طاقة أو فرد، وينطلق بفكرة أنه مسؤول على وضع لِبناتٍ صحيحة متينة في صرح العمل التعليمي والدعوي والإرشادي والتقني.. وعلى توفير ما هو في حاجة إليه في عملية الإعداد والتكوين، وما يتركه معالم وصوّى ومنارات وقواعد وضوابط لمن يأتي بعده ليواصل المسيرة، ويكمّل الطريق بكلّ ثقة وقوّة... كلَّ هذه المميّزات، هل يمكن أن تجعل حياته مشروعًّاً، إذا أحسن اكتشاف خبایها، وعُرفَ كيف يتم سبر أغوارها، ثم استثمارها أحسن استثمار، واستلهامها كما ينبغي؟

هل هذه المميّزات والخصائص هي من المؤهلات التي تحصل من جابر بن زيد شخصية تكون محلّ اهتمام وتقدير واستلهام، لمشروعًّاً أمة تستشرف منها مستقبلها؟!! هل يمكن اتّخاذ حياة هذا الرّجل الفذ، نموذجاً لمشروع حياة الأمة؟ كيف يكون ذلك مع بُعدِ الزّمن بين العهد الذي عاش فيه والوقت الراهن، وما يستقبل من الأيّام؟ كيف يمكن استثمار حياة جابر بن زيد بكلّ تفصيلاتها، وحيثياتها، وتطوراتها، في الإفادة منها في إقامة مشروعات حضارية؟ هل التحوّلات والمستجدّات والمتغيّرات، تسمح بفعل شيءٍ يعين على الاستفادة من تجارب مرّت عليها قرون، ويساعد على الاستعانة بخبرات تَبَثَّتْ وَتَبَثَّتْ في بيئاتٍ تختلف كثيراً عن البيئات الراهنة والمستقبلية؟؟؟

حاولنا في هذا البحث الإجابة على هذه الأسئلة، بعرض حياة الإمام جابر بن زيد عليها، وتقديم صور وموافق ومشاهد وأقوال وآراء له. قد تجib أو تستجيب لتطورات من يريد الإفادة من التجارب المتقدمة وسيّر السابقين في العمل المنهجي الموجّه بقواعد وضوابط، والمسجّح بمبادئ وأصول، والمشدود إلى أهداف ومقاصد واضحة بيّنة، والمرتبط برؤى مستقبلية استشرافية، وطموح في تمهيد الطريق لمن يعيي السير في ميدان الدّعوة والإرشاد والتوجيه والبناء والتشييد، وتركٌ أثري في سيرة الحياة، التي تتغيّر وتتطور وتتجدد باستمرار وفي سرعة.

لبيان ذلك تناولنا في هذا البحث عناصر مستوحاة من حياة جابر بن زيد، اجتهدنا بها استكناه أغوار هذه الشخصية، وعرض هذه العناصر وتحليلها لمعرفة: هل يمكن أن تكون حياة هذا الإمام مشروع أمّة؟؟ تناولنا العناصر الآتية: شخصيّة جابر بن زيد وخصائصها.. المجالات التي صال فيها وجال أو شغلها أو تفوق فيها...قواعد عمله وضوابط تحركاته ونشاطه بها، جابر بن زيد الداعية، جابر بن زيد الفقيه، جابر بن زيد المفكّر السياسي، جابر بن زيد واضح أسس العمل الحضاري والمنهجي، حياة جابر بن زيد سيرة ملهمة للعمل المنهجي والتنظيمي والاستراتيجي.

رَكِّزنا على بيان حقيقة الإمام جابر بن زيد، وتسجيل الخصائص والمميزات والصفات التي يتمتّع بها، وإبراز معلم شخصيّته ومظاهر حياته.. وذكر بعض موافقه وتحليلها، لنكشف عن الطرق والسبل الكفيلة للتخطيط والتدبير، والتفكير في وضع مشروعات لتنظيم شؤون الحياة، تكون حياة جابر بن زيد وسيرته معيّناً معيّناً للظفر بالمبتغي.

لم تستقص الكتابة عن علم جابر بن زيد، ولم نورد كثيراً من أقواله وآرائه، سواء كانت فتاوى أم رسائل أم أقوالاً متداولة هنا وهناك، إنما عمدنا إلى الكشف عن القواعد التي كانت ضوابط في حياته العلمية والدعوية، أيْ كان تركيزنا على بيان منهج الإمام جابر في الدّعوة والتّكوين والتّوجيه... سيراً إلى المهد الذي رسمناه لهذا البحث، وهو بيان أنّ في حياة جابر بن زيد مشروع أمّة، هذا المشروع ينكشف من خلال التعرّف على منهجه الدّعوي والعلمي.

الإمام جابر بن زيد عالم البصرة ومفتیها، نال ثقة شيوخه من الصحابة، والتابعين من علماء عصره. قال فيه شیخه عبد الله بن عباس: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علمًا بما في كتاب الله"<sup>(1)</sup>. هذه الشهادة تُبيّن مكانة جابر العلمية. فَآنَ يكون عالم البصرة المرموق، يُقصد للتلقّه في الدين، ويرحل إليه للتعلم والتکون.. فهذا فضل كبير وقيمة عالية، فهي التي جعلت عبد الله بن عمر يخاطب جابرًا قائلاً: "يا جابر إِنَّكَ مِنْ فُقَهَاءِ الْبَصَرَةِ" ، وأنطقت قاضي البصرة إِيَّاسَ بن معاوية بهذه المقوله: "أدركت البصرة وما هم مُفْتٍ يفتيهم غير جابر بن زيد من أهل عمان". وكان الحسن البصري يثني على جابر بن زيد، ويصفه بالفقیه العالم"<sup>(2)</sup>.

قال أنس بن مالك بعد وفاة جابر بن زيد: "مات أعلم من على ظهر الأرض"، وقال قتادة: "اليوم مات عالم الأرض"<sup>(3)</sup>.

قال الدكتور فرات الجعيري، بعد أن عرض بعض مواقف جابر بن زيد، وعلاقته بشیخه عبد الله بن عباس "... وفي النهاية لقد كان عبد الله بن عباس يستخلص الإمام جابر بن زيد في الفتیا؛ اعترافاً بما آتاه الله من بصیرة، وهذه شهادة عملية، تتضاد إلى ما ذكرنا من شهادات.

وهكذا ينبغي أن تكون العلاقة بين الشیخ ومحبّیه، أساسها المودة المخلصة لله تعالى، اعتراف من الشیخ بمنزلة المتعلم، وإقرار من المتعلم بفضل الشیخ، وبهذا تتكون الأجيال، ويكون اللاحقون خير خلف لخير سلف"<sup>(4)</sup>.

(1) الدكتور صالح بن أحمد الصوافی، الإمام جابر بن زيد العماني، ط4، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1440هـ/2019م، ص: 56.

(2) ينظر المراجع نفسه.

(3) لم تُحل كل الشهادات التي قيلت في حق الإمام جابر بن زيد إلى مصادرها؛ لأنها متداولة ومشورة في أغلب ما كتب عنه، يسهل على القارئ الرجوع إليها.

(4) د. فراتات بن علي الجعيري، الإمام جابر بن زيد، مطبعة JMS PLUS، تونس، 2009م، ص: 40.

حين ينال جابر بن زيد ثقة العلماء والعارفين لأهل الفضل قدرهم ومكانتهم، إلا تكون سيرته وحياته مجالاً للإفادة والتعلم والتعمق؟ ومصدراً ومنبعاً لاستلهام مشروعات، تنظم حياة من يريد الإفادة من تجارب المحنكين والمتميّزين مثل جابر بن زيد؟

جابر بن زيد شخصية تعدّدت مجالات المعرفة عنده، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، "ترك موسوعة علمية نفيسة، تعرف بـ: (ديوان جابر)"، في سبعة أحوال، وهو أول من جمع الحديث في ديوان، ومن أوائل المؤلّفين في الإسلام، إلا أنَّ ديوانه ضائع، وبقيت بعض فتاواه، وروایاته وأراؤه منتشرة في جلٍّ مصادر الشريعة، وبخاصة في المصادر الإباضية، وقد بقيتُ بين أيدينا نصوص من تأليفه.."<sup>(1)</sup> ككتاب الصلاة وكتاب النكاح ومراسلات ومكاتبات وفتاویٌ وأجوبة وأقوال...

عُرف عنه دأبه في طلب العلم، فقد كان يتقلّل بين البصرة والمحاجز لاستزادة معرفة، أو لتحقيق مسألة، أو لمقابلة شيخ.<sup>(2)</sup> أخذ العلم عن ثلاثة من الصحابة.. وأخذ عنه العلم مجموعة من التلاميذ الذين انتفعوا بعلمه، ونفعوا به من جلس إليهم، وتعلّموا منهم وتكلّمُوا، وامتدَّ هذا النفع إلى الأجيال المتلاحقة المتتابعة.

هيَمَةُ جابر بن زيد وهيَمَةُ طلبِ العلم وكثرةِ الأسفار، بغيةِ التحصيل فيه، ونشره والدُّعْوة في سبيل الله. ترك آثاراً علمية كبيرة، في التعليم والإفتاء والتوجيه والإرشاد.. عُرف بعيقى البصرة. روى عنه عدد كبير من رجال السنة..

كان مع كلٍّ ما جال فيه وصال في ميادين الدُّعْوة والتعليم، موظفاً في ديوان المعاملة في البصرة لفترة. وكان شديد الصّلة بكاتب الحجاج بن يوسف يزيد بن أبي مسلم، غير أنه كان جريئاً على الحجاج، ومنكراً لجوره، وقد عرض عليه منصب القضاء فرفضه بالحيلة.

"جابر هو إمام أهل الدُّعْوة والاستقامة، وواضع قواعد الاجتهاد للمذهب الإباضي. وعنده كان يصدر عبد الله بن إياض في مواقفه. وعلاقتهم الوطيدة مبسوطة في مصادر السير الإباضية".<sup>(3)</sup> بمعنى أوضح وأصرّح: هو المنشئ الحقيقي للمذهب الإباضي.

(1) مجموعة من الباحثين، معجم أعمال الإباضية، المجلد الثاني، قسم المغرب، ط 1، 1420هـ / 1999م، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ص: 219...

(2) المرجع السابق، ص: 217.

(3) المرجع السابق، ص: 220.

قال الأستاذ يحيى بن محمد بکوش: " وقد كنت في حداة سنّي أعتقد أنَّ الإمام جابر بن زيد هو شيخ الإباضية وحدهم، ولكن تبيّن لي بعدئذ أنَّه عالم من علماء الإسلام العظام، وأنَّه يحتلُّ ثقة المسلمين من جميع المذاهب، فرووا عنه أقواله مقرونة بأقوال آنذاهه من العلماء وأئمَّة الفقه الإسلامي، وأبرزوا أسانيده عالية من بين أسانيد رواة السنة..."<sup>(1)</sup>

بهذه المواصفات، وما توفر عليه الإمام جابر بن زيد من علم غزير في مختلف مجالات المعرفة التي تعتمد وتطلب في البناء والتَّكوين، وبالعمل الدُّرُّوب الكبير في الميدان، وبالثقة الكبيرة التي افتَّكَها من كبار النَّفوس، وحصلَّها من كراء العقول، ومن يقدر الرجال قدرهم.. ونتيجة كلِّ ذلك، كانت حياته محلاًّ اهتماماً، و مجال التعلم والتَّكوين، ما يجعل منها مشروع حياة أمَّة، هذا ما نحاول الكشف عنه في الصفحات الآتية..

إنَّ جابر بن زيد وصل إلى هذه المكانة نتيجة خصائص ميَّزَتْ شخصيَّته، فما هي هذه الخصائص؟

### شخصيَّة جابر بن زيد وخصائصها:

عرفت عن جابر بن زيد ميَّزات وخصائص، جعلت منه شخصية بارزة وكبيرة، ينظر إليها ويتقرَّب منها للإفادة، في مجال العمل الاهداف البُنائي.. اتصف: "بِخُصُّالٍ متعددة، جعلت منه عالماً وقائداً متميِّزاً" فالدَّهاء السياسي من الصفات التي تميَّز بها عن غيره، فمن حيثُ المظهر الخارجي لا يمكن تمييزه عن غيره من الناس، بل إنَّ الناظر إليه يقول: لا يحسن شيئاً. وهذه الصفة أكسبته فرصة للتحرُّك داخل المجتمع، ودون جلب النظر من السلطة الأموية، أو من أيّ عدو له، ومن جهة أخرى فإنَّها تدلُّ على مدى حرصه وحذره. كذلك هو قادر على الإفلات والمراؤحة من رقابة السلطة الأموية، بوسائل لا تجلب الريبة والشك ..<sup>(2)</sup>

(1) فقه الإمام جابر بن زيد، ج 1، تقديم وجمع وتحريج يحيى محمد بکوش، ط 2، 1408هـ / 1988م، ص: 7.

(2) سامي صقر عيد أبو داود، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية، ط 1، مطابع التَّهضمة، مسقط، سلطنة عمان، 2000م، ص: 72، 73.

الشخصية القوية والمهمة في مسيرة الحياة الفكرية والسياسية الإسلامية، التي ظهرت في مظهر هذا العالم، والداعية والقائد السياسي... أوجدها صفات وخصائص، اتسمت بها وتميزت، فكان لها أثراً في الدعوة الإسلامية، ودورها في الحياة العامة في عصرها، وما تلاه من عصور وتعاقب من أيام.. فما هي هذه الخصائص والميزات؟ نذكر بعضها فيما يأتي:

1 - كان جابر بن زيد ذا نفس طاحنة للاستزادة من العلم، من دون انقطاع أو تردد أو تسويف، لذا كان يجلس إلى العلماء، ويُسافر إلى أماكن وجود العلم، ويتَردد على المراكز والأعلام الذين يجدون عندهم ما يطلبونه من العلم والمعرفة، وهو الذي تتلمذ على الصحابة وحوى ما عندهم من العلم، ما خلا البحر وحرب الأمة عبد الله بن عباس..

الطموح في طلب العلم، والحرص على صيد المعرفة، خاصية معروفة عند جابر بن زيد، وقد تفرّغ لها، حتى وهو عالم يتصلّى للتعليم والفتوى، وقيادة الناس وتوجيههم في أمور دنياهם وأخراهم.. وقد عرف عنه أنه لم يشتغل بغير العلم تلقياً وتلقيناً. لم يؤثر عنه أنه استغل بفلاحة أو تجارة أو صناعة أو غيرها<sup>(1)</sup>.

في هذا درس وتوجيه للطّالعين في السير في درب التكوين والإعداد والبناء.. أن يتفرّغوا له كل التّقىع، بداية من التكوان القوي والمتين والصحيح علمياً.. وغلق كل أبواب المجالات الأخرى، وعدم التفكير فيها، في بداية مشوار التعلم على الأقل.. من هذه الميزة في حياة جابر، نأخذ قاعدة مهمة في إعداد مشروع حياة.

2 - كان حريصاً على تحسين علاقته مع تلامذته، الذين يرى فيهم أمل الأمة ومستقبلها. يظهر ذلك في حسن معاملته لهم، والتقارب منهم، وتحمّلهم على التزود بما يبني نفوسهم ويكون شخصيتهم، في مقدمة ذلك التركيز على طلب العلم، والانكباب على تحصيله بجدٍ ومثابرة، بل كان يحاسبهم على التقصير في ذلك...

(1) فرحت بن علي الجعيري، الإمام جابر بن زيد، ص: 23. لمزيد من الاطلاع على حياة جابر بن زيد العلمية: تعلماً وتعليناً.. ينظر الدكتور أحمد درويش، جابر بن زيد، حياة من أجل العلم، مطبعة جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان، 1988م.

3 - كان دائم السهر على التكيف مع الواقع ومسايرة الأحداث، قدر المستطاع، ما لا يمسّ بالمبادئ والأصول...

4 - كان مهتماً ومركزاً على فهم الواقع السياسي والاجتماعي والفكري الذي يعيش فيه ويعايشه.. " فهو يهتمّ بعشيرته الأزد التي كانت تشكّل ثقلاً سياسياً واجتماعياً داخل البصرة، ناشراً دعوته بين أفرادها.. كذلك هو قادر على فهم نفسيات الناس، وكسبهم لجانبه، من خلال اقتناصه للفرص المتعددة. وتأسيساً على ذلك فإنه يسough لنا القولُ بأنَّ الإمام جابر بن زيد قد امتلك خصائص الشخصية السياسية التي تفهم واقعها، وتعامل معه بدهاء وحكمة..."<sup>(1)</sup>

من هذا المفهوم وفي هذه الشخصية، نقرأ شخصية الإمام الشیخ إبراهيم بن عمر بیوض (1316 - 1401هـ / 1899 - 1981م)، الذي هو على فکر جابر بن زید ومذهبه، فهو أيضاً يعني بدراسة الواقع المعيش دراسة دقيقة وعميقة، ويدعو تلاميذه إلى التخلّي بهذه الشخصية، والتخلّي عن التقوّع والانزواء اللذين يعوقان التشاطط، ويعطلان المسيرة العادلة الطبيعية للحياة السوية.<sup>(2)</sup> .. لا يعدّ هذا المنهج امتداداً لمنهج إمام المذهب جابر بن زيد؟ لا يحسب في مدرسته الفكرية اقتداء ومارسة؟ لا يمكن أن نقرأ في سلوك الشیخ بیوض مشروع أمّة مستوحى من حیاة الإمام جابر بن زید؟

5 - كان مجتهداً في تعليم الناس وتفقيههم، بغضّ النظر عما إذا كانوا من أعضاء الحركة أم لا. أي كان تعليمه لكلّ من يطلب، لا يعزل من هو في غير نهجه - أو هو في الدّائرة الخارجة عن الحركة التي يتزعّمها - .. عن الإفادة من علمه.. هذا هو خلق المؤمن الواعي لرسالته، المتحمّل أمانة بصدق وإخلاص.

6 - كان يعيش عيش الكفاف والعفاف والورع والتقدّف، زاهداً في الدنيا، قنوعاً بما أعطاه الله، بل كان يردد كثيراً مما يقدّم له إكراماً وإحساناً، ويبعد نفسه عن مظاهر النعيم

(1) جابر ابن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية، ص: 73، 74. ينظر الفصل الثالث في الكتاب، التشاطط السياسي للإمام جابر بن زيد. ص: 91 وما بعدها.

(2) ينظر كتابنا: الشیخ بیوض والعمل السياسي، ط2، نشر جمعية التراث، القرارة، ولاية غرداية، الجزائر، 1437هـ / 2016م، ص: 17 - 25.

والترف والبحبوحة، قال مرّة عن نفسه: "سألت ربّي عن ثلات فأعطيانيهنّ: سألت زوجة مؤمنة، وراحلة صالحة، ورزقا حلالاً كفافاً يوماً بيوم"<sup>(1)</sup>

كان يخاطب أصحابه، متحدّتاً عن ثروته، فيقول: "ليس منكم رجل أغنى مثني، ليس عندي درهم، ولا عليّ دين"<sup>(2)</sup>. ويحكي الحجاج بن عيينة: "كان جابر بن زيد يأتينا في مصلاتنا، فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خلقان، فقال: مضى من عمري ستون سنة ونعلاني هاتان أحبت إليّ ممّا مضى، إلّا يك خيراً قدّمه".<sup>(3)</sup> يقول محمد بن سيرين: "رحم الله جابرًا، كان مسلماً عند الدرّاهم". يعني إنّه كان ورعاً<sup>(4)</sup> وقد كان لباسه متواضعاً، حتّى أنّ الناظر إليه يقول: (إنه لا يحسن شيئاً، ولا يظنّ أنه فقيه عالم)، ممّا يعني أنه لم يكن يتزيّاً بزىّ خاصٍ، يميّزه عن بقية الناس".<sup>(5)</sup>

هكذا نقرأ البساطة والزهد والورع والتقدّف، وعدم الاهتمام بمتع الحياة الدنيا وزخرفها.. إنّها الصّفات الثابتة في حياة جابر. وبها تمكن من أداء رسالته والقيام بواجبه.. وبذلك يقدم نفسه غوّذاً لما يجب الاهتمام به، وصرف النظر عمّا ليس له دور في العمل المثير.. فقد أرادته الدنيا ولم يردها، أقبل عليه القضاء مسرعاً ففرّ منه فراراً..

7 - "... كان خير الناس لأهله وألمته، فعمل على الإحسان إلى من يسيء إليه. وكان مسلماً عند الدرّهم والدينار، لا يفتر عن الدّعاء إلى الله تعالى، يحرص على مستجدّات الحضارة بما يصدر من فتاوى، تيسّر للناس ما عسر، دون أن يخرج عن مقاصد الشّريعة".

(1) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرّاجي، طبقات المشائخ بال المغرب، ج 2، حقّقه وقام بطبعه إبراهيم طلّائي، (د.م.و.ت) ص: 213.

(2) المصدر السابق، ص: 213، 214..

(3) جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية. بقلم عمرو خليفة التّامي، ترجمة إلى العربية سلطان بن مبارك بن حمد الشّيباني (مخطوط)، ص: 6. للتوسّع في حياة جابر بن زيد ينظر د. عمرو خليفة التّامي، دراسات عن الإباضية، ترجمة ميخائيل خوري، مراجعة د. ماهر جرار.. ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص: 73 - 94.

(4) جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية، ص: 6.

(5) الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية، ص: 75.

8 - بصفة جابر بن زيد قائداً للحركة العلمية والسياسية، حتى ولو لم يكن ذلك بصفة رسمية، لكنه - في تقديرني - كان يشعر بذلك، بالنظر إلى ما كان يحسّ به أو يراه من حاجة الناس إلى علمه، وتطلعهم للإفادة من خبرته، ورغبتهم في تلقي توجيهات منه، والتزاحم على استشارته في أمورهم.. ثمّ ما نطق به شيوخه وأصدقاؤه ومن كان يعرف مكانه وقدره... إذ شهد له شيخه عبد الله بن عباس بزيارة العلم، وقال عنه: "اسألا جابر بن زيد، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه" فهذه الشهادة تفصح عما أottiه الإمام من سعة أفق، ما دام شيخه شهد له أنه قادر أن يحلّ القضايا الواردة عن الأمة الإسلامية من مشرقها ومن مغربها.. وقال عنه تلميذه عمرو بن دينار: "ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من جابر بن زيد"<sup>(1)</sup>

بالنظر إلى كلّ ذلك، كان ينظر إلى نفسه قائداً ورائداً وموجّها.. عليه القيام بواجب الإرشاد والتوجيه، فكان لا يتوانى عن القيام بذلك.. يظهر ذلك في رسائله إلى تلاميذه بخاصة، وإلى الدّعاة والمرشدين، وإلى كلّ من هو ناشط في ميدان الدّعوة ونشر الفكر<sup>(2)</sup>.

9 - كان يداري الطّاغة، ويرأوغ الظّلمة؛ اتقاء لشروطهم، وحافظاً على الحركة، وضماناً لسيرورة دعوته ونشر فكره، من ذلك المحافظة على علاقة جيدة مع الحجاج بن يوسف الثقفي، بواسطة وزيره يزيد بن مسلم، الذي كان صديقاً حimّاً له، وهو الذي قدمه إلى الحجاج بن يوسف، وحرص أن يقنعه بتولي منصب في ولاته، لكنّ جابرًا لم يقبل بذلك، ولم يستجب لرغبة يزيد، ولا الحجاج.

ائتّمت علاقة جابر بن زيد بالدولة الأموية بالولد والمرونة<sup>(3)</sup>. هذا الود الظاهري، وهذه المرونة أمام الظروف السياسية الصعبة، التي عرف بها العهد الأموي.. يدلّان على

(1) جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية، ص: 21. ينظر التّهبي، تذكرة، ج 1، ص: 62.

(2) ينظر مثلاً رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي، ضبط نصّها عمرو بن خليفة التّامي، ط 1، نشر دار الدّعوة نالوت، ليبيا، 1439/2018م. ورسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي، دراسة وتحقيق الشيخ فرحات بن عليّ الجعيري، ط 1، مكتبة الضّامري للنشر والتوزيع، السّيب، سلطنة عمان، 1434هـ/2013م، وإبراهيم بن عليّ بولرواح، موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد، الجزء الأول، الجزء الثاني، (جمع وترتيب وتعليق)، ط 1، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، 1427هـ/2006م.

(3) ينظر مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، ط 2، دار الحكمة، لندن، 2013م، ص: 68.

الكفاية والحكمة اللتين تميّز بهما جابر بن زيد القائد والرائد والزعيم على حركة، بدأت تتأسّس وتدرج وتسير بخطى متعرّة، لكنّها كانت ثابتة ومسيّحة بسياج حسن التدبير والتصرّف، واعتدال السلوك، ومتدرّبة بذمار المدوء الذي لا يثير انتباها ولا يلفت نظراً..

عرف جابر بن زيد بموافقه المعتدلة والسلّمية مع ولادةبني أميّة .. فلم يُبدي احتكاكاً بهم أو اصطداماً، ولم يظهر عنفاً أو تطرّفاً ضدّ قوّة لا يستطيع مقاومتها، فكانت قوّته في حكمته، لا في شجاعته، كما قال الشاعر:

### الرأي قبل شجاعة الشّجعان هُوَ أَوْلَى، وَهِيَ الْمُحْلَّ الثَّانِي

كان بهذه السياسة يصرف عنه أنظار حكام بني أميّة، ليبعد عنه أيّ شبهة تدينه في معارضته سياسة الدولة الأمويّة، وتعطيه في الوقت نفسه حرية العمل ونشر أفكاره، بعيداً عن أيّ مراقبة أو مضائق أو حظر. فقد عاب عليه بعض أصحابه كيف يصلّي خلف ولادةبني أميّة، فردّ عليهم: "إنّها صلاة جامعة وستة متبعه"<sup>(1)</sup>.

في هذا الموقف وهذا الرّدّ تكمن قاعدة مهمّة في كيفية التّصرّف مع المواقف والواقعات الواقع بحكمة، وتعلم شرعاً، والتعامل مع الأحداث بواقعية وعقلانية ونظر عميق وبعيد في طريقة التّحرّك، مع استحضار الملاّت.

بحضور جابر بن زيد مع الجماعة في المسجد مع من يحضر للصلوة .. يثبت وجوده في الساحة، ويدفع أيّ شكّ وربّة عنه وعن أتباعه .. عن هذه السياسة الحكيمـة. قال سامي صقر: "السمّت علاقة الإمام جابر بن زيد بالدولة الأمويّة باللّوذ والمرونة"<sup>(2)</sup> فقد اتّخذ لنفسه سياسة ذكيّة في التعامل مع ولادةبني أميّة، تمثّلت في البعد عن الاصطدام المباشر معهم، مفضلاً اتّباع سياسة السّرّيّة والكتمان، التي أصبحت جزءاً من التقسيم المرحلي عند الإباضيّة .."<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر سامي صقر، الإمام جابر بن زيد الأزدي، ص: 93. والرقشيّي أحمد بن عبد الله، مصباح الظّلام، ورقة 178 ب.

(2) ينظر مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق، ص: 76.

(3) سامي صقر، الإمام جابر بن زيد الأزدي، ص: 91.

قال عنه د. عمرو خليفة التامى: "اختار جابر لنفسه الطريق الأكثر فعالية لتحقيق هدفه، فحفظ نفسه بعيداً عن النشاطات السياسية، واتخذ مساراً حذراً جداً في علاقاته مع الحكماء الأمويين، ومن جانب آخر كرس وقهه لتعليم الناس أمور دينهم، وتوضيح الأحكام الشرعية في القضايا الدينية"<sup>(1)</sup>.

"ثم إن جابر بن زيد تحبّب أيّ احتكاكٍ مع السّلطة الحاكمة. ولم ينقل عنه آنه تعرّض لأيّ أذى قبل تولّي الحجّاج السّلطة في العراق، على الرّغم من أنّ بعض أصحابه قد لقي عنتاً كبيراً على أيدي الولاة أيام ابن زياد"<sup>(2)</sup>.

بهذا السلوك نسجل مع الأستاذ سامي صقر: "...أن الإمام جابر بن زيد كان شخصية سياسية وقائد حركة، بالإضافة إلى كونه شخصية علمية، وهو عامل أعطى زخماً إباضية، بالمقارنة مع الحركات الأخرى"<sup>(3)</sup>.

هذا التصرّف الحكيم من جابر بن زيد في تنظيم الحركة أصبح قاعدة، تبنّاها الإباضية من بعده على مرّ الأيام: تنظيرًا ومارسة؛ تعلّموها وأشربوا كنها من إمامهم ومؤسس مدرستهم.. فهي تضاف إلى ما نكتشفه من أفضال ومميزات.. تجعل من حياة جابر بن زيد مشروع أمّة. يستفيد منها أتباع مدرسته وغيرهم.

10 - كان مجتهداً في إقامة علاقات متينة مع الأشخاص الفاعلين المؤثرين في المحيط، ومع الأسر التي لها نفوذ.. ومع الأشخاص الذين هم في مناصب رسمية في أماكن مختلفة<sup>(4)</sup>؛ لتقريب الحركة من تكون فيه، أو ترجى فيه قائدة ونفع لها، والأهم من ذلك حمايتها وصيانتها مما قد ينال منها، فهي فتية، وضعيفة مادياً.. فلا بدّ من الاحتياط مما قد يجهز عليها.. يقول عمرو خليفة التامى: "وأستطيع جابر بن زيد أن يقيم علاقة متينة مع عائلة المهلبيين، التي كانت ذات نفوذ واسع، وكانت تربطها بالإمام جابر علاقة نسب

(1) جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية، ص: 5.

(2) فقه الإمام جابر بن زيد، ص: 36.

(3) سامي صقر عيد أبو داود، الإمام جابر بن زيد الأزدي، ص: 95، 96. عن علاقة جابر بن زيد بالدولة الأموية وبعض الشخصيات المهمة.. ينظر كتاب فقه جابر بن زيد، ص: 30-33.

(4) ينظر جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية، ص: 17.

وقرابة، بل ما هو أكثر أهمية من القرابة، حيث كان جابر معلّماً وموجّهاً لهذه العائلة، فقد كان يزورهم ويعلمهم أمور دينهم، ويأمرهم بما يقرّبهم إلى الله؟"<sup>(1)</sup>.

"... وإلى جانب إرسال الفتوى إلى أصدقائه في تلك الأماكن البعيدة، كان جابر يطلب منهم أن يخبروه بالأوضاع في بلدانهم، ويكتبوا له عن أيّ شيء يحدث فيها. هذه الاتصالات الواسعة مع الأشخاص والعائلات ذات التفود، إضافة إلى التوقير والاحترام الذي يحظى به جابر لدى العامة، جعلت الحاجاج بن يوسف حذراً منه، وقد حاول أن يستميل جابراً إلى طرفه، ويعرض عليه القضاء، لكنْ جابراً رفض هذا العرض"<sup>(2)</sup>.

تذكر المصادر توسيع جابر بن زيد في قاعدة ربط علاقاته بالأشخاص والقبائل والمجموعات، بما عاد على حركته بالفائد، إذ توطدت علاقاته ب مختلف المناطق عن طريق الأفراد الذين يوجدون فيها، والتّيجة المباشرة الناجمة عن ذلك هي انتشار فكره، وتوسيع دائرة بث آرائه.. وهو ما نجد له آثاراً في تكون دول في أنحاء متفرقة من المعمورة.. كما كانت بعض المناطق ملجاً لجابر بعد ما ضيق عليه في البصرة، حصل هذا بفضل توسيع علاقاته وتنوّعها..

"... وكانت هناك أشخاص آخرون خارج البصرة على علاقات حميمة مع جابر، يدينون بمذهبة ويصدرون عن أمره، وكانتا عيئاً له ومتلئن في المناطق التي يسكنونها. ونظرًا للدقة في التنظيم والحدّر الشديد، فلم يستطع الولاة القبض على هؤلاء الدعاة، وكان وجود بعضهم في مراكز المسؤولية دليلاً واضحاً على عدم معرفة الولاة بمعتقداتهم، وكان أيضاً دليلاً على أنَّ جابراً لم يمانع في أن يستلم بعض أتباعه عددًا من المراكز والمهام الرسمية في جهاز الدولة، التي يعمل ضيّدها في التّهاية، حيث كان يرى أنَّ هؤلاء يسهمون في توفير المناخ المناسب لنشر دعوته في تلك الأمصار، والولايات، ويشكّلون دعامة لها"<sup>(3)</sup>.

هذه استراتيجية نابعة من منهج جابر بن زيد في حركته. هذه القاعدة تقدّم صورة عن سبل العمل في نشر الفكر، وتبّرّز وجهاً من وجوه منهجية العمل المؤسس على قواعد وضوابط ورؤى ثاقبة فاحصة... وتسوق دليلاً أن في حياة جابر بن زيد مشروع أمّة..

(1) المرجع السابق، ص: 16.

(2) جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية: ص: 17. ينظر سير الشّمامي، ص: 74.

(3) فقه الإمام جابر بن زيد، ص: 31، 32.

11 - جمع جابر بين الفقه في علوم الشريعة والحنكة السياسية، والكفاية الإدارية...". ومكّنه ذلك من أن يكون جيلاً من الأتباع، سيواصل قيادة الحركة عن جدارة، إلى أن أقاموا الإمام العادلة في المشرق والمغرب<sup>(1)</sup>.

12 - "وكان جابر بن زيد شديد الاتصال بأهل الدّعوة: رجالاً ونساءً، يزورهم في بيوتهم ومساجدهم، لغرض التعليم وتعهدهم بالموعظة والدّعوة إلى الله، فقد روى آنه كان يزور عاتكة بنت المطلب بن أبي صفرة في بيتها، وأئمّها كانت تسأله في الدين"<sup>(2)</sup>.

هذه بعض الخصائص العامة التي تميّزت بها شخصية الإمام جابر بن زيد، كان لها دور إيجابي كبير في نشاطه الدّعوي والتوجيهي في مختلف الميادين، وفي مختلف الأصعدة.. هذا النّشاط امتدّت آثاره بعد وفاته في خطّ متّرّق عبر العصور إلى يومنا هذا. فما هي هذه المجالات والميادين؟

### جابر بن زيد الدّاعية

يتبيّن لنا من خلال تخطيط جابر بن زيد وتدبّره وتفكيره، وحركاته ونشاطه، ومن خلال مواقفه ونظراته.. أنّ سبل الدّعوة عنده تعدّدت واصطبغت بصبغات مختلفة: دينية، سياسية، اجتماعية... هذا التعدد والتلوّن والتتجدد.. هو الذي اكسب حركاته نجاعة وقوّة، امتدّت بها زماناً ومكائناً وطوابق وجماعات.. كما أعطت له هو شخصياً صفة صاحب الاستراتيجية، التي حطّت به في دائرة الرؤية المستقبلية، التي تبعدي الوقت الراهن والزّمان الآني، وتجاوزت به البيئة الحاضرة، التي يعيش فيها، إلى بीئات مختلفة ممتدة عبر الزّمان والمكان بلا حدود ولا قيود..؛ لذا كانت حياته وسيرته ومسيرته مجالاً لتبنّي مشروعات كبيرة ناجحة، فأخذت سمة "مشروع أمة"؛ لما يفاد منها في سيرورة الحياة وتتطورها ودواهامها، بالاعتماد على القواعد التي سار بها وعليها (أي جابر)، وهو يؤسّس لحياة تكون في مجتمع متحضر محافظ، ومتجلّد في آن واحد.

دعوته توسيّعت إلى مخاطبة مجموعات وقبائل، مثل ما حصل مع آل المطلب، القبيلة القوية ذات النفوذ والحضور القوي والبارز في الحياة العامة والسياسية بخاصة. "وقد وجّه

(1) رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي، ص: 50. ينظر نماذج عن هذه الصفة في الكتاب.

(2) فقه الإمام جابر بن زيد، ص: 23. ينظر الدّرجي، طبقات المشائخ، ج 2، ص: 255.

جابر بن زيد قسماً من جهوده إلى إقناع بعض آل المهلب للانضمام إلى حركته، وهذه القبيلة هي زعيمة الأزد العمانية في العراق، وقد تسللوا إلى أجهزة الدولة، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد، ولعل ذلك أكسبه تغطية إزاء الحكام، وستراً يقيه من أن يتعرضا له بأذى، واستمر الحال كذلك إلى أن انقلب الحجاج على آل المهلب، فانكشف جابر وأودى به في السجن.. ولم تقتصر جهوده على الرجال وحدهم، بل تعداهم إلى النساء. فإن لدينا من المعلومات ما يدل على وجود عدد من المهلبيات في صفوف الحركة الإباضية، وأنهن بذلن جهوداً كبيرة لنصرتها، وأموالاً طائلة لمساعدة المحتاجين منهم<sup>(1)</sup>.

"وامتدت خططات جابر بن زيد إلى عمان وإلى غير عمان من مناطق الأمصار الإسلامية، حيث كان يبعث بالدعّاة، فاشتغل بفضله الحركة في اليمن وحضرموت وخراسان، وغدت الدّعوة الإباضية عبارة عن حركة إسلامية شاملة، اجتذبت عناصر مختلفة من قبائل وأجناس متعددة، ولم تعد الدّعوة مقصورة على العنصر الأزدي أو التميمي، فدخل فيها الموالي والخراسانيون وغيرهم. ولا عجب أن يكون خليفة جابر بن زيد مولى من مواليبني تميم، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي كان سكن حي الأزد من البصرة، بعد انضمامه إلى الدّعوة"<sup>(2)</sup>.

النشاط الدّعوي لجابر بن زيد يبرز في كل أدوار حياته، وفي كل المجالات: تعليمًا وأسفارًا ومراسلة وإرشاداً وتوجيهًا.. أشرنا إلى فكرة استقطاب العناصر البارزة والمؤثرة في الحياة العامة، وكذا بعض القبائل القوية التي كانت تدعم نهجه، وتحمييه من المتربيّفين بفكرة..

نقصد بهذا العرض الإشارة إلى قاعدة مهمة، أو خطوة أساسية في الحركة والنشاط والدّعوة للفكر.. هي استراتيجية تُعنى وتهدّف إلى التعريف بالذات والدفاع عن النفس والفكر... تتبنّى السبل الكفيلة والمناسبة لتحقيق الهدف.. رغم بروز جابر في مضمار السلوك السياسي فإن شخصيته كانت أظهر وأقوى في مجال الفقه.<sup>(3)</sup>

(1) فقه الإمام جابر بن جابر، ج 1، ص: 37. ينظر الدرجي، طبقات المشائخ، ص: 211، 245.

(2) فقه الإمام جابر بن زيد، ج 1، ص: 37.

(3) للتوسيع ينظر د. صالح الصواف، الإمام جابر بن زيد العماني وأثاره في الدّعوة، ط 4.

## جابر بن زيد الفقيه

عاش جابر بن زيد في مدينة البصرة، التي كانت إحدى المراكز العلمية الكبرى في العالم الإسلامي، وكانت تضم علماء كثيرين ومدارس فكرية وعلمية عديدة، كان لها دورها في تطور الفكر الإسلامي عبر الزّمن، تركت آثارها الكبيرة في الحركة العلمية المختلفة. من بين هؤلاء العلماء البارزين جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية.

نشأت ثقافة جابر بن زيد الفقهية في جو سادته الحرية الفكرية، في ظل الحكم الأموي؛ لأسباب ذكرها الدارسون، من بينها انشغال الخلفاء الأمويين بالفنون الداخلية<sup>(1)</sup>. أتاح هذا الوضع أن ينشأ فقه حر، ويظهر فقهاء كبار "وضعوا أساس الثقافة الفقهية والمذهبية للأجيال التي أتت من بعدهم"<sup>(2)</sup>. هذا الجو استمره جابر بن زيد، فأنتج فقهاءً، جمع فيه بين الأثر والرأي.. وكان هذا المنهج مدرسة تخرج فيها أتباعه، والتزموا به في حياتهم ونشاطهم العلمي.

اعتمد جابر بن زيد في بناء نشاطه العلمي (والدعوي) على الدّعامات التي يجب أن تعتمد في البناء، وتمثل في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة في الدرجة الأولى... فهو يعتبر أن أي فتوى يجب أن تبني على القرآن الكريم، ثم السنّة النبوية، ثم فتاوى الصحابة، ويأتي بعد ذلك رأيه الخاص<sup>(3)</sup>.

يقول جابر بن زيد: "وما كان من أمر خولف فيه السنّة ثُقِضَ"، ويقول: "لا يستقيم للناس أمر يخالفون فيه السنّة"<sup>(4)</sup>

"وجابر باتّباعه هذا المنهج يلتزم القاعدة التي وضعها الصحابة الكرام، فشيخه عبد الله بن عمر حدّره من أن يفتي إلا بقرآن ناطق أو سنّة ماضية<sup>(5)</sup>. وروي عن جابر أنه قال أدركت ناساً من الصحابة أكثر فتياتهم حديث النبي صلّى الله عليه وسلم."<sup>(6)</sup>

(1) ينظر المرجع السابق، ص: 73.

(2) المرجع نفسه.

(3) التامي، جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية، ص: 21.

(4) المرجع نفسه، ينظر جوابات، ص: 14، 19.

(5) التامي، جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية، ص: 21.

(6) المرجع نفسه. ينظر الربيع بن حبيب، المستند، 1، ص: 13، 14.

من تمام تواضع جابر بن زيد وتقديره للعلم، والتزامه بشروط التعامل معه، واحتراماً للضوابط في تقديم العلم الصحيح... ينصّ أنّ رأيه الخاصّ، ينبغي أن يأتي بعد رأي الصحابة لا قبله.. سجّل هذه القاعدة قائلاً: "ورأى مَنْ قَبْلَنَا أَفْضَلُ مِنْ رأينا الَّذِي نَرَى، لَمْ يَرِدْ إِلَّا مَنْ شَهَدَ وَعْلَمَ، وَكَانُوا أَحْقَنَ بِذَلِكَ الْمَاهِرِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْتَّابِعُونَ لَهُمْ يَأْخُذُونَ، فَقَدْ شَهَدُوا وَعْلَمُوا، فَالْحَقُّ عَلَيْنَا وَطَءُ أَقْدَامِهِمْ وَاتِّبَاعُ أَثْرِهِمْ" <sup>(١)</sup>.

من جملة وفائه للدين ولمن سبّقه في الزَّمان والعلم يقول: "فَلِعُمرِي مَا أَنَا إِلَّا مُتَعَلِّمٌ مُتَبَعٌ آثارٍ، قَدْ وُطِّئَتْ قَبْلِي، وَمَا عَنِّي مِنْ ذَلِكَ ثَقَةٌ وَلَا دَلَالَةٌ إِلَّا رِوَايَةٌ، عَسَى أَنْ يَخْتَلِفَ فِيهَا" <sup>(٢)</sup>.

جابر بن زيد يضع بهذه المقوله قاعدة مهمة في التعامل مع القضايا الفقهية.. كما يؤسس لستَنِّ مَهْمَمٍ، وهو التَّحْلِي بروح التقدير والاحترام لمن له السبق في الميدان والمجال، ولمن يتميّز بخصوصية، تستثمر في الحياة والعمل، كاعتبار سبق الصحابة في الوجود في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهودهم ما كان يجري في الحياة مع وجود القائد والموجّه والمرشد والمعلم.. سيَدُّنا حَمْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبلغ عن ربه عزّ وجلّ.. ألا يكون في هذا التوجّه وهذا المنهج مجال لبناء مشروعات حضارية للأمة، تكون مستقاة ومحفوظة من تجربة جابر بن زيد؟؟

من هذه التصوص والمواقف التي ظهر بها وفيها جابر بن زيد معلماً ومرشدًا وموجّها <sup>(٣)</sup> يمكن تحديد منهجه الفقهي، الذي يرتب المصادر المتّبعه في الفتوى، وبالطبع استقاء الفقه والعلم الشرعي في تنظيم شؤون الحياة من القرآن ثم السنة ثم فتاوى الصحابة ثم رأيه الخاصّ.

هذا المنهج ينبع إلى ضرورة محاربة الفوضى في تلقّي العلم وتلقينه، ووجوب التمكّن من أدوات العمل في الميدان، وتحميّة التخرج المكين على طرق استنباط الأحكام، والسعى إلى التمرّس على فهم روح الشريعة، وإدراك مقاصدها.. لنشر الفقه الصحيح؛ بعيداً عن الغلوّ العقدي، والميوعة الفكرية، والتسيّب المنهجي.. بهذه المواصفات وهذه الشروط التي تستتبع من منهج جابر تكون مع سيرة تكون مشروع

(١) التامي، جابر بن زيد الأزدي ... ص: 21.

(٢) التامي، جابر بن زيد الأزدي ... ، ص: 22.

(٣) ينظر المرجع نفسه.

أمّة، يصل بها إلى تنظيم شؤونها على أساس صحيحة قوية، ويبعد بها عن الفوضى والتخلف والانحراف، والانحراف إلى وجهات بعيدة عن أصوتها وطبيعتها.. بل يخطّ بها في مسار البناء الحضاري الصحيح القوي.

جابر بن زيد جمع في منهجه الفقهي العملي بين مدرسة العراق (مدرسة الرأي) ومدرسة الحجاز (مدرسة التقليل)<sup>(1)</sup> وقد تخرج فيهما أولاً؛ بأخذ العلم من الشيوخ المتسدين إليهما، ثمّ مارس الفتوى بالجمع بينهما.. هذا الجمع والتوفيق بين المدرستين يعطي دليلاً على علوّ كعب جابر في العلم، كما يقدم صورة عن قوّة منهجه في العمل: تفقيهاً وإفتاء.. ويبيّن تمكّنه من التصرّف في المواقف، وما يعرض عليه للبّثّ فيه، بما تقتضيه الحال والظرف والواقع العيش.. كما يبرز هذا الجمع، طبيعة الإسلام الذي يصلح أن يحلّ في حياة الناس محلّ قضاء حوائجهم، والإجابة عن أسئلتهم، وحسن توجيههم وإرشادهم، وتقديم الحلول لما يقدمونه من طلبات المساعدة والمعونة..

يقول فرات الجعيري: "... وإنّ مثل هذا الجمع بين التيارين كان له صدّاه في حياة الإمام العملية، عندما تصدّر حلقات التدريس والإفتاء في مدينة البصرة، التي تطورت تطوّراً حضارياً عجیباً، لأنّه ملتقي عديد من الحضارات بحكم موقعها الجغرافي والاقتصادي، ف تكونت على يديه مدرسة فقهية، تخرج منها جيل كان له الدور الفعال في حياة الأمة الإسلامية"<sup>(2)</sup>.

إنّ جابر بن زيد - بهذا الجمع بين المدرستين أو التيارين، والتوفيق بينهما في إتقان وإحكام - يقدم الصورة الصحيحة عن منهج الإسلام في تنظيم شؤون حياة المسلمين.. ومن عمله تؤخذ الضوابط والمسالك التي تعين وتسهم في إنشاء مشروعات، تبني الحياة، أو تصحّح المسار، أو تضيف جديداً في التشاطط والعمل.. في النهاية نقول: إنّ في حياة جابر بن زيد مشروع أمّة.. فكيف هو سياسيّا؟<sup>(3)</sup>

(1) عن مدرسة البصرة أو العراق (مدرسة الرأي) ومدرسة الحجاز(مدرسة التقليل) اللتين تعلم فيهما جابر بن زيد، ينظر فرات الجعيري، الإمام جابر بن زيد، ص: 30 - 32.

(2) المرجع السابق، ص: 32.

(3) وهذا ما مستطرق إليه في العدد المسبق ضمن (الحلقة الثانية) من البحث.

## قائمة المصادر والمراجع

- بکوش، یحیی بن محمد، فقه الإمام جابر بن زید، ج 1، تقديم وجمع وتحقيق، ط 2، 1408هـ / 1988م.
- الجعيري، فرحت بن علي (دكتور).
- الإمام جابر بن زيد، مطبعة JMS PLUS ، تونس، 2009م.
- ب - رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي، دراسة وتحقيق الشیخ فرحت بن علي الجعيري، ط 1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السیب، سلطنة عمان، 1434هـ / 2013م.
- الدرجیني، أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالغرب، ج 2، حقّقه وقام بطبعه إبراهيم طلائي، (د.م. وت).
- الصوّافي، صالح بن أحمد (دكتور)، الإمام جابر بن زيد العماني، ط 4، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1440هـ / 2019م
- عيد، سامي صقر أبو داود... الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية، ط 1، مطبع النهضة، مسقط، سلطنة عمان، 2000م.
- النامي، عمرو خليفة (دكتور)... جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية، ترجمه إلى العربية سلطان بن مبارك بن حمد الشیبانی (مخطوط).
- ناصر بوجام، محمد بن قاسم (دكتور)... الشیخ بیوض والعمل السياسي، ط 2، نشر جمعية التراث، القرارة، ولاية غرداية، الجزائر، 1437هـ / 2016م.
- هاشم، مهدي طالب، الحركة الإباضية في المشرق العربي، ط 2، دار الحكمة، لندن، 2013م.
- مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ط 1، 1420هـ / 1999م، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر.



# مدرسة الإمام أبي سعيد الْكُدَمِي

## وآثارها الفكرية والحضارية (ق: ٤ ف)

(\*) د/ سعيد بن راشد الصوّافي (باحث رئيس)

قسم العلوم الإسلامية، كلية التربية

جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

[alsuwafi@squ.edu.om](mailto:alsuwafi@squ.edu.om)

م ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم وصف لمدرسة الإمام أبي سعيد الْكُدَمِي بسلطنة عُمان، وإظهار دورها في خدمة الحضارة الإسلامية، والمجتمع العماني على وجه الخصوص. وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي في تتبع سمات مدرسة الإمام أبي سعيد الْكُدَمِي التعليمية من خلال ما كتب عن الشخصيات القائمة على هذه المدرسة، ودورها الحضاري والتعليمي، واستخدام المنهج الوصفي في عرض المادة العلمية والتعریف بهذه المدرسة، ودورها في خدمة العلم وطلابه، وأثرها في المجتمع. وخرجت هذه الدراسة بنتائج عدّة، من أهمّها: أنَّ هذه المدرسة تضاهي مثيلاتها من المدارس التعليمية العمانية، وقد أسهمت في المجال العلمي بمؤلفات علمية، وخرجَت علماء، وكان لها مأثر حضارية مهمَّة، أسهمت بدورها في المجال العلمي والفكري، وتطور المجتمع ونمائه. وأوصت الدراسة بالاهتمام بالتراث الإسلامي، ولاسيما ما يتعلّق بالجانب التعليمي، ربطاً لحاضر الأمة بماضيها المشرق، والاستمرار في الكتابة عن المدارس التعليمية التي كان لها دور علميٌّ وحضاريٌّ للاستفادة منها في الواقع المعاصر.

(\*) أعدَّ البحث بالاشتراك مع الباحث الرئيس المذكور أعلاه، المجموعة البحثية الآتية:

- د. محسن بن ناصر السالمي، قسم المناهج والتدريس، كلية التربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، البريد: [mohsins@squ.edu.om](mailto:mohsins@squ.edu.om)

- د. مسلم بن سالم الوهبي، قسم المتطلبات العامة، كلية العلوم التطبيقية بتنزوى، وزارة التعليم العالي، سلطنة عمان، البريد الإلكتروني: [musalem.niz@Cas.edu.om](mailto:musalem.niz@Cas.edu.om)

- أ. خلفان بن سالم البوسعدي، قسم التربية الإسلامية، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان، البريد: [Sas.2000alb@gmail.com](mailto:Sas.2000alb@gmail.com)

**كلمات مفتاحية:** مدرسة، المدارس التعليمية، المدارس العُمانية، الْكُدَمِي.

**Title:** The civilizational impacts of the Imam Abu Said El kudami's school (4th H century)

### **Summary:**

This study aims to provide a description of al'imam abu Said Alkudami Educational School in the Sultanate of Oman. And showing its role in serving the Islamic civilization, and the Omani society in particular. The study provides an inductive approach to tracing the features of al'imam abu Said Alkudami Education School through what has been written about the characters based on this school and its cultural and educational role, in addition to using the historical method in the definition. The study came out with several results, the most important of them are; it contributed in the scientific field with scientific literature and graduated scholars, and it had important civilization exploits, which in turn contributed to the scientific and intellectual, and the development and growth of society. The study recommended paying attention to the Islamic heritage especially with regard to the educational aspect, in order to link the nation's present with its bright past, and to continue with writing about educational schools that have had a scientific and civilizational role to benefit in the present.

**Key words:** School, Educational Schools, Omani Schools, Alkudami.

:

تعدُّ عُمان جزءاً من الدولة الإسلامية منذ بداية تأسيسها، وقد عايشت النهضة العلمية الإسلامية، وواكبَت مسيرتها منذ بدايتها، وكانت مساجد عمان تضاهي مساجد المناطق والأماكن الإسلامية الأخرى، وشُغلت بحلقات تدريس علوم الشريعة واللغة والأداب. وقد أشار ابن حزم إلى أنَّ عمان كانت من البلاد التي انتشر فيها هذا النوع من التعليم. وفي ظل الازدهار الحضاري الذي عاشته عمان في عصر الإمامة الثانية (177-280هـ)، غصَّت مساجد عمان بالعلماء والمتعلمين؛ حيث ساعد الرخاء الاقتصاديُّ الناس على الاهتمام بالتعليم، ووضع العلماء طريقةً ومنهجاً للمعلم والمتعلم، أشبه ما يكون بالقواعد المنظمة للحياة العلمية والفكرية بجوانبها المختلفة. وكان المسجد هو الحاضن الرئيس للمدارس التعليمية، ثمُّ أُقيم لها بناء مستقلٌ داخل ساحة المسجد، ثمُّ أصبحت وحداتٍ مستقلةً تماماً عن المسجد، مع الحرص على بقائِها قريبة منه؛ حتَّى تكون علاقة الطلبة وثيقة بالمسجد، بهدف تعويذهِم على ممارسة الشعائر الدينية بالشكل الصحيح، كما هو

الحال في مدرسة العلامة ابن بركة في القرن الرابع الهجري، والتي ما تزال أطلالها باقية إلى الآن. كما أقيمت بعض المدارس العلمية في الحصون والقلاع مثل مدرسة الإمام بلعرب بن سلطان الذي حكم عمان في الفترة (1680 - 1692م) وكانت في حصن جبرين، وحوَّت سكناً داخلياً للطلبة. وهذه الدراسة اقتصرت على التعريف بمدرسة الإمام أبي سعيد الكُدمي.

### تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعريف بمدرسة الإمام أبي سعيد الكُدمي التعليمية.
- إظهار دور هذه المدرسة في خدمة الحضارة الإسلامية.
- إبراز دور هذه المدرسة في رفد المجتمع بالكوادر المتخصصة.
- التعريف بالدور العماني في الاهتمام بالتعليم ونشر العلم.
- الوقوف على دور العلماء العمانيين وتفاعلهم في الحضارة الإسلامية.
- ربط الأجيال الحاضرة بالماضي العريق؛ للاستفادة من تجاربه المشرقة.

### وتتجلى أهمية الدراسة في الآتي:

- تزويد الباحثين والمتعلمين بمعلومات علمية دقيقة عن أحد الصرح العلمية في المجتمع العماني.
- إبراز الدور العلمي والحضاري لمدرسة الإمام أبي سعيد الكُدمي التعليمية.
- تقديم أنموذج لصرح علمي ناجح يربط حاضر عمان ب الماضي العريق.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي في تتبع سمات مدرسة الإمام أبي سعيد الكُدمي من خلال ما كُتب عن هذه الشخصية والدور الحضاري والتعليمي لمدرسته، وكذلك اعتمدت على المنهج الوصفي في عرض المادة العلمية والتعريف بهذه المدرسة، ودورها في خدمة العلم وطلابه، وأثرها في المجتمع.

تجسّدت خطة الدراسة في مقدمة ومبثرين وخاتمة؛ حوت المقدمة نبذة عن الموضوع، وأهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهجيتها، وخطتها. وتضمن المبحث الأول: التعريف بمؤسس المدرسة، والمبحث الثاني: التعريف بالمدرسة ودورها العلمي وأثارها الحضارية، والخاتمة تضمنت أهمَّ النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول: التعريف بمؤسس المدرسة:

**مؤسس هذه المدرسة هو محمد بن سعيد بن محمد الناعي الكلمي**، اشتهر بكنيته ونسبته: «أبو سعيد الكلمي». ولد في قرية العارض من منطقة كلم بولاية الحمراء بعمان، في مطلع القرن الرابع الهجري، وعلى وجه التقرير سنة 305هـ / 918م استظهاراً مما ورد في المساق التاريخي العماني من أنَّ أبي سعيد الكلمي عمل حارساً للسجن بعد بلوغه الحُلُم في عهد الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب الذي بُويع بالإمامية سنة 320هـ<sup>(1)</sup>. وما ورد على لسان أبي سعيد الكلمي قوله: «قد كنت أنا قد جعلني الإمام سعيد بن عبد الله - رحمه الله - وأنا حين بلغت على السجن»<sup>(2)</sup>. أمّا وفاته فلا يوجد لها ذكر في المصادر بالتحديد، وقد ورد في كتاب يان الشع للكتندي تقييد عنه لأحد تلامذته مؤرخ يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة للهجرة، مما يعني أنه كان حياً حتى هذا التاريخ. ودفن في بلده العارض بكلم<sup>(3)</sup>، وقبره معروف مشهور.

**طلبه للعلم وشيوخه:** يظهر أنَّ الإمام أبي سعيد الكلمي كان شغوفاً بطلب العلم منذ سن مبكرة؛ حيث تشير المصادر أنه انتقل إلى نزوى دوحة العلم ومهد العلماء لطلب العلم، وهناك وجد ضالتَه المنشودة، فأناخ رحله، حيث كوكبة أهل العلم والفضل، فتلمذ على يد جهابذة من علماء عصره؛ من أخصهم محمد بن روح بن عربي الكلندي، وأبي الحسن محمد بن الحسن، جاء على لسانه ذكر هذين الشيفين حيث قال: «وأما أبو عبدالله محمد بن روح بن عربي وأبو الحسن محمد بن الحسن فشاهداهناهما وصحبناهما الزمان الطويل والكثير غير القليل، وعنهمما أخذنا عامَة ديننا»<sup>(4)</sup>. وتلَمَّذ على أبي عثمان رمشقي بن

(1) يُنظر: البطاشي، سيف بن حمود، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، ط. 2، 2004م، ج 1، ص 282، والسيابي، أحمد بن سعود، الإمام أبو سعيد الكلمي حياته وفكره، قراءات في فكر أبي سعيد الكلمي، (حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي احتفاء بذكرى العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الناعي الكلمي، 2001م) ص 12-13، والعريبي، سعيد بن عبدالله، التخرّيجات الفقهية عند الإمام أبي سعيد الكلمي، قراءات في فكر أبي سعيد الكلمي، (حصاد الندوة المذكورة)، ص 152، وجموعة، الموسوعة العمانية، وزارة التراث والثقافة، ط 1، 2013م، مج 9، ص 3195.

(2) الكلمي، أبو سعيد محمد بن سعيد، الجامع المقيد من أحكام أبي سعيد، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، ط 1، 1986م، ج 2، ص 142.

(3) مجموعة باحثين، الموسوعة العمانية، مج 9، ص 3197.

(4) الإذكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأئمة، وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان، ط 2، 2013م، ج 3، ص 160.

راشد، كما أن من أشياخه أبا إبراهيم بن محمد بن سعيد بن أبي بكر الأزكي، وأخذ عنه بالرفيعة ولادة أبي جابر محمد بن جعفر وابنه أبي علي الأزهر بن محمد بن جعفر<sup>(1)</sup>، وفي ذلك يقول أبو سعيد الكدمي: «ورفع إلينا أبو إبراهيم - رحمه الله - ولادة محمد بن جعفر، وقال إنه يتولاه على ولادته لموسى بن موسى، وأخذنا ولادة محمد بن جعفر عن أبي إبراهيم»<sup>(2)</sup>. ويقول: «وأما أبو علي الأزهر بن محمد بن جعفر فأخذنا ولادته بالرفيعة عن أبي إبراهيم»<sup>(3)</sup>. أي أبو سعيد بن سعيد بن أبي بكر رحمه الله تعالى<sup>(3)</sup>.

صفاته: يتمتع الإمام أبو سعيد الكدمي بصفات تجمع بين الشخصية القوية والتواضع والعلم والعمل معاً، مما أهلته أن يكون المرشح الأول للقيام بوظيفة أمين للسجن فور بلوغه من قبل الإمام سعيد بن عبد الله، وفي هذا دلالة على أنه مع حدث سنه إلى أن له صفات توھله لتحمل هذا العمل. ومع أن هذه الوظيفة كانت في مقتبل العمر إلا أن الإمام أبو سعيد الكدمي لم يوقف مشواره التعليمي، بل انتهز فرصة وجوده قريباً من الأئمة الحكام والعلماء الأفذاذ الذين كانت تختضنهم العاصمة نزوى، فنهل من علمهم، وارتوى من معينهم الصافي، فكان للعلماء الذين تلمنذ عليهم أبو سعيد الكدمي تأثير بارز في شخصيته الخلائقية والعلمية، «فانعكس ذلك عليه علمًا وفضلاً وخلقاً وورعاً، فهو العالم الزاهد، فقد زهد في الحياة ولذاتها، وترفع عن حطام الدنيا، ضاربًا أروع الأمثلة في ذلك؛ حيث اكتفى في حياته بنخلة واحدة وشجرة عنب واحدة، يطعم منها، وبيع لما يلزمها من شراء الكسوة»<sup>(4)</sup>. ويرى أن لأبي سعيد الكدمي ثلاث زوجات موسرات معهن المال والثروة، لكنه تعفّ عندهن، واكتفى - كما ذكرنا - بالقليل من متاع الدنيا، يقول الإمام السالمي في ذلك<sup>(5)</sup>:

يملّك كان شاكراً للنعمـة ثيابه لا من غنا زوجـتـه يعـفُ عنـه وـهـوـ الـحـلـال	أبو سعيد نـخـلة وـكـرـمـة منها طـعـامـه وـمـنـ كـرـمـتـه كانت لـهـ الزـوـجـاتـ مـعـهـ المـال
--	--

(1) ينظر: السياسي، الإمام أبو سعيد الكدمي حياته وفكه، ص 14.

(2) السرحاني، كشف الغمة، ج 3، ص 154.

(3) المرجع السابق، ص 157.

(4) السياسي، الإمام أبو سعيد الكدمي حياته وفكه، ص 15.

(5) السالمي، عبد الله بن حميد، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان، ط 2، 2018م، باب الزهد، ج 4، ص 444.

**مترتبة العلمية:** يُعد الإمام أبو سعيد الكُدمي من أجل العلماء الإباضية في عُمان، فهو عالم محقق، وفقيه مدقق، وإمام في العلم، وناظم للشعر، يقول البطاishi: «أبو سعيد من كبار علماء عمان المحقّقين المبصريين، ومن أئمّة المذهب المقتدى بهم، فهو العالم الفقيه في تخرّيجاته لمسائل الفقه، واستنباطه للأحكام، ومن أبصر العلماء في أحكام الولاية والبراءة»<sup>(1)</sup>. لُقب الإمام أبو سعيد الكُدمي بـ«إمام المذهب»؛ لتصديه للحدث الواقع في زمانه واختلاف العلماء في قضيّة عزل الإمام الصلت بن مالك، بعد أن كثر الكلام في القضية، يقول الإمام السالمي: «لُقب بإمام المذهب لأنَّ الله جعل نجاة المذهب على يديه حينما ظهرت البدع يجعل الدعاوى بدعاً، وتصبُّ الرأي ديناً، وذلك بعد أوان الخلاف بين الإمام الصلت بن مالك وموسى بن موسى وراشد بن النضر، فنصبَّ موسى راشداً إماماً، والصلتُ يومئذ إمام بالإجماع...»<sup>(2)</sup>. لقد وقف أبو سعيد الكُدمي في هذه القضية موقفاً فيها جمع للشتمل ورأب للصدع، وتأليف للنفوس، ودعوة على ما عليه طريق السلف<sup>(3)</sup>.

«يمثل الشيخ أبو سعيد الكُدمي أحد أبرز رموز المدرسة الفقهية العمانية في القرون الإسلامية الأولى، إضافة إلى كونه واحداً من أبرز الفقهاء المسلمين الذين تناولوا موضوع الولاية والبراءة بعمق واستفاضة ودقة واستنارة في إصدار الأحكام الفقهية»<sup>(4)</sup>. كما أنه يُعدُّ من أبرز واضعي قواعد أصول الفقه في عُمان<sup>(5)</sup>.

تميز أبو سعيد الكُدمي بأنه كان عالماً مجتهداً، يجمع بين الزهد والورع والشجاعة العلمية<sup>(6)</sup>، فمن حكمه المشهورة قوله: «من تشجع بعلم كمن تورع بعلم»<sup>(7)</sup>، وقوله: «ليس العالم من حمل الناس على ورעה، وإنما العالم من أفتى الناس بما يسعهم في

(1) إتحاف الأعيان، ج 1، ص 282.

(2) السالمي، عبد الله بن حميد، مشارق أنوار العقول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجليل - بيروت، ط 1، 1989، ج 1، ص 193.

(3) الخليلي، أحمد بن حمد، التأصيل الفقهي عند الإمام أبي سعيد الكُدمي، قراءات في فكر أبي سعيد الكُدمي، ص 50.

(4) الرواس، عصام بن علي، قراءة في الجانب التاريخي لكتابات الشيخ أبي سعيد الكُدمي، قراءات في فكر أبي سعيد الكُدمي، ص 41.

(5) مجموعة باحثين، الموسوعة العمانية، مجل 9، ص 3199.

(6) ينظر: الجابري، خليفة بن يحيى، المدرسة الفقهية عند إمام المذهب أبي سعيد محمد بن سعيد الناعي الكُدمي، ط 1، 2018، ص 65.

(7) الكُدمي، الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد، ج 1، ص 9

الدين»<sup>(1)</sup>، قوله في جواب لأحد مستفتيه: «فتذبّر أخي جميع ما كتبتُ به إليك وأجبت به، ولا يمنعك عن الاجتهاد في النظر فيه حسن ظنٌ، ولا اتكال علىٌ، ولا تقليد، فإن ذلك كله لا يسعني ولا يسعك، ولا يجوز فيه إلا قبول الحق لا غيره»<sup>(2)</sup>.

وإذ كان الإمام أبو سعيد الكلمي أحد أقطاب العلم في عمان في عصره، فإنه كان مرجعاً فقهياً لأنّمّة عصره، فقد «عاصر أبو سعيد الإمام حفص بن راشد، وقد بلغ في عهد هذا الإمام النضج الفكري وسموا المتزلة في العلم، بل احتل المرجعية العلمية، يظهر ذلك من خلال توليه القيام بالجوابات عن الإمام في القضايا الفقهية»<sup>(3)</sup>. ومن أمثلة ذلك إجابته عن الإمام حول زكاة مال الغائب واليتم، فقد ذكر الإمام السالمي في المعارض ما نصّه: «ففي جواب أبي سعيد عن الإمام حفص بن راشد في مال الغائب آنه يوقف عند بعضهم حتّى يحضر الغائب، ثمّ يخرج ما عليه»<sup>(4)</sup>. وتجدر الإشارة إلى آنه عندما تحدث عن المكانة العلمية لهذا الرجل فإنّنا نتحدث عن شاب طالب للعلم استعمل أمينا على السجن فور بلوغه، إلى عالم مجتهد أخذ مكانته ليكون مرجعاً فقهياً ومفتياً ينوب عن الإمام الحاكم في القضايا الفقهية، وهذا ما يؤكّد مكانته العالية، ومتزلته العلمية الرفيعة.

وإذا كان أنّمّة عصر الإمام أبي سعيد الكلمي يعتمدون عليه، فإنه كذلك كان محلّ اعتراف من العلماء وتقدير لعلمه ومتزلته العلمية، فكانوا عليه يعولون، وعلى أقواله يعتمدون، كما آنه اشتهر بعد وفاته أكثر من شهرته في حياته، وذلك لاطلاعهم على مؤلفاته النفيسة<sup>(5)</sup>.

أثنى على أبي سعيد الكلمي الكثير من جهابذة العلماء، فقال عنه أبو نبهان: «...هذه الأقاويل مأخوذه من كلام الفقيه العالم العلامة المحقق المدقق نور الإسلام وبصر الظلام وشمس الأنام وحجّة العلام المشهور أبي سعيد محمد بن سعيد الكلمي رحمة الله ورضيه

(1) الخليلي، التأصيل الفقهي عند الإمام أبي سعيد الكلمي، ص 51.

(2) الكلندي، محمد بن إبراهيم، بيان الشعع، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، ط 1، 1984م، ج 1، ص 89.

(3) السيباني، الإمام أبو سعيد الكلمي حياته وفكتوه، ص 18.

(4) السالمي، عبد الله بن حميد، معارج الآمال، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مكتبة الإمام السالمي - بدبيّة، 2010م، ج 7، ص 81.

(5) ينظر، الكلمي، أبو سعيد محمد بن سعيد، المعتر، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، 1984م، ج 1، ص 9، مقدمة المحقق.

وارتضاه ورضي عنه وجراه عن الإسلام أفضل جزاء، فهو إمامنا في ديننا، ونحن له تبع<sup>(1)</sup>. وقال عنه المحقق الخليلي: «ويكفي في هذا الأصل ما أفردناه عن الشيخ أبي سعيد جزاء الله خيراً من عالم مفيد؛ فإن قوله هو القول السديد، ورأيه هو الرأي الرشيد، وما خالقه في هذا الأصل فهو باطل، وما يبدئ الباطل وما يعید»<sup>(2)</sup>.

## **المبحث الثاني: التعريف بالمدرسة وأثارها الفكرية والحضارية**

### **موقع المدرسة:**

تقع مدرسة الإمام أبي سعيد الكدمي في منطقة كدم التي يُنسب إليها الإمام أبو سعيد، بقرية العارض، وهي من أعمال ولاية الحمراء العريقة بداخلية عمان، ولا يوجد مبنى مستقلٌ لهذه المدرسة كقريتها (مدرسة الإمام ابن بركة في محله الضرح من بحلا) والتي تبعد عنها عدة كيلومترات، والظاهر أنَّ مقرَّ المدرسة كان في المسجد الذي لا يزال باقِياً إلى يومنا هذا في بلدة العارض، وهذا حال أغلب المدارس العلمية في عمان وغيرها من أقطار العالم الإسلاميٍّ. يقول سماحة الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العربي<sup>(3)</sup>:

لم يبق صَبَّ رحمة إلَّا وقد  
وجبت عليه زيارة للعارض  
لأبي سعيد بحر علم فائض  
يا رحمة الله امطري جَدَّنا بها

### **آثار المدرسة العلمية والفكرية والحضارية:**

تميزت كل مدرسة من المدارس التعليمية في عمان بتفكيرها وطابعها، وذلك انعكاس لفكرة المؤسس والراعي لكل مدرسة. ومدرسة الإمام أبي سعيد الكدمي لها طابعها الخاصُّ، وأثرها المميز في الساحة العلمية والفكرية العمانية بشكل خاصٍ، والإسلامية بشكل عام، بما خلفته من إنتاج علميٍّ وفكريٍّ وحضارىٍّ، ومن أهمَّ آثارها ما يأتي:

#### **1 - تبني آراء المدرسة (التزوانيَّة):**

(1) أبو نبهان، جاعد بن خميس، إيضاح البيان فيما يحملُ ويحرم من الحيوان، تحقيق: سعيد بن مصباح الغربي وحمد بن خميس الصبيحي، مطباع النهضة - سلطنة عمان، ص 283.

(2) الخليلي، سعيد بن خلفان، تمهيد قواعد الإيمان وتقدير شوارد مسائل الأديان، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، 1986م، ج 2، ص 47.

(3) مفتى سلطنة عمان سابقاً. السياسي، الإمام أبو سعيد الكدمي حياته وفكره، ص 34.

إن الأثر الكبير الذي أضفته مدرسة الإمام أبي سعيد الكندي على الساحة العلمية العمانيّة تجلّت في تبني آراء المدرسة الفكرية التي أطلق عليها (المدرسة التزوانيّة)، وقد تزعمها وقاد زمامها الإمام أبو سعيد الكندي، هذه المدرسة الفكرية بارائتها الوسطيّة المعتدلة كونّت ثروة هائلة كان لها الأثر والانعكاس على المستوى السلوكي والأمني والاقتصادي والاجتماعي وغيرها. وكما يُقال: «رب ضارة نافعة»؛ فالانقسام الذي حصل نتيجة الوضع السياسي آخر أيام الإمام الصلت بن مالك الخروصي<sup>(1)</sup> الذي بظلاله على الناحية الفكرية في عُمان؛ فصار ذلك الحدث هو المحور الذي تدور حوله الكتابات الفكريّة<sup>(2)</sup>. فقد نشأت إثر معزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي سنة 272هـ/886م مدرستان فكريتان متضادتان؛ إحداهما: الرستاقية (نسبة إلى مدينة الرستاق)، والثانية: المدرسة التزوانيّة (نسبة إلى مدينة نزوى)، وفكرة هاتين المدرستين يقوم على أساس قبول أو رفض عزل الإمام الصلت بن مالك، حيث كبر سنُّه، وأصبح عاجزاً عن القيام على أثر رجليه؛ مما دفع طائفة من وجاهاء القوم إلى الخروج عليه وعزله، وانقسم العلماء على أثر تلك القضية بين مؤيد، ومعارض، ومحايد، والذي فتح باباً في التأويل والخوض في قضية مشروعية عزل الإمام من عدمها. وهذا الاختلاف السياسي هو السبب الأساسي لظهور المدرستين (التزوانيّة والرستاقية) في عمان، وبالأخص حينما اتّخذ الخلاف في هذه المسألة شكلاً جديلاً بين العلماء العُمانيّين، انعكس بجلاء في كتاباتهم، وانقسامهم إلى مدرستان فكريّتين سياسيتين منذ أواخر القرن الثالث، وخلال القرن الرابع الهجريّين/ التاسع والعشر الميلاديين. لذا نجد العلماء الذين عاصروا تلك الفترة، أو التي أعقبتها انقسموا في أمر أصحاب تلك الأحداث إلى ثلات فرق، مُلئت ثلاثة آراء فكريّة؛ فريق كان يبراً من أولئك الخارجين. وفريق كان يرى أنَّ الوقوف عن الولاية أو البراءة أسلم. وفريق

(1) أحد أئمة عمان، بويع بالإمامنة في اليوم الذي مات فيه الإمام المھنأ بن جيفر عام 237هـ/852م، فسار بالحق والعدل، وعمّر في الإمامة، حتى كبر وضعف من قبل رجليه، فسار إليه موسى بن موسى، فاعتزل الإمامة في الثالث من ذي الحجة عام 273هـ/887م، وتوفي ليلة الجمعة للنصف من ذي الحجة عام 275هـ/889م. يُنظر: ابن رزيق، حميد بن حمد، الشعاع الشائع بالمعان في ذكر أئمة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، 1405هـ/1984م، ص 52-53. والفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين للمؤلف نفسه، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، ط 5، 1422هـ/2001م، ص 204. والسامي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج 1، ص 160.

(2) يُنظر: السهيل، نايف جابر، الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة مسقط - مسقط، ط 2، 1418هـ/1998م، ص 83.

كان يتولّ أولئك الخارجين . والفريق الآخر انقرض رأيه بوفاة أصحابه، فلم يُشكّل مدرسة فكرية كما هي الحال بالنسبة إلى الرأيين الأوّلين، اللذين تشكّلت منها المدرستان؛ الرّئاسة التي ترأّسها ابن بركة، والتزوانيَّة التي ترأّسها أبو سعيد الْكُدْمِي.

وقد مَثَّلت هاتان الفرقتان تطُوراً فكريّاً في سلسلة حلقات تطُور الفكر الإسلامي في عُمان، فصارتا تمثيلان مدرستين فكريَّتين على مدى قرون عدّة، كلُّ مدرسة لها معالمها ومنهجها، وقد كان هما الفضل الكبير في تطُور الفكر السياسي في المذهب الإباضي، وئَكُونُ ثروة فقهية كبيرة في الفقه السياسي، أو السياسة الشرعية؛ فهما قد بحثتا بشكل مُوسَّعٍ ومفصَّل نظام الحكم في الإسلام؛ من حيث علاقة الحاكم بالمحكوم، وكيفيَّة اختيار الحاكم وواجباته، ومتى تجب طاعته، ومتى لا تجب، وطبيعة وظيفة الولاة، وغير ذلك من أمور الحكم، حتَّى إنَّ القارئ يجد أجزاءً بكمٍ فيها في المطولة الفقهية تُعنَى بنظام الحكم في الإسلام<sup>(1)</sup>.

والأمر المشرف لأصحاب هاتين المدرستان الذي ينبغي أن يُذكر لهم - مع اختلافهم وتنازعهم حول تلك القضايا - هو أنَّ الباحث في كتبهم ومؤلفاتهم «يجد أنَّهم جميعاً في مجال الفقه يقللون عن الجميع، فلا يتحفظ الرّئاسقيون من النقل عن التزوانيَّين، كالنقل عن أبي سعيد وتلامذته، ولا يتحفظ أيضاً التزوانيُّون من النقل عن ابن بركة وتلامذته»<sup>(2)</sup>؛ مما جعل الحوار الدستوري في عمان بين المدرستان التزوانيَّة والرّئاسية فيه استمرار دائم، أفرز بدوره فكرًا متقدِّماً في السياسة الشرعية وشروطها، ونحوًا لثقافة حقوقية تشريعية، وسياسيَّة غيَّة<sup>(3)</sup>.

ومن المفارقات العجيبة، أن هذه القضية التي نشأت المدرستان بسببها وُجِّدت قبل ولادة الإمامين المشهورين بزعامتهما: ابن بركة وأبي سعيد الْكُدْمِي، وقد استمرَّ أثرها ردحاً من

(1) يُنظر: السياسي، أحمد بن سعود، الإمام ابن بركة حياته وفكره ومدرسته، ص 19. ومن الكتب التي ألفت خصيصاً لهذا الموضوع على سبيل المثال: الاستقامة لأبي سعيد الْكُدْمِي، والموازنة لابن بركة، والاهتداء لأبي بكر أحمد بن عبد الله الكندي، والأحداث والصفات لأبي المؤثر الصلت بن خميس.

(2) الخليلي، أحمد بن حمد، العوتبي بين الفقه والأصول والأدب، ضمن كتاب قراءات في فكر العوتبي الصحاري، (حصاد الندوة التي أقامها المتدلي الأديبي احتفاء بذكرى المرحوم العوتبي الصحاري، ط 1، 1998م)، ص 68.

(3) يُنظر: غباش، حسين غام، عمان الديمقراطية الإسلامية، دار الجيل - بيروت، ط 1، 1418هـ / 1997م، ص 45، 46.

الزمن، إلَّا أَنَّهُ لَمْ يَرِزْ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ وَمُوَسَّعٍ إلَّا فِي عَهْدِ هَذِينِ الْعَلَمَيْنِ؛ حِيثُ اتَّخَذَ شَكْلًا جَدِيلًا وَكَلَامِيًّا، وَقَدْ كَانَ سَبِيلًا فِي صِدْرِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ وَالسِّيرِ وَالجَوَابَاتِ<sup>(1)</sup>.

## 2 - المؤلفات:

خَلَفَتْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الْعَلَمِيَّةُ مُؤَلَّفَاتٍ مِنَ الْأَهْمَيَّةِ بِمَكَانٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتُ التَّاجُّ  
الْفَكِيريُّ الَّذِي تَرَجمَ آرَاءَ الْمَدْرَسَةِ النَّزَارِيَّةِ، الَّتِي قَادَ زَاماً مِنَ الْإِمامِ أَبِي سَعِيدِ الْكَدَمِيِّ، وَقَدْ  
نَالَتْ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتُ قَبْوًا وَاسِعًا، وَكَانَتْ مُحَلَّ ثَقَةً وَعُنَايَةً فِي الْأَوْسَاطِ الْعَلَمِيَّةِ؛ لِأَهْمَيَّتِهَا  
فِي مَجَالِ السِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْوِلَايَةِ وَالْبِرَاءَةِ عَلَى وَجْهِ الْخَصُوصِ؛ يَقُولُ الشَّيخُ أَبُو نِيهَانُ  
جَاعِدُ بْنُ خَمِيسِ الْخَرُوصِيِّ: «وَكَفَى بِأَبِي سَعِيدٍ - رَحْمَهُ اللَّهُ - حَجَّةً وَدَلِيلًا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ  
يَتَّخِذَ لِنَفْسِهِ الْحَقَّ سَبِيلًا، لِأَنَّهُ أَعْلَمُ مَنْ نَعْلَمُ مِنَ الْأَحْبَارِ، وَآثَارُهُ أَصْحَحُ الْأَثَارِ، لَا عَلَى  
سَبِيلِ مُخْضِ الْعَصَبَيَّةِ، وَلَكِنْ لَظَهُورِ أَنوارِ الْحَقِّ فِي أَقْوَالِهِ الْمَرْضِيَّةِ»<sup>(2)</sup>. وَمِنْ أَهْمَّ هَذِهِ  
الْمُؤَلَّفَاتِ:

1 - كتاب الاستقامة: تناول فيه موضوع الولاية والبراءة<sup>(3)</sup>، وأحكام الإمامة،  
والأحداث التي شَوَّغَ عزل الإمام، إضافة إلى كثير من المسائل الفقهية المتنوعة<sup>(4)</sup>. ويعُدُّ  
من أوسع الكتب التي عالجت علم الولاية والبراءة؛ لذلك اعتمد عليه العلماء الذي

(1) مصطلح السير يُقصد به عند علماء عُمان والإباضية عمومًا ما روِي عن العلماء من قول أو فعل؛ فيشمل الأحداث التاريخية أو الحروب في سبيل الاستقلال عن الحكم والدول المستبدة، وأحكام الجهاد، ونظام الحكم الإسلامي بكل تفصياته. أمّا مصطلح الجوابات فهو عبارة عن ردود على الاستفسارات الواردة على العلماء في مسائل العقيدة وحقيقة المذهب الإباضي، وما يتصل بأمور الدين، وشؤون الدولة من الناحية الشرعية. يُنظر: علماء وأئمة عُمان، السير والجوابات، تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عُمان، 1406هـ / 1986م، ص 6-7.

(2) البوسعيدي، مهناً بن خلفان، لباب الآثار، تحقيق: عبد الحفيظ شليبي، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عُمان، 1986م، ج 2، ص 33.

(3) كثر الحديث في هذا الموضوع في تلك الفترة بسبب ترقُّ الكلمة وترقُّ الصُّفَّ، وقيام البعض بالتلطُّع بالسلطة؛ مما أدى إلى البراءة منهم. ويُقصد بالولاية: الحبُّ في الله، وبالبراءة: البعض في الله. يُنظر: السالمي، عبد الله بن حميد، بهجة الأنوار، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عُمان، ط 2، 1405هـ / 1985م، ج 1، ص 152.

(4) يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان بطبعته.

جاًوا بعده<sup>(1)</sup>، «وما من كتاب جاء بعده في هذا العلم إلَّا وهو عالة عليه، فكُلُّهم ينقلون عنه، وعليه يرْدُون، وعنِه يصدِّرون»<sup>(2)</sup>. وهذا الكتاب وإن كان مؤلفه قد خصَّصه في بيان رأي أصحاب المدرسة التزوانيَّة فيما يتعلَّق بموضوع الولاية والبراءة والسياسة الشرعيَّة إلَّا أنَّه يُعدُّ أصيلاً في مجال أصول الدين عموماً ولقي ثناءً كبيراً من العلماء<sup>(3)</sup>.

**2 - كتاب المعتبر:** في الفقه، تعرَّب فيه أبو سعيد جامع ابن جعفر، ففصل المجلمات، وأوضح المشكلات، وحلَّ المسائل. يقع في تسعه أجزاء، ويُعدُّ موسوعة فقهية، وممَّا يؤسَّف له فقدان أغلبه فلم يُثُر إلَّا على مجلدين طبعتهما وزارة التراث القويم والثقافة بسلطنة عمان في أربعة أجزاء.

**3 - كتاب الجامع المقيد،** وهو عبارة عن مجموعة فتاوى مطبوعة في مجلدين.

**4 - كتاب زيادات الأشراف،** تعرَّب فيه كتاب "الأشراف" للعلامة ابن المنذر النيسابوري الشافعي<sup>(4)</sup>، وهو كتاب مقارن في فقه المذاهب. قام الإمام أبو سعيد الكُدَمِي بوضع تعليلات وحواشٍ على مسائله يبيّن فيها رأيه ورأي مذهب الإباضي. وهذا العمل من الإمام أبي سعيد الكُدَمِي يدل على أمرتين: الأولى: افتتاح علماء الإباضية على المذاهب الأخرى والاطلاع على كتبهم في عصر متقدم. الثاني: أن تعليق الإمام أبي سعيد الكُدَمِي على كتاب عظيم القدر مؤلَّف يُعدُّ من كبار العلماء في عصره فيه إشارة واضحة على أنَّ الإمام أبي سعيد الكُدَمِي قد بلغ مرحلة عالية من الملكة العلميَّة والقدرة على الترجيح والاستنباط والنقد والتصحيح والتضييف<sup>(5)</sup>.

إنَّ ما وصل إلينا من هذا التراث العلمي الذي أنتجهت هذه المدرسة العلميَّة كان وفيَّا، لكنَّ ما يؤسَّف له هو ضياع كثير من ذلك التراث، «ولَا شكَّ أنَّ الحروب والفتن التي

(1) يُنظر: الساعي، ناصر بن سليمان، كتاب الاستقامة للإمام أبي سعيد الكُدَمِي تحليل ودراسة، قراءات في فكر أبي سعيد الكُدَمِي، ص 173.

(2) السياسي، الإمام أبو سعيد الكُدَمِي حياته وفكره، ص 29.

(3) يُنظر: السالمي، عبد الله بن حميد، اللمعة المرضيَّة من أشعة الإباضية، ذاكراً عمان - مسقط، ط 1، 2014م، ص 120.

(4) ابن المنذر النيسابوري هو: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشافعي، فقيه مجتهد، كان شيخ الحرم بمكَّة، ألف كتاب المسوط في الفقه، والأوسط في السنة، والأشراف، وغيرها. توفى بمكَّة.

يُنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملاتين - بيروت، ط 7، 1986م، ج 5، ص 294.

(5) الجابري، المدرسة الفقهية عند إمام المذهب أبي سعيد الكُدَمِي، ص 81-82.

تعرَّضت لها عُمان في فترات القلاقل والفتن من تاريخها، تسبَّبَ في ضياع الجزء الأكبر من هذا التراث الفكريّ، الذي شَكَّلَ موروثاً ضخماً في المكتبة العربيَّة»<sup>(1)</sup>.

### 3- تلامذة المدرسة:

إنَّ مثل هذه المدرسة بمكانة إمامها لا شكَّ أنَّ لها مریدين كثُرًا؛ ولذا تخرَّج فيها أفواجٌ من طلبة العلم الذين نهلوا من معينها، ولكنَّ ممَّا يؤسف له أنَّ المصادر العمانية قلَّما تهتمُ بتوثيق هذه الأشياء؛ ولذا فالمعلومات عن مخرجات هذه المدرسة شحيحة جدًّا، أضف إلى ذلك أنَّ الإمام أبي سعيد الكُدمي لم يكن يملك الإمكانيات المادِّية التي تعطِّي تكاليف طلبة العلم، كما هو الحال عند قرينه ابن بركة المعاصر له، والذي اشتهرت مدرسته وذاع صيتها على المستوى الداخليِّ والخارجيِّ، وذلك أنَّ ابن بركة كان موسراً غنيًّا، أنشأ مدرسة بها سكن داخليًّا يأوي الطلبة، وأنفق على الطلبة من ماله الخاصُّ، وهذا ما لم يتوفَّ لأبي سعيد. ومنْ اشتهر من طلَّاب مدرسة الإمام أبي سعيد الكُدمي وتيسر لنا معرفته:

1- ابنه سعيد، وهو الذي يُكتَئي به، ولم تذكر عنه المصادر شيئاً إلَّا أنه من أهل العلم، وقد وجَّه سؤالاً نظمياً إلى والده فأجابه بقوله<sup>(2)</sup>:

إماماً فأخذتا في القراءة تنعم براه إله الخلق خلقاً مسلماً من القول كانوا تابعاً أو مقدماً كذلك على النسيان قولًا منظماً من العلماء الماضين فانظره منعما	سألتَ بنيَّ عن إمام تأمَّماً بأنَّ خلقَ الإنسان من غلقِ كذا فقلتَ فهل تفسد صلاة جماعة فقد قيل في هذا على اللفظ بالخطأ بأنَّ اختلاف الرأي في ذاك واسع
---	--

2- أبو علي موسى بن مخلد، ويظهر أنَّه من أكثر طلَّابه الملازمين له حتَّى في تنقله، كعادة الطلَّاب الملازمين لمساينهم في حلَّهم وترحالهم، للاستفادة من علمهم، واستغلالاً للوقت في التعلُّم، وما يُروى عن ابن مخلد ذكره: «إنه كان يمشي عند أبي سعيد، يريد أن يصل أرحاماً له بتزوي، وكان يستأندن على الباب ثلاث مرات، فإذا أذن له وإنَّا انصرف، ولم يزد على ثلاث شيئاً»<sup>(3)</sup>، وما يُروى عنه: «خرج أبو سعيد إلى سلوت حتَّى إذا صرنا في الشرفة التي عند ثقاب عين شجب، وكان ذلك وقت صلاة العصر، فصلَّى بنا العصر

(1) السهيل، الإباضية في الخليج العربي، ص 108.

(2) البطاشي، إتحاف الأعيان، ج 1، ص 291-292.

(3) الكندي، بيان الشرع، ج 5، ص 253.

وَقَصْرٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ يَرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى سَلْوَتٍ، وَأَتَمْنَا نَحْنُ رُكُعَتِينَ بِقَيْمَةِ الصَّلَاةِ، فَقُلْتَ لَهُ: هَا هُنَا يَكُونُ الْقَصْرُ؟ قَالَ: نَعَمْ<sup>(1)</sup>.

3- أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن السعالي التزوبي: لم نجد له ترجمة، ذكره الجابري في تلاميذ الإمام أبي سعيد، وقال: «لعل هذا التلميذ هو ابن الشيخ محمد بن الحسن، شيخ أبي سعيد، وقد وجدت عنه مسائل تفيد أخذته عن أبي سعيد وملازمه له، منها قوله: «وأكثر ما عرفناه عن الشيخ أبي سعيد...»، وقوله: «فقد عرفت عن أبي سعيد...»، وقوله: «وقد حضرني من ذلك قول أبي سعيد...»<sup>(2)</sup>.

## المخاتمة

### النتائج:

خرجت هذه الدراسة بالنتائج الآتية:

- نالت عمان نصيباً وافراً من المدارس التعليمية منذ الصدر الأول في الإسلام؛ حيث أسس العلماء والأئمة مدارس تعليمية كان لها أثر بالغ في المجتمع من حيث تأهيل جيل من المتعلمين القادرين على حمل أمانة العلم، وإثراء المجتمع بمؤلفات قيمة.
- يمثل الشيخ أبو سعيد الكلدي أحد أبرز رموز المدرسة الفقهية العمانية في القرون الإسلامية الأولى، إضافة إلى كونه واحداً من أبرز الفقهاء المسلمين الذين تناولوا موضوع الولاية والبراءة بعمق واستفاضة ودقة واستنارة في إصدار الأحكام الفقهية. كما أنه يُعدُّ من أبرز واضعي قواعد أصول الفقه في عُمان.
- كان الإمام أبو سعيد الكلدي مرجعاً فقهياً لأئمة عصره، فقد عاصر الإمام حفص بن راشد، وقد بلغ في عهد هذا الإمام النضج الفكري وسموًّا المزلة في العلم، بل احتلَّ المرجعية العلمية.
- نال الإمام أبو سعيد الكلدي اعتراف العلماء، فكانوا يعولون عليه، وعلى أقواله يعتمدون، كما أنه اشتهر بعد وفاته أكثر من شهرته في حياته، وذلك لاطلاعهم على مؤلفاته النفيسة.

(1) المصدر نفسه، ج 14، ص 75، ص 212.

(2) الجابري، المدرسة الفقهية عند إمام المذهب أبي سعيد محمد بن سعيد الناعي الكلدي، ص 64.

- لدى الإمام أبي سعيد الكُدَمِي صفات تجمع بين الشخصية القوية والتواضع والعلم والعمل معًا، منذ صغره مما أهلَه أن يكون المرشح الأول للقيام بوظيفة أمين للسجن فور بلوغه، في عهد الإمام سعيد بن عبد الله الرحيلي.
- تبنَّى الإمام أبو سعيد الكُدَمِي آراء المدرسة (التزوانيَّة) فكان عميدها وزعيمها، اشتهرت هذه المدرسة الفكرية بآرائها الوسطيَّة المعتدلة، فكُوِّنت ثروة علميَّة كان لها الأثر والانعكاس على المستوى السلوكي والأمني والاقتصادي والاجتماعي.
- تميَّز أبو سعيد الكُدَمِي بِأَنَّه كان عالِمًا مجتهداً، يجمع بين الرُّهُد والورع والشجاعة العلميَّة.
- أسس الإمام أبو سعيد الكُدَمِي مدرسته الشهيرة بِمحلَّة العارض من منطقة كدم بولاية الحمراء بداخلية عمان في القرن الرابع الهجري. وتوافد إليها طلَّاب العلم لينهلوا من علم صاحب هذه المدرسة وفكرة.
- خلَفت هذه المدرسة العلميَّة مؤلَّفات من الأهميَّة بِمَكَانٍ، وكانت هذه المؤلَّفات التاج الفكريُّ الذي ترجم آراء المدرسة التزوانيَّة، التي قاد زمامها الإمام أبو سعيد الكُدَمِي، وقد نالت هذه المؤلَّفات قبولاً واسعاً، وكانت محلَّ ثقة وعناية في الأوساط العلميَّة؛ لأهميَّتها في مجال السياسة الشرعيَّة والولاية والبراءة على وجه الخصوص.
- أخرجت مدرسة الإمام أبي سعيد الكُدَمِي شخصيَّات علميَّة مؤهَّلة أسهمت بشكل كبير في مجال العلم والفكر.
- لم توثق المصادر التاريخيَّة دور هذه المدرسة، مما جعل المعلومات عنها شحيحة، والباحث يلجأ إلى استنطاق المصادر، والبحث من هنا وهناك، لإظهار دور مثل هذه المدرسة وأثرها في المجتمع.

#### التصنيات:

- بعد تلك الإطلالة على هذه المدرسة الرائدة ينبغي أن نسجل بعض التوصيات لعلَّها تفيد الباحثين والدارسين، وذوي الشأن، تتمثل في الآتي:
- الاهتمام بالتراث الإسلامي، لاسيما ما يتعلَّق بالجانب التعليمي، ربطاً لحاضر الأمة بماضيها المشرق.

- الاستمرار في البحث عن المدارس التعليمية التي كان لها دور علميٌّ وحضارياً واستخلاص ما يمكن الاستفادة منه في الواقع.
- استكتاب الجهات المعنية باحثين يقدّمون دراسات متعمقة عن المدارس التعليمية ترتكز على مناهجها وأساليبها، وشروط قبول الطلبة فيها.
- عمل مؤتمرات وندوات حول هذا الموضوع.

### قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن رزيق، حميد بن حمد، الشعاع الشائع بالللمعان في ذكر أئمَّة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، 1405هـ / 1984م.
- 2- ابن رزيق، حميد بن حمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، ط.5، 1422هـ / 2001م.
- 3- أبو نبهان، جاعد بن خيس، إيضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان، تحقيق: سعيد بن مصبع الغربيي وحمد بن خيس الصبيحي، مطبع النهضة - سلطنة عمان.
- 4- الإذكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأنباء الأئمَّة، وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان، ط.2، 2013م.
- 5- البطاishi، سيف بن حمود، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، ط.2، 2004م.
- 6- البوسعيدي، مهناً بن خلفان، لباب الآثار، تحقيق: عبدالحفظ شلبي، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، 1986م.
- 7- الجابري، خليفة بن يحيى، المدرسة الفقهية عند إمام المذهب أبي سعيد محمد بن سعيد الناعي الكدمي، ط.1، 2018م.
- 8- الخليلي، أحمد بن حمد، التأصيل الفقهىُّ عند الإمام أبي سعيد الكُّدمي، قراءات في فكر أبي سعيد الكُّدمي، (حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي احتفاء بذكرى العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الناعي الكدمي، 2001م).

- 9- الخليلي، أحمد بن محمد، العوتي بين الفقه والأصول والأدب، ضمن كتاب قراءات في فكر العوتي الصحاري، حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي احتفاء بذكرى المرحوم العوتي الصحاري، ط1، 1998م.
- 10- الخليلي، سعيد بن خلفان، تهديد قواعد الإيمان وتقيد شوارد مسائل الأديان، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، 1986م.
- 11- الرواس، عصام بن علي، قراءة في الجانب التاريخي لكتابات الشيخ أبي سعيد الكندي، قراءات في فكر أبي سعيد الكندي، (حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي احتفاء بذكرى العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الناعي الكندي، 2001م).
- 12- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط7، 1986م.
- 13- الساعي، ناصر بن سليمان، كتاب الاستقامة للإمام أبي سعيد الكندي تحليل ودراسة، قراءات في فكر أبي سعيد الكندي، (حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي احتفاء بذكرى العلامة أبي سعيد محمد بن سعيد الناعي الكندي، 2001م).
- 14- السالمي، عبد الله بن حميد، بهجة الأنوار، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، ط2، 1985م.
- 15- السالمي، عبد الله بن حميد، جواهر النظام في علمي الأديان والأنظمة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان، ط2، 2018م.
- 16- السالمي، عبد الله بن حميد، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، ذكرة عمان - مسقط، ط1، 2014م.
- 17- السالمي، عبد الله بن حميد، مشارق أنوار العقول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجليل - بيروت، ط1، 1989م.



# القيادات العلمية

## ودورها في اختيار أئمة الحكم بعمان

### (الحلاقة الأولى)

الدكتور / عبد الله بن سليمان الريامي

باحث وكاتب. نزوى. سلطنة عمان

[oman4101@gmail.com](mailto:oman4101@gmail.com)

مُنْصَص :

التاريخ العماني يحمل جوانب مشرقةً في اختيار أئمة الحكم، حيث كان للعلماء - في فترات تاريخية - دورهم في انتخاب الحاكم أو عزله. ولقد تم اختيار كثير من الحكام بالانتخاب وفق نظام الشورى، من قبل العلماء. سيتناول هذا البحث في جزأيه جانبياً من الممارسات السياسية لبعض أئمة الحكم، لإبراز الفكر السياسي، والكفاءة التي يراعيها العلماء في اختيارهم، وكيف يمكن بناء الدولة المعاصرة وفق هذا المسلك في اختيار الحاكم. ركز الجزء الأول من هذا البحث على عالمين اثنين واثنين من أئمة الحكم، بينما سيطرّق الجزء الثاني إلى ثلاثة علماء آخرين وثلاثة من أئمة الحكم في عمان. وقد اقتصرت عملية الاختيار على هؤلاء العلماء الخمسة لما تميّزوا به عن غيرهم، ولما أنمرته جهودهم في اختيار أئمة الحكم.

**الكلمات المفتاحية:** عُمان، القيادات العلمية، حكم، الدولة الحديثة

**Title:** Scientific elites and their role in appointing governors in Oman (first part)

#### Abstract:

The political history of the country of Oman is very rich in examples of the direct involvement of the scientific elite in the selection and appointment of governors as in their removal

In this article, I will outline this political involvement and skills of this elite in this field, and the possibility of building a modern nation and states with this

method, in the first part of this paper, i will take as an example two elites and two governors while the second will take three, and the common point between these five is their success in good governance.

**Keywords :** Oman, Elite, Governance, modern state

### أهمية البحث:

الحمد لله رب العالمين، أمر بإقامة شرع الله والحكم بما أنزل، والتمكين للدين، ووصف الذين مكّنهم في الأرض بقوله: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض، أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ (سورة الحج/ الآية 41). والصلاحة والسلام على المؤسس الأول لدولة الإسلام محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - أما بعد. فإن هذا البحث يكتسي أهمية من جانبين: 1- يُسهم في إبراز ما تميّز به الفكر السياسي عند المسلمين، من قيادة العلماء للحياة السياسية. 2- عدم وجود دراسات - حسب علمي - تناولت هذا الجانب، بالرغم من وجود عدد كبير من الآيات تم اختيارهم من قبل العلماء<sup>(1)</sup>. يقول غباش: «إذا سلمنا أن التطبيق الكامل لمبدأ الشورى والانتخاب الحر لزعيم الأمة - أي الإجماع والتعارق - مما جوهر الديمقراطية، فإن الإمامة الإباضية العمانية يمكن أن تعد أطول تجربة ديموقراطية في تاريخ الإنسانية»<sup>(2)</sup>. وهذه الدراسة مهمة في تناول جزء من هذه التجربة السياسية.

### الدراسات السابقة:

لم أطلع على دراسات تناولت هذا الموضوع، ولكن مادة هذا البحث موجودة في بطون الكتب التاريخية، وتوجد دراسات تناولت سير بعض الشخصيات الواردة في البحث، وهي تصلح كمراجعة ملائمة لهذا البحث. مع العلم أنه يوجد تقصير في توثيق التاريخ العماني، وما يزال بعضه في بطون المخطوطات والكتب غير المحققة. وسيستفيد الباحث من الكتب التي تناولت التاريخ العماني، ومنها:

(1) ذكر صاحب كتاب **نهضة الأعيان**. أكثر من ستين إماماً تم اختيارهم من قبل العلماء. السالمي، محمد بن عبد الله، **نهضة الأعيان** بجريدة عمان، ص 56، 59، ط 1، 1419هـ / 1998م، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

(2) غباش، حسين عبيد غام، **عمان الديموقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث، 1500-1970** (1970) ص 20، ط 1، 1970م، دار الجديد، بيروت - لبنان.

- السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**. اجتهد المؤلف في تقديم التاريخ العماني، والمراحل التاريخية التي مرّ بها العمانيون، ولكن المؤلف فقيها، فإنه أبرز الأحكام الفقهية في كثير من المواقف، وهو كتاب مهمٌ لم يكتب عن التاريخ العماني والأحداث السياسية التي مرّ بها أهل عمان. والكثير من كتب عن التاريخ العماني، اعتمد عليه. وجعلته المرجع الأساس في هذا البحث.

- غباش، حسين عبيد غامن، **عمان الديموقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (1500-1970)** من الكتب التي اهتمت بجوانب من تقاليد الشورى في انتخاب الأئمة بعمان، وركز المؤلف على آخر إماماً منتخبة بعمان. وله تحليلات لمواقف عديدة من عملية اختيار الأئمة أو عزفهم. والكتاب غنيٌ بجوانب من الفكر السياسي، والديموقراطية التي مارسها العلماء وزعماء القبائل في عمان.

والذي يهمّنا من هذه الكتب، سير الأئمة وطرق انتخابهم ودورهم السياسي، إذ أنها تناولت الفقه السياسي المرتبط بالكافأة في عملية الاختيار. ويهتم الباحث منها ما يتعلق بدور العلماء في الانتخاب، ودورهم في تسيير الدولة. وهذه الكتب لم تقدم تفصيلات عن الأعمال التي ساهم بها هؤلاء العلماء في إقامة الدول إلى التراثي.

### **منهجية البحث:**

اتبع الباحث منهج تحليل النصوص المتعلقة بالبحث، واستخراج الفوائد من النص. وكان الاعتماد الأكبر على كتاب **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، للإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي. وهذا الكتاب مرجع أغلب الباحثين الذين كتبوا في التاريخ السياسي عند أهل عمان. واتخذ الباحث الرمز (م. س) ويعني: المرجع السابق.

**الباب الأول: العلامة موسى بن أبي جابر الأذكي، والمباعدة للإمام محمد بن أبي عفان.**

#### **المبحث الأول: المكانة العلمية للعلامة موسى بن أبي جابر الأذكي.**

دخل أهل عمان الإسلام طواعية، برسالة بعثها الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم، عن طريق الصحابي عمرو بن العاص، وكان يحكمهم آنذاك عبد وجifer

أبناء الجلندي<sup>(1)</sup>. وأثنى الرسول العظيم عليهم، بإسلامهم طوعاً من غير حرب. وبعد وفاة الرسول العظيم محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- عاشوا تحت مظلة الخليفة الراشدية<sup>(2)</sup>، ثم حدثت الفتن بين المسلمين، ثم قامت الدولة الأموية سنة أربعين للهجرة<sup>(3)</sup>. وفي أيام الدولة الأموية قام بعض علماء التابعين، ومنهم الإمام جابر بن زيد الأزدي (ت: 93هـ) بنشر العلم في مدينة البصرة<sup>(4)</sup>، وكانت البصرة منطلق التأسيس لأتباعه، إذ كانت عامرة بالعلماء من الصحابة والتابعين، وكانت مقصد أهل عمان في تلکم الفترة. ثم جاء من بعده تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي<sup>(5)</sup>، وفي زمانه تبلورت فكرة ما يسمى بحملة العلم<sup>(6)</sup> إلى الأمصار الإسلامية، بهدف تصحيح مسار الأمور مما أكّلت إليه من استيلاء ملوك بني أمية على دقة الحكم. ويتبين من هذا أنَّ العلماء كان لهم تأثيرهم في التوعية بفهم الإسلام والاستقامة عليه، وتصحيح النظرة الخاطئة للذين من خلال الممارسات السياسية الخاطئة، والاستيلاء عليها بالجبروت والطغيان من قبل حكام وولاة الدولة الأموية إلّا ما كان من عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز<sup>(7)</sup>. وقد قام هؤلاء العلماء بدورهم في التهيئة لإقامة دولة مستقلة بعمان لا تتبع الدولة

(1) مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق وشرح د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص 40، 41، ط 2، 1406هـ/1986م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

(2) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج 1، ص 56، 59، سلطنة عمان، المطبع الذهبي، روى، (د.ت.).

(3) الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الطبرى، (تاريخ الأمم والملوك)، مج(3ج)، ص 5، 6، 72، ط 2، 1407هـ/1987م، عز الدين، بيروت - لبنان.

(4) معمر، على يحيى، الإياضية في موكب التاريخ، ح 1، نشأة المذهب الإياضي، ط 3، 1433هـ/2012م، ص 63، 143: 151، سلطنة عمان، مكتبة الاستقامة.

(5) م. س، الإياضية في موكب التاريخ، ص 152: 159.

(6) يقصد بحملة العلم: البعثات العلمية التي وجهها علماء التابعين، من البصرة لتعليم الناس أمور دينهم إلى الأمصار الإسلامية، ومن حملة العلم إلى:

- عُمان: البشير بن المنذر، ومحمد بن المعلى الكندي، ومنير بن النير الريامي، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي.

- بلاد المغرب: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعاافري، وعبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراتي، وأبو المنيب إسماعيل بن درار الغداوسي، وأبو داود القبلي النفزاوي.

(7) السالمي، تحفة الأعيان، ج 1، ص 74.

الأموية، وبابيعوا للإمام الجلندى بن مسعود، عام 132هـ / 750م<sup>(1)</sup>، وهو أول إمام منتخب بعمان. يقول غباش: "لقد وجدت الحركة الإباضية هوّيتها العقائدية والفكيرية في زمن مبكر. ومن خلال حافظتها على مبدأ الشورى والانتخاب الحرّ للأئمة، مبدأ الإجماع والتعاقد"<sup>(2)</sup>، ثم كان هؤلاء العلماء دورهم لإعادة الاستقرار في عمان، بعد الفتن التي حلّت فيها، بعد استشهاد الإمام الجلندى، في جلفار على يد القائد العباسي خازم بن خزيمة، ثم البيعة للإمام محمد بن أبي عفان.

جاء في تاريخ أهل عمان: "ثم من الله على أهل عمان بالألفة على الحق، فخرجت عصابة من المسلمين، فقاموا بحق الله، وأزالوا ملك تلك الجبارية. ذلك لأنّ المشايخ العلماء من أهل عمان اجتمعوا في نزوی، وكان رئيسهم وعميدهم موسى بن أبي جابر الأذكوي"<sup>(3)</sup>.

يبين النص: دور العلماء في توحيد الكلمة، ويُفهم منه المكانة التي وصل إليها العلامة موسى بن أبي جابر الأذكوي، حيث أنه مرجع العلماء ورئيسهم والمقدم فيهم. وكان العلامة موسى بن أبي جابر، مرجع العلماء في زمانه، وذا حنكة في تدبير الأمور، ويتبعه هذا من سياساته في إقامة دولة الإمام محمد بن أبي عفان، إذ كان من سياساته أن يبعد أصحاب المطامع والزعamas القبلية، حتى تقوى الدولة وتستقر. وقد ولّى أصحاب الزعامات والنفوذ في بعض الأماكن من عمان، وأمر كلّ واحد منهم أن يكفيه أمرها<sup>(4)</sup>، وولّى بن أبي عفان نزوی وقرى الجوف<sup>(5)</sup>.

قال البشير بن المنذر، للعلامة موسى بن أبي جابر: قد كنا رجوناك يا أبا علي أن تسير بهذه الدولة فرددتها إلى هؤلاء الذين يُخافون (بضم الياء) على الدولة. قال: إنما كان نظري يا أبا الحكم للدولة، لأنهم اجتمعوا وكلّ يطلب هذا الأمر لنفسه، والأمر بعده ضعيف، فرقناهم عن وجودنا حتى يقوى الأمر<sup>(6)</sup>.

(1) م. س، عمان الديموقراطية الإسلامية، ص 43.

(2) م. س، عمان الديموقراطية الإسلامية، ص 11.

(3) م. س، تاريخ أهل عمان، ص 57.

(4) م. س، تحفة الأعيان، ج 1، ص 110.

(5) الأذكوي، سرحان بن سعيد، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ص

44، حققه عبد الجيد حبيب القيسي، ط 1426هـ / 2005م، سلطنة عمان، المطبع الذهبي.

(6) م. س، تحفة الأعيان، ج 1، ص 110.

وفي كتاب تاريخ أهل عمان": إنما فعلنا ما تحبّ فاعلمه، إنما أراد أن يفرقهم لئلا تقع الفتنة<sup>(1)</sup>. وهذه الخطّة التي وضعها العلامة موسى بن أبي جابر، ساهمت في استقرار البلاد واتحادها تحت راية الإمام، إذ بعد ذلك تمّ عزل الولاة الذين لم يكونوا على درجة عالية من الكفاءة في إدارة شؤون البلاد، ولم يسيروا في الرعية سيرة العدل. وبقي الإمام المنتخب محمد بن أبي عفان في إمامته، حتى رأى العلماء عدم كفاءته للأمر، فعزلوه وبايعوا مكانه الإمام الوارث بن كعب الخروصي، ولمكانة العلامة موسى بن أبي جابر، وبالرغم من كبر سنّه إلا أنه هو الأمر الناهي في عزل محمد بن أبي عفان وتقديم الوارث بن كعب الخروصي. "لما أراد المسلمون أن يعزلوا محمد بن أبي عفان حضر موسى بن أبي جابر العسكر وهو شيخ كبير مشلود على حاجبيه بعمامة، وهو نائم على سرير في العسكر، وشاعت الإشاعة بقصد القوم وبلغ سائر المسلمين، وكان الوارث بن كعب من بلغه ذلك.. فلما وصل الوارث نزوى أخذ موسى بيده فقدمه إماماً للناس"، ويفهم من النصّ:

1- بالرغم من كبر سنّ العلامة موسى، إلا أنه ما زال المرجع للجميع. وهذا يدلّ على ثقة الناس بحكمته.

2- اختيار العلماء للإمام الوارث، وتقدیمة دون وقوع سفك الدماء يدلّ على قوة المجتمع وتماسكه في مساندة من يرتضيه العلماء لإدارة شؤون البلاد.

3- يمكن للعلماء أن تكون لهم القيادة في توجيه الجماهير للمصالح العامة، إذا أخذوا بالأسباب الحقيقة لذلك، وكسبوا قلوب الجماهير وثقتهم بعلمهم وحسن أعمالهم.

#### وما تقدم يتبيّن أنَّ

- العلامة موسى بلغ المكانة العالية، وأصبح رئيس أهل الحلّ والعقد، والمرجع في اختيار الأئمّة.

- نجح العلماء في تهييـةـ الـبلـادـ لـلـاستـقـارـ،ـ وإـقـامـةـ شـعـائـرـ الدـينـ،ـ وـتـطـيـقـ حدـودـ اللهـ وـأـحـكـامـهـ.

#### المبحث الثاني: الدور السياسي للإمام محمد بن أبي عفان.

**أول إمام منتخب في عمان هو الإمام الجلتني بن مسعود بن جيفر<sup>(2)</sup>، وصفه السالميُّ**

(1) م. س، تاريخ أهل عمان، ص 58.

(2) بخت، حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق، عبد المنعم عامر، د. محمد مرسي، ص 194، 195، 194، ط 4، 1415هـ / 1994م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

بقوله": وكان عادلاً مرضيًّا<sup>(1)</sup>، وأورد نماذج من سيرته بأنه: "أظهر الحقّ وعمل به، وأخذ الدولة من يد أهل الجور، وبريء من الجبارة وأشياعهم، ودان بقتال أهل البغي، ولم يستحلّ مع ذلك غنيمة، ولا سيّ ذرية، ولا استعراضاً بالقتل من غير دعوة"<sup>(2)</sup>. هذا النصُّ يُبرز جانباً من الدور الواجب على حكام المسلمين، والمتمثل في:

- 1- إقامة شعائر الدين، وتطبيق حدود الإسلام وأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة الفساد وأسبابه، ودفع المفسدين عن أموال الناس وممتلكاتهم، ومقاتلة أهل البغي والعدوان.
- 2- عدم استحلال دماء المسلمين ولا أموالهم إلّا بالحقّ الذي شرعه الله.
- 3- إقامة الحجة على غير المسلمين وعدم الاعتداء على أحد.

وكانت إمامته ستين وشهراً، واستشهد في جلفار بعمان على يد القائد العباسى خازم بن خزيمة، سنة أربع وثلاثين ومائة للهجرة (134هـ)<sup>(3)</sup>. ولما قُتل الإمام تفرق أمر عمان. يقول السالمي: "ويقيت عمان بعده في يد الجبارة من بني الجلندي منقادين لأمر بني العباس إلى سنة سبع وسبعين ومائة، ثم رجعت الدولة للمسلمين، وقدّموا محمد بن أبي عفان"<sup>(4)</sup>. ويقول ابن رُزِيق: "ولما قتل الجندي وأصحابه، رحّهم الله وغفر لهم جميعاً؛ استولت الجبارة على عمان فأفسدوا فيها وتفاقم جورهم وفسادهم"<sup>(5)</sup>.

ويقول السيبابي: "ويقيت عمان بين عدوٍ قاهر، وضعيف مقهور، وأعوان يراوغون الأمور مراوغة الشعالب، فمرّ على هذا روح من الزمن"<sup>(6)</sup>. ويُفهم من هذه النصوص:

- 1- كانت إمامنة الإمام الجندي بن مسعود جامعة لأهل عمان.
- 2- مقتل الإمام وجنته ساهم في تفرق الناس وانتشار المفاسد.
- 3- يعتبر هؤلاء المؤرخون أنَّ ولادة الدولة العباسية، الذين جاءوا إلى عمان، كانوا جبابرة، ومفسدون في الأرض. ونتيجةً لهذا الواقع حرص العلماء على معالجة الأمر

(1) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 88.

(2) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 89.

(3) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 97.

(4) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 97.

(5) م. س، *الفتح المبين*، ص 196.

(6) السيبابي، سالم بن حمود بن شامس، *عمان عبر التاريخ*، ج 1، ص 8، ط 3، 1415هـ / 1994م، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.

وتهيئة المجتمع لقيام دولة الإمامة. يقول ابن رزيق: "ثمَّ منَّ اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّأْفَةِ بِأَهْلِ الْحَقِّ، فَخَرَجَتْ عَصَابَةٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَامُوا بِحَقِّ اللَّهِ، وَأَزَّالُوا مَلِكَ تِلْكَ الْجَبَابِرَةِ"<sup>(1)</sup>.

ولا يذكر المؤرخون العمانيون الأساليب التي اتبعها العلماء، ولا مناهج الإصلاح التي سلكوها لتهيئة المجتمع لقيام دولة الإمامة مرة أخرى. ولا شك أن قيام آية دولة بحاجة إلى إعداد متقن، وتحطيط جيد، وتهيئة للمجتمع لتقبل التغيير بعد التفرق والتمزق. وجود حكام وولاةٍ من بني العباس، ممن لا يرضيهم الناس لسياسة أمورهم ورعاياهم مصالحهم الدينية والدينوية، وهو مما أهمله المؤرخون، فقط هناك إشارات لبعض المناوشات والثورات، يقول السياسي: "ولما رأى شبيبُ بن عطيَّةِ العُمَانِيِّ الحالَ الَّتِي عَلَيْهَا أَهْلُ عُمَانَ، حَرَّكَتْهُ خَصِيَّصَةُ الإِيمَانِ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِالْوَاجِبِ حَدَّ الطَّاقَةِ، وَيَقْفَضَ ضَدَّ الظُّلْمِ مَهْمَا اسْتَطَاعَ، وَبِقِيَّهُ هُوَ وَالْجَبَابِرَةُ فِي صَرَاعٍ، وَإِذَا رَأَى غَلْبَتِهِمْ عَلَيْهِ تَرْكُ الْأَمْرِ وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ، فَإِذَا رَأَى فَرْصَةً قَامَ بِوَاجِبِهِ وَأَعْلَنَ زَعْمَتَهُ، وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ"<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن شبيب بن عطيَّةَ كان محسبياً لله في دفع الطغيان بقدر استطاعته. ويصفه السياسي آنَّه: "كان رجلاً صلباً في دينه، شديداً على الجبابرة، داعياً إلى خالفتهم"<sup>(3)</sup>.

ويضيف مينا الدافع لقيام العُمَانِيِّينَ: "ولما رأى المُسْلِمُونَ الْحَالَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَرَأُوا تَلَاشِيَ الْأَمْرِ وَتَلَاعِبُ هُؤُلَاءِ الْعُتَّةِ الْأَشْرَارِ، خَرَجُوا مِنْ مَخَادِعِهِمْ، وَرَفَعُوا عَقِيرَتِهِمْ إِلَى إِخْوَانِهِمْ أَهْلَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْغَيْرَةَ عَلَى حَرَمِ اللَّهِ، وَتَكَاتَبُوا مِنْ بَعْدِ، وَتَعاهَدوْا عَلَى الْقِيَامِ بِالْحَقِّ رَغْمَ مَا يَلَاقُونَ مِنْ نَصْبٍ، وَقَدْ أَيْقَنُوا أَنَّ الْخَرُوجَ يَتَحَمَّلُ عَلَيْهِمْ، فَتَجَمَّعُوا وَتَوَاثَقُوا عَلَى نُصْرَةِ الْحَقِّ، وَخَرَجُوا لِأَدَاءِ مَا يَلْزَمُهُمْ فِي حَقِّ اللَّهِ"<sup>(4)</sup>.

### وَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ النَّصْوصَ:

- 1- وجود ثورات ضدَّ الظلم، ولكنها ضعيفة ولم ترق لمستوى التغيير؛ كثورة شبيب بن عطيَّة.
- 2- واقع الحال حركَ العلماء لجمع الكلمة والتعاون لإزالة ما هم عليه من التصبُّب والشدائد.

(1) م. س، الفتح المبين، ص 196، 197.

(2) م. س، عمان عبر التاريخ، ص 8.

(3) م. س، تحفة الأعيان، ج 1، ص 104، ويوُرد السالمي، رسالة لشبيب بن عطيَّةِ العُمَانِيِّ، في استنهاض

قومه ضدَّ الظلم والطغيان، ص 104، 105.

(4) م. س، عمان عبر التاريخ، ص 9.

3- لما وجد العلماء القدرة على إزالة الظلم والافتراق، تكتبا فيهما بينهم على نصرة الدين وإزالة الطغيان. واتفق المجتمعون على اختيار محمد بن عبد الله بن أبي عفان (ت 193هـ)، ليكون إماما لهم، وذلك سنة (170هـ)، وهو رجل من اليحمد، من أهل العراق، قدموها إلى عمان، وولوه الإمامة فيها<sup>(1)</sup>. ويدرك السياسي السبب في تقديره، أنهم " تخيلوا فيه كفاءة، ومحوا فيه نجابة، ورأوا فيه صلابة، فلذلك جاؤوا به إلى عمان ليبايعوه بالإمامية"<sup>(2)</sup>. والنصل يقدم لنا الصفات التي كان يتمتع بها ابن أبي عفان، للعقد عليه بالإمامية، وتقديره على غيره، وهي: الكفاءة، والنجابة، والصلابة في الأمور.

واختلف في إمامته: هل بويغ على إمامية الظهور أم بويغ على الدفاع؟<sup>(3)</sup>. ويظهر هذا الخلاف في مبررات عزل هذا الإمام، إذ أنه لما قوي أمره، تغيرت حاله في إدارة شؤون الناس، ويبدو أن هذا الإمام ساهم بدوره في استقرار البلاد بحزمه في الأمور، ولكنه بعد فترة قام بأعمال لم يرتضها العلماء عليه، ومنها: عدم استشارة العلماء في أمور الدولة، وتصرفه كما يتصرف الملوك، وكأن له الصلاحية المطلقة في ذلك. يقول السياسي: "رأى العمانيون منه خلاف منهجهم"<sup>(4)</sup>، ومن منهج العمانيين رجوع الأئمة إلى العلماء واستشارتهم، وعدم الاستبداد بالرأي فيما فيه المصلحة العامة.

(1) م. س، عمان عبر التاريخ، ص 10.

(2) م. س، عمان عبر التاريخ، ص 10.

(3) مسالك الدين في المدرسة الإباضية أربعة : الظهور، بمعنى التمكين للدين وإقامة شرع الله، وتطبيق الحدود علانية، وهي مرحلة المدينة المنورة زمن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وفترة الخلافة الراشدة، ثم الدفاع، وهي لدفع العدو قدر الإمكان وهي مرحلة أضعف أقل درجة من مرحلة الظهور، ويكون الإمام في هذه المرحلة منزلة القائد العسكري، ويمثل لها بمرحلة تكالب الأحزاب على المدينة، حيث عزم الرسول العظيم محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - بدفعهم بثلاث مال المدينة المنورة، وتأتي المرحلة الأقل وهي الشراء، وتكون ببايعة فتنة من المسلمين لقائد على الجهاد في سبيل الله، ويمثلون لها ببايعة تحت الشجرة (بيعة الرضوان)، ويكون دورهم إضعاف العدو لحين زواله عنهم أو انهزامهم، وتأتي مرحلة الضعف وعدم القدرة على المواجهة، وتسمى مرحلة الكتمان، ويمثل لها ببداية الدعوة النبوية، وتهتم هذه المرحلة بإعداد حملة العلم، وبثّ الوعي الإسلامي والفقه في الدين، واجتناب الصدام مع الظالمين والمعتدلين.

(4) م. س، عمان عبر التاريخ، ص 14.

تعيينه سعيد بن زياد البكري ووزيراً في أعمال الدولة. يقول السياسي: "وكان هذا جاهلاً عسيفاً في الأمور، ظلماً لا يالي"<sup>(1)</sup>. والنصّ يبيّن أنَّ الإمام لم يحسن اختيار الكفاء في تدبير شؤون الدولة، بل كان من أساء السيرة في الناس بظلمه لهم، وكان لهذا الأثر السيء في سوء تدبير الأعمال، والانقلاب عليه لا حقاً.

ولم يرتكض العلماء سلوك وأعمال الإمام محمد بن أبي عفان، لذا استدرجوه خارج عاصمة الإمامة وعزلوه، ثم بايعوا الإمام الوارث بن كعب الخروصي، في ذي القعدة سنة (197هـ)، ويعُدُّ عزل هذا الإمام، أول انقلاب سياسي سلمي عند المسلمين لم يُرَقْ فيه الدماء. وسلم الإمام المخلوع للأمر ورضي بما اتفق عليه العلماء من عزله والمبايعة لغيره.

### وما تقدم يتبيّن أنَّ:

العلماء اختاروا محمد بن أبي عفان، ليساهم في اجتماع كلمة الناس من التفرق والنزاعات وعدم الاستقرار. ساهم الإمام في تحقيق مهمته، واستقررت البلاد في عهده. عزلَهُ العلماء، لما رأوا عدم أهلية لما باييعوه عليه، واختاروا مكانه الإمام الوارث بن كعب الخروصي. عزلَ الإمام محمد بن أبي عفان، أول انقلاب سياسي سلمي - عند المسلمين - لم يُرَقْ فيه الدماء، بالرغم من القوة العسكرية التي وصل إليها هذا الإمام، وهذا مما يتميّز به التاريخ السياسي عند المسلمين بعمان، فهو يقدم صورة رائعة من نقل العلماء للسلطة بالطرق السلمية.

## الباب الثاني: العلامة محمد بن محبوب الرحيلي، والمبايعة للإمام الصلت بن مالك الخروصي

### المبحث الأول: المكانة العلمية للعلامة محمد بن محبوب الرحيلي.

نشأ بمكة، وأخذ العلم عن أعلام أهل الدعوة<sup>(2)</sup>، وحملة العلم، ومنهم والده محبوب بن الرحيل. يقول الجعيري عن اللقاء السنوي بين رجال أهل الدعوة في مكة المكرمة": كانوا لا يختلفُ منهم إلَّا من هم عذر قاهر، لأنَّها فرصتهم الذهنية للتشاور، ولتنظيم أحوال أهل الدعوة، وللتعريف بمذهبهم بين الحجاج الوفادين من أطراف العالم الإسلامي. فهناك في

(1) م. س، عمان عبر التاريخ، ص 14.

(2) أهل الدعوة: مصطلح أطلقه المؤسسون الأوائل على أنفسهم، في فترة التأسيس. وجامعة المسلمين، وأهل الحق والاستقامة، ثم عُرِفوا بعد ذلك بالإباضية.

مكة المكرمة خاصة يكون محمد بن محبوب قد استفاد من جميع أعلام أهل الدعوة، وقد أوتي الفرصة ليخدمهم لأنهم يتزلون في دارهم<sup>(1)</sup>. ويستفاد من هذا:

1- اتخاذ المؤسسين الأوائل (أهل الدعوة) من مكة، مقرًا للتواصل مع الدعاة من مختلف الأمصار الإسلامية.

2- استفاد محمد بن محبوب من مكانة والده، واتصاله بالعلماء، في الاستقاء من علومهم والتعلم منهم.

3- الاتصال برجال الدعوة وحملة العلم، ساهم في تعرّفه على أحوال الأمصار الإسلامية. وعاش الإمام محمد بن محبوب، في ق 2 وق 3 هـ فترة الإمامة الثانية في عمان، وعاصر الأئمة: غسان بن عبد الله (ت 207 هـ)، عبد الملك بن حميد (ت 226 هـ)، والمهنا بن جifer (ت 237 هـ)، والصلت بن مالك الخروصي (ت 275 هـ)<sup>(2)</sup>، وفي هذه الفترة عاشت عمان ازدهاراً علمياً واقتصادياً. وُعرفت عاصمة الإمامة نزوى ببيضة الإسلام لكثرة العلماء فيها، وتم القضاء على قراصنة البحر من جهة الهند، من خلال الأسطول البحري الذي بناه الإمام (غسان)<sup>(3)</sup>. ولما مات الإمام (المهنا) اجتمع العلماء لمبايعة الإمام (الصلت). يقول الأذكي<sup>(4)</sup>: وكان رئيسهم وإمامهم في العلم والدين محمد بن محبوب<sup>(4)</sup>. ويُفهم من هذا:

1- السيدة للإمام، تمت بالانتخاب الحر، والذي كان بموافقة العلماء المجتمعين (أهل الحل والعقد).

2- العلامة محمد بن محبوب، كان رئيس المبايعين للإمام الصلت، وفي هذا دلالة على مكانته العلمية.

وفي فترة حكم الإمام الصلت، كان ابن محبوب قاضياً ووالياً، على صُحَار<sup>(5)</sup> من سنة 249 هـ<sup>(6)</sup>، وبقي فيها إلى أن توفي سنة 260 هـ<sup>(7)</sup>. وهذا يدل على كفاءته العلمية

(1) الجعييري، فرحات بن علي، *شخصيات إيمانية*، ص 75، ط 1، 1431 هـ / 2010 م، مكتبة الصامرية، سلطنة عمان.

(2) م. س، *شخصيات إيمانية*، ص 76.

(3) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 193، 120 م. س، *تاريخ عمان المقتبس*، ص 46، وانظر لمزيد من المعرفة: من أخبار عصر الإمامة الثانية بعمان: م. س، *عمان عبر التاريخ*، ج 1، ص 37: 124.

(4) م. س، *تاريخ عمان المقتبس*، ص 51.

(5) مدينة صُحَار، لها التقليل السياسي والاجتماعي بعمان. وهي على ساحل الباطنة بعمان.

(6) م. س، *عمان عبر التاريخ*، ج 1، ص 104.

(7) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 164، م. س، *شخصيات إيمانية*، ص 74.

والإدارية لتحمل أمور المسلمين وحلّ منازعاتهم. وله مؤلفات في الفقه (قيل 70 مجلداً)، وفي السير، تدل على سعة باعه<sup>(1)</sup>. والعلامة ابن حبوب كان من يرى جواز التقية باللسان للإمام؛ حفاظاً على الدولة، وظهرت المسألة بعد استشهاد الجندي بن مسعود، حينما رفض أن يكون تحت طاعة الخليفة العباسي، ولا يجوز دفع الدولة بالدين، وإنما يدفع عنها بالرجال والمال<sup>(2)</sup>. يقول السالمي: «قال عبدالله محمد بن حبوب: لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بالستهم شرارة كانوا أو غير شرارة»<sup>(3)</sup>. ويفهم من النصّ:

**جواز التقية لإمام الظهور للمحافظة على الدولة، وقول ابن حبوب، انطلق من منطلق الفقيه، بعد حصول المهزيمة لجيش الإمام الجندي بن مسعود.**

القائمون في ساحة المعركة أدرى بحالهم، وما قد تجلبه عليهم التقية، حيث يتمكن المعتدون من البلد. وهم أئمة وفقهاء أبصرُ بالأمر لمعايشتهم إيهًا.

وفي زمن العلامة محمد بن حبوب، كانت قضية خلق القرآن، من القضايا التي ظهرت عند المسلمين، وعلماء عمان تداركوا الانقسام والاختلاف في القضية، واتفق آراءهم على كلمةٍ تجنبهم التفرق. يقول السالمي: «اجتمع من قوتهم إنَّ الله خالق كل شيء، وما سوى الله مخلوق، وإنَّ القرآن كلام الله ووحيه وكتابه وتنزيله على محمد صلى الله عليه وسلم»<sup>(4)</sup>. بمثل هذه الرؤية يمكن للمسلمين تدارُك التفرق والتمزق المذهبي — والذي ابتليت به بعض المجتمعات المسلمين — حيث تجتمع كلمة العلماء على تجاوز الأمور الخلافية، برؤية تقرّب الجميع، وينطلق يُزيل الحاجز والجسور فيما بينهم، ويتحقق بين أبناء الأمة الواحدة روح الوحدة والتعاون على البر والتقوى.

### وما تقدم يتبيّن أنَّ:

– العلامة محمد بن حبوب، نشأ في مكة، واستفاد من مكانة والده في التعليم من مشايخ العلم، حيث كان متزهلاً حلقة الوصل واللقاء بين رجال الدعوة وقادتها آنذاك.

(1) م. س، *شخصيات إلaiاضية*، ص 80، 83.

(2) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 93، ويدفع عنها بالرجال والمال: يعني الجهاد في سبيل الله، وبذل النفس والمال لنصرة الدين، وليس بالتقية الدينية، بإظهار الطاعة حفاظاً على الدولة من المزيد من سفك الدماء.

(3) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 93.

(4) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 154.

- بلغ درجة علمية أهله ليكون رئيس العلماء لعقد البيعة للإمام الصلت.
- تعينه واليًا وقاضيًا للإمام على مدينة صحار، وهي المدينة الكبيرة المطلة على ساحل البحر، وملتقى الثقافات المختلفة. واستمراره بها يدلّ على نجاحه في حلّ التزاعات والحوار مع مختلف الأديان والأفكار الوافدة.
- العلماء عليهم جمع الكلمة، وعدم شغل الجماهير بالقضايا الخلافية، والحرص على إزالة كل ما من شأنه أن يحدث تفرقاً وتنازعًا. وسيرة محمد بن محبوب، ومن معه من العلماء، أنموذج رائع في الحرص على معالجة القضايا المحدثة على فكر المسلمين، والبت فيها بما لا يسبّب نزاعاً أو اختلافاً.

### المبحث الثاني: الدور السياسي للإمام الصلت بن مالك الخروصي

بُويع الإمام الصلت بن مالك على رعاية مصالح الناس الدينية والدنيوية. يقول الأزكوي "بايعوا الصلت بن مالك على ما بُويع عليه أئمّة العدل من قبله، فسار بالحقّ والعدل"<sup>(1)</sup>. وفيهم من النص:

- 1- جاء الإمام بالشوري، واختيار المباعين له، وبحقّ وكله إيمان المؤهلون للعقد له.
- 2- قامت البيعة على إقامة الحقّ والعدل، والحكم بما أنزل الله، ودفع الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- 3- سياسة الصلت بن مالك، ارتضتها المباعون له، بمعنى أنه قام بالواجب حقّ القيام. ومن الأعمال التي قام بها: إقامة شعائر الدين، وتحقيق العدل ونصرة المظلوم، وتجهيز الجيش لاسترداد سقطري من النصارى. حيث كانت سقطري والمكلا وحضرموت والمهرةتابعة للإمام<sup>(2)</sup>. وكان القاسم واليأ عليها، فقتله نصارى الأحباش، وعاثوا في أهلها فساداً. وكتبت (الزهراء السقطرية) رسالة استغاثة، تستنجد بها من غدرهم، ومن أبیاتها:

قل للإمام الذي ترجي فضائله  
ابن الكرام وابن السادة النجّب  
وأبن الججاجحة الشُّمُّ الذين هم  
أمسك سقطري من الإسلام مُقرفة

(1) م. س، تاريخ عمان المقتبس، ص 51.

(2) م. س، عمان عبر التاريخ، ج 1، ص 105.

(....)

جار النصارى على واليك وانتهوا من الحرير ولم يأْلوا من السلب  
(....)

قل للإمام الذي ثرجم فضائله بأن يُغيث بناة الدين والحسب  
(....)

يا للرجال أغيبوا كلَّ مسلمة  
ولو حبوم على الأذقان والركب  
حتّى يعود عمود الدين متسبباً  
ويهلك الله أهل الجور والريب<sup>(1)</sup>

ولمّا وصلت الرسالة إلى الإمام، جهز جيشاً للجهاد في سبيل الله، وردع المعتدلين، وأعطى قائد الجيش جملة من التعليمات والوصايا، وفيها أدب الجهاد في الإسلام، والفقه العسكري<sup>(2)</sup>. وممّا تناولته وصيّته للجيش:

- ❖ الحمد والثناء والوصف اللائق لله جل جلاله، والتعظيم للواحد سبحانه، ثم الصلاة والسلام على خاتم الرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.
- ❖ الوصية بتقوى الله جل جلاله، والتوبية إليه من الذنوب، والتذكير بالاستعداد لليوم الآخر.
- ❖ الحثُّ على اجتناب المحرمات والشبهات، وغضّ البصر وحفظ الفروج عن الحرام، وكفّ الألسن والأيدي عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم بغير الحقّ.
- ❖ الحثُّ على صدق الحديث وعدم إخلاف الوعد، وإقامة الصلاة والخشوع فيها لله، والقبول بما أمر الله به عباده.
- ❖ دعاهم إلى عدم الركون إلى من حاد عن الطريق القويم.
- ❖ أمرَهم بإعطاء الحقّ ومنع الباطل، وإنصاف المظلوم من الظالم، ووضع الأمور في مواضعها.
- ❖ أمرَ الجندي بالسمع والطاعة للقادة، فيما يدعون إليه من الحقّ، ومجاهدة الأعداء.
- ❖ وجهُهم إلى التناصح فيما بينهم، وأن يكونوا كالبنيان يشدّ بعضه ببعضه.

(1) م. س، عمان عبر التاريخ، ج 1، ص 165، 166، عدد الآيات التي وردت في تحفة الأعيان أربعة وعشرون بيتاً.

(2) هذه الوصايا موجودة في عدد من كتب التاريخ العماني، ومنها: السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ص 166-181، وهي جديرة بالدراسة والاهتمام بها، لتكون وثيقة تدرس في الكليات العسكرية، لما تحمله من أخلاقيات الحرب والجهاد في سبيل الله.

❖ أمرَهم بإِقامَة الحجَّة على الناكثين للعهود، وأن يدعُوهم إلى الدخول في الإسلام وإِقامَة شعائره، وإن لم يقبلوا الإسلام فادعُوهُم إلى التوبَة مَا نقضُوا به العهد، فإن تابُوا فاقبُلُوا منهم.

❖ قال لهم: لا تعرُضُوا لأحدٍ منكم، منْ كان مستأْمناً مستسلماً، ولا انتهاك حرمته ولا سي ذرِّيَّته ولا غنيمة ماله، ولن يكونوا مثلَكم آمنين... الخ.

بهذه المبادئ، التي تنطلق من روح الإسلام وأخلاقه القوية، خرج هذا الجيش لنصرة المستضعفين، وحقَّ النصر المبين. يقول السالمي: "يُقال إنَّ جملة المراكب التي اجتمعَت في هذه الغزوة مائة مركب، فساروا إِليهم نصرُهم اللهُ عَلَيْهِمْ، فأخذُوا البَلَادَ وهزمُوا الأعداء، ورجعوا ظافرين مستبشرين، ومن ينصر الله ينصره الله" <sup>(1)</sup>. ويفهم من النص:

- 1- وجود أسطول بحري قويٌّ زمن الإمام الصلت بن مالك الخروصي.
- 2- امتداد دولة الإمام الصلت، بحيث كانت حضرموت (وهي جنوب اليمن حالياً) جزء من دولته.
- 3- مبادرة الإمام لنصرة المستضعفين بالرغم من بعد المسافة، وهذا من دلائل العزة والقوَّة والتَّمكين في الأرض.

وفي سنة إِحدى وخمسين وما تئن (251هـ)، حدثت في عمان سيلٌ عظيم، هدمت البيوت، ومات أناس كثيرون، وبلغ الماء مواضع لم يبلغها من قبل. يقول السالمي <sup>"(2)"</sup>: جاءتهم السيول فأحدقت، وعليهم من المسائل أودقت، وهو في منازلهم خائفون مَا نزل بهم، فقلعت السيول المنازل والأموال، وغرقت النساء والرجال، فغرق الرجل وعياله، وتخرَّب منزله وما له <sup>(2)"</sup>. ويفهم من النص: قوة السيول التي جرت في عهد الإمام الصلت، بحيث أنها طمسَت معالم بلدان معروفة كبلدة (بدبد) وغيرها، بحيث لم تُعرف مزارع الناس وأموالهم بعد ذلك. ومكث في الإمامة ما يزيد على خمس وثلاثين سنة، ثم إِله لِمَا ضعف جسده، اعتزل الأمر وسلام الخاتم للعلماء لاختيار من يرونَه مناسباً للأمر وأصلح له.

يقول السالمي <sup>"(3)"</sup>: إنَّ الصلت بن مالك صار إلى حدَ الضعف والزمانة والعجز عن القيام بالإمامَة، وخاف المسلمون ذهاب دولتهم، وزوال نعمتهم، وكان موسى بن موسى

(1) م. س، تحفة الأعيان، ج 1، ص 166.

(2) م. س، تحفة الأعيان، ج 1، ص 161.

في وقته هو شيخ المسلمين وإمام أهل الدين، فاجتمع إليه أخلاؤه وساروا لينظر المسلمين فيما فيه عز الدين<sup>(1)</sup>. ويُفهم من هذا:

- ❖ مبادرة العلماء لعزل الإمام بسبب ضعف جسده وهرمه، وعدم قدرته على تحمل أعباء الدولة وإدارة شؤونها.
- ❖ قوّة مجلس أهل الحل والعقد، واستدراكه للأمور بحيث لا تضعف الدولة بضعف الحاكم، ومبادرةه لاختيار غيره.
- ❖ تقبّل الإمام للواقع وعدم تمسّكه بالمنصب، بسبب حالته الصحية.

وما تقدم يتيّن أنَّ:

- 1- دولة الإمام الصلت بن مالك قامت باختيار العلماء له.
- 2- سار الإمام في الناس سيرة مرضية: يحمي الدين، ويحكم بالعدل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولما رأى الإمام أن لا طاقة له برعاية مصالح الناس، سلم خاتم الإمامة للعلماء للاختيار المناسب، وقبل العلماء هذا، ونصبوا خليفة، وعاش بين الناس كبقية أفراد الرعية، إلى أن مات.
- 3- الأئمة العدول يقدمون المصلحة العامة على مصالحهم، ويراعون عظمة الأمانة التي يتحملونها.



(1) م. س، *تحفة الأعيان*، ج 1، ص 195.

# ضوابط خروج المرأة للدراسة والعمل بين الشريعة والواقع

أ. الحاج أحمد بن حمُّو كرُوم

معهد عمّي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية  
غرداية - الجزائر

hajahmeedkerroum@gmail.com

مختص :



نظراً لما لاحظنا من توسيع المرأة في استعمال حقّ الخروج من البيت، والتسيّب من الرجال في ضبط المرأة بضوابط الإسلام، فإنّا في هذا المقال نحاول إبراز وتحديد الضوابط التي وضعتها الشريعة ضمّاناً لحقّ المرأة في طلب العلم، وفي العمل الكسيّ الذي لا يضرُّها في جسمها ولا في عرضها. ولعرض هذا المقال اخترنا تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث أساسية، تتفرّع عنها مطالب: المبحث الأول في حقوق المرأة في الإسلام، والتي تمثل في حقّ الحياة، وحقّ التملك، والحقّ في السياسة والتدين، والحقّ في التعليم، وحقّ العمل. وفي المبحث الثاني تطرقنا إلى ضوابط خروج الفتاة إلى التعليم، والتي وضعها العلماء حتى يكون علّمها نافعاً مفيداً بناء على قوله ح «طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم». وفي المبحث الثالث تناولنا ضوابط خروج المرأة للعمل. وفي الأخير ختمنا بعض التوصيات التي ننادي المرأة والفتاة تنفيذها، لإصلاح الواقع وفق القرآن والسنة.

كلمات مفتاحية: المرأة، التعليم، العمل، ضوابط، الشريعة، الواقع.

**TITLE :** The Regulations of Women's Leaving Home for Study and Work -between Sharia and the Actuality-

## Abstract :

Due to what we have noticed of woman's expansion in using the right of leaving home, and the negligence of men in guiding women by the rules of Islam; we try in this article to highlight and determine the rules set by Sharia to guarantee the rights of women to learn and to work, in a way that does not

harm her in her body or in her chastity. For this purpose, we have divided the research into three sections; which are divided into branches: The first section is about the rights of women in Islam, which are represented in: (life, own property, education, work, politics and religiosity).

In the second section, we defined the regulations that the girl should respect in going out for studying, which the scholars have clarified; in order that her knowledge would be useful and beneficial, based on the prophetic speech: "Seeking knowledge is an obligation upon every Muslim."

In the third section, we tackled the regulations of women's leaving home for work.

Finally, we concluded with some recommendations that we urge women and girls to follow, in order to reform the actuality, in accordance with the Quran and Sunnah. God is the guider for the right.

**Key words:** Women, Studying, Work, Regulations, Sharia, Actuality.

يقول الله تعالى لل المسلمات المتزوجات: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: 33] كما يقول للمطلقات: ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَّ ﴾ [الطلاق: 1] ويقول أيضاً للرجال والنساء: ﴿ وَمَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْكِهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾، وأجازت السنة للمرأة الخروج إلى المسجد، والحج مع محظها .

## المبحث الأول: حقوق المرأة وواجباتها في الإسلام:

لقد أثبتت الله تعالى للمرأة والرجل حقوقاً وواجبات من أجل التكامل في الحياة، بعد تقسيم الأدوار بينهما، بسبب الفوارق البيولوجية الفطرية بين كلّ منهما، قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ اللَّهُ كَالْأَنْثَى ﴾ [آل عمران: 36]، فقال للذكر: ﴿ أَلَيْجَأُ قَوْمَوْنَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: 34]. وقال للمرأة: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبْرُجْ بَشِّرْجِلِيَّةَ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: 33]. وقال للرجل: ﴿ لِيُنْفِقْ دُوْسَعَوْمَنْ سَعَيْتَهُ وَمَنْ قُلْرَعَيْهِ رِزْقَهُ فَلِيُنْفِقْ مِمَّا أَنْهَهُ اللَّهُ ﴾ [الطلاق: 7]. وقال للمرأة: ﴿ فَالصَّدِلِحَدْتُ قَدِنَّتَ حَفِظَتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء: 34]

ومن أجل إبراز عدالة الإسلام أن تعرض بعض حقوق المرأة وواجباتها.

### المطلب 1: حقوق المرأة في الإسلام:

وأجد من الواجب ضبط حقوق المرأة في الإسلام، ليظهر الفارق بينها وبين الديانات الوثنية والكتابية الأخرى.

#### 1- حق الحياة:

لقد أكد الإسلام في كثير من الآيات والأحاديث وجوب المحافظة على النفس البشرية عموماً؛ سواء منها الذكور والإناث؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:32] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُبِّلَتْ ﴾٨﴿ يَاٰٰئِ ذُبْ قُنْلَتْ﴾ [التوكير: 8, 9].

فحرّم الإسلام قتل النفس المسلمة ذكوراً كانوا أو إناثاً. وقال أيضاً: ﴿مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلْتُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلْنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 97].

#### 2- حق التملك:

الإسلام أعطى للمرأة حق التملك مثل الرجل، بعدما كانت تُورث مع سقط الماتع من التركة، فجعلها تملك مثل الرجل، وتُرث مثل الرجل؛ فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكَتَ سَبُّوا وَلِلْأَسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْسَبَنَ وَسَعَلَوْا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [ النساء: 32].

ويقول أيضاً: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالآخْرُونَ وَلِلْأَسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالآخْرُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبٌ مَّا مَغْرُوضًا﴾ [ النساء: 7].

#### 3- الحق في السياسة والتدین:

لقد مكّن الإسلام المرأة من الحرية في التوجّه السياسي الذي تريده دون ضغط أو إكراه؛ مثل الرجل، فقال تعالى للرسول : ﴿يَاٰٰئِهَا النِّيَّةُ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِيَدِكَ عَلَيْنَ أَنَّ لَا يُشْرِكَنَّ بِإِلَهِ شَيْنَا وَلَا يَتَرَقَّنَّ وَلَا يَقْنَنَّ أَوْ لَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِنَ بِعَهْتَنَّ بَقَرَبَنَهُ وَبَيْنَ

أَلَيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبِإِعْتِدَانَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ أَللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ  
رَحِيمٌ [المتحنة: 12].

#### 4- الحق في التعليم:

لقد أجاز الإسلام للمرأة التعلم مثل الرجل، فإنها تتعلم الدين كما تتعلم العلوم النافعة، مما يوفر لها الحياة السعيدة في الحياة، فقال تعالى لأمهات المؤمنين: ﴿وَأَذْكُرْ بَنِي مَائِشَةَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ إِيمَانِ اللَّهِ وَالْحَسَنَاتِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: 34]. فالمذاكرة تقتضي التعلم بدأيه، قال رسول الله : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وتدخل المسلمة بالتبغ.

ولا شك أن للوالد حق التوجيه وتعليم العلم الضروري. والعلم المناسب لتكوينها الفيزيولوجي أولى من العلم الذي لا يناسبها أو يضرها، ويظهر هنا تصنيف الأولويات.

#### 5- حق العمل:

رغم أن الإسلام أمر الرجل بالقوامة على المرأة، فإنه لم يمنع المرأة من العمل المتبع والكسب الحلال. قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَنِيلِ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرْ أَوْ أَنْتَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضِهِ﴾ [آل عمران: 195]. وسواء في ذلك العمل النظري الفكري، أو العمل اليدوي من الجهد والصناعة والحركة والنشاط داخل البيت وخارجه. ولعل أروع عمل كلفت به المرأة هو صناعة الإنسان ورعايته في جميع مراحل حياته، مثل: إنجاب الأولاد ورضاعتهم، وتربيتهم وتعليمهم القيم الإنسانية في الحياة.

#### المطلب 2: مهام المرأة وواجباتها:

إن للمرأة المسلمة دورا فعالا في الحياة العامة للإسلام، لأنها تعد نصف المجتمع؛ باعتبار دور الرجل الذي هو دعامة الأسرة والمجتمع والوطن.

ومن خلال قراءات مختلفة رصدت مجموعةً من المهام والواجبات التي تتضطلع بها المرأة دون الرجل، وأذكر منها:

- 1 عملية توالد النسل السليم من الزواج الحلال.
- 2 رعاية الأبناء وتربيتهم على الدين القويم والأخلاق الفاضلة.
- 3 مراقبة الزوج أو الوالد أو الأخ أو الجار، ليصنع الحياة الطيبة له ولغيره من غير إكراه ولا تعنت.
- 4 السعي إلى عمارة الأرض بالخير والصلاح ودفع المضرة عن الخلق.
- 5 المحافظة على صحتها وما لها وما زوجها وجميع شرفها في كل زمان ومكان.
- 6 التعاون مع الرجل لصناعة الأمن والطمأنينة داخل الأسرة وخارجها.
- 7 السعي للإبداع والتطوير في ظل القيم الإسلامية.
- 8 تعلم الدين وتبلیغه لجميع الخلق داخل البيت وخارجها.

### **المبحث الثاني: ضوابط خروج الفتاة للتعلم:**

كُنّا نحفظ قوله «طلب العلم فريضة على كل مسلم» فالواجب على المسلمين - ذكورا وإناثاً - التضحية في طلب العلم من أجل أن يعيشوا حياة طيبة. وفي جميع الحالات كان الذكر هو المعنى الأول بهذا الأمر، ثم توسيع الأمر، فأصبح للنساء حظ التعلم مثل الرجال. ومن أجل ضبط الموضوع وترتيبه، أبدأ الحديث بأنواع العلوم:

#### **المطلب الأول: أنواع العلوم:**

لقد قسم العلماء العلوم إلى سبعة أنواع، هي:

- 1 **العلم الضروري:** وهو العلم الذي لا يسع جهله طرفة عين، وهو التوحيد.
- 2 **علمٌ فرضٌ عين:** مثل الصلاة.
- 3 **علمٌ فرضٌ كفائي:** مثل علم الهندسة.
- 4 **علمٌ واجبٌ إلى حين الورود:** مثل الزكاة عند بلوغ النصاب.
- 5 **علمٌ يسع جهله:** مثل علم طبقات الأرض، إذا لم يكن فيه احتياجٌ ضروري لتعلمها.
- 6 **علمٌ نافع:** مثل علم الخياطة.
- 7 **علمٌ ضار:** مثل علم السحر.

ومن هنا تنافس التلاميذ في ارتياح حلقات العلم ومدارسيه، وتصدر العلماء هذه الحلقات لتبلیغ العلم، وتتنافس الأغنياء والأمراء في بناء هذه المدارس ورعايتها.

### المطلب الثاني: آداب المتعلم:

وضع العلماء آداباً تفید الأستاذ والتلميذ، حتى يستفید من علمه ويفید غيره، وهي:

- 1- المبادرة إلى التعلم في أول العمر.
- 2- الإخلاص لله تعالى.
- 3- الأخلاق الحميدة.
- 4- التفرغ للعلم، والابتعاد عن المشغلات.
- 5- التواضع للمعلم والتلميذ.
- 6- الاستفادة من جميع العلوم الممكنة.
- 7- تقليد المعلم تقليداً إيجابياً.
- 8- عدم الإدلال أمام المعلم.
- 9- الابتعاد عن الفراغ والكسل.
- 10- توفر الأسباب الفطرية، مثل الذكاء والحفظ والصحة، والمعلم الرحيم، والنقوى<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: آداب المعلم:

إضافة إلى الأخلاق التي وُضعت للتلميذ، فإنه لا ينبغي أن يكون المعلم بعيداً عنها، وهي:

- 1- أن يعمل بعلمه.
- 2- الرحمة بالتلاميذ ومعاملتهم حسب قدراتهم.
- 3- الإخلاص لوجه الله تعالى.
- 4- اجتناب الاحتقار والتكبر.
- 5- الإجابة بما يعرف من الأسئلة.
- 6- الصبر والأنانة في التعليم.

(1) انظر تفاصيل هذه الآداب وأدلتها في الجيطالي: قنطر الخيرات ج 1، ص 109 وما بعدها.

7- عدم التسرع إلى الجواب وخاصة في الفتوى<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث: ضوابط خروج الفتاة إلى التعلم:

وضع العلماء ضوابط لخروج الفتاة إلى التعلم، حتى يكون علّمه نافعاً مفيدة، وهي:

**1) الحجاب الشرعي:** يجب على الفتاة المتعلمة أن تلتزم الحجاب الشرعي عندما تخرج من المنزل للذهاب إلى المدرسة، سواء عندما تكون في الشارع أو عندما تكون في المؤسسة. ولقد أحسنت صنعاً المؤسسات التعليمية عندما جمعت بين الحجاب الشرعي التقليدي في الشارع، والحجاب الجديد داخل المؤسسة. ولكننا نجد أنّدأغلب طالبات المؤسسات الرسمية قد تركت الحجاب التقليدي، واكتفت بالحجاب الجديد المزخرف والملون، فهو حجاب أقل ما يقال عنه يحتاج إلى حجاب.

**2) عدم الاختلاط:** صيانة لكرامة الفتاة؛ يجب أن تختار لها مدرسة تحفظها من الاختلاط بالذكور، لكي يكون هذا التعلم سبباً لحفظها على شرفها ودينها.

**3) العلم الضروري:** لقد تنوّعت العلوم وتطورت، حتى أصبح لا فرق بين ما يتعلمه الذكور والإناث؛ المهم هو الشهادة السامية.. ولذلك اختار علماؤنا فتح مدارس حرة لتبلیغ العلم الضروري لهذه الفتيات مع العلم الكفائي؛ جمّعاً بين الحسينين، لأن العلم الضروري هو العلم العيني على كل مسلم؛ من التوحيد والفقه والقرآن الكريم.

**4) الأخلاق الحميدة:** وتمثل في حسن المعاملة داخل المؤسسة مع الطالبات، والمعلمين والمديرين والعامل، مثل: الحياة، وترك الكعب العالي، وترك العطور، وترك الخضم بالقول أثناء السؤال والجواب في القسم والساحة، والشارع والهاتف النقال، والصبر الجميل مع واجبات المعلم والمؤسسة، والابتعاد عن الخلوة.

**5) الطريق الآمن:** فإذا اختارت الطالبة المدرسة الصالحة فإنه أولى بها أن تختار أمن الطريق إليها؛ سواء أكانت راجلة أم على مرکوب والدها أو زوجها، وأولى من ذلك النقل المدرسي بعيد عن الاختلاط، حتى تحفظ دينها وشرفها.

(1) الجيطالي: مرجع سابق، ص 109 وما بعدها.

**6) المدرسة الصالحة:** إذا اختارت الطالبة الذهاب إلى الجامعة بعد المرحلة الثانوية فالواجب علىولي أمرها أن يتحمل مسؤوليته في المحافظة على دين الفتاة وأخلاقها، ويوجهها ولا يتركها في الإقامة الجامعية الفاسدة، وإلا فإنه سوف يتحمل وزير جميع أخطائها وانحرافاتها. فإذا وجد في ذلك إهانة لدينها وأخلاقها وشرفها فإنه من الأولى أن يغير لها مكاناً آمناً يزيد في علمها وشرفها أنوراً فوق أنوار.

ولا شك أن المقصود من هذا التعلم وهذه الضوابط هو المحافظة على الدين والعرض والنسل، والنفس والمال والعقل، فإذا أصبحت تؤدي عكس هذه المقاصد النبيلة فإن الإسلام يعنينا من الوصول إليها، لأن العلم الذي يحصله الإنسان منها يعتبر ضرراً يجب تجنبه وتغييره.

### **المبحث الثالث: ضوابط خروج المرأة للعمل:**

لقد فنن العلماء والباحثون والفقهاء في وضع ضوابط لعمل المرأة صيانة لشرفها، وحفظاً لكرامتها داخل الأسرة وخارجها.

و قبل أن أطرق لهذه الضوابط يحسن بي أن أتحدث عن أنواع عمل المرأة.

#### **المطلب 1: أنواع عمل المرأة في المكان والزمان:**

يوجد للمرأة أربعة أنواع من العمل وهي:

- 1- العمل داخل البيت لمن في البيت.
- 2- العمل داخل المجتمع في البلدة.
- 3- العمل خارج البلدة داخل الوطن.
- 4- العمل خارج الوطن بعيداً عن الوطن.
- 5- وأما حالة العمل فهي مختلفة أيضاً:
- 6- قد يكون هذا العمل بمقابل، أو بدون مقابل.
- 7- وقد يكون هذا العمل من تكوينها في التخصص.
- 8- وقد يكون هذا العمل بعيداً عن تخصصها.
- 9- وقد يكون هذا العمل مختلطاً مع الرجال.

10- وقد يكون هذا العمل بعيداً عن الاختلاط؛ في ورشة خاصة بالنساء.

ومن جهة أخرى نجد زمان العمل يتعدد ويتقلص، كما يلي:

- 1- العمل لمدة ثمان ساعات صباحاً.
- 2- العمل لمدة ثمان ساعات، أو أقل مساء.
- 3- العمل في الفترة الصباحية فقط.
- 4- العمل يتنهي في المعمل أو الورشة.
- 5- العمل يتواصل في المنزل، مثل التعليم.

### المطلب 2: ضوابط عمل المرأة المسلمة:

من حق المرأة في الإسلام أن تعمل عملاً كسيباً لا يضرها في جسمها ولا في عرضها، ولكن مع مراعاة هذه الضوابط والشروط:

**1) الحجاب:** وهو لباس فوق اللباس المنزلي، تضرره المرأة لغطي بها زيتها الظاهرة

والباطنة. قال تعالى: ﴿وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرٍ هُنَّ عَلَىٰ جِيُونِهِنَّ﴾<sup>(1)</sup> [النور: 31].

قال رسول الله «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها شيء إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه. سواء أكان ذلك خارج العمل أم داخل العمل.

**2) غض البصر:** وهو ترك النظر إلى العورات والنظر بشهوة إلى الغير ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يغْضِضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور: 31].

**3) إخفاء الزينة:** وهذا طبعاً تابع للحجاب. ولكن قد تنزع المرأة الحجاب الخارجي

داخل العمل فتظهر زيتها للحاضرين داخل العمل، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبَدِّلَنَّ رِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرٍ هُنَّ عَلَىٰ جِيُونِهِنَّ وَلَا يُبَدِّلَنَّ رِينَتَهُنَّ إِلَّا لِمُعُولَتِهِنَّ أَوْ

ءَابَاءِهِنَّ أَوْءَابَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيَ

(1) الجيب: فتحة الرأس في اللباس.

إِخْوَنَهُمْ أَوْ بَوِيلَهُمْ أَوْ نِسَاءَهُمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ الْتَّبَاعِيرُ غَيْرُ أُولَى الْأَرْبَةِ  
مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَورَاتِ النِّسَاءِ [النور: 31]

**4) ترك العطور:** من أسباب الفتنة استعمال العطور داخل العمل وخارجها. وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ذاهبة إلى المسجد وهي معطرة فقال لها: «إلى أين يا أمّة الله؟!» فقلّت إلى المسجد. فقال لها: «ارجعي واغسللي».

**5) القول المعروف:** لا تتكلّم المرأة الكلام الفاتن داخل العمل وخارجها. قال تعالى لأمهات المؤمنين: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32] وهو الكلام الواضح المفهوم الضروري؛ مما يتطلبه التواصل داخل العمل، أو داخل المنزل وخارجها.

**6) ترك الكعب العالي:** من أسباب الفتنة والفساد بين الجنسين ضرب الأرض بالکعب العالي أو النازل، فيفتّن الواحد منهما الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَا يَصْرِينَ بِأَنْجُلِهِنَّ  
لِعُلَمَّا مَا يُحْقِنَّ مِنْ زِيَّنَهُنَّ﴾ [النور].

**7) الاستئذان:** فالواجب على المرأة أو الفتاة أن تستأذن زوجها أو أبيها أو ولديها إذا أرادت الخروج من المنزل، وتكتسب موافقتهم، كما أنها لا تأذن لأحد أن يدخل منزلها إلا بموافقة زوجها أو والدها أو ولديها.

وكذلك تتلزم الاستئذان بين إدارة وأخرى صوناً لشرفها ودينها، بل حتى أوجب عليها الإسلام الاستئذان في النفقة والصيام والضيوف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تتفق امرأة شيئاً من بيت زوجها إلا بإذنه" وقال أيضاً: "لا يحل لامرأة تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه" والصيام هنا في غير صيام رمضان.

**8) السفر مع حرمها:** إذا أرادت المرأة السفر إلى العمل، أو السفر إلى مهمة داخل العمل أن يرافقها حرمها ولا تسافر وحدها مهما كانت المبررات، لأن ذلك مثل الخمر والميسر ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرٌ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [آل عمران: 219].

قال رسول الله : «لا يحل لامرأة أن تسافر إلا ومعها ذو حرم منها» [مسلم]، سواء أكان ذلك في سيارة العمل أم الحافلة، أو سيارة صديق أو قريب أو بعيد.

**(9) اجتناب الخلوة:** لا يحل للمرأة المسلمة أن تختلي برجل أجنبي عنها إلا مع ذي حرم منها؛ سواء أكان ذلك لأمر يهم العمل أم لأمر تأدبي لها. والخلوة تتحقق بغلق الباب أو زوال ستار بينهما. قال رسول الله «ما اختلى رجل بأمرأة إلا كان الشيطان ثالثهما». في المكتب أو في سيارة العمل، أو داخل المعلم أو خارجه.

**(10) الطريق الآمن:** وهو الانتقال من بيتها إلى مقر العمل، يجب أن يكون في سيارة أبيها أو أخيها، أو ابنها أو راجلة، يجب أن تكون في أمن وأمان لكيلا تتعرض للأضرار الحقيقة والأخلاقية.

**(11) إتقان العمل:** فالواجب على المرأة أن تتقن العمل الذي توجه إليه سواء من جهة تقنياته الفنية، أو من حيث أحكماته الشرعية؛ حتى لا تأكل الرياح، ولا تستحل السحت أو السرقة من حيث لا تدري. قال رسول الله «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أنيقنه».

**(12) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** فالعمل الذي تختاره المرأة يجب أن يكون في أتم الحرية، بعيداً عن الضغوطات والإهانات والمؤامرات، حتى إذا رأت فساداً في الأخلاق والدين والعرض بادرت إلى إصلاحه والنهي عنه؛ سواء ما صدر عن صاحب العمل أو الشريك أو عمال آخرين. قال رسول الله «لا يعنن أحدكم مخافة الناس أن يتكلّم بالحق إذا شاهده وينكر الباطل إذا قدر عليه» [الربيع: 789].

**(13) أداء الحقوق:** فمن الواجب على المرأة التي تختار عملاً داخل البيت أو خارجه أن يكون هذا العمل لا ينبعها من أداء حقوق الله والزوج والأولاد والجيران، فلا تقبل أن ينبع عنها أحد من الشغالين والشغالات في مهامها المنزلية أثناء اشتغالها بوظائف أخرى خارج البيت، لأن ذلك خسارة مادية وخسارة روحية لا ثعوض ولا ثعفر.

**(14) العمل المشروع:** هو العمل الذي يفيدها في حياتها ويفيد الآخرين على يديها، مثل الخياطة والتعليم والطب.. ولا يكون عملاً حراماً، مثل: البغاء والتتميل، ووظيفة الربا في البنك. نهى رسول الله عن ثمن الفحل ومهر بغي وحلوان كاهن.

## حكم عمل المرأة وشروطه:

وأجلدي بهذه الشروط كأنني طلبت المستحيل، بل وضعت ضوابط تعجيزية لا يمكن للمرأة أن تجتمعها في نشاطها العملي إلا نادراً. وبالتالي إذا عرفت المرأة أنها لا تقوى على هذه الشروط الصعبة في نظرها فإن بقاءها في المنزل هو أعظم عمل تقوم به في الحياة الإنسانية، إلا أنها لا تؤجر عليه ماديًّا، بل تؤجر عليه روحياً وأدبياً.

وإن أرادت أن تجمع بين الحسينين من غير ظلم وضلال فما عليها إلا أن تختار عملاً مادياً داخل المنزل يرعاه زوجها من غير إفراط ولا تفريط.

وإن أصرت على العمل خارج البيت مع ما فيه من سلبيات فلتتعلم أن الرسول يحذرها قائلاً: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخدم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، الرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [الترمذى].

ويقول الشيخ أحمد بن سعود السبابي: «وبما أن عمل المرأة في هذا العصر أصبح واقعاً اجتماعياً لا مفرّ منه، أو ضرورة اقتصادية لابد منها؛ فإن القول بجوازه هو المناسب، لكننا نقول يجب أن يكون وفق الضوابط الشرعية المذكورة سابقاً، ولا يكون على حساب البيت وما فيه من أمومة وطفولة وأنوثة<sup>(1)</sup>.

ويقول الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتى عام سلطنة عُمان: «العمل الأساسي للمرأة هو أن تكون سيدة بيتها، وربة مملكتها، وأملها الأساسي أن تصنع الأجيال وأن تربي الأطفال، إلا أن هناك أعمالاً أخرى يجوز لها أن تعملها خارج بيتها مع المحافظة على تعاليم دينها، هذه الأعمال هي: تدريس بنات جنسها، وتريضهن وعلاجهن<sup>(2)</sup>.

وأما الشيخ الناصر المرموري رحمه الله فقد أفتى لأخواننا في «عين مليلة» [شرق الجزائر] بجواز استخدام الفتيات في ورشاتهم للخياطة، فقال:

(1) السبابي: المرأة المسلمة حقوق وواجبات ص 120

(2) الخليلي: المرأة تسأل والمفتى يجيب ج 2 ص 396.

«هذا وقد بلغتني رسالتكم بعد رجوعي من الحجّ، وفهمتها وفيها شروط مهمة، ولا بأس بتشغيل النساء على هذه الشروط ولا مانع، أعنكم الله وعصمكم من فتن النساء وكيدهن»<sup>(1)</sup>.

وقد تضمن السؤال النظام الداخلي لورشات الخياطة التي يشتغل فيها البنات دون الرجال. وهذه الشروط هي:

- 1- الحجاب الساتر للشعر، مع التزام الحياة والأدب.
- 2- لكل عاملة معطفٌ خاص للعمل تلبسه إثر دخولها إلى الورشة، وهو لباس ساتر إلى الزنددين، معلق إلى الرقبة، ومسدل إلى الكعبين.
- 3- دخول وخروج العاملات إلى الورشة لا يكون إلا جماعياً، أي يمنع الانفراد في الورشة.
- 4- شريط سمعي لترتيب آيات من الذكر الحكيم لمدة ساعتين كل يوم، من بداية العمل صباحاً وبعدها سماع الإذاعة الوطنية.
- 5- يساعد ربُ العمل في إدارة شؤون الورشة ثلاثة عمال، يشترط في كل منهم أن يكون متزوجاً وقد أمضى واجب الخدمة الوطنية.
- 6- التزام الحياة والأدب عند مخاطبة أحد العاملين عند الضرورة لكلا الطرفين.
- 7- إذا تزوجت إحدى العاملات يطلب منها ترك العمل، مع العلم أن كل العاملات يعملن لضرورة مساعدة أسرهن وأهليهن.

عند الإخلال بأي شرط من الشروط السابقة فالعقاب هو الطرد».

وعليه فإن القول والفصل في قضية عمل المرأة هو الضرورة الملحة، مثلما وقع لابن شعيب في زمان موسى عليه السلام؛ وقد بررت خروجها من البيت بقولها ﴿وَأَبْوَنَ كَاشِيَّعَ كَبِيرَ﴾، فلما جاء الله بالفرج وهو زواج إحداهما بسيدنا موسى عليه السلام أصبح هو القائم بالمهمة دونهن.

وكلما استقرت المرأة في المنزل، وكانت ورشتها في المنزل فإن ذلك أسلم لدينها وعرضها. وكلما تركت المرأة العمل المادي داخل المنزل أو خارجه عندما تنتهي الضرورة، وتفرغت للعمل الروحي في صناعة العقول والنفوس ومرافقتها بالجد والإخلاص،

(1) الرسالة والجواب بحوزة الباحث وهي مؤرخة يوم 14/11/1419 محر 1998 ماي 11/1419.

وتركت العمل المادي للرجل الذي أمر بالقوامة والنفقة كانت الأسرة في تطور إيجابي سليم، والمجتمع في نموٍ كريم.

### خاتمة وتحصيات:

بعد هذه العروض المفصلة في حقوق المرأة وواجباتها أيام التعلم والعمل من خلال النصوص الشرعية والواقع المعيش؛ يحسن أن نختمه ببعض التوصيات التي ناشد المرأة والفتاة تفزيدها لصلاح الواقع وفق القرآن والسنة، وهي:

- 1- الإخلاص في العلم والعمل سبيل النجاح.
- 2- التقرب إلى الله تعالى بالعلم والعمل يؤدي إلى رضا الله تعالى.
- 3- لا تقلد غير الكتاب والسنة واختيارات السلف الصالح في الدين والحياة.
- 4- السمع إلى الناس يؤدي إلى كثير من التبذيب في الحياة وعدم الاستقرار، لأن أكثر الناس لا يعقلون وأكثرهم لا يفقهون
- 5- العلم الضروري أولى من العلم الحاجي والتحسيني في الذكور والإإناث.
- 6- النجاح في الشهادة هو بداية التعلم لأن ثمرة العلم النافع هو العمل الصالح.
- 7- كلما كان العلم والعمل مزيناً بالورع والتقوى والأخلاق كانت ثمرتها مجيدة.
- 8- كل ما لا يرعى فيه التلميذ والمعلم شرع الله فهو علم لا يسمن ولا يغني من جوع.
- 9- لا يحل الخروج من المنزل للمرأة إلا لضرورة قصوى تنتهي بانتهاها.
- 10- إذا اقتل أو أخلّ الرجل بفرضية "القوامة" والنفقة على المرأة أيام التعلم والعمل؛ فإن المرأة أن تخرج عند الضرورة فقط، وتطالب بحقها من العشيرة أو الحاكم لإنتهاء الضرورة.

فمن أخذ بهذه الضوابط والتوصيات فقد رشد واهتدى ونال الحياة المجيدة، ومن تخلى عنها فقد ضل وغوى وعاش معيشة ضنكًا.

ولى هنا يسكت قلمي عن الكلام المباح، وهو يقصد من هذه الكلمات قوله عز وجل:

﴿إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا نَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُبِيَتْ﴾ [هود: 88]

## قائمة المصادر والمراجع

- 1 إسماعيل بن موسى الجيطالي: قنطر الخيرات، تحقيق د. عمرو النامي، ط١، مكتبة وهبة القاهرة عام 1966/1386
- 2 أحمد بن سعود السيابي: المرأة المسلمة حقوق وواجبات، ط١، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2015/1436
- 3 أحمد بن حمد الخليلي: المرأة تسأل والفتى يجيب، جمع وتنسيق بدرية بنت حمد الشقصية، ط١، مكتبة الجيل الوعاد، سلطنة عمان، 2007/1428
- 4 زهراء أحمد حفار: خروج الفتاة الميزانية للعمل دوافعه وأثاره، ط١، مطبعة الآفاق، غردية، 2012/1433
- 5 ناصر بن محمد الزيدبي: المرأة في الإطار السياسي، ط١، مطبعة النهضة، سلطنة عمان، 2011/1432
- 6 بشير مرموري: الفتاة في مزاج تنشئتها وتعليمها بين الثابت والمتغير، ط١، جمعية التراث، غردية، 2005/1426
- 7 علي يحيى معمر: الفتاة المسلمة ومشاكل الحياة، تحقيق أحمد كروم وحمو بوكرموش، ط١، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2010/1431



# قانون المشيئة في الكتاب من خلال بعض أسماء الثواب (الرحمة والمغفرة نموذجا) (الحلاقة الأولى)

الباحث/ إبراهيم بن محمد حمدي  
ماستر 02. تخصص فقه مقارن وأصول  
جامعة أحمد دراية. أدرا، الجزائر

brahibatna47@gmail.com

مُنْخَصِّص :

وردت في القرآن آياتٌ تعلق ثواب الله لعباده - كالرحمة والمغفرة - على مشيئته سبحانه، كما وردت آياتٌ توحى ظواهرها بالعفو الإلهي عن العصاة مطلقاً، وهذه الآيات من قبيل المتشابهات التي يجب ردها إلى المحكمات، خاصة في مثل هذه المسائل الإيمانية الكبرى - المتعلقة بصفات الله واليوم الآخر -، وغالب هذه اليقينيات نجدها بحمد الله محفوظة في كتابه العزيز؛ الذي هو المصدر الأول والميسّر للرحمة الربانية.

في هذا المقال سنحاول التعرف على أهم الأسباب الموجبة لهذه الرحمة، والذين يشاء الرحمن أن يغفر لهم، على ضوء البيانات القرآنية. وستكشف لنا هذه الآيات الكريمة أن: شروط «الرحمة» و«المغفرة» هي من سنن الله الهدائية العامة؛ فلم تختص بها شريعة أو أمّة دون أخرى. وأن أول شرط وأجمعه: «الإيمان الحق»؛ الذي يعني التصديق القلبي مع التطبيق العملي لشرع الله تعالى.

**Title: The Law of 'Will' in the Quran Through Words Expressing Reward**

## **Abstract:**

In certain verses In the Quran, it is mentioned that God bestows His rewards, such as mercy and forgiveness, according to His will. There are also verses which seem to suggest that all the disobedient deserve divine

pardon. Such verses are considered of the ‘elusive’ type which need to be interpreted in the light of the ‘precise’ type of verses, especially when they are about such big faith issues as God’s attributes and the day of judgment. Most of these certainties are preserved in God’s Book, the primary and handy source of the divine mercy.

In this article, we will try, in light of the Quranic evidence, to identify what makes a person worthy of this mercy and whom the Most Merciful grants His will to forgive. We will discover that the conditions for ‘mercy’ and ‘forgiveness’ are among the general ordinances of God’s guidance, not unique to a religion or a nation, and that the first condition is ‘true faith’ which means heartfelt ratification with practical application of God Almighty’s law.

:

وردت في القرآن الكريم عدة آيات -في سياقات مختلفة- تُعلق رحمة الله ومغفرته وتوبته عن عباده بمشيئته سبحانه، أو تعلل ذلك بعلمه وحكمته وقدرته... من تلك الآيات: ﴿...نُصِيبُ مِنْ حَمَّتَنَا مِنْ شَاءَ...﴾ (يوسف)، ﴿...يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ<sup>ص</sup> مِنْ يَشَاءُ...﴾ (العنكبوت)، ﴿...لَيُنْخَلِّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ...﴾ (الفتح)، ﴿...وَيَنْوِيْ اللَّهُ عَلَىٰ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيْمٌ حَكِيمٌ﴾ (آل عمران)، ﴿...وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذَّبُهُمْ وَإِمَّا يُبَوِّبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيْمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبية)، ﴿...يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة).

وجاء قوله تعالى: ﴿يَقْرِئُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ في ثلاث سور: (آل عمران: 129، المائدة: 18، الفتح: 14)، منها: قوله في الذين كفروا -خاطبا النبي صلى الله عليه وسلم-: ﴿لَيْسَ لَكُمْ أَلَّا مِرْشَأٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (الزلزال) وَاللهُمَا في السموات وما في الأرض ﴿يَقْرِئُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران)، وقال في المناقبين: ﴿...وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب). وقال في آياتين من سورة النساء (48، 116): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وقال الرحمن سبحانه مخاطبا عباده الذين أغلقتهم الخطايا: ﴿ قُلْ يَعْبُدُونَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا فَنْطَلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>53</sup> (الزمر). وعد بعضهم أرجى آية في القرآن هي قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ طَلَبِهِمْ... ﴾<sup>6</sup> (الرعد).

هذه الآيات الكريمة من قبيل المتشابهات، التي تتعدد الأنظار في تأويلها، فهل نفهمها بما يتadar من ظواهرها؟ أو نردها إلى الآيات المُحكَمات -الساطعة في بيانها، والقاطعة في دلالاتها، والتي وصفها مُنزلها -عزّ من قائل- بـ: "أم الكتاب"؟

إن النقل الحكيم والعقل السليم، يرشدانا في مثل هذه المسائل الإيمانية الكبرى، إلى الاعتصام بالنصوص الشرعية: اليقينية في مصدر ورودها، والقطعية في فهم دلالاتها؛ حيث لا يحوم حولها أدنى ريب، ولا يتطرق إليها أقل شبهة، سواء من جهة الورود (الطريق)، أو من ناحية الدلالة (المعنى)<sup>(1)</sup>. لأن الموضوع متعلق بأعظم نعمة وقضية للإنسان في حياته، إلا وهي "الإيمان"؛ الذي على أساسه يبني العمل، ويترتب السلوك. ويتتأكد التمسك بنصوص الوحي البيتية، خاصة إذا تعلق الموضوع بأعظم أركان الإيمان، وهو: الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر. غالباً هذه اليقينيات الإيمانية، نجد لها محفوظة بحمد الله في كتابه العزيز، الذي ﴿ لَآيَاتِهِ الْبَطِلُ مِنْ بَنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنَزِّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾<sup>42</sup> (فصلت). إنه القرآن الكريم، مصدر "الرحمة"<sup>(2)</sup> الأولى. ومن تحليات رحمته أن يسره مُنزله للذكر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَرَنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴾<sup>17</sup> (القمر).

(1) ذهب مجاهير علماء الأمة سلفاً وخلفاً إلى أن العقيدة ثمرة اليقين، واليقين يثبت بالدليل القطعي المأمور من القرآن ومتواتر السنة، وأن حديث الأحاديث يوجب العمل (في الفروع الفقهية) ولا يفيد العلم (أي القطع، في الأصول العقدية)، للتفصيل في المسألة ينظر: سعيد بن مبروك القنوي: السيف الحاد، في الرد على من أخذ بحديث الأحاديث في مسائل الاعتقاد، ط 3، دم، 1418هـ. (كله).

(2) كم آية تصف القرآن الكريم بأنه "رحمة"؛ فهو رحمة: "للمحسنين" (للممان 03-01)، "للمسلمين" (النحل 89)، "للمؤمنين" (الإسراء 82، النمل 77)، "القوم يوم منون" (الأعراف 52، 203)، "القوم يوم قرون" (الجاثية 20).

ولتتحقق رحمة القرآن فينا ونجني ثمارتها، فأول ما ينبغي لنا تجاهله: الاستماع له والإنصات: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾<sup>(204)</sup> (الأعراف)، ليعيتنا ذلك على تليره والتذكرة به، والعمل بأحكامه واتباع مراسده: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَرَّكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾<sup>(155)</sup> (الأنعام). فلنصنف الآيات الكتاب المبين، لنعرف ما هي الأسباب الموجبة لرحمة الله التي كتبها سبحانه على نفسه؟ ومن هم الذين يشاء الرحمن عز وجل أن يرحمهم في الدنيا والآخرة؟ وما هي شروط مغفرة الذنوب وتکفير السيئات، على ضوء صريح الآيات اليتىات<sup>(1)</sup>؟

### 01/ الإيمان:

قال تعالى: ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْصَمُوا بِهِ فَسَيِّدُ خَلْقِهِمْ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِ وَهَدِيرِهِ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(175)</sup> (النساء). ﴿لَيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِنَّ تَحْرِيرٍ مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلَدِينَ فِيهَا وَنُكَّبَ قَرْعَنْهُمْ سَيَّتَاهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(5)</sup> (الفتح). ﴿وَبَتُّوَّتِ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(73)</sup> (الأحزاب). ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضَهَا كَعْرُضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوَتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(21)</sup> (الحديد). ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَمْ يَعْرِفُونَ بَيْنَ أَحَدِي مِنْهُمْ وَأُولَئِكَ سَوقَ نُوتِيَّهُمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(152)</sup> (النساء)

وقال الحكيم سبحانه على لسان أولئك التفر من الجن المندررين قومهم بعد أن سمعوا كلام الله تعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَقُولُونَ أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَعَامِنُوا بِهِ يَقْرَأُ لَكُمْ مِنْ دُوْيِكُمْ وَيُحِرِّكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ﴾<sup>(31)</sup> (الأحقاف). لكن، هل تدل هذه الآيات الشريفة: على أن المولى عز وجل يرحم ويتوب، ويکفر السيئات ويعذر الذنوب...

(1) اعتمدت في جمع الآيات أساساً على: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بخاتمة المصحف الشريف، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ - 2001م.

عن أهل الإيمان مطلقاً؛ أي عن جميع من أقرَّ الله بالوحدانية، واعترف لأنبيائه بالرسالة، بلا استثناء ولا تقيد؟ إذن، فماحقيقة الإيمان الشرعي الموجِّب للرحمة الأخرى؟<sup>(1)</sup> وما صفات أولئك المؤمنين حقاً، الذين وعدهم الله مغفرة الذنوب وكيفية تكثير السيئات؟

فلنرجع إلى القرآن الكريم ليهدينا بنوره المبين إلى الجواب الشافي: ﴿إِنَّمَا الْمُعْمَلُونَ  
الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوكُمْ وَأَنفَسِهِمْ فَسَبِيلُ اللَّهِ أُولَئِكَ  
هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(15)</sup> (الحجرات).

نلحظ في بداية الآية الكريمة، حصر وصف المؤمنين بأداة ﴿إِنَّمَا﴾ في الذين: لم يرتباوا في اعتقادهم، وترجموا ذلك بالجهاد في سبيل مرضاة الله بماله والنفس وكل نفسيه. ثم نلحظ في ختام الآية حصر الصدق في ادعاء الإيمان في الموصوفين بهذه الصفات دون سواهم، بأسلوب الحصر أيضاً: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. ودللت آيات أخرى من سورة أخرى على أن المؤمنين الذين وعدهم الرحمن جل وعلا مغفرة الذنوب، ودخول الجنات هم: هؤلاء المجاهدون في سبيل مرضاته دون غيرهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا هُلَّ أَدْلُكُمْ عَلَىٰ تَبْرُقَ شُجُّوكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْآيَمِ﴾<sup>(10)</sup> **﴿فَوْمَعْنَوْنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمُنْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
يَأْتُوكُمْ وَأَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(11)</sup> **﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّتَ مَجْرِيَهَا  
الآتَهُرُ وَمَسْكِنَ طَيْبَةَ فِي جَنَّتَتِ عَدْنَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(12)</sup> **﴿وَأَخْرَىٰ تُحْبِبُهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفُتحٌ فَرِيبٌ  
وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(13)</sup> (الصف)<sup>(3)</sup>.******

<sup>(1)</sup> قلت هنا الرحمة الأخرى؛ لأن الرحمة الدنيوية تشمل جميع المؤمنين: المؤمنين منهم وغير المؤمنين، كما تسمى غير المؤمنين مطلقاً.

<sup>(2)</sup> وذلك بتعریف المسند والممسند إليه، وتوضیط ضمیر الفصل بينهما، كما هو وارد في بعض الآيات. أحمد بن حمد الخليلي: شرح غایة المراد في نظم الاعتقاد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مكتب الإفتاء، سلطنة عمان، الطبعة 1، 1434هـ 2013م. ص 99. وانظر (للمؤلف نفسه): برهان الحق، دراسة معتمدة في تأصیل العقيدة الإسلامية ودرء الشبه عنها بالأدلة العقلية والنقلية، الكلمة الطيبة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة 2، 1438هـ - 2017م. ج 1 / ص 50.

<sup>(3)</sup> لنلاحظ كيف ختم الحکیم عز وجل هذه الآيات الكريمة بتبشير "المؤمنين"؛ ولم يقل: "وبشر =

ومن أنسع الآيات في بيان صفات المؤمنين الحقيقين، الذين حصر فيهم الكريم وعدله بمغفرة الذنوب -بأداة **(إنما)**، وصيغة **(أولئك هم)** أيضاً: ما جاء في أوائل سورة الأنفال: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحَلَّتْ قُوَّتُهُمْ وَإِذَا تَذَكَّرَ عَلَيْهِمْ إِذَا يَتَّهُمُونَ** **زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** **الَّذِينَ يُقْسِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يُفْعِلُونَ** **أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**. فآيات الأنفال جمعت بين حصرتين: حصر في أولها بـ **(إنما)**، وحصر في آخرها بتعریف المسند والمسند إليه، وتوضیط ضمیر الفصل بينهما، في قوله: **(أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)**، وهو ما يدل على أن هؤلاء وحدتهم هم الأحریاء بوصف الإيمان<sup>(1)</sup>.

وفي سورة التوبة أيضاً يفصّل لنا المولى سبحانه وتعالى صفات المؤمنين الذين وعدهم بنيل رحمته، ودخول دار كرامته:

**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَاءُهُ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيِّدُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ مَجْرِيَّهُمْ أَنَهُرٌ خَلِدِينَ فِيهَا وَمَسَكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدِينَ وَرَضْوَانٌ** **مِنْ اللَّهِ أَكَبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** **هذا، وللحظ في القرآن اقتران الاستغفار بالإيمان في عدة آيات، كقول الذين اتقوا: (الَّذِينَ يَعْلَوْنَ رَبَّا إِنَّا عَامَنَا**

**فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقَنَاعَدَابَ الْبَارِ** **(آل عمران)، وقول أولي الألباب: (رَبَّا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنَّ إِيمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَعَامَنَّا بَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِرْ**

المجاهدين، أو "وبشر المؤمنين المجاهدين" .. لماذا يا ترى؟ لعل هذا للدلالة على أن الجهاد في مرضاة

الله مشمول في الإيمان الحقيقي، والله أعلم.

(<sup>1</sup>) أحمد الخليلي: شرح غایة المراد، ص 99. برهان الحق، ج 1 / ص 50.

**عَنَّا سَيِّعَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَتْبَارِ** <sup>(193)</sup> (آل عمران)، وقول عباد الله الصالحين: **رَبَّنَا  
إِمَّا تَأْغِفْرُ لَنَا وَإِذْنَنَا وَإِنَّتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ** <sup>(109)</sup> (المؤمنون).

كما حكى المولى سبحانه وتعالى الاستغفار "للذين ءامنوا" على ألسنة ملائكته المُكرَّمين وأنبيائه المرسلين وأوليائه الصالحين؛ من ذلك: دعاء حملة العرش: **الَّذِينَ  
يَحْمُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَسَتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا** <sup>(1)</sup> (غافر)، ودعاء سيدنا نوح عليه السلام: **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَنِي  
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارِ** <sup>(28)</sup> (نوح)، ودعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** <sup>(41)</sup> (إبراهيم)، وأمر سبحانه خاتم رسالته بالاستغفار للمؤمنين في قوله: **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَلِيلَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...** <sup>(19)</sup> (محمد)، وأورد لنا سبحانه استغفار المؤمنين، التابعين بإحسان لنهج من سبقهم من الأولين في موكب الإيمان: **وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَإِلَّا حَوَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا  
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** <sup>(10)</sup> (الحشر). وإذا تأملنا سياق هذه الآيات، تبين لنا أن استحقاق المغفرة لأهل الإيمان، إنما هو خاص بالمتقين المؤمنين بعهد الرحمن.

ولنأخذ نموذجين من تلکم الآيات السابقة، التي فصّلت لنا صفات أولئکم المؤمنين، من خلال دعاء حملة العرش، وداعء من جاء من المؤمنين التابعين بإحسان لمن سبقهم. قال سبحانه في حملة العرش من ملائكته الكرام عليهم السلام الذين يستغفرون للذين آمنوا -سائلين الله أن يرحمهم، ويقيهم السیئات-: **الَّذِينَ يَحْمُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ،  
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَسَتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا** <sup>(1)</sup> (الذين ءامنوا) <sup>(1)</sup> وصف مُجمل، وكلنا يدعى بالإيمان، فما هي الأوصاف التفصيلية لهؤلاء الذين آمنوا يا ربنا، حتى نأتي بها وتحقق لنا استغفار الملائكة؟ يبيّن لنا ربنا -الرؤوف بنا- ثلاثة أوصاف

أساسية لمؤلاء الذين ءامنوا، استحقوا بسببها استغفار الملائكة، وهي: التوبة، اتباع سبيل الله (وهو صراطه المستقيم)<sup>(1)</sup>، والصلاح<sup>(2)</sup>. وذلك فيما حكاه الله عز وجل من دعاء حملة العرش: ﴿...رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلذِّينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾<sup>7</sup> رَبَّنَا وَادْخَلْهُمْ جَنَّتَ عَدْنِ أَلَيْهِ وَعَدَتْهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنَ ابْأَيْهِمْ وَأَرْوَجَهُمْ وَدَرِيَّتْهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>8</sup> وَقَهْمُ السَّيَّئَاتِ<sup>9</sup> وَمَنْ تَقَ السَّيَّئَاتِ يَوْمَ إِذْ فَقَدَ رَحْمَتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ<sup>10</sup>﴾ (غافر).

وقال سبحانه في أولئكم المؤمنين الذين اقتدوا آثار من سببهم في منهج الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَّا خَوْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>10</sup> (الحشر).

وبين لنا سبحانه قبل هذه الآية الصفات التفصيلية لأولئكم المؤمنين السابقين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِتَغْفِرَةٍ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَنَا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>8</sup> وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقَّعْ سُحْنَ نَفْسِهِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ<sup>9</sup>﴾<sup>9</sup> (الحشر) لعل أهم وصف لمؤلاء السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار -والذي يشمل بقية الأوصاف، ويدخل فيه كل خير وير هو: نصرة الله تبارك وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(3)</sup>.

(1) وقد بين تعالي كيف يكون اتباع صراطه المستقيم في قوله: ﴿قُلْ إِنَّهُمْ بَدِينُ رَبِّنَا الْصَّرَاطُ مُسْتَقِيمٌ دِيَنًا قَيِّمًا مِلَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>161</sup> ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾<sup>162</sup> ﴿الْأَشْرِيكَ لَمْ يَرِدْ إِلَّا أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>163</sup> (الأنعام). "أحمد الخليلي: برهان الحق 8/300. فاتياع المسلم لصراط الله المستقيم لا يكون في بعض الحالات دون بعض؛ وإنما هو اجتهاد في الاستقامة الدائمة على منهج الله مدى الحياة، حتى يأتيه اليقين (الموت).

(2) أحمد الخليلي: برهان الحق 8/ 298 - 301.

(3) يَسَّرَ لِنَا آياتُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ صَفَاتُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سَبَّاحَهُ:

## 2) الصلاح، أو العمل الصالح:

حكى الحقُّ سبحانه دعاء سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنَّ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى الَّذِي وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلَاتِحَارَضِبَهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الْصَّالِحِينَ﴾<sup>19</sup> (النمل). وذكر الحكيمُ سبحانه إدخاله لعبده سيدنا لوط عليه السلام في رحاب رحمته، معللاً ومؤكداً أنه من الصالحين: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾<sup>75</sup> (الأنياء). كما علل عزٌّ وجلٌّ بسبب الصلاح أيضاً إدخالَ غيره من الأنبياء عليهم السلام، حيث قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلُّهُمْ مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾<sup>85</sup> وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾<sup>86</sup> (الأنياء). وهذا العنصر (الصلاح) هو مشمول فيحقيقة الإيمان الذي رأيناها آنفاً<sup>(1)</sup>، كما أنَّ مدلول الإيمان الحق يتضمن العناصر المقبلة في شروط الرحمة وموجبات المغفرة.

﴿وَلَيَسْتَرِّبَكَ اللَّهُ مِنْ تَعْصِيرِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْقَوْىُ عَزِيزٌ﴾<sup>40</sup> (الذين إن مكثُهم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاقُوا الْرَّكْوَةَ وَأَسْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِنْقَةُ الْأَمْرِ﴾<sup>41</sup> (الحج). ونصرةُ الرسول صلى الله عليه وسلم لا تخرج عن نصرة الله سبحانه، كما أنَّ ﴿مَنْ يُطِعْ رَسُولَ فَقَدَّ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء 80)؛ بل إنَّ إمامتنا صلى الله عليه وسلم هو الذي يعلمُنا كيف ننصر الله تعالى؟ وقد بين لنا عزٌّ وجلٌّ صفات الذين يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم وينصرُونه في قوله: ﴿فَسَأَكِّتُ تَبَّهًا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُبَوِّئُونَ الْرَّكْوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِنَّنَا لَوْمَتُنَّهُمْ﴾<sup>156</sup> (الذين يتبعونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ الَّذِي يَجْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرِيدَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَأَمْرُهُمْ مَالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا مِنِ الْمُنْكَرِ وَيَحْلِلُ لَهُمُ الظَّبَابَتَ وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ وَيَضْعُعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ مَأْمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّسَعَ الْتَّوْرَ اذْنَتْ أَنْزَلَ مَعَهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>157</sup> (الأعراف).

(1) يبَنِي العنصر السابق أنَّ الإيمان الشرعيَّ الموجب للرحمة الأخروية والمغفرة الإلهية يستلزم العمل الصالح، وهذا لا يتنافي مع أصل الإيمان في الاصطلاح الشرعي؛ والذي يعني: التصديق القلبي بالثابت من الدين.

والعلاقة في هذا المفهوم بين "الإيمان" و"العمل" تشبه العلاقة بين بعض الألفاظ المترادفة -كلفظي الفقير والمسكين-؛ فإذا ذكرنا معاً كان تقيداً أو عطفاً للخاص على العام، وإذا ذكر أحدهما نضمن الآخر. مصطفى بن الناصر وينت: آراء الشيخ احمد بن يوسف اطفيش العقلية، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، ط1، 1417هـ - 1996م، ص 282. أحمد الخليلي: برهان الحق / 1 - 87 - 90.

وفي آي القرآن عدّة مواضع تذكر العمل الصالح مقورونا بالإيان، وتجعل الإitan بهما سبباً لنيل الأجر والرّحمة والغفران:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ رَبِّهِمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُمِينُ﴾ (الجاثية). ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلُهُ جَنَّتِنَا نَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التغابن). ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَّمْ﴾ (محمد). ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا نَجْزِي نَهْمَمُ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت). ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الحج). ﴿لَيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سبا). ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (فاطر). ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَرَّفُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (هود). ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة).

وقد يُبيّن لنا المولى سبحانه وتعالى في عدّة آيات، أنواعاً من الأعمال الصالحة، التي بسببيها يغفر الذنوب ويکفر السيئات، ومن أجمع تلکم الآيات لمختلف الأعمال<sup>(1)</sup> -مع ترتيب المغفرة جزاءً لها في المال- آية الأحزاب الجامعة بين النساء والرجال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَاتِ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِيقَاتِ وَالصَّدِيرِينَ وَالصَّدِيرَاتِ وَالخَشِيعِينَ وَالخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّنِيمِينَ وَالصَّنِيمَاتِ وَالْحَفَظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَفَظَاتِ وَالذَّكَرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكَرَاتِ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأحزاب).

(1) أعمال القلب واللسان والجوارح، أو العقائد والعبادات والمعاملات..

نلحظ في هذه الآية الكريمة كيف ذكر الجنسين معاً - الذكور والإناث - في كلّ عمل صالح، وهذا من تمام فضل الله ورحمته، وقد بين لنا عزّ وجلّ رحمته هذه - الشاملة للجنسين - في عدة آيات، منها: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ أَنَّهُ لَا يُضِيعُ عَمَلَ عِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نِسْنِي بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِهِ وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا لَا كُفَّرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثُوَّابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: 195).

### 03/ الوفاء بعهد الله وميثاقه<sup>(1)</sup>:

هذا العهد أو الميثاق هو العبودية لله تعالى، وشعار العبودية "لا إله إلا الله". والعبادة الخالصة لله سبحانه هي المقصد الكلي الأعظم من: خلق الله لنا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ (الذاريات)، وإرسال الرسل إلينا: ﴿وَمَا أَنْسَنَكَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ﴾ (النحل). فهي الأمر الأكبر الذي كلف به سبحانه جميع الأمم في الشرائع السابقة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْتُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظُّلْمَوْتَ﴾ (النحل).

فمثلاً، نبأنا العليم الخبير عن أهل الكتاب - ونحن أيضاً مشمولون بهذا الأمر والخطاب - : ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءٌ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنُوِّا الْزَّكُوْنَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البيتنة: 5).

وفي موضع آخر خطاببني إسرائيل، أمر الله إبراهيم بالوفاء بعهد العبودية لل العلي الجليل: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي أَلَّا تَنْعَمُ عَلَيْكُمْ وَأَفْفُوا بِعَهْدِهِ أَوْ فِي يَعْهِدِكُمْ وَإِنَّى

(1) من اهتم بالموضوع: سعيد بن يحيى وبرو: هكذا فهم الصحابة الإسلام: مفاهيم أساسية، وتفاصيل عميقة، عن كلمة التوحيد ومقتضياتها في سلوك المسلم، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية، الجزائر، الطبعة 1، 1440هـ - 2019م.

**فارهُونَ** (البقرة). إذا كان وفاؤنا بعهد الله يكون بـ: اتباع وحيه المترّل، وطاعة نبيه المرسل، والإيتان بما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر،... فكيف يكون وفاء الله بعهدهنا؟

يُجيئنا الله سبحانه ببيان قانونه العادل وستته الماضية في جميع الأمم، ومنهم بنو إسرائيل -ونحن المسلمين لسنا بمعزل عنهم- : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعْثَنَا مِنْهُمْ بَأْشَنَّ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَيْنَ أَقْمَتُمُ الظُّلْمَةَ وَأَقْتَلْتُمُ الْكَوَافِرَ وَأَمْتَمْتُ بُرُّسِيلَ وَعَزَّزْتُ شُوَهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَا كَفَرَنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَلَا دُخْلَكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَانَهُرْ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ صَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ ﴾ (المائدة). <sup>40</sup>

إذن، من أهم ثمرات الوفاء بهذا الميثاق الإلهي الغليظ: معية رب الأرض والسماءات، مغفرة الذنوب وتکفير السيئات، (وهذا محل الشاهد في موضوعنا)، النجاة من النيران والفوز بالجنة.

وفي اقتران الوفاء بعهد الله وميثاقه بمغفرته ورحمته سبحانه، يمكن أن نستشهد بما عاهد عليه سلفنا وسادتنا الصحابة الكرام رضي الله عنهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء<sup>(1)</sup>، حيث بايعوه على القيام بحق ميثاق العبودية (لا إله إلا الله)، بأداء الواجبات، والانتهاء عن المحرمات، قال تعالى: في شأن بيعة المؤمنات ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِي هُوَ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَيِّنَكَ عَلَىٰ أَنَّ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقُ فَنَ وَلَا يَرْتَنِ فَنَ وَلَا يَقْتُلُنِ فَنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِنَ بِمُهْمَنَ يَقْتَرِيَهُ وَبَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبِأَيْمَانِهِنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المتحنة). نلحظ أن الحكيم عز وجل ختم الآية الكريمة بالتعليق والتاكيد على اسميه الحسنيين: ﴿ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، ليذكرنا بأن ثواب الوفاء بعهده وميثاقه، هو: مغفرة ذنبينا والدخول في رحاب رحمته.

(1) سعيد ويرو: هكذا فهم الصحابة الإسلام، ص 28 فما بعدها.

وبيّن لنا المولى سبحانه وتعالى أن الموفين بعهده وميثاقه -الموعودين بعفته وثوابه-، هم: أولوا الألباب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولُوا الْأَلْبَاب﴾<sup>19</sup> (الذين يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ أَيْسِيقَةً﴾<sup>20</sup> (الرعد). وفصل لنا الوهاب صفات أولى الألباب، في هذه الآيات وغيرها من محكمات الكتاب، حتى نجتهد في التحلي بها كأحسن ثياب، ومنها آية آل عمران، التي مر ذكرها قبل الآن، وفيها صور لنا الحق سبحانه جزاءهم بقوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّ لَا أُضِيعُ عَمَلَ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْبَىءُ بَعْضَكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَا جَرَوْا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَيِّلٍ وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كُفَّارَنَ عَنْهُمْ سَيِّقَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَهُمْ جَنَّتٍ تَحْرِيَهُمْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْثَّوَاب﴾<sup>21</sup> (آل عمران).

#### طاعة الله تعالى، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحبتهم:

إذا كان الله سبحانه يصف ذاته العلية: بالرحمة والرأفة، والعفو والمغفرة...، وإذا كان المولى قد حصر تعليمه لإرسال صفيه صلى الله عليه وسلم في الرحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>22</sup> (الأنياء)، ووصفة بالرحمة والرأفة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>23</sup> (التوبية)، فلا ريب أن من أعظم أسباب الرحمة والمغفرة في الدنيا والآخرة: حبّة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ والتي تصدق بطاعة أمرهما، واتباع نهجهما، والتمسك بنور الوحي المُنزَل، والسلوك في سبيل النبي المُرسَل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُ تَعْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُ فِي يَحِبْكُمُ اللَّهُ وَيَقْرَئُ لَكُمْ دُنْيَاكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ تَّحِمَّلُهُمْ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>24</sup> (آل عمران). ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>25</sup> (آل عمران). ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكُوْةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>26</sup> (النور). وإن

**تُطْهِيْعُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا يَلْتَكُم مِنْ أَعْدَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌ رَحِيمٌ** ﴿١٤﴾ (الحجرات).  
**وَرَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الْزَكْوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴿١٥٦﴾ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِينَ الَّذِي يَعِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْهُمْ فِي التَّوْرِثَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحَلِّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابِ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ كَامِنُوا إِلَيْهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿١٥٧﴾ (الأعراف).

وهؤلاء الذين يقدرون مقام النبي صلى الله عليه وسلم، ويعزرونه ويوقرنه - فلا يرفعون أصواتهم في حضرته، ولا يقدموه حكماً بين يديه - وصفهم الله بتقوى قلوبهم، ووعدهم بإعطاء الأجر ومغفرة ذنبهم: **إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُبُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْ دَرَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ إِمْتَحَنَ اللَّهُ مُؤْمِنُهُمْ لِتَنْبُؤُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴿٣﴾ (الحجرات).

## 05/ اجتناب كبار المنهيات:

قال تعالى: **إِنْ تَحْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سِيَّعَاتَكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا** ﴿٣١﴾ (النساء). **وَبَخْرِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَثِيرًا أَثْمَمْ وَالْفَوْحَشَ إِلَّا اللَّمَّا إِنَّ رَبَّكَ وَسَعَ الْمَغْفِرَةَ** ﴿النجم﴾. **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَإِبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴿٣٦﴾ **وَالَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَثِيرًا أَلَاثِمَ** (الشورى)<sup>(١)</sup>. وخير ما عند الله وأيقاه: مغفرة ربّه ورضوانه ورحمه.

(١) يَسَّرَتِ الآيَاتُ أَنَّ "خَيْرَ مَا عِنْدَ اللَّهِ" هِيَ رَحْمَتُهُ: **وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمِعُونَ** ﴿٣٢﴾ (الزخرف)، **قُلْ يَنَصِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ فَلَيَمَرُّوْهُ أَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمِعُونَ** ﴿٥٨﴾ (يونس)، **وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمَّثِّلُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمِعُونَ** ﴿١٥٧﴾ (آل عمران). وقد فسرت الرحمة الإلهية الواردة في مثل هذه الآيات -حسب سياق كل آية- بما يشمل رحمة الدنيا والآخرة، ومن أهم

وقد أشار العلماء إلى دقة التعبير القرآني في هذه الآيات؛ فالله تعالى لم يقل: "إن تجتنبوا الكبائر"، وإنما قال: ﴿كَبَّايرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، ليُشِّعِّرُنا أنَّ ما دون الكبائر (من الصغائر) هي أيضًا أثام ومنهيٌ عن الواقع فيها، وإن كانت مغفورةً باجتناب كبائرها، فالكبائر هي كبائرٌ بالنسبة لما دونها. والأصل في المؤمن البصير أن يجتنب كلَّ ما يؤدّي إلى خالفة أمر الخير، دون تفريق بين جليل وحغير.

### المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع. (برنامج الكتروني).
- البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي القطب وهشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1423هـ - 2003م.
- الخليلي، أحمد بن حمد: شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مكتب الإفتاء، سلطنة عمان، الطبعة 1، 1434هـ 2013م.
- الخليلي، أحمد بن حمد: برهان الحق، دراسة معمقة في تأصيل العقيدة الإسلامية ودرء الشبه عنها بالأدلة العقلية والنقلية، الكلمة الطيبة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة 2، 1438هـ - 2017م.
- الزحيلي، وهبة: التفسير الوجيز، على هامش القرآن العظيم، ومعه أسباب التزول وقواعد الترتيل، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 5، 1427هـ.
- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بجاشية المصحف الشريف، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ - 2001م.
- القحطاني، سعيد بن علي: مكفرات الذنب والخطايا وأسباب المغفرة، من الكتاب والسنة، ضمن سلسلة مؤلفات سعيد القحطاني، رقم 105. نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، ضمن سلسلة رسائل سعيد القحطاني، رقم 89، (pdf).

تلك التفسيرات: الإسلام، القرآن، النبوة واتباعه صلى الله عليه وسلم، الثواب والجنة. د. وهبة الزحيلي: التفسير الوجيز، على هامش القرآن العظيم، ومعه أسباب التزول وقواعد الترتيل، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 5، 1427هـ. ص 71، 216، 492. وهي تفسيراتٌ يستلزم بعضها بعضاً، وتؤدي إلى نتيجة واحدة.

- 8- القرضاوي، يوسف بن عبد الله: **الصبر في القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1410هـ . 1989م.
- 9- القنوي، سعيد بن مبروك: **السيف الحاد في الرد على من أخذ بحديث الأحاديث في مسائل الاعتقاد**، ط3، د، 1418هـ.
- 10- متوسطة عمي سعيد: **التربية الإيمانية، السنة الثالثة من التعليم المتوسط**، ط1، 1438هـ . 2016م.
- 11- مركز تفسير للدراسات القرآنية : **موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، دراسة موضوعية لـ (354) موضوعاً قرآنياً، إشراف وتحريك: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة 1، 1440هـ - 2019م. (الموقع الإلكتروني).
- 12- مركز المناهج للإشراف والتدريب التربوي: **القرآن تدبر وعمل (بهاشم المصحف)**، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط8، شعبان 1439هـ.
- 13- ويرو، سعيد بن يحيى: **هكذا فهم الصحابة الإسلام؛ مفاهيم أساسية، وتفاصيل عميقة**، عن **كلمة التوحيد ومقتضياتها في سلوك المسلم**، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غردية، الجزائر، الطبعة 1، 1440هـ - 2019م.
- 14- ويتقن، مصطفى بن الناصر: **آراء الشيخ احمد بن يوسف اطفيش العقدية**، نشر جمعية التراث، القرارة، غردية، ط1، 1417هـ - 1996م.



# المهن والحرف العائلية بوادي مزاب

## مهنة «الجازارة» نموذجاً

أ. د/ يحيى بن بهون حاج احمد  
مخبر التراث الشعائفي والأدبي بالجنوب الجزائري  
كلية الآداب واللغات، جامعة عرداية  
[yahiabenbouhou@yahoo.fr](mailto:yahiabenbouhou@yahoo.fr)

### مـ مـاـخـصـ :

يُعرف وادي مزاب من خلال مجتمعه البشري التي اشتهرت في قطاع التجارة منذ قديم الزمان، ويتميز توزيع التركيبة البشرية لقصور وادي مزاب السبعة بتتنوع المهن والحرف التقليدية، حتى اشتهرت وتفرّدت بعض قصور وادي مزاب ببعض المهن دون أخرى، كما تميزت ألقاب عائلية ونسبة إلى المهن التي اشتهرت بها كعائلة فخار وحداد في كلّ من مليكة وبني يزجن.

وبلدة تجنينت (العاطف) أم قرى وادي مزاب التي تأسست سنة 402 هـ / 1012م، لا تزال تنبض بالحياة والعطاء في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية...، اشتهر أهلها بمهنة الجزاررة منذ قديم الزمان، وهي المهنة التي يتوارثها معظم سكانها دون سكان قرى مزاب الأخرى، وعرفت بهذه الحرفة عائلات امتلكت كبرى محلات في العاصمة منذ عقود طويلة من الزمن، وتعد تلك المحال مدارس لتعليم هذه المهنة جيلاً بعد جيل.

ولسكان بلدة تجنينت تاريخ حافل مع حرفة الجزاررة منذ العهد التركي، ثم خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وبعد استقلالها إلى اليوم، وهم يحافظون على هذه المهنة ويطورونها، وقد تميزوا بها أينما حلوا، وفتحوا محلاتهم لممارسة هذه الحرفة داخل الوطن وخارجـهـ.

الكلمات المفتاحية: المهن والحرف؛ مزاب؛ تجنينت؛ الجزاررة.

**Title:** Professions and Family crafts in M'zab valley; butchery Profession as a model

### **Abstract:**

M'zab Valley is known for its human characteristic, which has been famous in the trade sector long time ago. The distribution of the human composition of the seven M'zab valley is characterized by a variety of occupations and traditional crafts. Some of K'sours (village in other word) of M'zab valley were famous for their specific occupations, as in case of (Haddad and fekhar family) in Malika and Beni Yazgen at consecutive.

However, in the village of Tajnint (El-Atteuf) the first founded village of M'zab Valley in in 402 AH / 1012 AD, is still alive and active in different aspects of life. Their inhabitants were famous among other villages for being working in the butchery trade since ancient times. This craft is inherited by most of Tajnint population exclusively without the other inhabitants of M'zab Valley. The families who worked in the butchery owned the large stores in Algiers for decades and their stores were regarded as schools in term of teaching this craft, generation after generation.

The inhabitants of Tajnint had a long history with the butchery trade since the Ottoman era, during the period of the French colonisation and after the independence. They maintain and attempt to promote this craft, for, they were distinguished wherever they went and opened their stores to practice this craft inside and outside Algeria.

**Key words:** professions and crafts - M'zab - Tajnint - butcher.

### **وادي مزاب الإنسان والمحال.**

#### **أ- التضاريس:**

تقع منطقة وادي مزاب شمال صحراء الجزائر، معدل ارتفاعها عن سطح البحر بـ 468 مترا، ومتاز بطبيعتها الصحراوية الجافة، وهي تحتوي في تركيب تضاريسها على بعض المنخفضات المتمثلة في الحمادات، وعلى بعض الهمضيات الصخرية المتقطعة، والتي تكون من طبقات كلسية تخللها وديان عميقه متشعبه ومتدخلة، لذا سميت ببلاد الشبكة، ومن أهم هذه الأودية: وادي مزاب - واد النساء - واد زفير - واد متليلي - وادي بلوح - واد السودان - واد الأبيض .. وغيرها.

**بــ المناخ:**

مناخ المنطقة صحراوي شبه مداري جاف، يتميز بحدى حراري كبير جداً بين النهار والليل، وبين الصيف والشتاء والتي تقدر بـ  $19^{\circ}$  تقريباً، تصل درجة الحرارة في فصل الشتاء بين  $06^{\circ}$  و  $18^{\circ}$  مئوية، أما في فصل الصيف تصل بين  $24^{\circ}$  و  $48^{\circ}$ ، وفيما ينحصر نسبة الرطوبة فهي ضعيفة جداً، ونسبة تساقط الأمطار فهي ضعيفة أيضاً، بحيث يصل معدل التساقط السنوي إلى 60 ملم.

**جــ اللسان المزايــي:**

المزايون أو بني مزاب ببرير وهم بني مصاب أو مزاب، ولغتهم المزاية، بطن من زناتة كما يرى ابن خلدون وأخرون: "وقصور مصاب سكانها إلى هذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زرداً فيما انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب"<sup>(1)</sup>، وقد بُنوا العديد من القرى على ضفاف واديهم، منها ما اندر ومنها ما لا يزال عامراً إلى اليوم، أما الحاضر منها فقرى: تَجْنِيَّتْ (العاطف)، آتْ بُنُورْ (بنورة)، آتْ يَسْجَنْ (بني يزفن)، تَعْرِدَيْتْ (غرادية)، آتْ مُلِيشَتْ (مليبة)، آتْ إِبْرَقَانْ (بريان)، و تَفَرَّارْ (القرارة)، وإن كانت بريان والقرارة بعيدتان نسبياً عن وادي مزاب، ولكن سكانها يتكلمون المزاية وتربطهم بسكان الوادي أواصر القرابة والمذهب.

واللغة المزاية أصلها زناتية، وهي قرية جداً من الفوارية والشاوية والشلحية والنقوسية، ومن خصائصها الابتداء بالساكن كقولهم: (ثمارت) للحية، و(ثقويت) للشمس، ومن خصائصها أيضاً اجتماع ساكنين أو أكثر كما في المثالين السابقين، وتأءيد التأييث تكون في أول الاسم مثل (ئوئيئست) للبقرة، وقد ترد في آخره (ئوارت) للبؤة...

والمزاية غنية بالتركيب المتناسقة والمفردات الجزلة والعميقة، وغنية بالأمثال والكتابات التي من شأنها الإيجاز، وما يعني عن كثرة الكلام، كما أن في المزاية شعر مناسبتي كثير، وهو للرجال والنساء والأطفال.

هذا وإن اللغة المزاية قد تأثرت كثيراً باللغة العربية لغة القرآن الكريم، وقد استطاع المزايون صياغة الكثير من المفردات العربية على قواعد لغتهم فانسجمت معها بشكل

(1) احمد بن يوسف أطفئش، الرسالة الشافية، طبعة حجرية، د.ت، ص35

كبير حتى صارت جزءا منها، وقد لا يتتبه إليها إلا من دق النظر فيها، فكلمات: أَرْمِي، ضُرَّالِيتْ، أَمْبَارَشْ.. أصوتها عربية، وتعني على الترتيب: الصوم، الصلاة، المبارك<sup>(1)</sup>.

أما تأسيس القرى المعروفةاليوم فقد تأخر إلى القرن الخامس الهجري، وقد اعتنق سكانها البربر الإسلام وسبقت إليهم آراء المعتزلة فأخذوا بها ثم صاروا إباضية بعد ذلك، وتأسيس قصور وادي مزاب كان على مراحل: ظهرت خمس قرى عبر كامل سهل وادي مزاب، وذلك خلال ثلاثة قرون ونصف من القرن 11م إلى القرن 14م، لا تزال قائمة إلى اليوم بالرغم من قساوة الطبيعة وقلة الإمكانيات، وهي على التوالي:

- ئَجْنِيْتْ "العطف": أول القرى تأسيسا سنة (402هـ / 1012م).
- آتْ بُنُورْ "بونوره": في (457هـ).
- ئَعْرَدَيْتْ "غرداية": في (477هـ).
- آتْ إِزْجَنْ "بني يزقن": في (729هـ).
- آتْ مَلِيشَتْ " مليكة": في (756هـ).

- قصور المنية، ومتميللي، والقرارة في (1040هـ)، وبريان (1060هـ).

يتوسط كل قرية من قرى مزاب المسجد وتلتقي حوله المنازل بشكل هرمي، وتوجد في أغلب القرى مكتبات علمية خاصة وعامة ثرية بالخطوطات، كما شهد مزاب نبوغ مجموعة كبيرة من أبنائه في فنون المقول والمعقول، شهد لهم العالم الإسلامي بالرسوخ في العلم<sup>(2)</sup>.

## 1- خصائص النظام المحلي للحرف والمهن عند جماعة بني مزاب.

يُعرف وادي مزاب من خلال جموعته البشرية التي اشتهرت في قطاع التجارة منذ قديم الزمان، ويتميز توزيع التركيبة البشرية لقصور وادي مزاب السبعة بتنوع المهن والحرف التقليدية، حتى اشتهرت وتفرّدت بعض قصور وادي مزاب ببعض المهن دون أخرى، كما تميزت ألقاب عائلية ونسبت إلى المهن التي اشتهرت بها كعائلة فخار وحداد في كلّ من مليكة وبني يزجن.

(1) حاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية - غرداية، ط1، 1991، ص 16 - 17 بتصرف.

(2) صالح سماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، المطبعة العربية غرداية، ط1، 2005، ج 1، ص 35.

وتفق المصادر التي بين أيدينا على أنّ المزايين لما قدموا إلى الجزائر العاصمة أول مرّة، ارتبط وجودهم هنالك ببعض المهن التي احترفوها، بحيث ارتبطت كل مجموعة من هذه الجماعة بأعمال معينة وخدمات محددة، وكان يقوم على شؤون جماعةبني مزاب شخص يدعى "الأمين" يختار من بين أفرادها، ويكون على اتصال دائم بالموظفين في الحكومة المكلفين بمراقبة تلك الحرفة، واقتصرت حرفهم الأولى على إدارة المطاحن وأفران الخبز، وتسيير الحمامات، ودكاكين اللحم، والمتاجرة بالمواشي<sup>(1)</sup>...

ويرجع المؤرخ حمو عيسى النوري سرّ تفريح المزايين بعض المهن دون غيرها، إلى مشاركتهم في الدفاع عن مدينة الجزائر إبان الحملات الإسبانية عليها، ومساهمتهم التاريخية في اقتحام حصن مولاي حسن سنة 1541م، والشهير بواقعة برج بوليلية، واسترداد حامية المدينة بعد أن كاد العدو الإسباني يحتلّ العاصمة بعد أن أجهز على القصبة بدفعه المنصبة فوق ذلك البرج...، وتفاصيل تلك الواقعة مثبتة في كثير من الكتب، ليس المجال لتفصيل فيها هنا، وقد كان من التائج المحمودة بعد نهاية المعركة واندحار العدو أن قدم الداي حاكم الجزائر امتيازات للمزايين نظير مساهمتهم الفعالة، واستماتتهم في الدفاع عن مدينة الجزائر، بحيث مكنهم من المهن الآتية:

تعيين أمين لهم من أنفسهم تخول إليه وحده صلاحيات الشرطة والتراضي لديه عن كلّ دعوى بالترافع أمام هيئة اتحاد حرفهم.

استغلال حمامات المدينة، الامتياز بحرفة الجزار لأجل مراقبة الذكاة على الشريعة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

وهو ما نجد تفاصيله في كثير من المصادر التاريخية لتلك الحقبة وبعدها؛ على غرار كتاب "قانون أسواق مدينة الجزائر" لأحد أمناء ومتولّي السوق آنئذ أو بعد تلك الفترة بقليل..

وهنالك من يضيف إلى هاتين المهمتين حرفاً أخرى، كنظافة المدينة، ونقل التراب من الشواطئ بواسطة الدواب لأغراض البناء داخل القصبة...

(1) عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1696/1705م)، ترجمة: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة، الجزائر، ط1، 2012، ص 25.

(2) حمو عيسى النوري، دور المزايين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، مطبعة البعث، قسنطينة، ط2، 1999، ج1، ص 214.

ومن المصادر التاريخية أيضاً: ما ذكره سيمون بفايفر الألماني في كتاب مذكريات أو لحمة تاريخية عن الجزائر، قال ما نصه: "... المزابيون أو بنو مزاب يسكنون منطقة ميزاب التي تمتد إلى الصحراء أو تكون في بعض الأماكن جزءاً منها، ويشتغلون بالتجارة، ورئيسهم هو أمين المزابيين.

أما في مدينة الجزائر نفسها فإن لهم مكافأة لهم على هجومهم على قلعة الإمبراطور، وقتلهم للحاامية التي وضعها شارل الخامس فيها، لهم امتيازات هامة تحول لهم دون غيرهم إنشاء الحمامات العامة، والرحى...، وكذلك الاحتفاظ بما تدرّه عليهم المهن التي يمارسونها من أرباح<sup>(1)</sup>.

ومثل هذه الشهادات كثير ومتنوع، وجميعه يؤكّد الامتيازات التي حصل المزابيون بوجوها على تسيير المسالخ وامتهان حرفة الجزار، وتسيير الحمامات، وأفران الخبز... وغيرها. وما ورد في كتاب "قانون أسواق الجزائر" اتفاق بين جماعة جيجل وبني مزاب الفرائين في 1018هـ (1609م)؛ واتفاق آخر بخصوص بيع اللحوم؛ نصه: "قانون الوزاعين، البقر إذا كان من خمس ريالات لفوق لوزاعين الحصير، وإذا كان من خمس لتحت فهو لبني مزاب باش يعمر السوق، عام 1045هـ (1635م)؛ قانون: إذا كانت رميا (دفعه) من دار الإمارة بقر أو غنم فتكون بين بني مزاب والجلالين والوزاعين، لبني مزاب نصف والجلالين ربع، والوزاعين الرابع، والسلام؛ في زمام باب أحمد لاج، عام 1105هـ (1693م)<sup>(3)</sup>.

ومنه نص آخر أيضاً: "الحمد لله، دخلنا مع سي عبد الرحمن المحتب الدلاتلي على شأن الزلايبا أمعن النشا وسرحها بأربع درهم، ثم بعد أيام دخلوا إليه لمعلمين بني مزاب وحلّلوه وزاد لهم أربع درهم نشا، الحمد لله، زلايبا متع سوق الدخان عام 1113هـ (1701م).

(1) سيمون بفايفر، مذكريات أو لحمة تاريخية عن الجزائر، تعرّيف أبي العيد دودو، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1974، ص 130.

(2) عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1696/1705م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة، الجزائر، ط1، 2012، ص 62.

(3) نفسه، ص 50.

الحمد لله هذا بيان ما يأخذ المحتسب من عند بني مزاب على الشاة درهم عادة قدية، والسلام؛ وكتب الحروف عبد الله محمد بن الشويح، هكذا وجدت في الزمام القديم والسلام<sup>(1)</sup>.

وبحسب هذه النصوص وغيرها فقد كان المزابيون أرباب كثير من الحرف والصناعات، وقد تحملوا على عاتقهم ما ينجر عنها من جدارة واستحقاق مخاطر تلك الحرف التي يتقدمون لها ويتحملون ما قد يقع فيها من خسارة أو تراجع، وكان الأماء وأرباب الصنائع الملقيين بـ"المعلمين" مفرده "معلم" بسكون الميم والشدة مع الفتح على اللام والسكون في الميم الأخيرة؛ وهم القائمين على الحرف والصناعات، يبذلون جهدهم في الرفع من قيمة تلك الحرف وتطورها مع الزمان، حتى أوكلت لهم الإدارة الحاكمة في العهد العثماني بعض الامتيازات، وأسهمت في تذليل ما قد يعترضهم من العقبات، كل ذلك خدمة للصالح العام لسكان العاصمة والقادرين لها.

ولعل الحديث عمّا وقع في عهد الداي حسن باشا بخصوص حادثة صالح باي قسنطينة، وموقفه السليبي تجاه التجار المزابيين بقسنطينة يطول في هذا المقام، ولكن نقتطف منه مقطعاً من الرسالة التي أرساها وجهاء بني مزاب إلى الداي حسن باشا الدولاتلي، يطلبون منه الإنصاف وإحقاق الحقوق، وفيه إشارة واضحة إلى الاتفاقيات التي تربط بين مزاب بالسلطان العثماني في الجزائر منذ القديم وتبيّن تصديهم لختلف الصنائع والحرف بالعاصمة الجزائر خصوصاً، ومنه قوله: "... منَ الْمُسَلَّمِينَ عَلَيْكَ حُدَامِكَ وَعَبِيدِكَ جُمُوعَ بْنِي مُزَابِ، الْمُشَتَّكِينَ إِلَيْكَ مَا نَزَّلَ بِهِمْ وَحَلَّ بِأَسْمَاعِهِمْ مِنَ الْأُمُورِ الصُّعَابِ، الَّتِي لَا طَاقَةَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِلَا سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهِيَ أُلُكَ ثَرِيدُ أَنْ تَضَرِّبَ عَلَيْهِمُ الْغَرَامَةَ الْمَالِيَّةَ<sup>(2)</sup>، عَلَى يَدِ صَاحِبِ الْوَلَايَةِ الشَّرِيقَةِ، غَيْرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ<sup>(3)</sup>، وَتَرِيدُ أَنْ تُبَدِّلَ أَحْوَالَهُمُ الْمُسَطَّرَةَ مِنَ الْأَسْلَافِ وَالْأَجْدَادِ فِي الْدِيْوَانِ، مَعَ أَنَّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ لَا

(1) نفسه، ص 84.

(2) لاحظ تأدب الشيخ، فهو يخاطب الداي وكأنه هذا الأخير يوافق نواباً البالي صالح، وبالتالي فإن الشيخ إما يريد بذلك الشكایة للدai، أو دفعه ليتحقق الحقيقة إن كان لا يعلم بها.

(3) هنا إشارة إلى الاتفاقية المبرمة بين الشيخ بجيyo موسى مع خير الدين ببربروس للدفاع عن مدينة الجزائر؛ ينظر بتفصيل: الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، ص 63؛ وأحمد توفيق المدنى، حرب الثلاثمائة سنة، ص 208؛ وأيضاً: هو عيسى التوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر، ج 1، ص 205-212.

يُطاقُ وَصْفُهُ، وَلَا يُحصَى عَدُّهُ، مِنْ تَحْمُلِ الصَّنَاعَةِ<sup>(١)</sup> عَلَى عَوَاقِبِهِمْ، وَالخَسَارَةِ الَّتِي فِيهَا، الْمُطْوَقَةِ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ، وَقَدْ تَحْمَلُهَا الْمُلُوكُ الْعَظَامُ، وَالسَّلَاطِينُ الْجَسَامُ، وَسَلَمُوهَا لَهُمْ فِي السَّاعَةِ وَالْحَيْنِ، وَهَرَبُوا مِنْهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَانظُرْ يَا مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ وَالشَّانِ، وَخَمِّمْ فِيهِ بَعْيَنَ الْبَصِيرَةِ وَالْجَنَانِ، وَفِي عَاقِبَتِهِ عَلَى مَمَّرِ الْأَزْمَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَجْعَلْكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، إِلَّا لِتُزِيدَ لِقَوَانِينِ الْأَوَّلِينِ إِحْكَاماً، وَتُكَمِّلَ لِقَوَاعِدِهِمْ إِتْقَانًا وَإِبْرَامًا<sup>(٢)</sup> ...".

وقد كان حضور بي مزاب في أسواق الحرف بالعاصمة واضحاً وظاهراً مع منافسيهم، من ذلك ما نجده في كتاب قانون أسواق الجزائر: "الحمد لله، جاءت رميما (دفعه) لدار الإمارة، وبعث لمعلين بي مزاب وقال لهم خذوه وحدكم عن إذن بابا حسن، واليهود ما يخدوش، وكتب عبد الله محمد بن الحاج يوسف، عام 1110هـ" 1697م<sup>(3)</sup>.

ومنه أيضاً: "وَجَدْتُ فِي السُّجَلَاتِ الْقَدِيمَةِ أَنَّ بَنِي مَزَابَ قَدْ اتَّفَقُوا مَعَ صَاحِبِ السُّعَادَةِ، السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ -الْمَرْحُومِ بَكْرَمِ اللَّهِ- السَّيِّدِ يُوسُفِ الشُّوَيْحِتِ، وَيَحْضُرُ أَمِينُ الْجَمَاعَةِ الْمُذَكُورَةِ وَهُوَ سَعِيدُ شَرِيفِ الْحَمَامِيِّ، وَكَاتِبُ الْحُرُوفِ -الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّهِ- أَحْمَدُ بْنِ الْحَاجِ عَلَيِّ؛ أَنْ يَكُونَ الْأَمِينُ الْحَاجُ يُوسُفُ الشُّوَيْحِتُ، وَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ جَيْعاً، وَكَتَبُ ذَلِكَ فِي سُجْلِ الْقَوَانِينِ فِي غَرْةِ رَجَبِ عَامِ 1055هـ 1645م).

تم اتفاق أصحاب الحمامات على أن من يتخلّى عن كراء حمام وتولى غيره كراءه، وكان المستأجر الجديد من غير جماعة بي مزاب، لا يحق له فصل الطيّابين (الحجامين)، ولا يحاول أن يؤلّبهم عليه لتعطيل العمل بالحمام، وتم الاتفاق على ذلك، ووّقعت العقود على أن يكون استخلاص كراء الحمامات من الأرباح التي تدرّها، في سنة 1110هـ 1697م).

والمتأمل لهذه النصوص المقتبسة من هذا المصدر التاريخي الهام، لا شك أنه يسترعي انتباذه بعض الملاحظات، وقد يطرح تساؤلات عدّة حول تفاصيل الموضوع، منها: ما

(1) تأكيد على الحرف والصناعات التي كان المزابيون يتحملونها على كواهيلهم والتي دون شك كانت ترهقهم وتؤرقهم طول الوقت.

(2) ينظر: ديوان ابن بجمان، الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الشميمي اليسجني (ت: 1817م)، دراسة وتحقيق، يحيى بن بهون حاج احمد، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، ط1، 2007، ص215.

(3) قانون أسواق مدينة الجزائر، ص 85.

حمل الحرف والصناعات التي برع فيها المزاييون؟ وبما أحرزوا الثقة مع الإدارة الحاكمة آنئذ؟ وما هي الامتيازات التي عُرِفوا بها...؟ ومن الإجابات التي يمكن أن تكون ومن خلال مجموع المصادر والمراجع التي بحوزتنا، يمكن القول بأنَّ التنظيم الجماعي الحكم والانتقادات لرئيس الجماعة المنتخب، والأمانة وروح المسؤولية والجدية في العمل<sup>(1)</sup>، تعدَّ من أبرز عوامل نجاح جماعة بنـي مزاب واستقرارها في العاصمة، بل توسعـها في شرقـ البلاد وغربـها طبـلـاً للـقـمةـ الـحـلالـ، وتفـعـاً لـخـلقـ اللهـ فـيـ تـلـكـ الـبـلـادـ، وـهـوـ مـاـ أـكـسـبـهـمـ ثـقـةـ بـيـنـ الـمـعـاـلـمـينـ، عـلـىـ أـنـهـ قـدـمـواـ دـوـنـ شـكـ الـكـثـيرـ مـنـ التـضـيـحـاتـ لـيـبـرـهـنـواـ عـلـىـ أـنـهـمـ جـدـيـرـونـ بـالـثـقـةـ، وـالـثـقـةـ وـالـسـمـعـةـ الـحـسـنـةـ تـكـسـبـ مـعـ مـرـ السـنـيـنـ.

## 2- مهنة الجزارـةـ عندـ سـكـانـ بـلـدـةـ تـجـيـنـتـ نـوـذـجاـ:

يذكر المؤرخ الشـيخـ إـبرـاهـيمـ بـنـ يـحيـيـ القرـاديـ فـيـ رسـالـتـهـ حـولـ أـعـرـافـ وـعـادـاتـ وـادـيـ مـزـابـ، مـتـحدـثـاًـ عـنـ السـوقـ وـتـقـالـيدـ بـلـدـةـ تـجـيـنـتـ؛ـ قـائـلاًـ:ـ "...ـ يـحـتلـ السـوقـ مـرـكـزاـ مـنـتـازـاـ فـيـ كـلـ بـلـدـاـ مـيـزـابـ مـنـ حـيـثـ الرـوـعـةـ الـمـعـارـمـيـةـ، وـمـنـ حـيـثـ أـنـهـ مـرـكـزـ ثـقـلـ فـيـ الـقـرـيـةـ، فـقـيـهـ تـوـجـدـ مـحـلـاتـ أـوـ "ـحـجـرـاتـ"ـ(2)ـ الـعـشـائـرـ وـفـيـهـ يـلـتـقـيـ الرـجـالـ، إـمـاـ لـلـأـعـمـالـ الـتـجـارـيـةـ وـإـمـاـ لـلـمـراـقـبةـ، وـجـمـلـ القـوـلـ أـنـهـ مـرـكـزـ مـنـتـازـ فـيـ جـمـيـعـ الـشـؤـونـ الـدـيـنـيـةـ لـلـبـلـدـ، فـكـمـاـ أـنـهـ مـنـ وـاجـبـ الـمـؤـمـنـ أـنـ يـحـضـرـ الـصـلـوـاتـ الـخـمـسـ فـيـ الـمـسـاجـدـ فـكـذـلـكـ مـنـ وـاجـبـهـ حـسـبـ عـرـفـ مـيـزـابـ أـنـ يـأـخـذـ مـكـانـهـ بـعـدـ الـعـصـرـ فـيـ السـوقـ، هـذـاـ هـوـ الـعـرـفـ الـذـيـ جـرـىـ بـهـ الـعـمـلـ حـتـىـ السـتـيـنـيـاتـ، وـبـعـدـ أـنـ اـسـتـقـلـتـ الـجـزـائـرـ حـيـثـ شـهـدـ الـجـمـعـ تـحـوـلـاتـ جـذـرـيـةـ سـيـماـ مـنـ حـيـثـ الـاـقـتـصـادـ، نـرـىـ أـنـ هـذـهـ تـحـوـلـاتـ قـدـ أـثـرـتـ كـثـيرـاـ فـيـ مـرـكـزـ السـوقـ، وـلـكـنـ هـذـاـ لـاـ يـعـنـىـ أـنـ ذـكـرـ بـعـضـ مـاـ نـحـفـظـهـ مـنـ هـذـهـ التـقـالـيدـ فـقـدـ تـفـيـدـ أـجيـالـنـاـ الصـاعـدـةـ كـمـاـ نـعـتـقـدـ..ـ(3)ـ.

كـمـاـ يـذـكـرـ الشـيخـ حـوـيـسـيـ النـورـيـ فـيـ كـتـابـهـ "ـدـوـرـ الـمـزـايـيـنـ فـيـ تـارـيـخـ الـجـزـائـرـ قـدـيـاـ وـحـدـيـثـاـ"ـ فـيـ مـعـرـضـ حـدـيـثـهـ عـنـ السـلـطـةـ الـعـرـفـيـةـ لـحـلـقـةـ الـعـزـابـ فـيـ مـيـزـابـ مـنـ قـدـيمـ

(1) صالح ترشين، الأمين الذهبي صالح بن سليمان (ت: 1824م)، رواية تاريخية، مطبعة الآفاق، غردية - الجزائر، ط1، 2017، ص 17.

(2) هي مكتب العشير، يجتمع فيها أعضاؤها كل عشية تقريباً، ولم يبق أثراها الفعال إلا في بعض القرى كبني يسجن، وتنتهي الكلمة مرقة.

(3) إبراهيم بن يحيى القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، نشر جمعية النهضة، العطف غردية، ط1، 2009، ص 156.

الزمان فقرة مهمة عن مراقبة المذايحة المحلية، قائلًا: "... وما بقي العمل جاريًّا به إلى يوم الناس هذا إشرافها على الذبح في المجازر لمراقبة الذبح على منهج الشرع وطهارة الذابح، ولذلك أنها تتدب للمجزرة وبدون مقابل واحدًا من الهيئة يذبح كل ما يمكن بيعه يومياً في سوق المدينة أو القصبات الخاصة، فإذا فرغ من الذبح يضع الطابع الخاص للعزَّابة على اللحم، فإن عرض للبيع لحمٌ غير مطبوع برفع أمره للعزَّابة للنظر فيه، هذا في بعض المدن رغم تغير الأوضاع ونحن في أول القرن 15هـ"<sup>(1)</sup>.

والحق أن مراقبة المسلح البلدي إلى التسعينيات من القرن الماضي يُسهم فيه العزَّابة، إذ تطوع بعض عزَّابة بنوره لهذا العمل بالتناوب لأن المسلح البلدي يقع في تراب بنوره، بحيث كلما عجز المكلف بالمهمة لكبر السن عادة، فإنه يعوض باخر، ومهمته التبكيير صباحاً إلى المسلح ليقوم بنحر الأغنام الموجهة للسوق في ذلك اليوم بيده، ثم يكمل العمال الآخرون عملية السلح وتجهيز الشياه المذبوحة للتوجه في شاحنة التبريد إلى السوق المغطاة بغرادية، حيث توجد محلات الجزارة، وهو ما شاهدته بنفسي في صباي، وكان والذي جزاراً في سوق غردية.

ونذكر من أبرز أعلام الرجال الذين تولوا مهمة متابعة الذبح في المسلح البلدي بنوره:

- ❖ سعيد إبراهيم بن بكر النوري (1934 - 2016).
- ❖ دودو إبراهيم بن محمد (شعشوع).
- ❖ دودو عيسى بن محمد.
- ❖ زكرياء يوسف بن عيسى (بيasher المهمة إلى اليوم).

ومن حرصهم أن جماعة الجزائريين من أبناء تجنينت في الجزائر العاصمة قد أوفدوا من أبناء البلدة إلى مرسيليا بفرنسا من يقوم بهذه المهمة للمسلمين هناك، وقد ذكر لي فضيلة الشيخ كعباش (حفظه الله) رئيس حلقة العزَّابة ببلدة تجنينت تفاصيل ذلك، فخلال الخمسينيات من القرن الماضي أوفد السيدان: حاج عيسى محمد بن إبراهيم المدعو بـحاماني، وسعيد حاج عمر بن حاج محمد إلى مرسيليا على نفقته مجموعة الجزائريين المزايدين بالعاصمة الجزائر ليقوموا بسوق اللحوم من مرسيليا إلى ميناء الجزائر ليتسللها أرباب قصبات

(1) هو عيسى النوري، دور المزايدين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، مطبعة البعث، قسنطينة، ط. 2، 1999، ج. 1، ص. 170.

المزابين بالجزائر العاصمة، وهم يشرفان بنفسهما على ذبح الأغنام والعجز في المسالخ الفرنسية بمرسيليا طيلة مدة إقامتهما هنالك<sup>(1)</sup>.

لم تكن الدكاكين التجارية موجودة في القديم مثل ما هي عليه الآن في تجنينت، فالمواصلات التي توفر الآن والطرق المعدة والمواصلات السلكية واللاسلكية لم تصل ميزاب إلا منذ الثلاثينيات، ولذلك كان السوق هو جمع البيع والشراء في كل يوم وفي كل قرية، المتوجات الصوفية كانت تباع في الأسواق وكذلك الدواب والأنعمان، وكل الترركات، وكل ما يأتي به البدو الرحل من حطب وبُرٌّ وشعير وأصواف وألبان وسمن كل هذا كان يوجد في السوق دوماً، وإذا لم يوجد في السوق وُجد عند أحد السكان الذين قد يَدْخرون مادة من المواد لوقت الحاجة، ولذلك شُرعت له قوانين أو أعراف أجمع عليها الناس وعملوا بمقتضاه في أغلب الأحيان...<sup>(2)</sup>.

وقد فصل الشيخ القرادي في شؤون السوق، وذكر عوائده منذ قديم الزمان، وإشراف العزابة عليه، وذكر المكان المخصص لهم في السوق يجلسون فيه ويسمى "دكان العزابة"<sup>(3)</sup>، قائلاً: "...إذا جلسوا في مكانهم قام العون الشرعي للمحكمة أو خادم العزابة فينادي "الله يَلْعَنْكَ يا أبليس، من يَأْعَزُ يَرِيْحَ أو مَنْ شُرَا يَرِيْحَ أو مَنْ صَلَى عَلَى النَّبِيِّ يَرِيْحَ"، ثم يتتابع "الدَّلَالُونَ" ابتداء من العزابة ثم يطوفون بكل الجالسين في السوق وهم يُنادون بسعر السلعة التي بأيديهم... وتعيين الدلاليين يكون من المسجد، وقوانين المزايدة مضبوطة شرعاً وتنظيمياً، والضامن معلوم كأمين السوق الذي يكلّف بمراقبة دفاتر الدلاليين وفض الخلافات التي قد تقع...".

### سوق اللحوم:

لقد كانت الطريقة المتبعة إلى سنوات الثورة سيما في القرارة وفي بني يسجن، وفي القرارة على الأخص يُعينُ أعضاء الحلقة<sup>(4)</sup> بعض الأمناء يسمون "العَدَادِين" وعملهم

(1) لقاء مع فضيلة الشيخ محمد سعيد كعباش، في مكتبه التوفيق، العطف - غردية، يوم الأربعاء 21 فبراير 2018م، H20:30.

(2) إبراهيم بن يحيى القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تلح: يحيى بن بهون حاج أحمد، نشر جمعية النهضة، العطف غردية، ط1، 2009، ص 156.

(3) الدكانة: هي مصطبة اسمية مرتفعة قليلاً عن الأرض.

(4) هي: حلقة العزابة أو الهيئة الدينية الموقرة التي تشرف على الحياة العامة في قرى مزاب منذ قديم الزمان.

يتلخص في تنظيم سوق اللحم، بإلغاء كل واسطة بين البدوي<sup>١</sup> الذي يسوق عنده لبيعها في السوق وبين آباء العائلات، وحيث أن أب العائلة المتوسط الدخل لا يقدر في غالب الأحيان أن يشتري شاة بأكملها، وكما أن البدوي<sup>٢</sup> الذي يملك الغنم لا يستطيع أن يبيعها مباشرة بالتفصيل، ابتكر الناس وظيفة العَدَادِين، يعلن عن أسماءهم كلّ سنة، وإذا عين عدّاد جديد أُعلن عنه في المسجد وإذا عُزل أحدهم من طرف العزّابة - ولابد أن يكون عن سبب - أو اعتزل بمحض إرادته أُعلن عليه كذلك في المسجد، ولأداء عمله يتقدّل طلبات الناس، ويسجلها في دفتره على حسب الطلب بترتيب زمني مُحكم وقد تطول قائمه وقد تقصير، ولكنه يبذل مجهوده ليجذب جميع الطلبات في اليوم المحدد، فهناك من يقدم طلبه بأيام قبل موعد السوق، فالسوق لا تستقبل بائعي الأغنام كلّ يوم، والناس يتطلّبون شاة كاملة، أو نصف شاة أو "طَبَافٌ" وهو عبارة عن ربع الشاة، ففي الشاة أربعة "طَوَافِفٍ"، وهناك من الناس من لا يقدم طلباً، ولكنه يتنتظر وقت "الدَّلَالَةِ" ليأخذ ما يريد، وإذا استقرت قائمه دخل سوق الغنم واشترى منها بقدر ما عنده من الطلبات، فإذا كانت قائمه تشتمل على اثنى عشر طلباً لطوابق، يكون عمله اقتناه ثلاثة شياه، ويسجل الذي اشترى به في دفتره ثم يبعثها للجزرة، وبعد أن تُذبح يأتون بها إلى السوق؛ فتوزّع الطوابق على أصحابها، وأمام الرأس والجلد والأرجل فتباع "دَلَالَة" في تلك الصيحة وكذا "الدَّوَارَة"<sup>(١)</sup> وهي ما يحتويه البطن، وكذا "الشَّوَّاكلُ" ، وبعض أطراف معينة من كلّ شاة ليس بها عظم، وهي من آلـة القطع الموجودة في الغنم، وكلها تُطرح من الشاة وتُباع بالدلالة وبالحاضر، فيجمع ما حصل عليه من دلالة الجلد وما في البطن والشَّوَّاكل ثم يطرحه من ثمن الشاة، ويطرح كذلك أجرة النباجين وأجرته، وهي معينة من طرف المسجد، وبعد ذلك يقسم العددباقي على أصحاب الطوابق وقد يدفعون شيئاً قليلاً إذا كانت الشاة سمينة وقد لا يدفعون أي شيء مطلقاً، وأغرب من كلّ هذا أن يأخذ بعضهم طابقاً من اللحم ونصيباً من الدرّاهم من فوق، وإن كان الكثير قد لا يصدقونه فهو أمر واقع مشهور في السنوات التي يكون فيها الربيع مخضراً والصحراء مُعشبة، ولتوسيع الصورة نأخذ مثلاً أنّ أحد "العَدَادِين" اشتري شاة سمينة وعليها صوف كثيف، وكانت بعشرة آلاف فرنك قديمة مثلاً، سيما إذا اشتري عدداً كبيراً من

(١) هي: الكرش أو المعدة ومعها الأمعاء الغليظة مع شحومها، والرئتين والكبد والقلب، وتسمى أيضاً "الغرّنوث".

الشّيّاه، فإنه يبيع الرأس والجلد والأرجل بأربعة آلاف، ويبيع "الدوّارة" مثلاً بثلاثة ألف ويبيع الشواكل بخمسة آلاف فيكون المجموع 12 ألفاً، ويأخذ ألف فرنك أجرة له وللذابح، وتبقى ألف فرنك يقسمها على أصحاب الطوّابث بعد أن يكونوا قد أخذوا اللحم، وهذه الصورة لا تقع إلا نادراً ولكنها على كل حال صورة واقعية شاهدناها، وقد يأخذون اللحم ولا يدفعون ولا يأخذون، وقد يدفعون ثمناً قليلاً وقد يدفعون كثيراً وهذا على حسب ما يباع من أجزاء الشاة، وكل هذه العمليات تسجّل حتى يتمكّن أمين السوق من أن يراقب إذا ما ارتفعت إليه شكوى، وهذه طريقة من أحسن الطرق ولكن يجب أن تُسند إلى أمناء وحدّاق بأساليب البيع والشراء...<sup>(1)</sup>.

### 3- تاريخ مهنة الجزار، الخصائص والمميزات.

اشتهر سكان بلدة تجنينت (العطف) بمهنة الجزار كما أسلفنا، وتوارثوها أباً عن جدٍّ، وتعدّ بعض أشهر حلات الجزار بالعاصمة الجزائر مدارس في تعليم الحرفة وتناقلها عبر الأجيال، إذ في زمن مضى لا تكاد تخلو عائلة تقريباً من فرد يتقن مهنة الجزار، وإن لم يكن حاذقاً فيها فهو على الأقل يتقن بعض أساسياتها المشعبة.

ولمهنة الجزار عند أبناء تجنينت خصوصيات ومميزات تنقلها من مجرد حرفة إلى التوارث بكونها عائلية تكافلية، وقد تشتّرط في بعض خصوصياتها مع حرف أخرى عائلية عند أبناء القرى الأخرى لوادي مزاب، فما يقال عن حرفة الجزار عند أبناء بلدة تجنينت، يقال عن حرفة الحياكة وبيع الكتان عند سكان بني يزجن، وحرفة صياغة الحليّ والمعادن النفيسة عند بعض عائلات سكان بلدة غرداية، وكذلك التجارة المتعددة عند أهل بريان، والحمامات عند أهل القرارة...

نقاً عن بعض أرباب صنعة الجزار في العاصمة خلال الخمسينيات من القرن الماضي، قدم لي السيد بن لولو عمر بن صالح هذه الإفادة: "...يرّ المترمّن في مهنة الجزار بـراحل عدة إلى حين اكتسابه الحرفة إلى أن يلقب بـ"لمعلم"، فالمبتدئ يُمضي جلّ الوقت في العمل في خلفية المحل (l'arrière-boutique) أو ختبر القصابة، و بما أنّ الذين يصلون من مزاب لتعلم الحرفة يكونون في العادة صغاراً فإنّهم يُكلّفون بتعلم الطبخ

(1) إبراهيم بن يحيى القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، ص 163-164.

وغسل ملابس العمال وأدوات العمل، وفي مرحلة لاحقة يكلف بتوصيل الطلبات اليومية لبعض الزبائن من المسئين خصوصاً، إلى منازلهم.

وخلال تلك الفترة من التريص يُجرب بصره ويتأمل ويخزن في ذاكرته ما يقوم به سابقوه في المهنة ويتابع عن كثب التحضيرات اليومية وطريقة التقطيع وصناعة مصبرات اللحوم...، لتأتي المرحلة الموالية وهي تعلم اللغة الفرنسية وتعلم الميزان وتعلم تصريف مختلف القطع النقدية.

تعد هذه المرحلة الإعدادية ضرورية؛ يخضع فيها المترمّن للمراقبة المستمرة ويُطلب منه الحزم والجلد، ويسمّهم يومياً دون كلل أو ملل في تنظيف الشواكل وأمعاء الأغنام، ويتعلم طريقة تحضيرها وتجهيذها للبيع، ثم يتقدّم إلى تعلم صنعة النقانق (les merguez) والكاشير... و مختلف مصبرات اللحوم الأخرى؛ وطريقة طحن اللحوم كانت تتم يدوياً بالكرنك (manivelle) قبل ظهور آلات الطحن الكهربائية، وفيها من العنااء والمشقة ما فيه، ويتم تجهيز ذلك في مختبر القصابة، وفي البدايات يكون تحت إشراف المسؤول الماهر بالحرفة لما يُحتاج فيها من ضبط لمقادير العقاقير التي تضاف لكلّ نوع من مصبرات اللحوم السالفة الذكر.

ثم يتقدّم إلى فصل اللحم عن العظم وهي تتطلّب مهارة فائقة بحيث يجب أن يترك المترمّن العظام نقيّة بقضاء دون لحم، وكلما أتقن ذلك فهو دليل على تقدّمه في الحرفة، ولاحقاً يتّعلّم فصل القطع الصغرى من الكبri، ويعرف أسماء القطع لأنّ لكلّ قطعة ميزة، وتقدّم لطبق دون آخر<sup>(1)</sup>...

وما يُسند للمتعلّم مراقبة معلم إلى المذبح البلدي لتعلم اختيار اللحوم، والتعرّف على بائعى اللحوم بالجملة، وبائعى الشواكل...، وبهذا يمكن أن ينوب عن ربّ المحل إذا سافر إلى مزارب لأسباب، فيوصل السلعة إلى المحل بكلّ ثقة حيث يستغلّ الحرفاء المترمّسون ولا يسافرون إلا بالتناوب<sup>(2)</sup>.

(1) بن لولو عمر بن صالح (مواليد تجنّيت 1935م)، جزار سابق بشارع طنجة وغيره، متقاعد، مقابلة شفوية، تجنّيت يوم السبت 23/06/2018م.

(2) دادي هو صالح بن باحمد (مواليد تجنّيت 1950م)، جزار سابق بالعاصمة لعدة عقود من الزمن، مقابلة شفوية، تجنّيت يوم السبت 23/06/2018م.

## أبرز قصابات أبناء تجنيت بالجزائر العاصمة:

الرقم	اسم محل الجزارة	صاحبه	ملاحظة
1	Boucherie du sud (Rue Hoche)	دادي حمو الناصر بن إبراهيم	إحدى أعرق القصابات ومدرسة التكوين
2	Grand Boucherie d'atlas (Nelson)	شركة / عائلة حاج إسماعيل	حي باب الواد
3	Boucherie de la famille (Rue de chartres)	شركة / عائلة حاج إسماعيل	شارع عمار القامة
4	Boucherie avenue des consulats	عبد العزيز إبراهيم بن حاجو (باهي حاجو)	حي باب الواد
5	Boucherie (Rue Pélissier)	دادي حمو صالح بن محمد (بن حتي)	شارع الإخوة خلاّدي
6	Boucherie Slimane (Rue Tanger)	دادي حمو سليمان بن بكيـر (سامحـيـيـيـيـ)	شارع أحمد شايب تأسـست 1943 مـ
7	Boucherie la casbah حوانـتـ سـيـ عبد الله	شركة / يـدـيرـ المـحلـ السـيدـ حاجـ أـيـوبـ يـحـيـيـ بنـ إـبـراـهـيمـ قـرـاديـ	بيـعـ الشـواـكـلـ الـيـ تـأـتـيـ مـنـ مـحـالـ الشـرـكـةـ الـقـادـمـةـ مـنـ الـأـحـيـاءـ الـأـورـيـةـ
8	Boucherie étoile du sud (Rue trolard)	حاج عيسى صالح بن حاج عمر	شارع ابن رستم
9	Boucherie (Rue berthezene)	حاج عيسى بـكـيرـ بنـ حـاجـ صالحـ	شارع الدكتور سعدان
10	Boucherie de centre (Rue de la république)	دادي حمو مـسـعـودـ بنـ باـحـمـدـ وـأـخـيـهـ النـاصـرـ بنـ باـحـمـدـ	شارع محمد فلاح / القبة تأسـست 1951
11	Boucherie vieux koubba	دادي حمو مـسـعـودـ بنـ باـحـمـدـ وـدـادـيـ حـموـ سـلـيمـانـ بنـ بـكـيرـ وـبـهـوـنـ صـالـحـ بنـ عمرـ	شركة / تأسـست 1950

الرقم	اسم محل الجزارة	صاحبها	ملاحظة
12	Boucherie (boulevard télemy)	بكلّي محمد بن داود	شارع كريم بلقاسم
13	Boucherie ( rue de la croix)	حاج اسماعيل بكير بن بهون	شارع عبد سلامي / القبة
14	Boucherie clerval (Rostomia)	بهون مسعود بن صالح	حي الرستمية / بوزريعة
15	Boucherie de l'espoir (Rue gallieni)	دادي حمو سليمان بن الناصر	شارع العقید احمد بوقرة
16	Boucherie (Rue serpaggie)	شركة / دادي حمو الناصر وحاج عيسى بكير بن صالح	شارع 24 فيفري 1956
17	Boucherie (Rue dupuch)	بهون صالح	(Rue Mogador) (Rue Cadix)
18	Boucherie d'Alger (Rue chelieu)	بن لولو سليمان وآخرون	شارع مصطفى فروخي
19	Boucherie des gourmands (Rue de Lyon)	بن عيسى محمد بن حاج إبراهيم (اسهاله)	شارع محمد بلوزداد
20	Boucherie (fort de l'eau)	بهون عمر بن حاجو	بلدية برج الكيفان
21	Boucherie (belouizdad)	حاج عيسى محمد بن إبراهيم	قرب ملعب 20 أوت
22	Boucherie rue Rovigo	(الشهيد) الطالب باحمد يحيى بن عمر	شارع ذباح شريف
23	Boucherie (Rue Hélène boucher)	طالب باحمد حاجو بن صالح	(la redoute) (Dr roux)
24	Boucherie (Rue chemin Vauban)	السيد عبد السلام	شارع فرنان حنفي
25	Boucherie (Rue bazita)	دادي حمو الناصر بن إبراهيم	حي باب الواد
26	Boucherie	حاج عيسى عمر بن ج	شارع الرقيب أحمد

الرقم	اسم محل الجزارة	صاحبها	ملاحظة
	(Rue monge)	عيسي	عدون
27	Boucherie (el hamma)	دادي حموج عيسى وأخيه ج قاسم	حي الحامة
28	Boucherie (Rue de chartres)	حاج إسماعيل قاسم (أفطاس)	شارع عمار القامة
29	Boucherie (cité noble terre)	دادي حمو مسعود بن باحمد	حي القبة القديمة / تأسست 1959 م
30	Boucherie boulevard Saint- (Saëns)	طالب باحمد حاجو بن صالح وآخرون	شارع محمد الخامس

هذا الجدول كتبته بمعية السيد دادي حمو صالح بن باحمد<sup>(1)</sup> الذي أفادني كثيراً في التعرف على عناوين محلات الجزارة وعلى أصحابها، ولا ندعوي أننا أحطنا بالأسماء جميعها أو استقصينا الحال كلها، إذ لا شك أن هنالك أسماء اندثرت و محلات لم يعرف أصحابها لطول المدة و مرور الزمن، ولعلنا سنعود إلى الموضوع بتفاصيل أكثر مستقبلاً. ولعلنا نضيف إفادة هنا في الموضوع، وهي تخص الآثار المحمودة لمهنة الجزارة الشريفة على مجتمع بلدة تجنينة، ونذكر من بينها ما يأتي:

1- أصحاب هذه الحرفة وأربابها في العاصمة الجزائر قديماً وحديثاً، وحيثما حلوا مشهورين في مختلف المدن الجزائرية شرقاً وغرباً وُسموا إلى جانب إتقانهم للصنعة بالإحسان إلى كل من يلوذ بجانبهم، فمعظم أرباب تلك المحلات الكبيرة لا يدخلون جهداً في مساعدة من يريد أن يفتح محلاً للجزارة بتقديم النصيحة والمساعدة مادياً وأدبياً كالتوسط عند الموالين وبائي الأغنام وغيرها...، لذلك تجد الشباب يتشجعون لفتح محلات خاصة بهم لهذه الحرفة بمجرد أن يتعلّموا الحرفة ويجازوا من قبل أرباب الصنعة حيث نشئوا وتعلّموها، ففتح شباب بلدة تجنينة محلات في مختلف المدن الجزائرية، وحتى في أوروبا وخاصة في شمال فرنسا، إلى اليوم.

(1) دادي حمو صالح بن باحمد (مواليد تجنينة 1950م)، جزار سابق بالعاصمة لعدة عقود من الزمن، مقابلة شفوية، تجنينة يوم السبت 23/06/2018م.

2- القضاء على البطالة وتداعياتها المخيفة على الفرد والمجتمع، فإذا انقطع أحد التلاميذ عن الدراسة ووجه إلى الحياة العملية فإن والده أو كفيله يوجهه إلى العاصمة ليتعلم مهنة الجزار، بعد التفاهم مع صاحب محل ليتولى رعايته أخلاقياً ودينياً أولاً، كما يحرص على تكوينه في تعلم الحرفة، ولا يتعدد أصحاب محلات في استقبال طالبي العمل من مختلف الفئات، ويقومون بحسن الرعاية والتوجيه، خاصة إن كان المتقدم لتعلم الحرفة يتيناً أو محروماً، كل ذلك ابتعاداً عن مرضاعة الله وطلبًا للجزاء الأولي منه سبحانه وتعالى، والله لا يضيع أجراً للمحسنين، فتجد أصحاب تلك الحركات ينعمون بالخير وينعم معهم الصناع الذين لا يخلون عليهم بشيء.

3- التضامن العائلي والتعاون الأسري، إذ تشتهر كبرى محلات الجزار في العاصمة بصبغتها العائلية، إذ يستفيد من العمل في محلات الجزار أبناء العائلة الواحدة وأبناء العمومة والأصهار والأحوال والأحفاد، وبهذا تتسع الدائرة وتتحقق حسب قوة الحركة التجارية لذلك المحل.

4- التكافل الاجتماعي: تخصص بعض محلات الجزار بالعاصمة نسبة معينة على مدار العام وفي بعض المناسبات، للصدقات والزكاة ومساعدة الأسر المعوزة أو الضعيفة الحال، بحيث يتكلل رب الحرفة في محله قدماً وإلى اليوم بتجهيز نسبة من اللحم أو الشحم أو العظام الجيدة، تلف بشكل جيد، وكانت قدماً تملح وترسل إلى مزاب مع قوافل المسافرين، وحديثاً في شاحنات التبريد الخاصة طازجة دون تملح، لترسلها ربة بيت صاحب محل الجزار إلى جيرانها وأقاربها من المحتاجين، وإلى كل من تعرف من لا معيل لهم ابتعاداً عن أجراً وثواب.

5- عرفت بلدة تجنينت منذ السبعينيات من القرن الماضي في إطار الأعمال التطوعية الجماعية "التوزية"، انتظام الشباب القادم من التل بمناسبة عيد الأضحى المبارك في مجموعات يتنقلون بين المساكن لنحر أضاحي العيد للعائلات بحيث لا يبقى من يتضرر ذبح أضحنته إلى متصرف النهار لكثرة المتطوعين وتفانيهم في خدمة الجماعة والصالح العام.

هذه بعض الآثار المحمودة لمهنة الجزار عند سكان بلدة تجنينت بوادي مزاب.

#### 4- مواقف تاريخية مع مهنة الجزاررة الحديثة بالعاصمة:

اشتهرت بعض محال الجزاررة في الجزائر العاصمة وضواحيها إلى عهد قريب ولا يزال منها بقية، إذ انتشرت وتوزعت مع ظهور أحياء جديدة وتجمعات سكانية كبيرة لم تكن معروفة من قبل في ضواحي الجزائر، برع فيها شباب يافع يحاول جاهداً حذو أثر الآباء والأجداد في إتقان الحرفة وخدمة الزبائن وإرضائهم.

وقد أوردنا في الجدول السابق أشهر المحال في العاصمة الجزائر والتي تعدّ مدارس لتعلم حرفة الجزاررة، وفي الملحق بعض الصور الفوتوغرافية التي يعود معظمها إلى فترة الخمسينيات من القرن الماضي، ومن أبرز تلك المدارس المهنية: قصابة نجمة الجنوب (boucherie étoile du sud) للسيد حاج عيسى صالح بن جعفر، هذا الأخير الذي تعرض لعدة محاولات اغتيال من غلاة المعمررين، وأصابته رصاصات في محله، ونجى من الموت، لكنها بقيت في جسمه إلى يوم وفاته سنة 1980م، كما تعرض محله للتخرّيب من قبل المنظمة الإجرامية OAS قبل الاستقلال، واستشهد في المحل برصاص المنظمة الإجرامية الشهيد بوبكر عبد الصمد وهو من بلدة العطف.

وقد أبلى جلّ أصحاب تلك القصابات بلاءً حسناً في دعم الثورة التحريرية المجيدة، لوجودهم في قلب الأحياء الأولى ومتّعهم بصيت حسن عند زبائنهم وعند الناس عامة، بحيث لا يشرون الشكوك؛ فكان منهم كثير من المسّلين في صفوف جبهة التحرير وسخروا حرفيتهم النبيلة لخدمة الثورة التحريرية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: السيد حاج اسماعيل قاسم بن محمد (1918م - 1968م) والذي كان يدير محلّاً لقصابة في شارع عمّار القامه (شارت سابقاً) بالعاصمة، قصابة العائلة (Boucherie de famille) التحق مبكراً بالثورة التحريرية، وكان اسمه الثوري (پاپا / PaPa)، إذ عمل من 1956م مع محمد عيشون وهو مسؤول في القبائل الكبرى، ومن سنة 1958 مع مصطفى كرميا (سفير الجزائر في سويسرا بعد الاستقلال) وغيرهم، وقد اخذ هؤلاء المسؤولون دكانه مركزاً وصنّلوق بريد لاتصالاتهم، ومستودعاً لحاجياتهم من عتاد وملابس وأحذية وغيرها، وكان محلّه يتعرّض للتّفتيش لمكان الشّبهة من وقت لآخر، وقد اعتقل المجاهد أربع مرات في عدّة جهات بالعاصمة، وتعرّض للاستنطاق ولكن لم يظفروا

منه بشيء عن الثورة والمجاهدين والفدائيين الذين يتعامل معهم، كما تعرض للتعذيب أيام، وعما أسمهم به في ميدان الكفاح أنه اشتري من ماله الخاص سيارة جديدة كبيرة نوع "مارلي أمريكيان"، تبرع بها لرؤساء الجبهة فاتخذوها سيارة إسعاف للتنقلات السريعة على حسب ما في شهادة الكفاح التي بحوزته<sup>(1)</sup>، ومنهم أيضاً المجاهد دادي حمو سليمان بن بكر شارع أحمد شايب حالياً، (شارع طنجة سابقاً)، والمجاهد حاج اسماعيل قاسم بن سليمان "قصابة الأطلس" حي باب الواد...، وغيرهم كثير، ينقلون الأسلحة والذخائر في سياراتهم الخاصة داخل صناديق اللحم بكل أمان واحترافية.

وفيما يلي شهادة المجاهد الرئيس بن يوسف بن خدة في حق مجموعة من تجار بلدة تجنيت ممن عرفهم وعمل معهم في قلب الأحياء الأوربية بالجزائر العاصمة؛ وهي تؤكد ما سبق، وفي ذلك يقول: "كان التجار المزابيون من أخلص المساعدين الذين عملت معهم، كانوا يتمتعون بجدية وطنية فائقة، فوجودهم داخل الحي الأوروبي قد سهل كثيراً مهمة لجنة التنسيق والتنفيذ<sup>(2)</sup>، خاصة عندما كان الأوروبيون في سنة 1956م لم يكتشفوا بعد نشاط إخواننا المزابيين وانتمائهم إلى جبهة التحرير الوطني، كانت ملاجئهم مراكز للبريد ومستودعاتهم للوثائق والمناشير، والجرائد والأسلحة والذخائر، ومراكز للطباعة السرية، وملتقيات للمناضلين المطاردين من طرف الشرطة الاستعمارية، نقلوا في سياراتهم الخاصة الأسلحة والذخائر و مختلف الوثائق رغم الخطر الذي يتعرضون له، فهم صورة للمناضل الجزائري الوفي..."<sup>(3)</sup>.

### خلاصة ونتائج:

ما سبق ومن خلال هذا العرض يتبيّن للقارئ خصائص وميزات النظام المحلي للمناطق الجزائرية، من خلال حرفة الجزار التي تميز بها سكان بلدة تجنيت بوادي مزاب عن غيرهم من القرى الأخرى، وأنّ ما قيل عن حرفة الجزار عند إبناء بلدة تجنيت يمكن

(1) هو عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، ج 3، ص 183 - 184.

(2) لجنة التنسيق والمتابعة هي الجهاز التنفيذي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية.

(3) بن يوسف بن خدة، شهادة في حق الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر، رسالة في ملحق كتاب أعمالى في الثورة، للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، جمع وإعداد وتعليق، محمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، غرداية - الجزائر، ط 2، 2016، ص 191 - 192.

أن يقال عن مهن عائلية أخرى تميزت بها بعض قرى وادي مزاب دون أخرى، وقد حاولنا استقصاء تاريخ هذه الحرفـة عند هذه الفئة من المجتمع الجزائري، وجدنا لو كتبـت بحـوث في هذا الاتجـاه؛ إذن لا جـتمع عندـنا تـاريخ المـهن في الجزائـر، ولـتعرف الجـيل النـاشـئ على جـزء مـعتبر من ذـاكرـته الوـطنـية، فيـدرـك قـيمـتها وأبعـادـها وبالـتـالي سـيـذـل جـهـده في الحـفـاظ عـلـيـها، ويـجـثـب مـزالـق العـولـة والـذـوبـان في الـبوـقة العـالـمـية التي تـلـغـي الخـصـوصـيـة والـتنـوـعـ.

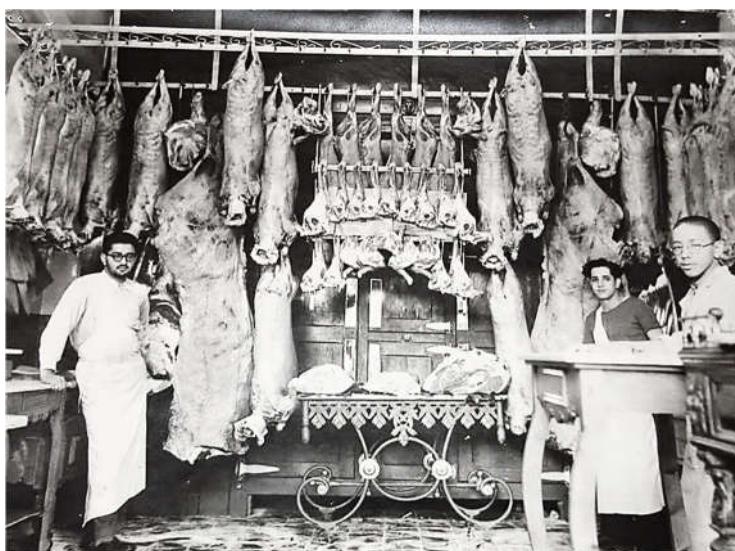
ومن هنا نأمل أن يكون مثل هذه الدراسـات صـدى كـبـيرا في النـهـوض بالـطـاقـات الوـطنـية والـعـمل من أـجل دـفع عـجلـة التـنـمية وتعـزيـز المـوارـد الـاـقـتصـادـية؛ كما أنـ التعـريف والـتـعرـف عـلـى المـهـن العـائـلـية لـه آثارـه الـاجـتمـاعـية والـاـقـتصـادـية والـثقـافـية...، وهو مـا يـسـهم في التـروـيج لـلمـتـوجـ المـحـلي ويعـزـز الـانتـمـاء لـلـوـطـنـ الكـبـير وـتـجاـوزـ الـأـزـمـاتـ الـاـقـتصـادـية متـى ما أـدـركـ الجـمـهـورـ قـيمـةـ الـكـنـوزـ الـتـي يـمـلكـهاـ بـيـنـ يـديـهـ كـأـحـسـنـ بدـيلـ عنـ الـثـروـاتـ الـزـائـلـةـ، وـقـدـيـماـ قـيلـ: صـنـعةـ فـيـ الـكـفـ فـيـهاـ لـلـفـقـرـ كـفـ.

خلالـ الفـترةـ الـأـخـيـرةـ وـمـعـ الـامـتدـادـ الـجـغرـافـيـ لـلـمـدـنـ الـكـبـرـىـ وـظـهـورـ أـحـيـاءـ بـجـمـعـ المـدـنـ، ظـهـرتـ نـيـجـةـ لـذـلـكـ الـمـحـالـ الـتـجـارـيـ الـمـتـجـاـوـرـةـ تـحـتـ الـعـمـارـاتـ فـيـ تـنـافـسـ كـبـيرـ بـيـنـهاـ، يـعـزـزـهـ وـفـرـةـ السـلـعـ وـتـضـارـبـ الـأـسـعـارـ بـشـكـلـ لـمـ يـكـنـ مـعـهـودـاـ مـنـ قـبـلـ، فـازـدادـتـ تـبـعاـ لـذـلـكـ التـحـديـاتـ وـتـعـدـدـتـ، وـصـارـ رـاهـنـ الشـبـابـ الـيـوـمـ مـنـ تـولـواـ رـعـاـيـةـ هـذـهـ الـحـرـفـةـ الـنـبـيلـةـ، وـمـاـ نـوـصـيـ بـهـ هوـ أـنـ يـتـقـنـواـ الصـنـعـةـ مـعـ الـحـفـاظـةـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ عـلـىـ خـصـائـصـهاـ وـمـيـزـاتـهاـ، وـأـنـ يـتـعـلـمـواـ فـنـونـ الـتـروـيجـ وـالـتـسـوـيقـ الـعـصـرـيـ حـتـىـ لـاـ تـوتـ الـحـرـفـةـ وـتـضـيـعـ بـيـنـ الـلـحـومـ الـمـجـمـدةـ الـمـسـوـرـدـةـ، وـفـيـ هـذـهـ الـأـخـيـرةـ أـخـطـارـ عـلـىـ حـيـةـ الـإـنـسـانـ، وـاـخـتـالـلـ فـيـ سـلـسلـةـ التـواـزنـ الـغـذـائـيـ الطـبـيـعـيـ...ـ

ملحق.



بطاقة بريدية تحمل صورة سوق غردية الأسبوعي للحوم، حوالي سنة 1900م



قصابة الأطلس؛ حي باب الواد - الجزائر العاصمة، حوالي سنة 1946م

يلديها: حاج ابراهيم سليمان (الناليبي) الأول على اليمين / حاج عيسى صالح بن محمد (دونفرا)  
الأول على اليسار



قصابة نجمة الجنوب؛ (Rue trolard) شارع الدكتور سعدان حالياً  
لصاحبها الماجد حاج عيسى صالح بن جعفر (الثاني من اليسار)  
تعرض صاحبها لمحاولة اغتيال كما تعرض متجره للتخرّب من قبل OAS سنة 1961م بقنابل البلاستيك



قصابة دادي هو سليمان بن ناصر (الأول على اليمين) -شارع 24 فيفري 1956 في الوسط الشهيد بو Becker عبد الصمد، على اليسار بن لولو أحمد بن بهون وقد تعرض هذا المحل للتخرّب والحرق بقنابل البلاستيك.

### قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

- 1 - احمد بن يوسف أطفئش، الرسالة الشافية، طبعة حجرية، د.ت.
- 2 - صالح سماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، المطبعة العربية غرداية، ط1، 2005.
- 3 - إبراهيم بن يحيى قرادي، صفحات من التراث (2)، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، نشر جمعية النهضة، العطف - غرداية، ط1، 2009.
- 4 - هو عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، نشر دار البعث، قسنطينة - الجزائر، ط2، 1992.
- 5 - حاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية - غرداية، ط1، 1991.
- 6 - عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1696/1705م)، تج: ناصر الدين سعیدونی، البصائر الجديدة، الجزائر، ط1، 2012.
- 7 - سيمون بفافير، مذكرات أو لحنة تاريخية عن الجزائر، تعریب أبي العید دودو، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1974.
- 8 - الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، أعمالی في الثورة، جمع وإعداد وتعليق، محمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، غرداية - الجزائر، ط2، 2016.
- 9 - إبراهيم بن عبد الرحمن الشمیني الیسجینی (ت: 1817م)، دیوان ابن بھمان، دراسة وتحقيق، یحیی بن بھون حاج احمد، دار الھدى، عین ملیله - الجزائر، ط1، 2007.
- 10 - صالح ترشين، الأمین الذھبی صالح بن سلیمان (ت: 1824م)، روایة تاریخیة، مطبعة الآفاق، غرداية - الجزائر، ط1، 2017.
- 11 - لقاء مع فضیلۃ الشیخ محمد سعید کعباش، (موالید تجنینت 1927)، فی مکتبہ التوفیق، العطف - غرداية، یوم الاربعاء 21 فبراير 2018، H20:30 م.
- 12 - لقاء مع السيد: بن لولو عمر بن صالح (موالید تجنینت 1935م)، جزار سابق بشارع طنجة وقصابة الجنوب بالعاصمة، متقادع، مقابلة شفوية، تجنینت یوم السبت 06/06/2018م.
- 13 - لقاء مع السيد: دادی حمو صالح بن باحمد (موالید تجنینت 1950م)، جزار سابق بالعاصمة لعدة عقود من الزمن، مقابلة شفوية، تجنینت یوم السبت 23/06/2018م.



# عدم رقمنة التعليم الثانوي - إشكاليات وحلول -

الباحث / خضير بن محمد باعلي وسعيد  
باحث دكتوراه . تخصص فقه وأصول  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . جامعة غردية  
[Saidb26@yahoo.com](mailto:Saidb26@yahoo.com)

م ملخص :

يعالج هذا الموضوع قضية رقمنة التعليم الثانوي للبنات في المدارس الحرة، وتأثيراتها وما لاتها المحتملة على الفرد والمجتمع. وقد اعتمد المنهج الاستقرائي التحليلي باستقصاء الأدبيات المرتبطة بال المجال والوثائق والدراسات ذات الصلة، إضافة إلى ما خلص إليه الباحث من خلال مشاركته في فعاليات وأيام دراسية في الموضوع. وقد ناقش عدّة مبررات للموضوع، منها السعيُ لترقية الأداء في المدارس الحرة، وحاجة المجتمع لبعض التخصصات كالطب والتعليم.. وقد توصل إلى نتائج أهمُّها أنه عند معالجة هذه المواضيع على المستوى الكلي للمجتمع، لابدَ من التخطيط الاستراتيجي والاستشراف المستقبلي بالنظر إلى التحديات والتطورات المعاصرة، خاصةً «العولمة» وما تمثله من إيديولوجيات هدفها تفكك بنيّة الأسرة عن طريق تحجيم دور المرأة ربةُ البيت، والسعى لإخراجها إلى سوق العمل، ومدى تأثير الدعاية الإعلامية على أنماط التفكير لدى الأولياء وبنائهم، مما يتطلب التفكير الجادِ في الموضوع، وتفعيل كافة هيئات المجتمع للتصدِّي لهذه التحديات. كما رأى إمكانية اعتماد المؤسسات الحرة على مستوى المجتمع منهاج الرقمنة في الابتدائي والمتوسط، على أن يُتاح في المرحلة الثانوية منهاج أساسه ما تحتاجه المرأة ربةُ البيت ومربيَّة الأجيال، من عقيدة صحيحة وقيم اجتماعية، وأساليب تربية الأبناء، والعلاقات الزوجية من الناحية الفقهية والنفسية.. إلى جانب المهارات والحرف المتزلية، مع المواد الفكرية التي قد تحتاجها لدعم أبنائها، وتمثل أساساً في اللغات والرياضيات، مع إمكانية التنسيق مع مؤسسات لدعم مشروعات مصغرة من المتزل لمن رغبت في ذلك حسب ظروفها، وتتوَّل تسويق

متوجهن، مع ضرورة العمل على التوعية والإعلام بهذا المنهاج الجديري بالاهتمام، مع دعمه وتسهيل السبيل له بما يتحقق استقرار الأسر وتنمية المجتمع.

**الكلمات المفتاحية:** البنت، المجتمع، المرأة، العولمة، المدرسة، الرقمنة.

### Title: The non-digitization of secondary education; Problems and solutions

#### Abstract:

This research discusses the issue of digitalizing the secondary level of the girls' education in the Quranic schools, and its dimensions and effects. It adopted the extrapolating analytical approach. It has been conducted based on the previous literature, related studies, and the results of conferences about the topic. The findings of this research have reached interesting results, including the necessity of strategic planning for the society in terms of the contemporary challenges, especially globalization and its ideology aimed at destructing the family structure by ridiculing the role of the woman as a housewife; in addition to the negative influences of the media propaganda on the patterns of both parents and their daughters' thoughts. These challenges need serious thinking and urgent action from all members, groups, elites of the society. The research has suggested adopting the digitalized curriculum in the primary and intermediate level, so, in the secondary stage, the program should be based on what the woman needs, as a housewife and educator of generations; such as the right belief, social values, approaches of raising children, marital relations, the skills and house crafts, in addition to the sciences that she may need to assist her children. He proposed also the coordination between the Quranic schools and the institutions to support mini home projects and to undertake marketing of their products. This program should be presented with great publicity and information efforts in order to succeed and achieve the dignity of our families and the wellbeing of society.

**Keywords:** School, globalization, society, employment, women.

:

تعدّ المرأة أحد ركائز المجتمع المسلم، وبواسطتها حافظ المجتمع المزابي على هويته وأصالته، رغم التحديات التي يمرّ بها عبر التاريخ قبل الاستعمار وبعده. لكن في الوقت الحاضر تتعالى أصوات الأعداء موظفين كل ما أوتوا من وسائل لتقزيم دور المرأة ربة البيت، وإظهارها على أنها مظلومة وعاطلة؛ بهدف إدماجها في سوق العمل، وجعلها

كأي سلعة أخرى؛ خدمة للرأسمالية المتوجهة، مما يستدعي من المجتمع المسلم دراسة مواضيع البنت والمرأة بجدية وب مختلف الأبعاد، سعياً لتحسين المجتمع واستمراريتها.

وقد مر التعليم الحرّ بوادي مزاب عبر مراحلٍ منذ الاستقلال، من حيث الصيغة القانونية واعتماده لدى الجهات الحكومية؛ إلى أن تم مؤخراً اعتماد نظام الرقمنة في المدارس الحرة، بناءً على الالتزام المشترك الذي صدر بتاريخ 14 مارس 2019م بين كل من جمعية الوفاء للترقية الاجتماعية التي تضم مؤسسات التعليم الحرّ بولاية غرداية من جهة؛ وبين مديرية التربية لولاية غرداية من جهة أخرى.

وينصّ هذا الالتزام على بنود منها انخراط كل مؤسسات التعليم الحر في الأرضية الرقمية الوطنية، والتزامها بتطبيق المناهج الرسمية لوزارة التربية مع كامل الحرية لتقرير المناهج المثلثة لخصوصية التعليم الحر دون تسجيلها في كشوف الأرضية الرقمية الوطنية، وأيضاً الالتزام بتطبيق التشيريعات المدرسية الرسمية كالزامية التعليم إلى غاية 16 سنة، ولمؤسسات التعليم الحر الصلاحية في توظيف ما يناسبها من الإطار التربوي والإداري بمعايير علمية وبياداغوجية وخلقية متوافقة مع النظام المعمول به في المدرسة الجزائرية؛ مع دعوة الإطار التربوي والإداري بمؤسسات التعليم الحر للاستفادة من البرامج التكوينية والتأهيلية الرسمية، ومراعاة خصوصية المنطقة في مسألة زيارة المفتشين إلى الأقسام. على أن هذا الالتزام كما جاء فيه "سيضع بلا شك حداً للمعاناة التي كانت تحاصر التعليم الحر منذ عقود".<sup>(1)</sup>

إلا أنّ صدور هذا القرار أثار جدلاً بين أفراد المجتمع خاصة أولياء التلمذيات، ما بين مرحب بالقرار مستبشر به، وبين رافض له من أساسه، وبين متحفظ، ومن نحا إلى الأخذ بالحد الأدنى الذي أقرّه القانون، وهو إجبارية التعليم إلى 16 سنة، مطالباً بإعفاء المرحلة الثانوية من الرقمنة.

وهنا يأتي هذا الموضوع ليناقش هذه القضية محاولاً فهمها، بمحاولة إدراك مختلف جوانب الموضوع، وسياقه الزماني والمكاني، وما يتوقع أن يؤول إليه، وما يمكن أن يقوم به المجتمع أفراداً وهيئات في مثل هذه القضايا والتحديات المعاصرة، وقبل ذلك مدخل

(1) الوثيقة الصادرة بعنوان: "الالتزام المشترك" موقعة بين مديرية التربية لولاية غرداية، وجمعية الوفاء للترقية الاجتماعية، بتاريخ: 14 مارس 2019م.

ضروري بالتأصيل الشرعي للدور المرأة في الحياة على أنها محور الدراسة فيما يخص مستقبل حياة البنت. ومن أجل التركيز والاختصار، فقد اقتصر البحث على قضية رقمنة المدارس الحرة للبنت في المرحلة الثانوية دون المرحلة الابتدائية والمتوسطة، على أن ذلك الالتزام المشترك اقتصر على إلزامية التعليم إلى حدود 16 سنة.

### وبناء على ما سبق فقد تم تقسيم الموضوع إلى ما يأتي:

- ❖ أولاً: تأصيل وظيفة المرأة في الحياة.
- ❖ ثانياً: أمور تراعي قبل القرار المصيري برقمنة تعليم البنت إلى البكالوريا.
- ❖ ثالثاً: أهم مبررات رقمنة التعليم الثانوي إلى البكالوريا، والإجابة عنها.

### أولاً: تأصيل وظيفة المرأة في الحياة

خلق الله تعالى المرأة والرجل لهما متكاملة، تسعى نحو تحقيق الخلافة وعمارة الأرض بالخير والصلاح. ومن أجل أن تستقر الأسرة فقد وزع الله تعالى الأدوار بين كل من الرجل والمرأة بعدل وتوازن.

كلف الله تعالى الرجل بمسؤولية الإنفاق، وما يترب عليه من جهد وسفر، وتحمّل المشاق في سبيل كسب الرزق، وهذا يتناسب مع طبيعته الفيزيولوجية واستعداداته الجسمية. كما كلفه بمسؤولية حماية الأسرة، والتوكّل بأفرادها من زوجة وأولاد؛ قال تعالى: ﴿إِلَيْهِمْ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّدَقَاتُ قَنِيتُ حَفْظَتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: 34]، فمن واجب الرجل في المجتمع التوكّل بالإإنفاق على المرأة حسب درجة القرّب "بدءاً بأبيها، ثم زوجها فإذا خوطها فأبنائها، وإن عدم عائل من عصبتها فولي الأمر يتولى نفقتها، وجماعة المسلمين تقوم مقامه عند التعذر"<sup>(1)</sup>. كما كلف الرجل أيضاً بهمّاً نشر الدعوة ب مختلف الوسائل، والدفاع عن الوطن، ولو أدى به إلى الموت في سبيل ذلك، وعاب على المنافقين الذين تخلىوا عن مسؤوليّتهم و﴿رَضُوا إِنْ يَكُونُوا مَعَ الْحَوَالِفِ﴾ [التوبه: 87]

(1) مصطفى بن صالح باجو، *التأصيل الشرعي لعمل المرأة المسلمة*، مجلة ملتقى الدعاة، الطبعة الرابعة: المرأة المعاشرة..قضايا وتحديات، 13، 14 أكتوبر، 2017م، ص.43.

والخوالف هن النساء<sup>(1)</sup>. لأنهن مغفاة من هذه المسؤوليات الشاقة عليهن، ولما لهن من أدوار أخرى كما سيأتي.

أما المرأة بحسب استعداداتها الفيزيولوجية والنفسية؛ فقد أناط الله تعالى بها مسؤولية رعاية البيت الأسري وحضانة الأبناء ليصير البيت موطن سكينة ل كامل أفرادها ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ يُوتُكُم سَكَنًا﴾ [النحل: 80]. ولاشك أن هذه مسؤولية شريفة وعظيمة؛ بها ينشأ الأولاد في توازن نفسي واستقامة، وتستمر الأسرة بانسجام ومودة.

و بما أن الرجل قد كلف بمسؤولية الإنفاق فإن المرأة مغفاة منه كما مر، وقد تقوم بذلك في حالات خاصة بسبب الاضطرار، لكن مع مراعاة شروط تتضح من قصة الفتاتين في سورة القصص، وهي:

**1. الضرورة الملحقة: ﴿وَأَبُونَا سَيِّدٌ كَيْرٌ﴾ [القصص: 23]** بعدم وجود رجل يقوم بشؤون البيت في هذه الحالة.

**2. تفادي الاختلاط مع الرجال في بيئة العمل:** ﴿قَالَتَا لَاسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الْرِّعَاةُ﴾ [القصص: 23] وقد "صدّهما عن المزاحمة عادتهما لأنهما كانتا ذواتي مروءة وتربيّة زكية"<sup>(2)</sup>. ففي الآية إشارة إلى أن المرأة إذا اضطررت للخروج للعمل وتوفرت لها هذه الضرورة عليها أن تأخذ الضرورة بقدرها، فلا تختلط بالرجال، وأن تعزل نفسها عن مزاجتهم والاحتراك بهم، وليس معنى أن الضرورة أخرجت المرأة لقيام بعمل الرجال أنها أصبحت مثلهم، فتبعد نفسها الاختلاط بهم<sup>(3)</sup>.

**3. اغتنام أقرب فرصة للرجوع إلى المنزل بإيجاد عائل للأسرة:** ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَتْ أَسْتَعْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَّنْ أَسْتَعْجِرَتِ الْقَوْمُ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

(1) الخوالف جمع خالفة لأنها تختلف في البيت. (أطفيش، محمد بن يوسف، تيسير التفسير، القاهرة: مطبعة التقدم، د. ط، 1986، 5/120).

(2) محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، التحرير والتنوير، د. ط (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، 100/20.

(3) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، د. ط (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 1997)، 17/10905.

**4. تضامن المجتمع المسلم معها:** بالدعم وتحقيق الاكتفاء لها عند الشعور باضطرارها للعمل خارج البيت لأجل الكسب، وهذا ما فعله النبي موسى عليه السلام، وقد فهم هذه المسؤولية ﴿فَسَقَ لَهُمَا مِثْرَأَ إِلَى الظَّلِيلِ﴾ [القصص: 24]، فهذا "يعلم المجتمع المسلم أو حتى الإنساني إذا رأى المرأة قد خرجت للعمل فلا بد أنه ليس لها رجل يقوم بهذه المهمة، فعليه أن يساعدها وأن يُيسِّرْ لها مهمتها".<sup>(1)</sup>

ويتبين مما سبق أن الله تعالى وزع الأدوار بعدل وتكامل بين الرجل المرأة، وبالنسبة للمرأة فقد كلفها الله تعالى بمهمة جليلة متمركزة أساسا حول تربية الأجيال، وصيانة قيم الأبناء وتوفير السكينة والاستقرار للبيت الأسري. وعليه فكل تسُبُّ في إخراج المرأة من بيتها لتبوأ المناصب الوظيفية خاصة على المستوى الكلّي للمجتمع، يعدّ خروجاً عن المنهج الرباني، والأساس الذي خلقت لأجله المرأة وأدوارها التكاملية في الحياة.

**ثانياً: أمورٌ لابد من مراعاتها قبل القرار المصيري برقمنة تعليم البنت إلى مرحلة البكالوريا**

مع الأخذ بعين الاعتبار الجوانب القانونية والواقعية للموضوع، فهناك أمور لابد من مراعاتها في سياق التعامل مع موضوع رقمنة التعليم الثانوي للبنات، وهو ما يرکز عليه هذا البحث. والأمور الواجب مراعاتها تمثل فيما يأتي:

1. **تأثير المناهج التعليمية الحرة بالمنهاج الحكومي:** خاصة عند الدخول في سباق التنافس على المواد التي تعدّ في منهاج الحكومي أساسية كالفلسفة وغيرها، واعتبار مواد الهوية والشرعيات موادا هامشية. وبالتالي تتخرج البنت بتكون ضعيف روحيا وفقهيا واجتماعيا وتربويا.<sup>(2)</sup>

ومقررات التعليم لها علاقة مباشرة بقرار المرأة في بيتها أو خروجها؛ لماذا تمضي بناتنا الساعات الطوال في تعلم الفيزياء والتاريخ الذي بعضه لا يمت إلينا بصلة؟ ألم نؤمن بقول الله عز وجل: ﴿وَلَيَسَ اللَّهُ كَالْأَنْثَى﴾ [آل عمران: 36] وئيرد لها مقررات الذكور

(1) الشعراوي، المصدر نفسه، 17 / 10904.

(2) ذكر أستاذ علوم القرآن والتفسير بالمرحلة الثانوية عز الدين كارة، بتاريخ 11/2/2020م أنه وجد ضغطاً كبيراً بعدما تمّ اعتماد منهاج الرقمنة وتقليل الحجم الساعي لمادته، فلم يعد بإمكانه بناء المفاهيم منهج التفكير المنطقي والإقانع.. ونحو هذا ذكره أستاذة للتربية الإيمانية في المرحلة المتوسطة؛ بتاريخ 25/3/2020.

نفسها، أليس الأفضل لها التعمق في العلوم التي تكون بها ربة بيت متميزة كعلم فنون التربية، وعلم النفس التربوي، والإسعاف، وعلم التغذية السليمة، والقيم الاجتماعية؛ وقبل ذلك ما يعزّز الهوية المسلمة من القرآن الكريم وعلومه والعقيدة والفقه الإباضي والتاريخ الإسلامي، والاعتزاز بال מורوث الصافي. كذلك اللغات الأجنبية والرياضيات لتدعم أبناءها في فترة الابتدائي، ثم الاهتمام بالأشغال اليدوية المختلفة. فالأهل أن يكون المنهج متكاملاً حسب احتياج البنت والمرأة المثالية، وليس كما تميل إليه العولمة المشوهة. إذ أن الغرب اتجه نحو تعليم المرأة بنفس تعليم الرجل بهدف توظيفها معه في القطاعات الاقتصادية نظراً لقلة تكاليفها مقارنة بالرجل، لكن ذلك جعلها عرضة للاختلاط والانحراف والتخلي عن مسؤوليتها وتفكيك الأسرة.<sup>(1)</sup>

2. مآل الطالبات بعد حصولهن على شهادة البكالوريا واحتمال ذهابهن للجامعة، وما في ذلك من خاطر كثيرة على المجتمع؛ من ذلك مثلاً:

- ❖ التخلّي عن الحجاب الشرعي الأصيل «آحولي»، واستبداله بأنواع وأشكال من الحجاب نرى بواحدتها في واقعنا، ولا حدّ لها، إلى أن تصير حجاباً متبرجاً يحتاج إلى حجاب كما في كثير من المجتمعات للأسف، حيث صارت البنت تتصرّف أنها يمكن أن تضع على رأسها قماشاً وتلبس بعد ذلك ما تشاء من ملابس مزخرفة ولاصقة بتفاصيل متنوعة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنِعُّمُوا بِخُطُونَتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعُ خُطُونَتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: 21].

- ❖ المخذل الشرعي من سفر الطالبة دون حرم، وذهابها ما بين الجامعة ومقر إقامتها وقد يكون بعيداً.

- ❖ تعرّض الطالبة لمضايقات من قبل الأساتذة في الجامعة، والطلاب والإدارة وهذا أثبتته الأبحاث بدراسات استقصائية.<sup>(2)</sup>

(1) للمزيد، ينظر: محاضرة للشيخ بن الشیخ في موضوع تعليم المرأة وعملها، بمسجد أبي يعقوب الوارجلاني، رمضان، 1409هـ.

(2) ينظر مثلاً: لبني يسعد، "أشكال التحرش الجنسي في الوسط الجامعي(دراسة حالة)"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، مج 3، عدد 3 (2014): 111-140.

❖ ما يتبع الجامعة من توظيف المرأة في القطاع العام أو الخاص، وما يتبع عنه من مخاطر منها: التحرش بها في مكان العمل، فنور العلاقة الزوجية بسبب انهماك المرأة بالدوام خارج البيت ورجوعها متعبة، العزوف عن الزواج لأجل ظروف العمل واستبداله بعلاقات عابرة شاذة خارج الزواج، تقليل الولادات وشيخوخة المجتمع، تنازل المرأة الوظيفة عن حضانة أبنائها لدور الحضانة ونشأة أولادٍ فاقدى الحنان اللازم مما يسهل انحرافهم.<sup>(1)</sup>

❖ شبح العنوسة وتأخير الزواج لأجل الدراسة والوظيف، وما قد يترتب عليه من مفاسد على الشباب الراغب في التحصين وعلى الفتيات (بنظر الملحق) "ولعل من سلبيات إهمال الطالبة المزايية وعدم توجيهها وتحمل مسؤوليتها، تركها تتبع دراستها حتى المراحل العليا كالليسانس والماستر والدكتوراه على حساب الزواج، بل هناك عزوف عن الزواج، والأخطر من ذلك فسخ بعض الخطوبات.. وكذلك إذا تعلمت وحصلت على الشهادة فتفرض على الزوج أن تعمل، وهذه إشكالية موجودة".<sup>(2)</sup>

3. مسؤولية الأوقاف التعليمية للمدارس الحرة، ووجوب مراعاة نية الواقفين ومقصدهم: معلوم أن المقصود الذي وضع لها أوقاف المدارس الحرة هو تحصين البنت بما يضمن لها دينها وعقيدتها لتكون ربة بيت واعية، ومربية أجيال صالحة. فما حكم من أسهم ولو بدون قصد في تغيير وجهة المدارس الحرة لتمثل في تخريج طالبة بشهادة بكالوريا، ثم امرأة موظفة في مختلف القطاعات؟ يقول الشيخ أحمد الخليلي في فتاواه: "إذا كان الوقف صحيحًا فلا يصح تغييره، لدخول ذلك تحت وعيد قول الله سبحانه: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِنْهَا عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 181]".<sup>(3)</sup> فالحذر كل الحذر من "تغيير دور المرأة المزايية المحافظة، وتحويل دورها من الزوجة الصالحة والأم الحنونة إلى المرأة العاملة والموظفة، والتضحية بها من أجل

(1) للمزيد عن خطورة توظيف المرأة؛ ينظر: بوهدة غالية، أبو نصر بن محمد شخار، "قضية عمل المرأة: تحليل مقاصدي للخلفيات والآلات الاجتماعية والاقتصادية"، المجلة العالمية للدراسات الفقهية والأصولية، مج 2، عدد 2 (2018): 59-72.

(2) مصطفى بن حورشوم، ضوابط تعليم الفتاة المزايية بين التقيد والإطلاق، مجلة ملتقى الدعاة، مرجع سابق، ص90.

(3) أحمد بن حمد الخليلي، الفتاوى، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2013، 4/208.

مكاسب أو مصالح، قد يرى البعض أنها ضرورية للمجتمع، أو أنها سهلة المنال بدون دفع ضريبة باهظة، وخسارة ثقيلة لا تقدر بثمن."<sup>(1)</sup>

### **ثالثاً: أهم المبررات الممكنة لرقمنة التعليم الثانوي إلى البكالوريا، والإجابة عنها**

مع أن القانون ألزم التعليم الرسمي إلى سن 16 سنة، والذي يتتهي بشهادة التعليم المتوسط وفقاً لما ذكره أحد المدراء، إلا أن أغلب المدارس الحرة انتهت رقمنة كامل مرحلة التعليم الثانوي للبنات. وهنا تسأله الباحث عن السبب في ذلك سعياً إلى إثراء الموضوع، واستيصال جوانبه، للوصول إلى حلول عملية، فحاول الكشف عن أهم الأسباب انطلاقاً من الواقع وظروف المجتمع.<sup>(2)</sup> وفيما يأتي جملة من الدواعي التي يمكن أن تكون دافعاً لرقمنة كامل مرحلة التعليم الثانوي في هذه المدارس، وما يمكن أن تفسّر به أو يحاب عنها، أو يقدم بدها من حلول عملية:

#### **1. الغطاء القانوني وإنها البيروقراطية المسلطة على التعليم الحر<sup>(3)</sup>:**

الجواب: يلزم القانون بالتعليم إلى 16 سنة فقط، فلماذا نحاول الرقمنة إلى البكالوريا؟ وبالنظر إلى ما تقدم من خاطر متربة على رقمنة كامل المرحلة الثانوية؛ كتأثير المناهج بمداد الشهادة على حساب الشرعيات ومواد الهوية، ثم ما يتبع البكالوريا من جامعة ووظيف..؛ يمكن للمؤسسة أن تعلن صراحة أنَّ مهمتها في التعليم تتنهى إلى نهاية المرحلة المتوسطة؛ نظراً لظروفها المتاحة. وتنشئ بعد ذلك مراكز خاصة للتكونين ما بعد المتوسط وتنسق معها؛ لتسكُّل بتكوين البنات في المهام التي تحتاجها مادياً واجتماعياً وروحياً؛ كمهارات

(1) صالح بن عبد الله أبو بكر، التعليم العالي بين الضرورة والكمال، مجلة ملتقي الدعاة، مرجع سابق، ص 77.

(2) وأيضاً من خلال مشاركته في أيام دراسية في الموضوع، بالعطف، وبتغريات، أكتوبر 2020، إلى جانب حوارات كانت عرضاً في سياقات مختلفة، ولم يورد الباحث أسماء المحاورين لاحفظ أغلبهم، لذا يوصي بناء على هذا البحث بإجراء استبيان عميق وواسع، لترتيب هذه الأسباب وانعكاساتها حسب درجة تأثيرها. وبعض الأسباب الآتية ترجع إلى الطالبات، وبعضها إلى الإدارات، وإلى الأولياء.

(3) ينظر: جمعية الوفاء للترقية الاجتماعية، مداخلة الأرضية المعلوماتية لوزارة التربية الوطنية وأثرها على التعليم الحر بوادي مزاب، ص 07. ويشار إلى أنَّ هذا السبب يتعلق بإجراء الرقمنة بشكل عام، ليس فقط بالثانوي، والشيء نفسه بالنسبة لقضية التحويلات، وضمان استقرار المتمدرسين كما سيأتي.

التربية وما يخص العقيدة الصحيحة والهوية؛ إلى جانب المهارات الحياتية التي قد تحتاجها مورد رزق من بيتها ولتعليم أبنائها؛ كالطرز والخياطة وكذا الكمبيوتر، واللغات الأجنبية.

## 2. مشكل التحويلات بين المؤسسات:

أولاً: التحويلات بين المؤسسات ليست ظاهرة عامة، ويمكن أن تراعي الحالات الخاصة. ثانياً: رقمنة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة كافٍ لحل مشكل التحويل في هاتين المرحلتين، أما بعد ذلك فيمكن إكساب الطالبة مهارات التعلم عن بعد -كما في بعض المدارس في فترة أزمة كورونا- والتقييم بشكل مستمر، ولو بعد زواجها إن تيسر لها ذلك؛ خاصة وأنّ لدى هذه الفئة بشكل عام اهتماماً بالبحث والمطالعة والتعلم المتواصل.

## 3. ضمان استقرار التمدرسين بمؤسسات التعليم الحرّ، لأنّ الطالبات والأولياء يرغبون في الشهادات، وإنّ تخلوا عن المؤسسة:

أولاً: يعدّ هذا توقعاً وافتراضياً، وقد أثبت الواقع عكس ذلك في إحدى القصص؛ حيث وقع التسرّب من المدرسة الحرة نحو الحكومي بعد اعتماد الرقمنة إلى البكالوريا بدعوى أنّ المناهج هي ذاتها فما الداعي لدفع اشتراكات للحرّ؟ وأيضاً بدعوى الضغط على الطالبة بسبب المنهاج الحكومي بالموازاة مع الشرعيات،

ثانياً: لابد لهيئات المجتمع أن يكون لها دور القائد لا دور المنقاد لأهواء المجتمع، فلابد من حملات التوعية بخطورة الوضع وما نحن سائرون نحوه. وحتى الرسول عليه السلام كان يتلقى مساومات: ﴿وَدُوَا لَوْيَدِهِنْ فَيَدِهِنُونَ﴾ [القلم: 9] لكنه ثبت على المبدأ، وهذا دأب الصالحين أن يثبتوا على الحق وإن اتهموا بالسحر والجنون والرجعيّة: ﴿وَمَا نَرَكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بِأَدَى الرَّأْيِ﴾ [هود: 27] لكن في النهاية سيكون النصر والتوفيق للصالحين الثابتين على الحق: ﴿فَاقْسِرُ إِنَّ الْعَقِبَةَ لِلْمُتَّقِرِّبِ﴾ [هود: 49].

ثالثاً: التنازل عن المبادئ لأجل أهواء الناس لا حدود له، ونحن في عالم وراءه أجندة عالمية تسعى إلى فرض سلطتها على الأفراد عن طريق الحكومات،<sup>(1)</sup> ولا يكون ذلك إلا بحمل سلطة الأسرة، بتفكيكها وتقطيعها وأوامر العلاقات الاجتماعية، واستبدالها بعلاقات الميوعة والشذوذ والفردانة: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيُهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَنْبَغِي مِلَّتُهُمْ﴾ [البقرة: 120]، لذا فلابد من وضع حدّ لهذا منذ البداية؛ "فلابد أن تكون مؤسساتنا مستقلة، لنا مبادئ وتوجهات تحافظ عليها، ولا ننساق، فلابد من عزة النفس، والثقة والتوكّل على الله حق التوكّل".<sup>(2)</sup>

رابعاً: قد يكون الثبات على عدم الرقمنة مع التوعية، وتوفير بدليل قويٍّ محفزٌ لمن يتحفظ من الرقمنة بأن ينضمّ للمؤسسة.

#### 4. المجتمع سائر نحو الرقمنة، فلابد أن نسايره وقايةً لبناتنا من الضياع في المدارس الحكومية:

لا ينبغي الاستسلام بسهولة واليأس، فلابد من مجهودات توعوية قبل ذلك، وإنما فهي مسؤولية. ولماذا لا نرضى للبنات بأن تضيع في المدارس الحكومية، لكن نفتح لها المجال للجامعة والوظيف والتخلّي عن الأسرة؟ بمنحها شهادة البكالوريا؟! ولأن يسجل لنا التاريخُ وتسجل الملائكة جهادنا من أجل الحفاظ على هوية مؤسساتنا ورسالتها خير من أن يُسجل علينا الرضوخ لواقع الناس والتخلّي عن مبادئ هيأتانا العرقية والاستسلام لتغيير مسارها، ليكون هذا مواصلة لما ضحى به السابقون لاستمرار هذه المدارس في أهدافها.<sup>(4)</sup>

(1) وأيضاً "الدول المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تحاول فرض مناهجها وبرامجها على الدول النامية، وهكذا تتحول منظوماتها التربوية تابعة لها، وبالتالي يتم صقل عقول أجيال جديدة. وفق نماذج محددة مسبقاً" (ضياف زين الدين. "آفاق تطوير المناهج التربوية في ظل تحديات العولمة". دفاتر الخبر، مج 1، عدد 1 (ديسمبر 2005): 141-148).

(2) عمر بن يحيى أولاد أعمارة، تقرير الندوة العلمية الأولى، مجلة ملتقى الدعاء، مرجع سابق، ص 241.

(3) ينظر: البشير بن عمر مرموري، مواقف اجتماعية اتجاه أهداف التعليم الحر للمرأة المزايية، مجلة ملتقى الدعاء، مرجع سابق؛ أورده في سياق عرض المواقف الاجتماعية اتجاه تعليم البنات؛ من يرى "التجديد مبدأ راسخاً للاستغناء عن التعليم الرسمي" ص 103، 104.

(4) مثلاً: عند سماع الشيخ إبراهيم بيوض بقرار تأمين المدارس، من شدة الصدمة كان يشكو من الإرهاق وألم في رأسه وقال: "لو حدث شيء لمدارستنا لا أريد أن أراه بعينيّ، لقد هزتني هذه الحادثة هزة

ولماذا تحركت هيئاتنا العرفية المحترمة من عزابة وعشاير وأعيان وغيرهم للتوعية في أزمة كورونا رغم معارضة الكثير واستهتارهم، لكن لم نرَ مثل ذلك التحرك للتوعية بعدم الرقمنة إلى البكالوريا لما فيها من أضرار؟ بل وقع الرضوخ والتنازل للمساومات، أم أنها لم ندرك خطورة الموضوع؟ أم أن آخرتنا ومصير مجتمعنا أهون من الأمراض المادية؟!

### 5. التأمين والضممان الاجتماعي للمتمدرسين:

ثقة مجتمعنا منذ القديم وطيدة بالله تعالى الرزاق، فلم يندمج في المدارس الحكومية مع ما فيها من امتيازات وإعفاءات ومنح، بل ضحى ببناء مدارس وتمويلها بالبرعات والاشتراك الرمزي، وهو مستعدٌ للمُضي قدماً على هذا الطريق، في حال وجود توعية شاملة، وإقناع بضرورة الإنفاق مقابل الحفاظ على هويتنا ومكتسباتنا. ويمكن أيضاً استخدام أموال الزكاة في مساعدة الفئات الخاصة وفقاً للضوابط الشرعية.

### 6. حصول البيت على البكالوريا يحقّن لها ذاتها؛ كي لا تشعر بالدونية أمام الجامعيات:

وهذا متداول، وفي الحقيقة قد يصير تحصيل الشهادة والذهب إلى الجامعة إشكالية حينما يرتبط بتحقيق الذات على إطلاق، حتى بالنسبة للشاب فيذهب إلى الجامعة، ولو في تخصص لا يرغب فيه إذا لم يسمح له معدله بالتخصص المرغوب لديه. وستتوقع هذا أيضاً من بناتنا؛ فهنا يلزم توجيه أنماط التفكير في أساليب تحقيق الذات وأنه لا بد أن يكون في إطار عبادة الله تعالى، ومراعاة القيم الدينية والاجتماعية التي تخدم تلك الغاية. وإن ستتجزّر الأجيال إلى ما لا تحمد عقباه تائراً بـأنماطٍ مستوردةٍ لتحقيق الذات لدى المرأة؛ من ذلك مثلاً ما تراه بعض النسوة في بعض المجتمعات من تحقيق الذات عن طريق التخلّي عن الأسرة واقتحام المناصب الحكومية، أو في إقامة علاقات عاطفية حرمة.

---

عنيفة فقد دخلت السجن في عهد بن بلة والحمد لله فقد ابتليت كما ابتلى الأنبياء والرسلون، وصودرت أملاكي.. فحمدت الله على هذا، ولكن لما أوذينا في ديننا ومقوماتنا فالموت خير لي من حياني"؛ وقام الرجال الغيورون بجهودات مع السلطات، حتى تم استثناء مدارسنا ومعاهدنا من القانون بحمد الله تعالى. (ينظر: سعيد بن علي بهون علي، 1976.. أحظر قانون هدد وادي مزاب، مجلة الهدى، عدد 17، 2007، ص 42، 43).

(1) جمعية الوفاء للترقية الاجتماعية، مداخلة الأرضية المعلوماتية لوزارة التربية الوطنية وأثرها على التعليم الحر بوادي مزاب، ص 06.

## 7. حصول البنت على البكالوريا يؤهلها للجامعة، والحصول على وظيفة تساعد بها نفسها في الحالات الخاصة كالعنوسية والطلاق:

علينا باسم المجتمع أفراداً وهيئات التكفل بهذه الفئات الخاصة، وأن نشعر بخطتنا تجاه المرأة حينما ندفعها للعمل بسبب التخلّي عنها في مثل هذه الظروف، والواجب هنا: أولاً: رعاية الفئات الخاصة كالطلقات والأرامل والتكفل بهنّ حسب درجة القرابة الأقرب فالأقرب، وإن ثبت عدم قدرتهم تتولاها العشيرة.

ثانياً: توفير مشروعات صغيرة من المنزل، ل توفير شغل لهذه الفئات المعوزة، وتوجد تجارب ناجحة في بعض القصور<sup>(1)</sup> بحيث يتم إيصال المادة الأولية للنسيج أو الخياطة أو الحلويات إلى منازلهن، والتوكيل بتسويق منتوجاتهن؛ ويتولى توزيع المادة الأولية وجمع المتوج من المنازل رجل أمين برفة محرم له؛ فيمكن تعليم هذه التجارب وتوسيعها والتعاون بينها لتسويق متوج نسائنا محلية وخارجياً؛ دون الوقوع في طلب الوظيف عن طريق الجامعة وما فيها من محاذير بداء من التحرش بالبنت في الجامعة ثم في الوظيف، ثم تخليلها عن الأسرة وال التربية، وما يتبع ذلك من تفكك المجتمع. ولقد كانت أمهاتنا منذ القديم يعملن عملاً متوجاً ومرجحاً، ويساهمن في التنمية الاقتصادية بصورة فعالة؛ كان من بينهن المطلقة والأرملة<sup>(2)</sup> وهذا من خلال الغزل والنسيج ونحوهما، إلى جانب القيام بشؤون البيت المعروفة.

والجامعة حالياً لا تضمن الوظيف، فكم لدينا من الشباب الجامعي من يشتغل خارج تخصصه كالتجارة لما لم يجد ما يوافق شهادته الجامعية !

وهناك من خاف على ابنته العنوسه فأجلأها إلى طريق الجامعة، فرددت الصداق بعد خطبتها، فكانت هذه بداية عنوستها، ووقع المذور الذي كان يخشأه، ومن المؤكد أن الجانب المادي لا يُغوض لها الجانب النفسي بالاستقرار الأسري، لذا يجب اتخاذ التحسين بالزواج أولوية، ويمكنها متابعة الدراسة عن بعد إن رغبت بعد ذلك، وحتى العمل من منزها مع مراعاة ظروفها الأسرية.

(1) مثل مشروع محضرة مشاركة الإيمان بأت مليشت، مقابلة مع مدير المحضرة، الأستاذ سليمان شرع الله مدير، يوم 30/8/2020 م.

(2) مصطفى بن صالح باجو، التأصيل الشرعي لعمل المرأة المسلمة، ص 45.

ولماذا لا نأخذ العبرة من المجتمعات الغربية التي سلكت سبيل توظيف المرأة لأغراض مادية، ثم وجدت نفسها في طريق مُظلمٍ لما تخلت المرأة عن تربية أطفالها لمريات أسأن التربية ظهرت في الأبناء اخترافات أخلاقية وجنسية، ناهيك عن معاناة أزواج النساء الموظفات من الإهمال والتقصير خاصة في الجانب العاطفي مما أدى إلى ارتفاع نسب الطلاق والبحث عن بدائل، إضافة إلى التحرش في أماكن العمل مما أدى إلى علاقات غير مشروعة.<sup>(1)</sup>

#### 8. المجتمع بحاجة إلى بعض التخصصات كالطب<sup>(2)</sup> والتعليم:

"ما أسهل أن يقول المرأة نريد أن تكون لنا طبيبات ومبرضات ومعلمات يتحملن التمريض لنسائنا والتعليم لأبنائنا، لكن الوصول إلى هذا الهدف اللامع والبراق محفوف بالمخاطر والتضحيات الجسام، وتضييع مكاسب ثمينة يستحيل استرجاعها.. وهنا تكمن خطورة موضوعها باستحضار جميع الصعوبات والعوائق العملية قبل أن نلهث وراء الفضة والنحاس ونخسر الذهب والمالس"<sup>(3)</sup> فمثلاً: "المرأة التي تعمل في المستشفى ليلاً، وتبقى مع الرجال وحيدة، وبخاصة إن كانت عازبة؛ سوف تمرّ بها لحظات امتحان عصبية، تحتاج إلى إيمان ويقين وقبض على الجمر، فهل هي مضطرة إلى اجتياز تلك العقبات؟ وهل نضمن النجاح لكل الفتيات؟"<sup>(4)</sup>

كما أنه من صعوبات التكوين في الجامعات أنه:

❖ "يجب أن نصحى بعثات أوآلاف البنات من المتوسطات والثانويات حتى يصلن إلى الجامعات، وفي النهاية تخرج منهاً أربع أو خمس ممرضات.

(1) ينظر كتاب: المرأة الغربية ومستنقع الحرية، كتاب مترجم، تقديم أحمد الصويان؛ وفيه تصريحات نساء من دول الغرب عن خطورة ما وصلوا إليه بعدما أخرجوا المرأة من بيتها إلى الوظائف، والولايات التي يعانون منها على الفرد والأسرة والمجتمع جراء ذلك.

(2) حمودين ح بكير، مخاضرة قدمها في الأيام الدراسية حول تدريس العلوم الشرعية في المدارس الحرة واقع وتحديات وبدائل، محور: الغاية من تكوين الفتاة في المؤسسات الحرة؛ وأثرها على تدريس العلوم الشرعية، العطف، 17-18 أكتوبر 2020م.

(3) صالح بن عبد الله أبو بكر، التعليم العالي بين الضرورة والكمال، مجلة ملتقي الدعاة، مرجع سابق، ص 77.

(4) مصطفى بن صالح باجو، التأصيل الشرعي لعمل المرأة المسلمة، مجلة ملتقي الدعاة، المرجع السابق، ص 44.

- ❖ التسجيل في الجامعات يصعب في اختيار التخصص، لأنه يضبط بالمعدل وشعبة البكالوريا.
- ❖ اختيار الجامعة القرية بدون إقامة يحتاج إلى جهود ومساع لا يستطيعها جميع الأولياء.
- ❖ المدة الطويلة في الدراسة الجامعية طب عام، والتخصص في طب النساء أو الأطفال، ثم التوظيف والعمل كثيراً ما يفوت على الفتاة قطار الزواج وتكون الأسرة.<sup>(1)</sup> لذا لابد من دراسة الأمور جيداً من عدة جوانب، بنظرة بعيدة.

وبالنسبة للتعليم فتشير دراسة إلى أنه من آثار اكتساح العنصر النسوی التوظيف في قطاع التربية الوطنية خاصة مرحلة التعليم الابتدائي؛ انتشار ظاهرة الاستخلاف على عطلة الأمومة في الفترة الراهنة مما يطرح مشكلاً كبيراً، لأن التلميذ في الطور الابتدائي يتعلق بأستاذة وعند تغييره، يحدث شرخاً كبيراً في نفسية الطفل، ويمثل الحجم الزمني لغياب أستاذة الفوج نصف سنة دراسية تقريباً في حالة عدم تمديد عطلة الأمومة، وما يؤسف له كثيراً أن الأستاذ المستخلف إن لم يتلق أي تكوين، سينعكس ذلك على مستوى تحصيل التلاميذ واكتساب المهارات الالازمة لمواصلة المسار الدراسي، مما يؤدي إلى آثار وخيمة على مستوى التلاميذ.<sup>(2)</sup> فلماذا لا يتم العمل على دعم شبابنا وتحفيزهم للتعليم الرسمي لأبنائنا؟

ومن جانب آخر فتوظيف المرأة خارج البيت له آثار سلبية على مهاراتها الأساسية داخله؛ فقد توصلت دراسة في ولاية الوادي على 89 امرأة متزوجة عاملة في قطاعات التربية والصحة والإدارة إلى أن 71.91% منهان أكدن عجزهن عن تأدية الواجبات المنزلية من تنظيف وغيرها، ونتيجة لذلك تتضاعف لديهن حدة الضغط والتعب نتيجة لتندر أزواجهن لذلك، وهذا بنسبة 39.32%， وقد يتطور ذلك إلى شجارات ونزاعات، وفي هذا الصدد أكدت الكثير من الدراسات السوسيولوجية والسيكولوجية المتخصصة في الأسرة إلى أن نسبة الطلاق تتزايد طردياً مع تزايد دخول المرأة لسوق العمل، نتيجة إهمال المرأة لبيتها وأطفالها.<sup>(3)</sup>

(1) صالح بن عبد الله أبو بكر، التعليم العالي بين الضرورة والكمال، ص 79.

(2) ينظر: الطاهر براهيمي. "المدود التربوي للمدرسة الجزائرية - دراسة وثائقية تحليلية -". Revue Des Sciences Humaines 20 (30 يونيو 2009): 19-101، ص 74.

(3) ينظر: فطوم بلقي. "النظام الأسري الجزائري في ظل التغير الاجتماعي ". Revue Des Sciences Humaines 24 (31 ديسمبر 2013): 165 - 175.

## 9. لا ينبغي أن يبقى نصف مجتمعنا مسلولاً بسبب بقاء النساء معطلات في البيت، فلا بد أن يسهمن في الحياة العملية وال المجال السياسي.<sup>(1)</sup>

"إن تصور المرأة في البيت إنساناً قاعداً لا شغل لها جهل شنيع يعني الأسرة.. ووظيفة ربة البيت من أشرف الوظائف في الوجود، وما يحسنها إلا من استكمل لها أركي الأخلاق وأنقى الأفكار، أليست هي حضانة الأجيال الجديدة وشق الطريق أمامها حتى تبني باتا حسناً؟ ولقد كانت المرأة في صدر الإسلام ربة بيت من طراز رفيع، وما منعها ذلك من أن تكون في قمة الثقافة والاستقامة الاجتماعية، والنهوض بأمتها والانتصار لدينها".<sup>(2)</sup>

والمرأة الصالحة في بيتها تقدم خدمات جليلة يمكن تقويمها ببالغ هائلة، وبعض مهامها كالرعاية النفسية والتربية للأسرة والأبناء لقيمتها النفيسة لا يمكن تعويضها بأي ثمن مما كان. لكنَّ أنصار الرأسمالية المادية المتوجهة لا يُسعدهم ذلك، فيرغبون في تخلي المرأة عن بيتها لتنشط محلها مؤسسات لطهي الطعام، وأخرى لغسيل الملابس، وخليل الأطفال، ومربيات في دور الحضانة،<sup>(3)</sup> وتزداد الضرائب المحصلة من كل ذلك. لكن تجارب الدول الغربية أثبتت بأن اقتحام النساء للوظائف على العكس من ذلك قد أسهم في شيخوخة المجتمع وتناقص الأيدي العاملة لما تخلت المرأة عن رعاية أسرتها وتربية أبنائها، مما أدى إلى ركود اقتصادي، والآن تُحاول هذه الدول تشجيع النسل ولو بطرق شاذة خارج نطاق الزواج. ناهيك عن الأعباء الاقتصادية للأسرة حين تنفق أموالاً إضافية لغسيل الملابس ولشراء الطعام الجاهز والذي عادة يكون غير صحي، وغير ذلك؛ فيصير الرجل والمرأة في عمل متواصل كلَّ في وظيفته ولا يكادان يوفران ضرورياتهما كما نرى

(1) من خلال حوار في مجموعة إلكترونية خاصة يوم 14/2/2021.

(2) محمد الغزالى، ركائز الإيمان بين القلب والعقل، القاهرة: دار الشروق، د.ط، 2001م، ص 221، بتصرف.

(3) بخصوص مشكلة المربيات ورد في بحث نشره المجلس الأعلى لشؤون الأسرة بقطر ما نصه: "الاتصال النفسي الذي ينشأ بين هؤلاء الخدامات (المربيات) والأبناء قد يؤدي في معظم الأحيان إلى الاضطرابات النفسية لدى هؤلاء الأبناء، ناهيك عن المخاطر التي قد تسببها الخدامات (المربيات) من جرائم ومشكلات أخلاقية واجتماعية خطيرة في المجتمع". (بتول محبي الدين خليفة، الاتجاهات نحو الخدامات (المربيات)، وأثره على أساليب التنشئة الأسرية والتوافق النفسي للأبناء بدولة قطر، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، قطر، 2006، ص 10).

في بعض المجتمعات.<sup>(1)</sup> ومن الناحية الاقتصادية "فإن كتابات كثيرة تذكر أن أغلب ما تكسبه المرأة من عملها يذهب في كمالياتها من الزينة والعلو؛ حتى تخرج إلى عملها في شكل أنيق مثير، لتعود القصة إلى البداية، وتدور القضية في حلقة مفرغة".<sup>(2)</sup>

وتوظيف المرأة أيضا له دوره في ارتفاع البطالة لدى الشباب؛ فمثلاً ارتفعت البطالة في الجزائر من 11.2% سنة 2015 إلى 11.7% سنة 2017، ويعود هذا الارتفاع أساساً إلى تزايد مؤشر البطالة لدى الذكور والذي بلغ 0.7 نقطة، في حين شهد انخفاضاً لدى الإناث قدر بـ 0.5 نقطة.<sup>(3)</sup>

وفي الحقيقة فإن دعوة توظيف المرأة من الغربيين بدعوى المساواة لا يريدون لها أن تعمل كالرجل مثلاً بأن تحمل الفأس والحجارة في شركات البناء، وأشغال التزفيت، وإنما يريدون لها أن تكون بين أيديهم متربنة متحررة من الأخلاق والدين.<sup>(4)</sup>

**10. ربما ستقام جامعة خاصة للبنات في «مزاب» للتخصصات التي يحتاجها المجتمع كعلم النفس مثلاً؛ حينها لا تتأسف طالباتنا بأن ليس لديهن بكالوريا:**<sup>(5)</sup>

أولاً: هذا تخمين. ثانياً: كم تحتاج من إخصائيات في هذه المجالات؟ ثالثاً: هل طاقة الاستيعاب في هذه الجامعات المفترضة ستكتفي بكل بنات مدارسنا؟ وماذا إن قالت الفتاة إنها تميل إلى تخصصات أخرى وهي مصممة عليها، وقد لا تتوافق مع رسالتها في الحياة، ونحن مسؤولون؟

(1) صقر، محمد أحمد، مغالطات اقتصادية؛ المرأة والحسابات الاقتصادية، مجلة هدي الإسلام، مع 23، عدد 3، 1979م، 96-102.

(2) مصطفى بن صالح باجو، التأصيل الشرعي لعمل المرأة المسلمة، ص 49.

(3) الديوان الوطني للإحصائيات، "الجزائر بالأرقام تقرير 2018" (الجزائر، 2018):

04.https://www.ons.dz/IMG/pdf/aqc\_r\_2017\_ed\_2018ar-2.pdf

النشاط الاقتصادي والتشغيل والبطالة، https://www.ons.dz/IMG/pdf/DSEmploi0915.pdf  
اطلع عليه: 1/23/2021.

(4) علي يحيى معمر، الفتاة المسلمة ومشاكل الحياة، 92-94، وقد قال بإمكانية توظيف المرأة فيما ينحصر الشأن التسووي كالقابلات لكن بعد أداء وظيفتها الأولى وهي الزواج، على أن تُتحقق بين كونها زوجة وأماماً إلى جانب الوظيفة الأخرى، 48-57، ولابد أن يُراعي في ذلك عدم الاختلاط والخلوة بالرجال في بيئة العمل، والاكتفاء بالحد الأدنى والضروري من هذه الوظائف، حتى لا ينحرف المجتمع عن مساره.

(5) حوار مع رئيس قسم التكوين الدبلوم والتكوين المتواصل لمعهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية: عز الدين كاره، يوم 15/12/2020.

## 11. مساعدة المرأة أبناءها في فهم الدروس:

كما تقدم، فإن إلغاء رقمنة المرحلة الثانوية لا يعني تهميش تعليم البنت، وتركها للفراغ، بل إضافة إلى مواد المووية والشرعيات والمهارات الحياتية؛ يتم تعميق معارفها بأهم المواد التي يمكن أن تساعد فيها أبناءها بشرط ألا تطغى على المواد الأخرى، وتتمثل حسرا في: الفرنسية، الإنجليزية، الرياضيات، العربية. ويمكن تدريسها بطرق مبتكرة فعالة خلافا للمناهج العامة، وبهذا نضمن كلا الحسينين.

## 12. رفع الوعي للبنت كي لا تقع فيما نراه من انحرافات وحالات الطلاق:

كما سبق، فإن إلغاء رقمنة الثانوي لا يعني بالضرورة إهمال البنت وتركها لأهواها، بل ينحصص لها تكوين في أهم المهارات التي تحتاجها في حياتها، والعلوم التي تعمق لها الجانب الروحي والأخلاقي لتكون امرأة صالحة، وربة بيت واعية.

بل إن احتمالية الانحراف في الوسط الجامعي أكثر؛ خاصة وقد أثبتت الأبحاث العلمية وجود التحرش الجنسي بالطالبات والموظفات في الجامعة من طرف أساتذة وإداريين؛ مستغلين سلطتهم في حال رفض إحداهم بتهدیدها بخصم علامات التنقطيط، أو عقوبات إدارية أو مالية، أو إقصاء دراسي أو مهني، أو بنقلها لمكان لا ترغب فيه، وفي حال الاستجابة لمكافآت مادية وزيادة العلامات، وأيضا يقع التحرش بالطالبات في حافلات نقل الطلاب.<sup>(1)</sup> كما أن رفع الوعي غير مرتبط بالشهادة بالضرورة، إذ إنه "يمكن أن يحصل الإنسان على العلم والثقافة بدون شهادة، وبالتالي يمكن أن تكون عندنا مدارس حرة، تكوينها قوي، ولكن ليس فيها شهادة".<sup>(2)</sup>

## 13. هناك تضخم في مواد الشرعيات في مدارسنا مما يكرّها للبنت، فلا بدّ من تخفييفها واستبدالها بالمناهج العامة:

وجود تركيز أكبر على بعض المواضيع، أو خلل في منهجية تقديم مواضيع أخرى لا يعني أن تلغي هذه المواد الأساسية، وستبدل بمواد هي أبعد ما يكون عن احتياجات البنت وهدفها في الحياة. وهناك طريق ثالث هو إمكانية تعديل هذه المناهج وتطوير أساليب

(1) يسعد، "أسكال التحرش الجنسي في الوسط الجامعي (دراسة حالة)"، 121-137.

(2) بكير بن حودة حاج سعيد، تقرير الندوة العلمية الثانية، دور المرأة في تحقيق التنمية المتكاملة، مجلة ملتقى الدعاة، مرجع سابق، ص 256.

تقديها بما يحبها للبنت؛ إلى جانب المواد التي تهدف إلى حصانتها في وجه التحديات المعاصرة وتحقيق الغاية من وجودها.

#### 14. الشهادات داع وعفر لرفع المستوى (تفتيش، تقويم، متابعة..) وهي فرصة للتنافس مع المؤسسات الأخرى.<sup>(1)</sup>

لا شك أن رفع مستوى الأداء والتكون في المدارس الحرة هدف نبيل ومطمح ضروري، لكن، هل يمكن تقوية الأداء وترقية كفاءات الإطار التربوي دون اعتماد الشهادة نظراً لما تقدم من إشكالات؟ وأيضاً عند ارتباط المناهج الحرة بما فيها المرحلة الثانوية بالمنهاج الحكومي ستكون عرضة بشكل أكبر للتغيرات المتواالية على المناهج الوطنية، والتي هي مع الأدوار التي تقوم بها، إلا أن انتقادات عدّة وجّهت لها، منها أن "بعض التعلمات التي تتضمنها الكتب المدرسية صيغت في وضعيات تعليمية معقدة بعيدة عن إدراك التلميذ باعتبار السن والنضج، لذا يواجه الأساتذة صعوبة كبيرة في كيفية تدريسها، للدرجة أن بعضهم يشك في كفاءاته التدريسية، وعجزه عن أداء مهامه التربوية، فيصاب بالإحباط النفسي"<sup>(2)</sup>، ومنها أيضاً أن "إصلاحات بن زاغو سنة 2003 التي حملت شعارات التجديد والحضارة.. أنتجت جيلاً غير متشبع بقيم الهوية والوطنية فانتشر العنف، الهجرة غير الشرعية، التسرب.. وفي هذه الإصلاحات كذلك لن تشذ عن القاعدة"<sup>(3)</sup> و"غير خفي أن المدرسة الجزائرية تعاني كثيراً من المشاكل، وتحتاج إلى تقويم وتطوير لعلاج مظاهر ضعف المردود التربوي والوقاية من المعوقات وعوامل الفشل المدرسي بشكل عام".<sup>(4)</sup>

(1) قاسم بن أحمد الشيخ بال حاج، تقرير الندوة العلمية الثانية، المرجع السابق، ص 251.

(2) بن يطو بن عمران، "المشاكل التعليمية والبيداغوجية التي تعاني منها المدرسة الابتدائية"، مجلة المجتمع والرياضية 3 ، عدد 2 (2020): 68-77، ص 74.

(3) حزة العيفاوي ، "قراءة في مناهج الجيل الثاني لتعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية" مجلة النص 4، عدد 2 (2018): 24-12، ص 24. وقد أئتمهم أعضاء من لجنة إصلاح المنظومة التربوية، وعلى رأسها ابن زاغو المدرسة الجزائرية بأنها مصدر تحرّيج الإرهابيين، لأن مناهجها كُتبت باللغة العربية وأنها ذات طابع ديني، بينما الفرنسيّة في نظرهم هي مصدر الخداثة والتشوّه والتقدّم العلمي" (سعد عبد السلام، "التعليم في الجزائر واقعه وآفاقه"، مجلة البحوث التربوية والعلمية مج 9، عدد 2 (2020): 109-128، ص 116).

(4) الطاهر براهيمي. "المردود التربوي للمدرسة الجزائرية - دراسة وثائقية تحليلية - " Revue Des Sciences Humaines 20 ، عدد 1 (30 يونيو، 2009): 101-119، ص 116.

فالعمل على التنافس لا ينبغي أن يجربنا عن الغايات التي أنشئت لها المدارس. ومن الظلم المقارنة بين مدرسة عامة ومدرسة حرّة على أساس معدل الشهادة فقط، دون النظر إلى قياس مستوى القيم والهوية والتكوين الشرعي والاجتماعي ونحوه مما هو أساس هذه المدارس الحرّة. فمثلاً، توصلت دراسة على مناهج التربية الإيمانية بالمعاهد الحرّة إلى أن "التربية الإيمانية تساهُم بشكل كبير في تجنّيب الطفل الوقوع في الضطربات والمشكلات السلوكية التي تعيشها العديد من المؤسسات التربوية؛ مثل الانحرافات اللاأخلاقية (السب، الشتم، الشذوذ الجنسي...) إضافة إلى مشكلات العنف والعدوانية وتعاطي الكحول والمخدرات... وبالتالي فللماذا أثر إيجابي وفعال في تحسين الصحة الجسمية والنفسيّة والوجدانية والاجتماعية للمرأهق من خلال تعزيز المفاهيم الإيمانية الصحيحة حول ذاته وغاية وجوده".<sup>(1)</sup>

ولم لا نعمل على تطوير نموذج تربوي تعليمي، يكون مثالاً للتوازن والاستقامة والتكوين الرصين، وقد تستفيد منه المنظومات التعليمية في الوطن وخارجه.

## 15. الطالبة ولو حصلت على شهادة البكالوريا ليس بالضرورة أن تذهب إلى الجامعة:

الواقع أثبت أنَّ إحدى المؤسسات الخاصة في البلدة تتقدّم منها إلى التكوين الجامعي أكثر من 25% من الحاصلات على البكالوريا في كل سنة، وهذا رغم الجهود المبذولة من طرف المؤسسة للتوعية، ونحن لا نزال في البدايات، فكيف إن صار الأمر شائعاً والذهاب إلى الجامعة هو الأصل وغيره شذوذًا واستثناءً!<sup>(2)</sup>

(1) إبراهيم تامتل، وخضر لکحل، "شدة المنظومة القيمية للمرأهق في ضوء أهداف منهاج التربية الإيمانية: دراسة ميدانية على عينة من طلبة الرابعة المتوسطة عمي سعيد بولاية غرداية". مجلة الواحات للبحوث والدراسات 13، عدد 2 (2020): 43-22.

(2) حودين ح بكير، مداخلة ضمن الأيام الدراسية حول تدريس العلوم الشرعية في المدارس الحرّة واقع وتحديات وبدائل، محور: الغاية من تكوين الفتاة في المؤسسات الحرّة؛ وأثيرها على تدريس العلوم الشرعية، العطف، 17-18 أكتوبر 2020م.

(3) ذكر أستاذ بإحدى المدارس الحرّة؛ تحفظَ من كتابة اسمه؛ - بتاريخ 09/02/2021 - أنه عاد إلى التدريس بعد انقطاع لسنوات فلاحظ أنه ظهر لدى الطالبات رغبة جامحة، وهو سُرِّ غريبٌ بالجامعة والشهادات، فقام بمسؤوليته بتحذيرهن من عوائق ذلك، وأنّا بهذا التفكير بعد فترة سوف لن نجد خلافَ لأمهاتنا المربيات للأجيال بأصالة واستقامة وتوزان.

## 16. الطالبة ولو ذهبت إلى الجامعة ليس بالضرورة أن تنحرف جنسياً:

هذا صحيح، ولا يشكك أحد في تربية الأولياء الحريصين والغيورين. لكن ما لا شك فيه أن بيئة الجامعة تؤثر في أنماط التفكير ولو بشكل جزئي ، فالواقع صعب. وأحياناً يمنع الأستاذ في الجامعة أن ينهى طالبة متبرجة من إبداء مفاتها، لأن ذلك يعدّ تدخلاً في الحرية الشخصية، وهذه الفتاة المزايية التي ترى هذا الواقع كيف لا تتأثر إن لم يكن لها تكوين عقدي وإنما؟ فإذا كانت ضعيفة فستتأثر خاصة عند اضطرارها للعمل في مجموعة مع طالبة لا تمتلك القيم، فتنتقل إليها سلوكياتها المنحرفة.<sup>(1)</sup> ونحن نرى متخرجين من الجامعة بأفكار إلحادية، وعلمانية ليبرالية من يرفض قيم المجتمع والدين، ويُفتَن بذلك غيره من البسطاء. وحينما يتلقى الأبناء مثل هذه الأفكار عن طريق أمهاهاتٍ تأثُرُن بالجامعة، فإنَّ اخرافهم ما هو إلا تحصيل حاصل. ومن هؤلاء المؤثرين فكريًا مَن رجع إلى جادة الصواب، بعدما عاد إلى الحضن الأسري والاجتماعي المشبع بقيم الهوية الأصيلة التي لا يزال المجتمع يحافظ عليها من خلال استقرار المرأة في بيتها وتربية الأجيال منذ عصور، فكيف إنْ زالت هذه الركيزة بضياع ربة البيت في الجامعات والوظائف، وقدرت الأسرة بوصلتها؟ "وما يشعروننا بالأسى والحزن أنَّ بعض بناتنا الآن دخلن الجامعة، وأصبحن لا يتمسكن بهذه المبادئ كموضوع الحشمة والحياء.. فتجد فتاة ظاهرها ملتزمة، لكنها تتكلم مع شاب أجنبي دون حواجز، وأحياناً يكون مظهرها شبه متبرجة، لأنَّها تأثرت بالواقع العام"<sup>(2)</sup>.

## 17. دعنا نجرب، فإن وجدنا الطريق ملعمًا سترجع:

لا ينبغي أن تعالج شؤون المجتمع المصيرية بهذا التفكير السطحي؛ فليست كل القضايا تسمح بالتجريب والتراجع بسهولة، فهناك ما يصعب فيه الرجوع؛ كمن أقدم على تجريب أصدقاء السوء والمخدرات، إلا من رحم الله، فكيف بمصير مجتمع لا تظهر نتائجه إلا بأجيال؟ وفي مجتمع عريقٍ ومهيكل لابد من الترثيث جيداً وعدم التسرع، ودراسة الموضوع على عدة مستويات وأبعد مع مختلف الم هيئات من عزابة وعشائر و مجلس عمي سعيد وأعيان وباحثين وغير ذلك.

(1) مصطفى بن حورشوم، ضوابط تعليم الفتاة المزايية بين التقيد والإطلاق، مجلة ملتقى الدعاة، مرجع سابق، ص86، بتصرف.

(2) المصدر السابق نفسه.

## 18. المتطلبات المادية والبشرية في حال وضع منهاج جديد بناء على متطلبات البنت؛ إلى جانب منهاج الرقمنة:

إن اتباع نظام الرقمنة إلى البكالوريا سيضع مدارسنا الحرة في سباق محموم في مواد الشهادة متمثلة في الفلسفة والفيزياء ونحوها؛ وتكون على حساب المواد الأصلية التي تحتاجها البنت؛ متمثلة فيما يحفظ هويتها وقيمها الروحية والاجتماعية. وهذا لا شك سينشئ لنا بتناً تعاني من فراغ روحي وجهل بدينها ومعاملاتها وأحوالها الشخصية؛ سيما وأنَّ البنت ركيزة المجتمع. وهذا سيكون له تأثيره في الأمراض النفسية، وحالات الطلاق.. فكم سيحتاج المجتمع حينها من موارد مالية وبشرية لعلاج هذه الحالات النفسية واضطرابات الأسر وضياع الأبناء؟ فائيُّهم أقلَّ ضرراً وأجدى نفعاً؟ ومعلوم في المقاصد أن مصلحة الدين مقدمة على مصلحة المال.

## 19. نحن لم نأمر الطالبة بالذهاب إلى الجامعة، بل قد قمنا بتوعيتها كي لا تذهب: هذا اعتراف ضمني بخطورة الجامعة. فلماذا نأتي لها بالخمر ثم نمنعها من شربه؟ لماذا نمنح لها الشهادة مفتاح الجامعة ومنعها من دخوها؟ أليس الأولى لأنَّ نقرب هذا الباب الذي كنا في غنى عنه أصلاً؟ وهذا انطلاقاً من قاعدة سدِّ الذرائع؛ بترك ما هو مباح إذا كان غالب الظن أنه يؤدي إلى محظوظ، خاصة على المستوى الكلي للمجتمع.

### خاتمة: حلول للإشكالات السابقة

من خلال ما سبق يتبيَّن أنَّ قضية رقمنة المرحلة الثانوية لتعليم البنت رغم ما فيها من مبررات، وإيجابيات وآفاق مرجوَّة، إلا أنَّ ضررها على المستوى الكلي والمستقبلية للمجتمع أكبر من نفعها، لذا لابد من إعادة التفكير جدياً في الموضوع، والسعى لإيجاد حلول لذلك. ويمكن أن يكون العمل على الشكل الآتي:

1. اعتماد منهاج الرقمنة في الابتدائي والمتوسط حتى لا تكون المدرسة في إشكال مع الوزارة ولا تبقى خارج المنظومة،<sup>(1)</sup> وفي المرحلة الثانوية تكوين حرَّ خالص، قاعدته وركيذته ما تحتاج إليه ربة المنزل النموذجية في كل جوانب الحياة ديناً ودنياً؛ يتنهى

(1) إنَّ كان ولابد من رقمنة المرحلة الابتدائية والمتوسطة نظراً لما قيل من إجبارية التعليم في تلك المرحلة، فـ«الضرورة تقدر بقدره» ولا داعي لرقمنة كامل المراحل حتى البكالوريا.

ببكالوريا محلية ثم ليسانس وما بعده لمن تيسر لها مواصلة التعليم، وقد قدمت طالبات الكلية في المعاهد الحرة أبحاثاً في المجال الشرعي والتربوي على مستوى عالٍ من العمق الفكري والمنهجية العلمية والأكاديمية.

ويعتمد هذا المنهاج في المرحلة الثانوية أساساً على ما تحتاجه المرأة ربة البيت ومربيّة الأجيال، من عقيدة صحيحة وقيم اجتماعية، وأساليب تربية الأبناء، والعلاقات الزوجية من الناحية الفقهية والنفسية، إلى جانب المهارات والحرف المتزلية، مع المواد الفكرية التي قد تحتاجها لدعم أبنائهما، وتتمثل في اللغات والرياضيات، مع إمكانية التنسيق مع مؤسسات لدعم مشروعات صغيرة من المنزل لمن رغبت في ذلك حسب ظروفها، وتتولى تسويق متوجهن - كما سبق -.

ويتوقع إن تم وضع هذا المنهاج من طرف ذوي الاختصاص فسيلقى إقبالاً كبيراً، وهذا هو الغرض الذي من أجله تم إنشاء التعليم الحر. مع تكثيف حملات التوعية والإعلام به وضرورته وأهميته، وخطورة مسار الرقمنة إلى البكالوريا. وكثير من الأولياء في مجتمعنا والحمد لله لهم الغيرة على بناتهم ومستقبل أمتهم ولا يرضون أبداً بولوج بناتهم مدرجات الجامعات وهدم بيوتهم بأيديهم وسيتمسكون بهذا المنهاج بإذن الله تعالى.

2. في حال إصرار بعض الأولياء على الرقمنة إلى البكالوريا فعلى الأقل أن يفتح قسم خاص للمناهج الخاصة بالبنت في التعليم الثانوي إلى جانب قسم الرقمنة، أو يخصص لكل منها فرع خاص، حتى لا تتحمل وزير إصلاح كامل مؤسساتنا في منهاج لا يتوافق مع ما أستسّت له المدارس الحرة، بل يتحمّل الولي مسؤولية اختياره بين أحد المناهجين. فهناك نسبة معتبرة من الأولياء لا يرغبون في مناهج الرقمنة، خاصة في المرحلة الثانوية؛ حينها يكون في المؤسسة منهاجاً؛ الأول: هو ما تقدم من منهاج حرّ خالص بتكوين رصين وقوىًّا ومتوازن، ويتم الإعلام والترويج إليه. الثاني: منهاج الرقمنة مع التوعية والمرافق، ويفتح لهنّ باب التعليم عن بعد فيما بعد البكالوريا لمن أصرّت على تحصيل الشهادة الجامعية.

**توصيات:**

نظراً لخطورة الموضوع، لابد على جميع هيئات المجتمع من التفكير الجدي في مالاته، والإسهام في التوعية الشاملة. وكما أن المجتمع لما أحسن بخطورة وباء كورونا قام باستغفار عام، وتشكيل خلية أزمة؛ لابد أكثر من ذلك بالنسبة لموضوع تعليم البنت، فالمطلوب تشكيل خلية أزمة قضية تداعيات الرقمنة على مستقبل المجتمع، وكيفية التعامل معها، وتتشكل هذه الخلية من ثلاثة جوانب:

**أولاً؛ اللجنة الإعلامية:** للتحسيس بخطورة الوضع، والمستقبل الأسود للمجتمع في ظل الرقمنة كما هي عليه حالياً، وضرورة المراجعة والعمل على استثناء مرحلة التعليم الثانوي -على الأقل- من الرقمنة في جميع المدارس الحرة للبنات في القصور، وتعتمد فيها بدلاً من ذلك مناهج حرة خاصة بالبنات، ومتطلباتها مما تحتاجه من الجانب الروحي والاجتماعي والأسري .. ، كما تعمل اللجنة على الإجابة عن التساؤلات المثارة من طرف الأولياء، والتنسيق مع إدارات المدارس، وتوظيف المنابر والأسابيع الدعوية، والمنتديات الفكرية، ووسائل الإعلام لهذه الحملات التوعوية.

**ثانياً؛ لجنة دعم ومتابعة المناهج التعليمية الحرة:** إدارياً ومادياً؛ بالتنسيق مع القائمين عليها في المعاهد لبناء مناهج قوية في مرحلة التعليم الثانوي؛ تراعي خصوصيات البنات وما تحتاج إليه من تكوين؛ من أجل أم وزوجة ومربيه أجيال أصيلة بميائتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية وفق متطلبات العصر.

**ثالثاً؛ لجنة إنشاء ومتابعة المشاريع المصغرة للفتات النسوية:** للكسب في حال الضرورة كالطلاق أو العنوسه.. دفعاً لأي مبرر لتعليم البنات في الجامعة، مع متابعة هذه الفتات وأسرهن تربوياً ونفسياً بالتنسيق مع العشائر إن استلزم الأمر، سعياً نحو تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية المتوازنة.

نسأل الله الهدية والتوفيق، ويعصمنا من كيد الشيطان وأتباعه، ومن أن نضل أو نُضليل:

﴿رَبَّنَا آءَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَسَّدًا﴾ [الكهف: 10]

﴿رَبَّنَا لَا تُغْرِي قَلْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ [آل عمران: 8]

﴿وَلَا تَهْمِئُوا وَلَا تَخْرُبُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْحَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تُفْسِدُ إِلَّا بِاللَّهِ عَنِيهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنْبِئُ﴾ [هود: 88]

### المُلْحِق:

#### خطط: الطريق المظلم للمجتمع الغربي وخطورة اتباعه

<b>شيفوخة المجتمع</b> <b>تفكك الأسرة</b> <b>انحرافات في العلاقات الجنسية</b>	عزوف عن الزواج والولادة لأجل قيام المرأة بهذه الوظائف مثل الرجل	الدعوة إلى خروج المرأة للعمل والوظيف عمل المرأة والكسب للاستقلال عن الرجل	نقص البد العاملة في المصانع بسبب موته عدد من الرجال دعوات لتحرير المرأة	<b>أزمة الحرب ع 2</b> ظلم المرأة باسم "الدين" المزيف
<b>؟؟؟</b>	بوادر عدم الرغبة في الزواج أو تأخير السن فيه؛ وظهور حالات من ردة الصداق لأجل الدراسة الجامعية للبنات	دعوات لإخراج البنات إلى الجامعة والوظيف لتنمية النقص	نقص البد العاملة النسوية في الطب والتعليم	<b>أزمة فتنة غردية</b> حالات لتعسف بعض الأزواج وإهمال المطلقات والعوانس

متى نفكر جديا واستراتيجيا لحل مشاكلنا ونفك عن الحلول الترقعية وحل المشاكل بمشاكل أكبر منها؟!

المصدر: خضير باعلي وسعيد، مصادر اكتساب العلم الشرعي للبنات (المصادر المتاحة، البرامج المقدمة، فترات التحصيل...)، الأيام الدراسية حول: تدريس العلوم الشرعية في المدارس الحرة، واقع تحديات وبدائل، العطف، 17-18 أكتوبر 2020م.

## قائمة المصادر والمراجع:

- \*- القرآن الكريم.
- إبراهيم تامتلت، ول محلل حضر، "شدة المنظومة القيمية للمرأة في ضوء أهداف منهاج التربية الإيمانية: دراسة ميدانية على عينة من طلبة الرابعة المتوسطة عمى عيد بولاية غربادة". مجلة الواحات للبحوث والدراسات 13 ، عدد 2 (17 ديسمبر، 2020): 43-22.
  - أحمد بن حمد الخليلي، الفتاوي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2013.
  - أطفيش، محمد بن يوسف، تيسير التفسير، القاهرة: مطبعة التقدم، د.ط، 1986م.
  - إياد قنبي، تحرير المرأة الغربية القصة الكاملة، منشور في موقع:- <https://www.noor.com/book/كتاب-تحرير-المرأة-الغربية-القصة-الكاملة-pdf> اطلع بتاريخ: 12 / 3 / 2021
  - بتول محبي الدين خليفه، الاتجاهات نحو الخادمات (المريات)، وأثره على أساليب التنشئة الأسرية والتوافق النفسي للأبناء بدولة قطر، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، قطر، 2006.
  - البشير بن عمر مرموري، مواقف اجتماعية اتجاه أهداف التعليم الحر للمرأة المزايية، مجلة ملتقى الدعاة، الطبعة الرابعة: المرأة المزايية.. قضايا وتحديات، 13، 14 أكتوبر، 2017م.
  - بوهله غاليه، أبو نصر بن محمد شخار، "قضية عمل المرأة: تحليل مقاصدي للخلفيات والمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية"، المجلة العالمية للدراسات الفقهية والأصولية، مج 2، عدد 2 (2018): 59-72.
  - خضير باعلي وسعيد، مصادر اكتساب العلم الشرعي للبنات (المصادر المتاحة، البرامج المقدمة، فترات التحصيل...)، ورقة مقدمة في اليومين الدراسيين حول: تدريس العلوم الشرعية في المدارس الحرة، واقع وتحديات وبدائل، العطف، 17-18 أكتوبر 2020م.
  - الديوان الوطني للإحصائيات "الجزائر بالأرقام تقرير 2018" (الجزائر، 2018) : [https://www.ons.dz/IMG/pdf/aqc\\_r\\_2017\\_ed\\_2018ar-2.pdf](https://www.ons.dz/IMG/pdf/aqc_r_2017_ed_2018ar-2.pdf)  
النشاط الاقتصادي والتشغيل والبطالة:
  - .2021 اطلع عليه: <https://www.ons.dz/IMG/pdf/DSEmploi0915.pdf>
  - سعد عبد السلام، "التعليم في الجزائر واقعه وآفاقه"، مجلة البحث التربوية والعلمية مج 9، عدد 2 (30 ديسمبر، 2020): 109-128.
  - سعيد بن علي بهون علي، 1976م..أخطر قانون هدد وادي مزاب، مجلة الهوى، عدد 17، 2007.
  - صالح بن عبد الله أبو بكر، التعليم العالي بين الضرورة والكمال، مجلة ملتقى الدعاة، الطبعة الرابعة: المرأة المزايية.. قضايا وتحديات، 13، 14 أكتوبر، 2017م

- 13- ضياف زين الدين، "آفاق تطوير المناهج التربوية في ظل تحديات العولمة". دفاتر المخبر، مع 1 ، عدد 1 (ديسمبر، 2005)، 141-148.
- 14- الطاهر براهيمي، "المردود التربوي للمدرسة الجزائرية - دراسة وثائقية تحليلية -". Revue Des Sciences Humaines 20 (30 يونيو، 2009): 101-119.
- 15- علي يحيى معمر، الفتاة المسلمة ومشاكل الحياة، سلطنة عمان: مكتبة الصامری، د.ط، 2010.
- 16- فيكتوريا، كيب وول، وأخرون، المرأة الغربية ومستنقع الحرية، كتاب مترجم، تقديم أحمد الصويان، مشور في موقع: <https://www.noor-book.com>/كتاب-المرأة-الغربية-ومستنقع-الحرية-، اطلع بتاريخ: 12/3/2021 pdf
- 17- محمد أحمد صقر، مغالطات اقتصادية؛ المرأة والحسابات الاقتصادية، 1979م، ج 23، ع 3، - 96 .102
- 18- محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، التحرير والتنوير، د.ط (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984).
- 19- محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين القلب والعقل، القاهرة: دار الشروق، د.ط، 2001م.
- 20- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، د.ط (القاهرة: مطبع أخبار اليوم، 1997)، 17/10905
- 21- مصطفى بن حورشوم، ضوابط تعليم الفتاة المزايية بين التقيد والإطلاق، مجلة ملتقي الدعاة، الطبعة الرابعة: المرأة المزايية.. قضايا وتحديات، 13، 14 أكتوبر، 2017.
- 22- مصطفى بن صالح باجو، التأصيل الشرعي لعمل المرأة المسلمة، مجلة ملتقي الدعاة، الطبعة الرابعة: المرأة المزايية.. قضايا وتحديات، 13، 14 أكتوبر، 2017.
- 23- الوثيقة الصادرة بعنوان: "التزام مشترك" موقعة بين مديرية التربية لولاية غرداية، وجمعية الوفاء للترقية الاجتماعية، بتاريخ: 14 مارس 2019م.
- 24- يسعد لبني، "أشكال التحرش الجنسي في الوسط الجامعي (دراسة حالة)"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع 3، عدد 3 (2014): 111-140 .<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/48228>



# ملامح الكتابة التاريخية عند الشيخ أبي مهدي عيسى المصلحي - من خلال تراثه - (الحلاقة الأولى)

الباحث : أحمد بن داود أمعيز الحاج

محضرة "منارة الإيمان". آت مليشت. غردية

bendaoudahmed95@gmail.com

مُنْصَص :

يُعتبر الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل (ت: 971هـ) أحد أقطاب الإباضية ببلاد المغرب خلال القرن الهجري العاشر، فقد كان أحد أخصّ تلاميذ شيخه أبي سعيد (ت: 927هـ) ومن واكب عهد النهضة التي جرت على يديه، فكانت جهوده الإصلاحية أثناء حياته، وواصل المسيرة من بعده بهمة متقدلة ونشاط بالغ، مما جعل مزاب يتقلّل من طور إلى طور آخر من الرقي والارتفاع في جميع المجالات وكافة الميادين.

كان من جملة آثار الشيخ أبي مهدي مؤلفات ورسائل علمية في مجالات العقيدة والفقه واللغة وغيرها من ميادين العلم؛ إلا أنّ جانباً مهماً آخر من نشاطه العلمي ظلّ مغموراً ولم ينل ما يكفي من العناية والتعريف، وهو جانب التاريخ. وقد أردنا من خلال هذا العمل أن نساهم في تسلیط الضوء عليه وإبراز بعض ملامحه، من خلال الإجابة على بعض التساؤلات على غرار: هل للشيخ أبي مهدي إسهامات تاريخية؟ وما مدى حضورها ضمن أعماله؟ ما هي مقومات الأهمية في كتاباته التاريخية؟ وما هي خصائصها؟

(...) يأتي هذا المقال كخلاصة للبحث الذي يباشره قسم الأعلام لمحضره منارة الإيمان في تراث أبي مهدي عموماً وفي إسهاماته التاريخية بصفة خاصة، مساهمة في التعريف بالجهود العلمية لهذا العلم الفذ.

الكلمات المفتاحية: التاريخ؛ أبو مهدي؛ مزاب؛ القرن العاشر.

**Title : Historical writing features of “Sheikh Abi Mahdi Issa Al-Musabi” (Through its effects)**

**Abstract:**

Sheikh Abu Mahdi Issa bin Ismail (d.: 971AH) was considered one of the leaders of the Ibadis in the countries of the Maghreb during the tenth century of the Hijri century. And he continued the march after him with ardent vigor and great activity, which made Mzab move from one stage to another stage of sophistication and recovery in all areas and in all fields.

Among the effects of Sheikh Abi Mahdi were books and scholarly messages in the fields of belief, jurisprudence, language and other fields of science. However, another important aspect of his scientific activity remained obscure and did not receive enough attention and definition, and that is the aspect of history. Through this work, we wanted to contribute to shining light on him and highlighting some of his features, by answering some questions such as: Does Sheikh Abi Mahdi have historical contributions? What is the extent of its presence within his work? What are the important ingredients in his historical writings? What are its characteristics?

(...) This article comes as a summary of the research carried out by the Department of Information to prepare the beacon of faith in the heritage of Abu Mahdi in general and in his historical contributions in particular, as a contribution to the scientific field.

**Key words:** History - Abu Mahdi -M'zab - the 10<sup>th</sup> century.

:

جعل قسم الأعلام التابع لمحضرة منارة الإيان<sup>(1)</sup> من بين أولى اهتماماته خدمة تراث الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المصعي (ت: 971هـ / 1564م) ليكون بذلك جهداً آخر يضاف إلى الجهد العديدة التي يبذلها الباحثون والمهتمون في ذات السبيل، ليكون هذا المقال كأحدى خلاصات البحث في جوانب تراثه القييم، راجين منه سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى إقام ما نحن بصدده في ذات الموضوع.

(1) أحد فروع المحضرة، يضم ثلاثة من المهتمين والباحثين، وله أنشطة ومشاركات عدّة محلياً ووطنياً في مجال إحياء التراث والحفاظ على التاريخ. من أعضائها: سليمان بعمارة، علي بن لولو، رمضان عبد اللاوي، سليمان شرع الله، رستم باله، وكان لهؤلاء مساهمة في إثراء هذا المقال.

إنَّ أَيَّ إسهام يرمي إلى توثيق شيءٍ من تاريخ وادي مزاب فهو دون شكَّ إسهامٌ مهمٌّ له ثقلُه التاريخي والعلمي، لاسيما إنْ كان صاحبُ الإسهام معاصرًا للأحداث وشاهداً عليها؛ ذلك أنَّ مزاب لم يحظَ إلا بالتزرب اليسير من الكتابات طيلة ملَة وجوده الممتدة قرُونًا متطلقة، ومن هذا المنطلق فإنَّ ما عساه يكون من كتابات أبي مهدي التأريخية هو دونما شكَّ إحدى الإضافات التواعية الهامة، والتي سيكون لها أبرز الأثر في إضاءة زوايا من تاريخنا المجيد، والكشف عن مُهماتٍ وتساؤلات لا تزال بحاجة إلى إجابات وإيضاح. وقد عُرف الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي المصعي كأحد أبرز أعلام الإباضية المغاربة خلال القرن الهجري العاشر 10هـ / 16م، حيث تضلع في علوم الشريعة، وعلوم اللغة، وفي غيرهما من العلوم والفنون، فكان من جملة آثاره العلمية أجوبةً ورسائل قيمة<sup>(1)</sup>، غير أنَّ جانباً من أعماله العلمية ظلَّ مغموراً ولم يُسلط عليه ما يكفي من الضوء حتى يقع التعريف به وإخراجه إلى دائرة الاستفادة، ألا وهو الجانب التاريخي، والذي سنا حاول من خلال هذا العمل -بحول الله- أنْ نُقدِّم ملامح عنه، ليكون هدفُنا فيه هو تبيين المنهج والخصائص العامة، مع تقديم أمثلة موضوعية حسب ما يقتضيه السياق، على أننا نسعى لإخراج العمل كاملاً بالمنهج والمضمون حتى يوضع أمام الباحثين والمهتمين، وعموم القراء والمطالعين لأجل الاطلاع والإثراء. وسنعتمد في هذا المقال إلى الاستناد على مصادر أصلية تُلْغِي إلى أقرب صورة ممكنة من حقيقة ما نحن بصدده دراسته.

فما هي نظرة أبي مهدي إلى التاريخ؟ وما مدى اهتمامه به؟  
هذا ما سنراه في النقطة الموقالية حسب ما توفر لدينا من خلال مصادره.

### ❖ أبو مهدي والتاريخ:

إنَّ عالِماً كأبي مهدي ليس من يجهل فضل التاريخ أو ينكر قيمته وأهميته، وهو يعلم قوله تعالى: ﴿لَفَدَّكَاتِ فِي قَصَصِهِمْ عَبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلَّابِتِ﴾ [يوسف: 111]، فلا غرو أن نجده من يوليه الجانب المعتبر من الأهمية ويحله الموضع العالي من المكانة،

(1) عن الشيخ أنظر: إبراهيم بن بكر بجاز، مصطفى بن صالح باجو وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، دار الغرب الإسلامي، ط 1/ 1421هـ - 1999م، ج 2، ص 325.

والواقع أننا لا نعثر إلا على العبارة المهمة التالية، والتي يتحدث فيها من الوجهة النظرية عن موقع التاريخ في أدبياته، فيقول عن سبب عمدته إلى النقل من كتب المشايخ السابقين: "وقد صدي في نقل الفصول (... شدة شوقي إلى مناقبهم، وأخبارهم، وفتياهم في التوازن الملمس؛ فذكرهم عندي أشهى وألذ من جميع اللذات"<sup>(1)</sup>. وفي هذا المقتطف ما تجلّى معه الموقع المتميّز للتاريخ والأخبار عند أبي مهدي، حيث لم يكتف بالتعبير عن شدة شوقي إلى أخبار السلف السابقين ومناقبهم، بل زاد وفضّلها عمّا سواها مما يُرجّح، فهي عنده "اللذ من جميع اللذات"<sup>(2)</sup>، ويدعم ذلك الموقف تجاه التاريخ من خلال استشهاده بقول الشيخ أبي عبيدة الجناوني (ت: بعد 211هـ / 826م): "نحن أصحاب الآثار، لو سلّكوا بنا الجدار لسلكناه"<sup>(3)</sup>. ويتجسّد أمامنا هذا الاهتمام البالغ من أبي مهدي حين صور لنا ولعنه بالحصول على جواب رسالة جاءت من عمان وفي طيـه -إضافة إلى مضامين أخرى- "ثـرـ مـأـثـرـ أـولـيـ الـأـلـبـابـ، وـنـظـمـ جـوـاهـرـ الـأـحـبـابـ، وـذـكـرـ مـنـاقـبـهـمـ وـجـمـيلـ مـذاـهـبـهـ، وـكـيـفـيـةـ اـبـتـدـاءـ أـمـرـهـ (...)" وأخبار الأنئمة الرستميين إلى انقراضهم، ونسبتهم في أصلهم (...)" وأسماء المشايخ والمؤلفين منهم، وفضائلهم، وأسماء النساء، وأسماء الكتب ومؤلفيها"<sup>(4)</sup> فهي مواضيع تاريخية ثرية وشيقّة ظلّ أبو مهدي لسنوات عديدة يتربّص وصول ذلك الجواب الذي تصدّى لتحريره الشيخ أبو العباس أحمد الشماخي (ت: 928هـ / 1522م) مع الحرص على طلبه من المترددين بين مزاب ونقوسة على أحدhem يحمله إليه<sup>(5)</sup>، ويبّرر ذلك الحرص الشديد من طرفه بـ"قوّة محبتهم ولذة ذكرهم"<sup>(6)</sup> وهذا مما يؤكّد تلك الأهمية التي أولاها لهذا الجانب التاريخي، حيث يرى فيه رابطاً روحيّاً مع من سبق من أفضل أهل الدعوة والاستقامة.

(1) عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة جواب إلى أهل عمان، مخض من مجموع بالمكتبة البارونية، جريدة تونس، رقمها في الخزانة 281، وفي الفهرس 139، ص 54-57.

(2) نفسه.

(3) عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل وارجلان يلومهم على التقصير والفتور عن الفضائل، مخض من مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بيـي يـسـجـنـ، رقمـهاـ فيـ الخـزانـةـ دـغـ 60ـ، وـفيـ الفـهـرـسـ 391ـ، صـ 14ـ وـ 391ـ.

(4) أبو مهدي، رسالة جواب إلى أهل عمان، مصدر سابق، ص 36-37.

(5) نفسه، ص 37-39.

(6) نفسه.

كما أنّ تراثه طافح بما يُري أهمية التاريخ لديه، فهو يستدعي بعضَ أحداثه وفصوله في عديد المرات و مختلف الموضع، وسيتبّدى لـنا شيءٌ من ذلك فيما يأتي. وحين أنشأ إحدى رسائله التي ضمنّها أحداثاً تاريخية أشار إلى أنّ الغرض من ذلك هو "تذكرة للافتكار"<sup>(1)</sup> وعدم إسلامها إلى التلاشي والنسیان والبوار، وتدفعه تلك الأهمية التي يراها للتاريخ لأنّ يقيـد جوانب من تاريخ مزاب في مختلف أطواره، فيقول عن بعض عهود انتعاش الحركة العلمية بين الأقطار الإيـاضية: "كانت الأئمة المصـعـية يقتبسون أنوارـ العلم والأدب والـسـير من شموسـ سمائهمـ وأقمارـها من الجبل والـجزـيرـة"<sup>(2)</sup>، كما يورد جانباً من جوانب تردـي أحوالـ المجتمعـ في بعضـ الفـترـات فيقول: "... كانوا بـنـي مصعبـ المـذـكـورـونـ في السـنـينـ الـماـضـيـةـ فيـ الفتـنةـ العـابـسـةـ (...)"<sup>(3)</sup> وكلـ ذلكـ بـدـاعـ منـ ضـرـورةـ تـسـطـيرـ هـذـهـ الأـطـوارـ لـمـاـ تـمـلـهـ منـ "ـتـبـصـرةـ لـلـاعـتـارـ"<sup>(4)</sup> ولـماـ يـسـتـبعـهـ وـيـنـجـرـ عـنـهـ مـنـ عـبـرـةـ لأـوـلـيـ الـأـلـبـابـ وـالـأـبـصـارـ.ـ منـ ذـلـكـ الـذـيـ سـبـقـ عـرـضـهـ ظـهـرـ ماـ لـلـاتـارـيخـ مـنـ أـهـمـيـةـ وـقـيـمةـ عـالـيـةـ عـنـدـ أـبـيـ مـهـديـ،ـ فـقـدـ عـبـرـ عـنـهـ نـظـرـيـاـ وـظـهـرـتـ فـيـ تـرـاثـهـ عـمـلـيـاـ.

فـماـ هيـ عـنـاصـرـ تـرـاثـ أـبـيـ مـهـديـ التـارـيـخيـ مـنـ خـلـالـهـ؟

### ❖ عـنـاصـرـ تـرـاثـ أـبـيـ مـهـديـ التـارـيـخيـ:

إنّ حـاـولـتـناـ إـبـرـازـ الـجـانـبـ التـارـيـخـيـ عـنـدـ أـبـيـ مـهـديـ يـحـتـمـ عـلـيـنـاـ الـاتـجـاهـ إـلـىـ تـرـاثـهـ وـالـبـحـثـ فـيـهـ،ـ إذـ أـنـهـ الـمـصـدرـ الـأـسـاسـيـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ الـعـمـلـ وـلـاـ غـنـيـ لـنـاـ عـنـهـ،ـ وـقـدـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ أـنـ يـصـلـنـاـ قـدـرـ لـأـبـاسـ بـهـ مـنـ مـؤـلـفـاتـ الشـيـخـ وـكـتـابـاتـهـ،ـ وـالـيـ تـضـمـنـتـ رـسـائـلـ عـلـمـيـةـ وـأـخـرـىـ إـخـوـانـيـةـ مـتـوـزـعـةـ عـلـىـ مـخـلـفـ الـمـنـاسـبـاتـ وـالـأـغـرـاضـ،ـ وـقـدـ حـظـيـنـاـ بـنـسـخـ مـنـهـاـ كـتـبـتـ بـيـدـ بـعـضـ طـلـبـتـهـ وـفـيـ حـيـةـ الشـيـخـ الـمـؤـلـفـ،ـ وـأـخـرـىـ بـأـيـدـيـ بـعـضـ

(1) عـيسـىـ بـنـ إـسـمـاعـىـلـ أـبـوـ مـهـدىـ،ـ روـاـيـةـ حـادـثـةـ وـتـذـكـرـةـ،ـ مـخـ ضـمـنـ جـمـعـ بـالـمـكـتبـةـ الـبـارـوـنـيـةـ،ـ جـرـبـةـ تـونـسـ،ـ رقمـهـ فـيـ الـخـزانـةـ 281ـ،ـ وـفـيـ الـفـهـرـسـ 331ـ،ـ صـ 54ـ.

(2) عـيسـىـ بـنـ إـسـمـاعـىـلـ أـبـوـ مـهـدىـ،ـ رـسـالـةـ إـلـىـ أـهـلـ نـفـوسـةـ،ـ مـخـ ضـمـنـ جـمـعـ بـالـمـكـتبـةـ الـبـارـوـنـيـةـ،ـ جـرـبـةـ تـونـسـ،ـ رقمـهـ فـيـ الـخـزانـةـ 281ـ،ـ وـفـيـ الـفـهـرـسـ 177ـ،ـ صـ 2ـ.

(3) عـيسـىـ بـنـ إـسـمـاعـىـلـ أـبـوـ مـهـدىـ،ـ رـسـالـةـ إـلـىـ أـهـلـ عـمـانـ،ـ مـخـ ضـمـنـ جـمـعـ بـمـكـتبـةـ الـاستـقـامـةـ الـخـزانـةـ الـأـوـلـىـ،ـ بـنـ يـسـجـنـ،ـ رقمـهـ فـيـ الـخـزانـةـ دـغـ 60ـ،ـ وـفـيـ الـفـهـرـسـ 381ـ،ـ صـ 12ـ وـ.

(4) أـبـوـ مـهـدىـ،ـ روـاـيـةـ حـادـثـةـ،ـ مـصـدـرـ سـابـقـ.

معاصريه بُعيد وفاته<sup>(1)</sup> وهو ما يُكسبها أهميةً عاليةً ويُتيح لنا أكبر قدر من الاطمئنان إلى صحتها، وبالتالي أريحية التعامل معها والاستفادة منها.

وعند تقلّب مؤلفاته تفتّشا عن مكامن المادّة التاريخيّة فإنّنا نجدّها متوزّعة على أغلبها، حيث أنّ كلّ وثيقة منها هي قيمة تاريخيّة بالغة الأهميّة في حد ذاتها، علاوة على إمكان الوقوع إزاء إشارات أو إفادات تاريخيّة في كلّ صفحة من أيّ واحد من مصنّفاته ورسائله المشكّلة لتراثه. وجميع تراثه خادم ومكمّل بعضه البعض، فكان من المهم استجمام كافة ما توفر من تراثه، والإمام بمحفوّياته ومضامينه بأكبر قدر ممكن.

أما الأشكال والصيغ التي من خلالها يُدرج المعلومات التاريخيّة فنجدّها مختلفة ومتنوّعة، ومن شأن هذه الصيغ أن تُوقّفنا على ملامح هامة من شخصيّة أبي مهدي المؤرخ، وهي أساساً كما يأتي مختصرًا:

\* قد يعمد إلى إفراد رسالةٍ قصد التاريخ أصلًا، فيكون الداعي الأساس إلى كتابتها هو تقيد حادثة أو تسجيل واقعة، والحقيقة أنّنا لم نظر بالكثير من الرسائل والمؤلفات التي تدخل في هذا الصنف بالذات، ولعلّ أبرز مثال عليه هو الرسالة التي أرّخ فيها هجوم عبد العزيز بن محمد العباسي<sup>(2)</sup> على وادي مزاب وحصاره لقصر آت مليشت في أواخر شهر رجب من سنة 965هـ وقد ضمّنتها تفاصيل هامة عن الحادثة<sup>(3)</sup>.

\* قد يقصد إلى تاريخ حوادث تاريخيّة تعرّض له في سياق تأليفِ ما، فيثبت المعلومة التاريخيّة في متن ذلكم المؤلّف، ومثلّ هذا نجدّه في مواضع عدّة من أجوبته

(1) كمثال عن الأولى منسوخاتٍ لتميذه محمد بن زكرياء الباروني مؤرخة بسنة 966هـ؛ فهي منسوبة في حياة الشيخ المؤلف، وكمثال عن الأخرى منسوخاتٍ لمعاصره إسماعيل بن عيسى التجنجي مؤرخة بسنة 974هـ؛ فهي منسوبة بعّيد وفاة الشيخ المؤلف.

(2) لعله عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمن العباسي، قال عنه الورثاني: "هو الذي بنى قلعة بني عباس، وأقام المملكة فيها (...)" وصلت عساكره (...) من جهة المغرب مزاب وبلد الأغوات...". وقد بلّغت القلعة في عصره أوج قوتها. وإن صحّ أنه المقصود بالحملة التي أرّخ لها أبو مهدي؛ فإنه يكون قد نفذّها سنة واحدة قبل وفاته، حيث تولى حكم قلعة بني عباس بين سنتي 1510-1559هـ/916-966هـ). كما سبق له أن سار بجيشه رفقة صالح رايس إلى تقرت ووارجلان سنة 959هـ/1552م). انظر: الحسين الورثاني، نزهة الأنّظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة

الثقافة الدينية، ط 1، ج 1، ص 53.

(3) أبو مهدي، روایة حادثة، مصدر سابق، كله.

ورسائله، وهذه الصيغة - وإن لم يكن التاريخ هو الدافع الأصلي للتأليف- إلا أنها تلتحق بالصيغة السابقة من حيث طبيعتها وأهميتها، ومن الأمثلة على ذلك إخباره عن إشهاد الفقيه محمد البرجي على نفسه اعتقاده بعدم رؤية الباري، وكان إشهاده في بلد وارجلان على ملاً من المشيّعين عند سفره إلى بلاد السودان، وقد أورد أبو مهدي ذكر هذه الحادثة ضمن إحدى أجوبته العقدية<sup>(1)</sup>.

\* وقربياً من الصيغة السابقة؛ نجد أنه يهدّ لبعض رسائله ومؤلفاته بما يبيّن مناسبتها والدافع إلى تدبيجها، أو بعض ملابسات ذلك وحيثياته، فيقع ضمن ذلك التاريخُ لجوانب قد تكتسي أهمية معتبرة، وهذا الشكل نجده في صدر العديد مما كتبه، حيث يلاحظ قصده إلى توثيق تلك المعلومات، فيمكّنا بذلك إلخاق هذه الصيغة بالصيغتين السابقتين، ومثالٌ على ذلك ما أثبته في مستهل جوابه عن مسألة في الرسم القرآني، ومن بين ما استفید من ذلك التمهيد التأريخي سفره إلى بلد وارجلان<sup>(2)</sup> وهي الرحلة الوحيدة التي صرّح بها.

\* ومن بين الأشكال والصيغ التي ساهم من خلالها - أيضاً - في التاريخ لجوانب هامة من تاريخ مزاب خالد لكم الفترة، إعادة كتابته لضامين بعض المراسلات الواردة إليه، غالباً ما يُقدّم الأصل المرسل فتبقى نسخة أبي مهدي هي المعتمد في النقل والاستنساخ، ومثال ذلك تقديره لمراسلة وردت إليه من طرف شيخه أمي سعيد، وبذلك فقد أنقذ المراسلة الوحيدة التي وصلتنا مما كان بينهما من مراسلات، وفي طيّها معلومات وملامح هامة عن العلاقة الرابطة بينهما، كما تضمّنت أيضاً بعض معلومات أخرى كحفظها لاسم إحدى الشخصيات المعمورة المذكورة والتي لم ترد إلا في المراسلة المذكورة<sup>(3)</sup>.

وقد يحفظ أبو مهدي نص الرسالة الواردة من خلال جوابه عليها فيكتب فقرة من تلك الواردة ثم يعقب عليها بالرد والجواب، ومع ضياع نسخ الرسالة الواردة فإنّ معرفتنا

(1) عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب العزابة رداً على البهلوبي علي بن أبي الحسن، ضبط النص الناصر أوياه، منشورات مكتبة المسجد العتيق غرداية، ص 67.

(2) عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب في علة انفصال اللام، مخ ضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجنج، رقمها في الخزانة دغ 60، ورقمها في الفهرس 325، ص 10.

(3) سعيد بن علي الجرجي، رسالة إلى أبي مهدي، مخ ضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجنج، رقمها في الخزانة دغ 60، ورقمها في الفهرس 379، ص 7.

لمضمونها لا تكون إلا من خلال ما قيده أبو مهدي، ومن أمثلة ذلك نص رسالة للشيخ سليمان الحمياني<sup>(1)</sup>.

\* في ختام عرض الأشكال والصيغ التاريخية المكتوبة، نذكر أنه قد أورد بعض المعلومات التاريخية عَرَضاً ودون القصد إليها، وهذا نجده كثيراً كما هو معروف، فكان لهذا الشكل حظه ضمن كتاباته التاريخية، ومن بين الأمثلة عليه سرده لجملة من المواد المقررة في حلقات العلم بمزادك كعلم الكلام والفقه والبيان<sup>(2)</sup>.

\* كما قد يروي مشافهةً لبعض من حوله من معاشريه شيئاً مما جرى سلفاً من أحداث، فيوثق السامع تلك المعلومة، وفي هذا الحال قد يكون الحديث المرويُّ مما وقف عليه أبو مهدي بنفسه، كما قد يكون مما رُوي له فأعاد روايته هو الآخر، وأبو مهدي في كلِّ ذلك هو السبب في حفظه والتاريخ له، والمثال عن الحالة الأولى ما رواه بشأن موقف والده مما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم<sup>(3)</sup>، وعن الثانية ما جرى لأحد الطلبة المزايين في زاوية الفقيه إبراهيم الغموري<sup>(4)</sup>.

من خلال التأمل في هذه الأشكال يظهر لنا جلياً الحسُّ التاريخي الذي طبع جانباً هاماً من كتابات أبي مهدي، حيث إن استثنينا المعلومات التاريخية الواردة عَرَضاً؛ فإنه قد قصد التاريخ في رسائل أفردتها لذات الغرض، وفي مواضع ضمن كتاباته ذات المصامن المتنوعة، كما أسهم في ذلك من خلال التمهيد للعديد من رسائله وأجوبته وتضمين ذلك التمهيد بمعلومات هامة، كما قصد - ويدافع من حسنه التاريخي - إلى إعادة كتابة بعض الرسائل الواردة إليه، كما أودع معلومات تاريخية عن طريق المشافهة لدى بعض طلبه ومن يحيط به من معاشريه ومعاصريه، فكان من شأن كلِّ هذه الصيغ والأشكال التي استعرضناها بشكل مقتضب أن تُسْهِم في حفظ ونقل الكلم التاريخي الذي جرى به قلمُ أبي مهدي، وأن تُثْبِتْ أمامنا عملاً ذا حسنه تاريخي، بُرُز في وقت كان من الجدير أن يظهر فيه مثله في وادي مزاد.

(1) عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رد على الحمياني، مخضمن مجموع مخزانة الشيخ بال حاج بن كاسبي القراري، القرارة، الرقم السابق 132، ص 58 وما بعدها.

(2) نفسه، ص 37.

(3) أبو مهدي، الرد على البهلوبي، مصدر سابق، ص 29.

(4) نفسه ص 68.

فلا شطط إن اعتبرنا أباً مهدي أحد من طرقوـا بـاب التـاريخ وكانت له فيـه إسـهامات، تلك الإسـهامات التي سـيـتـيـن لنا مـداها وـقيـمتـها فيما يـأتـي تـبـاعـاـ. عـلـى أـنـ ما يـمـدـنـا بما نـبـحـثـ عنه لا يـقـفـ في حدـودـ ما أـلـفـهـ أبوـ مـهـديـ بـنـ فـسـهـ - وإنـ ظـلـ هوـ المـصـدرـ الأـسـاسـ - وإنـماـ يـتـعـدـهـ إلىـ صـيـغـ وـعـنـاصـرـ أـخـرىـ ذاتـ صـلـةـ وـثـيقـةـ بـهـ، تـحـوزـ هيـ الـأـخـرىـ قـدـرـهـاـ منـ الـأـهـمـيـةـ وـتـسـمـحـ لـنـاـ بـالـاستـئـنـاسـ بـهـ، وـحتـىـ الـاعـتمـادـ عـلـيـهـاـ فـيـ إـضـاءـةـ بـعـضـ الزـوـاـيـاـ الـتـيـ تـحـتـاجـ إـلـىـ إـضـاءـةـ فـيـماـ كـتـبـهـ أـبـوـ مـهـديـ، ليـتـشـكـلـ لـنـاـ مـنـ مـجـمـلـ ذـلـكـ تـرـاثـ يـكـونـ لـنـاـ مـحـلـ اـسـتـفـادـةـ وـمـادـةـ درـاسـةـ. وـنـذـكـرـ مـنـ تـلـكـ العـنـاصـرـ الـأـخـرىـ الـتـيـ تـنـكـامـلـ مـعـ كـتـابـاتـ أـبـيـ مـهـديـ ماـ يـلـيـ:

**\* المـكـاتـبـ الـوارـدـةـ إـلـيـهـ**: والـتـيـ تـوـجـهـ إـلـيـهـ خـصـوصـاـ وـتـفـرـدـهـ بـالـخـطـابـ، عـلـىـ غـرـارـ رسـالـةـ محمدـ بنـ سـليمـانـ الغـرـادـويـ الـتـيـ بـعـثـهـ إـلـيـهـ مـنـ جـزـيرـةـ جـربـةـ كـمـاـ يـبـدوـ، وـاحـتوـتـ عـلـىـ اـقـضـابـهــ جـانـبـاـ مـنـ أـحـوالـ مـزـابـ فـيـ ذـلـكـ الحـينـ، كـمـاـ أـفـادـتـ بـأـسـماءـ بـعـضـ الـأـعـلامـ<sup>(1)</sup>.

**\* المـكـاتـبـ الـوارـدـةـ إـلـيـهـ وـإـلـيـهـ**ـ غـيرـهـ مـنـ الـأـشـخـاصـ: حيثـ تـذـكـرـهـ وـغـيرـهـ مـنـ الـأـشـخـاصـ بـالـاسـمـ، عـلـىـ غـرـارـ الرـسـالـةـ الـمـبـعـوـثـةـ مـنـ طـرـفـ الشـيـخـ يـعقوـبـ بـنـ صـالـحـ النـفـوـسيـ (حيـ فـيـ: 938هـ / 1532مـ)، وـذـكـرـتـ إـلـىـ جـانـبـ أـبـيـ مـهـديـ كـلـاـ مـنـ الشـيـخـينـ اسمـاعـيلـ بـنـ تـامـرـ وـعـبـدـ العـزـيزـ بـنـ يـحـيـيـ الـمـصـبـيـنـ، وـكـانـتـ حـضـاـنـاـ عـلـىـ إـزـالـةـ دـوـاعـيـ الـفـتـنـةـ الثـائـرـةـ بـمـزـابـ وـالـمـسـارـعـةـ إـلـىـ الـإـلـصـاـحـ بـيـنـ الـمـتـابـرـينـ، وـذـلـكـ "خـاتـمـ عـامـ 938هـ"<sup>(2)</sup>.

**\* المـكـاتـبـ الـوارـدـةـ إـلـىـ بـعـضـ مـعـاشـرـيـهـ**: حيثـ تـتـجـهـ إـلـىـ شـخـصـ آخـرـ غـيرـهـ مـنـ هوـ فيـ دائـرـتـهـ وـذـاـ صـلـةـ بـهـ، عـلـىـ غـرـارـ رسـالـةـ بـعـثـهـ الشـيـخـ سـليمـانـ بـنـ أـبـيـ سـمـاحـةـ الـحـمـيـانـيـ إـلـىـ الشـيـخـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـليمـانـ الـمـرـزوـقـيـ بـشـأنـ تـحـولـهـ إـلـىـ الـمـذـهـبـ الـإـيـاضـيـ سـنةـ 929هـ / 1522مـ<sup>(3)</sup> وـقـدـ قـامـ أـبـوـ مـهـديـ بـالـإـجـابـةـ عـلـىـ بـعـضـهـاـ.

**\* المـكـاتـبـ الـوارـدـةـ إـلـىـ جـلـةـ مـشـايـخـ وـأـهـلـ مـزـابـ**: فيـكـونـ أـبـوـ مـهـديـ معـنـيـاـ بـهـاـ فـيـ جـلـةـ الـمـعـنـيـنـ، لـاسـيـماـ إـنـ تـوـجـهـتـ إـلـىـ الـمـشـايـخـ وـأـهـلـ الصـدارـةـ، وـذـلـكـ عـلـىـ غـرـارـ المـكـتـوبـ الـذـيـ بـعـثـ بـهـ الشـيـخـ أـبـوـ الـحـسـنـ الـبـهـلـوـلـيـ<sup>(4)</sup>، وـقـدـ يـكـونـ المـكـتـوبـ شـامـلاـ لـكـافـيـةـ إـيـاضـيـةـ الـمـغـرـبـ.

(1) محمدـ بنـ سـليمـانـ الغـرـادـويـ، رسـالـةـ إـلـىـ الشـيـخـ عـيـسىـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ، مـخـ بـمـكـتبـةـ الـاستـقـامـةـ الـخـزانـةـ الـأـلـيـ، بـنـ يـسـجـنـ، رـقـمـهـاـ فـيـ الـخـزانـةـ دـغـ 34ـ، وـرـقـمـهـاـ فـيـ الـفـهـرـسـ 383ـ.

(2) أـبـوـ مـهـديـ، رسـالـةـ إـلـىـ أـهـلـ نـفـوـسـةـ، مـصـدـرـ سـابـقـ، صـ 1ـ وـ 9ـ.

(3) سـليمـانـ بـنـ أـبـيـ سـمـاحـةـ الـحـمـيـانـيـ، رسـالـةـ عـتـابـ إـلـىـ الـمـرـزوـقـيـ، مـخـ ضـمـنـ جـمـعـ خـزانـةـ الشـيـخـ بـلـحـاجـ بـنـ كـاسـيـ الـقـرـارـيـ، الـقـرـارـةـ، مـرـجـعـ سـابـقـ 1ـ وـ مـاـ بـعـدـهـ.

(4) الـبـهـلـوـلـيـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ، رسـالـةـ مـفـقـوـدةـ.

- ومن ضمنهم مشايخ مزاب والذين منهم أبو مهدي - على غرار المكتوب الذي دُبّجه عبد الباقي بن محمد العقربي العماني سنة 910هـ / 1504م<sup>(1)</sup>.

**\* المکاتبات الصادرة من أبي مهدي وبعض أهل الصدارۃ في مزاب:** حيث يكون أبو مهدي أحد من ساهم في تدییجها فیذكر ضمنها بالاسم، على غرار رسالة التعزیة التي بعثها بعض مشايخ مزاب إلى جزیرة جربة إثر وفاة الشیخ أبي نوح بن سلیمان بن أبي زید<sup>(2)</sup>.

**\* المکاتبات الصادرة من جملة مشايخ وأهل مزاب:** والتي قد تكون إخوانية كما قد تكون علمیة، فيكون أبو مهدي مذکورا بالجملة ضمن من تولی تحریرها من أهل مزاب وعلمائهم، وذلك مثل الجواب الذي حُرر جوابا على إثر مکاتبة الشیخ أبي الحسن البهلوی<sup>(3)</sup>.

**\* الكتابات التي انصبت على الحديث حول أبي مهدي:** وتعنى بالخصوص ما أنسى من المدح في حقه أثناء حياته أو الرثاء بعد وفاته، ولنا عن الأولى مثال رسالة كتبها الشیخ أبو سلیمان داود بن إبراهیم التلاتي (ت: 967هـ / 1560م)<sup>(4)</sup>، وعن الثانية مرثية تلميذه محمد بن زکریاء الباروی (ت: 997هـ / 1589م)<sup>(5)</sup> وهذه الكتابات من بين أهم ما يؤرخ لشخص أبي مهدي وما كان له من العلاقات الإخوانية والعلمیة.

إن جميع ما سبق ذكره من عناصر - بما كتبه أبو مهدي أو كان ذا صلة ما به - يتعارض ويتكامل لتشكيل صورة أوضح ما تكون ملامحها المعبرة عن جوانب الحياة بحاضرة مزاب خلال تلك الفترة، كما تضع أمامنا خصائص تلك الكتابة التأریخیة التي میرت تراث أبي مهدي. والأکيد أن جوانب كثيرة أخرى تبقى في حیز الغموض والإبهام، متطرفة ما قد يجود به البحث من مصادر تتضاد مع ما سبقها لتجيب عن تساؤل، أو تُجلی غموضا، أو ترفع لبسا، على أنه فيما بين أيدينا مما سبق عرضه من عناصر موردة يفي بالكثير في الوقت الحاضر متى أولينا له ما ينبغي من العناية والدراسة.

(1) العماني عبد الباقي بن محمد، رسالة مفقودة.

(2) محمد بن سلیمان المصعی وآخرون، رسالة إلى أهل الجزیرة، مخضمن مجموع بالمکتبة البارویة، رقمها في الخزانة 287، وفي الفهرس 162، ص 12 ظ.

(3) أبو مهدي، الرد على البهلوی، مصدر سابق، کله.

(4) داود بن إبراهیم التلاتي أبو سلیمان، رسالة إلى أبي مهدي عیسى، مخضمن مجموع بالمکتبة البارویة رقمها في الخزانة 159، وفي الفهرس 287، ص 6.

(5) محمد بن زکریاء الباروی، خلیلی هو الدهر بالین مولع، مخضمن مجموع بالمکتبة البارویة، رقمها في الخزانة، وفي الفهرس 281، ص 35 و ما بعدها.

و قبل أن نختتم حديثنا عن العناصر المشكّلة لتراث أبي مهدي فإنّه من المهم التعرّض بالإشارة إلى ما ضاع من ذلك التراث وما يُحتمل ضياعه منه، وهو بلا شك رُزء نرجو أن يمّنّ القدر بما يصرف، فمن شأن ذلك الضياع أن يفوّت علينا الاطلاع على معلومات هامة متصلة بفترة حياة أبي مهدي أو ما قبلها من فترات، كما من شأنه أن يحول بيننا وبين قام الوقوف على خصائص كتابته التاريخية، و من الأمثلة في هذا الصدد عدم اتصالنا بجواب أبي مهدي على الشقّ التاريخي من الأسئلة الواردة في رسالة الشيخ عبد الباقى بن محمد العقرى العماني، حيث سُأله أن "عَرَفُونَا بِاسْمِ الْإِمَامِ أَعْزَهُ اللَّهُ وَاسْمِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، وَمِنْ أَيِّ قَبْيلَةٍ مِّنَ الْعَرَبِ، مِنَ الْعَدَنِيَّةِ أَوَ الْقَحْطَانِيَّةِ، وَعَرَفُونَا اسْمَ عَلَمَائِكُمْ وَقَضَاتِكُمْ، وَاسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَنَسَبِهِمْ، وَاسْمَاءَ أُمَّرَائِكُمْ، وَاسْمَاءَ كِتَابِكُمْ وَمَصْنَفِيهَا وَاسْمَائِهِمْ (...)" مِن إحسانكم عرفوا العبد بأسماء الكتب ومؤلفيها (... ) وإننا نجد في الأثر اسم علماء ونظفهم منكم غالب ويكثر من يكتّبنا، وما نسب الإمام عبد الرحمن بن رستم، ومن أي قبيلة، ومن كم سنة [كذا]، وعرفونا بما أنتم عليه من عافية، وما حالكم عند جيرانكم<sup>(1)</sup> وكان من شأن اطلاقنا على أجوبة أبي مهدي على هذه الأسئلة الهامة والمتميزة أن يُثري معرفتنا به ويتراهم، وبكتاباته التاريخية على وجه الخصوص، والأمل يظلّ قائماً في العثور على نسخة غير النسخة الفريدة والمبتورة المعروفة إلى حدّ الآن.

### ❖ مجالات التاريخ في كتابات أبي مهدي:

ثراء عناصر تراث أبي مهدي كما رأيناها يسمح لنا بأن نرجو - مبدئياً على الأقل - الظفر بمادةٌ تتوزّع على أكبر قدر من المجالات وأوسع نطاق من واقع الحياة في محيطه، حتى تكون لنا سبيلاً ننفذ من خلاله فطّلع على أحوال مزاب خلال القرن العاشر خاصة في ظلّ قلة وشحّ السُّبُل التي تسمح لنا بنفاذ مماثل.

الواقع أنّ كتابات أبي مهدي التاريخية قد انساحت بالفعل لتعطي ميادين عدّة ولم تقتصر على زاوية محدودة، مع تباينٍ في مدى التوسيع والاستفاضة بشأن مجال والاختصار إزاء آخر؛ فنجد في طيّ كتاباته تعرّضاً للحديث عن نفسه في بعض مراحل حياته، وحديثاً عن الأوضاع العامة بمزاب، وعلاقاته هذا الأخير بالأقطار الإباضية، ويعيرها من الأقطار، كما تلّفى من أبي مهدي تقليداً وتاريخاً لعدد من الأحداث الحاصلة في عهده،

(1) أبو مهدي، رسالة جواب إلى أهل عمان، مصدر سابق، ص 36 ظ.

إضافة إلى مواضع مختلفة أخرى، وكان من شأن كل ذلك أن يضع أمامنا ما يشبه مسحًا عاماً وأن يفتح لنا زوايا نظر هامة، على أن جوانب ومسائل أخرى لم يطرقها قلم أبي مهدي بالذكر أصلًا، أو اكتفى إزاءها بعموميات على الإجمال، أو أنه كتب فيها ولم تصلنا، لتبقى بذلك في عداد المخفي عنا إلى حدّ الساعة.

وفيما يلي استعراض مختصر لأهم المجالات التي مسّها أبو مهدي بالتاريخ، حسب فُسحة المقام التي قد لا يسمح لنا بأكثر من سردٍ سريع على شكل رؤوس أقسام:

#### التاريخ لنفسه:

لم يقصد أبو مهدي التاريخ لنفسه بصفة مباشرة، وإنما جاءت أغلب المعلومات المتعلقة بهذا الجانب عَرَضاً في ثانيا كتاباته المختلفة، وحين التمعن فيها نجد تباعيًّا في مدى وفترتها وتوزُّعها على مراحل حياته المختلفة، ففي حين تكاد تنعدم بشأن مراحله الأولى؛ فإنها تبدأ بالتوافر فيما يخصّ مرحلة الشباب وما تلاها من مراحل.

ولا بد لنا إزاء هذه الوضعيّة من أن نحاول استقراء تراثه والبحث في ثانياًه وبين سطوره عن خصائصه وصفاته الشخصية بصفة خاصة، وعن جوانب أخرى من حياته وعلاقاته عموماً، ولابد لنا أيضاً من البحث في كتابات معاصريه من رسائله أو تطرق للحديث عنه في مناسبة ما. من بين النقاط التي وردت في هذا الجانب والتي يمكن الوقوف عليها بالدراسة، مع ما في كلّ واحدة منها من تفاصيل<sup>(1)</sup>:

اسمه ونسبه - عائلته التي نشأ فيها - عائلته التي كونها - نشأته الأولى - مرحلة شبابه - مرحلة كهولته - مرحلة شيخوخته - مشاركته وتعلمه - معاصروه - رحلاته - صفاته وأخلاقه

#### التاريخ للمجال من حوله:

كان لأبي مهدي في غضون كتاباته المختلفة تعرّضٌ إلى هيئاتٍ شرف على تأطير وتسير المجتمع المزابي، وكان الحظ الأوفر من بينها حلقة العزابة، على أن التمعن فيما ورد بشأن جميع الهيئات من شأنه أن يخلص بنا إلى نتائج قد تكون هامة.

إضافة إلى الكلام عن الجانب الروحي المعنوي للمجتمع، نجد له كلاماً عن الجانب المادي من خلال إشارته إلى بعض المرافق العامة في قصور مزاب، والتي يمكن بتبعها تشكيل صورة عامة عن الموضوع.

(1) ينسحب نفس الأمر من وجود تفاصيل في النقاط المذكورة على ما يأتي من مجالات، وهي مثبتة في كامل تراثه.

ومن بين النقاط التي وردت في هذا الجانب والتي يمكن الوقوف عليها بالدراسة، مع ما في كلّ واحدة منها من تفاصيل:

- 1- هيئات المجتمع: حلقة العزابة - الطلبة (إروان) - الجماعة (العوام، الأعيان) - العشيرة
- 2- المجال العماني داخل القصور: السور، الأبراج، أبواب التصوير، المسجد ومرافقه، الآبار..
- 3- المجال العماني خارج القصور: السهول، الأجنحة، التخييل...

#### التاريخ للحياة العامة مزاب:

تناول أبو مهدي الحديث عن جوانب من الحياة العامة بتصور مزاب، فتعرض بالإشارة إلى الجانب العلمي - والذي كان له الجانب الأولي من الحضور - وكذلك إلى الجانبين الاجتماعي والاقتصادي وغيرهما، وهي في الحقيقة مجالات شديدة التداخل، فلا يمكن التطرق إلى جانب معزّل عن غيره، وضمن كلّ ذلك معلومات هامة من شأنها أن تشکّل لدينا فكرة عن أحوال المجتمع آنذاك.

من بين النقاط التي وردت في هذا الجانب والتي يمكن الوقوف عليها بالدراسة مع ما في كلّ واحدة منها من تفاصيل:

- ❖ **الجانب العلمي:** مؤسسات التعليم - العلوم المتداولة - أسماء المشايخ والطلبة - الكتب الموجودة - حركة النسخ- التأليف والمستوى العلمي - المراسلات العلمية...
- ❖ **الجانب الاجتماعي:** الهيئات الاجتماعية - نماذج مشرقة عن رقي أوضاع المجتمع - نماذج مظلمة عن تردي أوضاع المجتمع - الفتن الداخلية - الفتن الخارجية...
- ❖ **الجانب الاقتصادي:** العمالة المتداولة - الفلاحة والزراعة والرعى- العاملات التجارية - الحرف المختلفة.

#### التاريخ لمزاب وعلاقاته الخارجية:

كانت للمجتمع المزابي علاقات مع محيطه الخارجي، تلك العلاقات المتعددة إلى آفاق مختلفة والمشتملة على مستويات عديدة، خاصة في الجوانب العلمية والثقافية، وقد ظهر مزاب من خلال ذلك كمركز حضاري فريد رغم انقطاعه في قلب الصحراء.

من بين النقاط التي وردت في هذا الجانب والتي يمكن الوقوف عليها بالدراسة مع ما في كلّ واحدة منها من تفاصيل:

**ال التواصل مع الأقطار الإباضية** (وارجلان - جربة - نقوسة - عمان): الرسائل العلمية والإخوانية المتبادلة - الزيارات المتبادلة - أحوال كل قطر- أعلام كل قطر.....

**التواصل مع غير الإباضية: الرسائل العلمية المتبادلة – زيارة أعلام غير إباضية إلى مزاب – النقاشات والحوارات العلمية المباشرة – زيارة طلبة مصعيين إلى مواطن غير إباضية... .**

### **التاريخ لأحداث بعينها:**

صادف أبو مهدي العديد من الأحداث والواقع خلال مدة حياته، وكان له الفضل في تقيد بعضها حفظاً من الزوال والاضمحلال مع تضاعيف السنين، وهي مجال خصب للدراسة والإطلاة من خلالها على أوضاع مزاب خلال تلك الفترة الهامة. من بين النقاط التي وردت في هذا الجانب والتي يمكن الوقوف عليها بالدراسة مع ما في كلّ واحدة منها من تفاصيل:

اعتناق الفقيه أبي محمد عبد الله المزوقي للمذهب الإباضي – وصول حملة القائد يحيى بن زكرياء التركي إلى مزاب – فتنة داخلية امتدت زهاء عشرين سنة – زيارة الحاج مسعود بن أحمد العماني إلى مزاب – هجوم عبد العزيز بن محمد العباسي على مزاب ومحاصرته قصرَ آت مليشت لاثني عشر يوماً بلياليها – زيارة الفقيه أحمد الفاسي إلى مزاب... وعلىه فإنَّ أباً مهدي قد مكَّنا من خلال كتاباته من الوقوف على عديد النقاط في مختلف المجالات، وهي ميزة لا بدَّ أنَّ لها أهميتها خاصة في ظلَّ ندرة مصادر تلك الحقبة، على أنَّ الحظَّ الأوفر قد استأثر به الجانب العلمي نظراً لطبيعة اهتمامه ونشاطه. وفيما ورد عونٌ لأنَّ نستجمع صورة عامة، على أمل العثور على مصادر أخرى بها تتضح الصورة وتتكامل المشاهد.

### **ثبت المصادر والمراجع**

- القرآن الكريم.
- داود بن إبراهيم التلائي أبو سليمان، رسالة إلى أبي مهدي عيسى، مخضمن مجموع بالمكتبة البارونية رقمها في الخزانة 159، وفي الفهرس 287.
- رواية عن الشيخ أبي مهدي، مخضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجن، رقمها في الخزانة دغ 60، وفي الفهرس 236.
- سعيد بن علي الجريبي، رسالة إلى أبي مهدي، مخضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجن، رقمها في الخزانة دغ 60، وفي الفهرس 379.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب العزابة رداً على البهلوبي علي بن أبي الحسن، ضبط النص الناصر أو يابه، منشورات مكتبة المسجد العتيق غرداية.

- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب إلى أبي القاسم التجيبي، مخ ضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجن، رقمها في الخزانة دغ 60، ورقمها في الفهرس 332.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب في علة انتصال اللام، مخ ضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجن، رقمها في الخزانة دغ 60، ورقمها في الفهرس 325.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رد على الحمياني، مخ ضمن مجموع بخزانة الشيخ بالحاج بن كاسي القراري، القرارة، الرقم السابق 132.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل تاجنинه، مخ ضمن مجموع بالمكتبة البارونية رقمها في الخزانة 287، وفي الفهرس 161.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل عمان، مخ ضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجن، رقمها في الخزانة دغ 60، وفي الفهرس 381.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل نفوسه، مخ ضمن مجموع بالمكتبة البارونية، جربة تونس، رقمها في الخزانة 281، وفي الفهرس 177.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل وارجلان يلومهم على التقصير والفتور عن الفضائل، مخ ضمن مجموع بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجن، رقمها في الخزانة دغ 60، وفي الفهرس 391.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى مشايخ الجزرية، مخ ضمن مجموع بالمكتبة البارونية، رقمها في الخزانة 287، وفي الفهرس 163.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة جواب إلى أهل عمان، مخ ضمن مجموع بالمكتبة البارونية، جربة تونس، رقمها في الخزانة 281، وفي الفهرس 139.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رواية حادثة وتذكرة، مخ ضمن مجموع بالمكتبة البارونية، جربة تونس، رقمها في الخزانة 281، وفي الفهرس 331.
- محمد بن زكرياء الباروني، خليلي هو الدهر بالين مولع، مخ ضمن مجموع بالمكتبة البارونية، رقمها في الخزانة، وفي الفهرس 281.
- محمد بن سليمان الغداوي، رسالة إلى الشيخ عيسى بن إسماعيل، مخ بمكتبة الاستقامة الخزانة الأولى، بني يسجن، رقمها في الخزانة دغ 34، ورقمها في الفهرس 383.
- محمد بن سليمان المصعي وأخرون، رسالة إلى أهل الجزرية، مخ ضمن مجموع بالمكتبة البارونية، رقمها في الخزانة 287، وفي الفهرس 162.



# أبو طالب بن عبد المطلب

## رؤيه في الأديات الإباضية

الباحث / بدر بن سالم بن حمدان العربي

كاتب وباحث عُماني . سلطنة عمان

dawaamowalleh10@gmail.com

م مخصوص :

«أبو طالب بن عبد المطلب: رؤيه في الأديات الإباضية»: مقدمة سريعة في الرؤيه الإباضية حول أبي طالب؛ قدمها الباحث لأنّه لم يسبق الحديث والتخصص حول هذا الموضوع - حسب علمه - سلفاً في المذهب، والحديث حوله ليس ترفاً أو دخولاً جديلاً في أمر تجاوزه الزّمن، بقدر ما يكون إجابة عن بعض التساؤلات التي وجهت إليه من المدارس الأخرى وخصوصاً المدرسة الإمامية، فكان مسحاً بسيطاً لبعض المصادر الإباضية، وقراءة سريعة تنطلق من المشترك في وقت نحن بحاجة إلى «كلمة سواء».

وابتدأ المقال البحثي بداية بمسح سيرة أبي طالب وأبيه عبد المطلب في الأديات الإباضية، ووُجد أغلب الحديث عن أبيه عبد المطلب، وإشارات قليلة في كتب السير والتفسير عن أبي طالب، وتتمثل عادة في موقفه ونصرته للنبي - صلّى الله عليه وسلم - والرؤيه السيريّه واحدة في جميع المدارس الإسلامية.

ثم تطرق المقال إلى حضور أبي طالب في الأديات الإباضية، بداية من كتب الاعتقاد والفقه، ثم كتب الحديث والتفسير والسير، وفي التفسير لا تختلف التقوّلات الإباضية عن المدرسة السنّية، ويندرج ذكره في تفسير الآيتين: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِّينَ مَأْمُونًاٌ نَّسْفَرُواٰ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِنَّ قُرْبَةٍ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبه / 113]، والأية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص / 56]، أمّا حضوره في كتب الحديث فلا يكاد يوجد، وضعيف جداً في كتب الاعتقاد والفقه.

ثم تطرق المقال إلى الحديث حول أبي طالب حسب التأصيل العقدي عند الإباضية، وبين أنّ الأحاديث الواردة أحاديث آحاد، والأحاديث لا يلزم الاعتقاد، ولا يبني به يقين،

لهذا يشمل الموضوع ولادة وبراءة الجملة أو الرأي، كما يسع فيه الوقوف والسكوت، فتلك أمة قد خلت.

لهذا يقدم الباحث أخيراً رؤيته التي خلص فيها إلى "أنّ لأبي طالب مكانة كبيرة في صدر البعثة الحمدية، وفي نصرة النبي - صلى عليه وسلم -، ضحى بمكانته السياسية والمجتمعية والمالية لخدمة هذه الدعوة، ونشر رسالة الإصلاح، وإعطاء الحرية لابن أخيه - عليه الصلاة والسلام - وهذا حدٌ كافٌ لغرسه في الأجيال، والاستفادة منه، وترك الجدلية الغبية في علم الله وحده، وإشغال الجيل بحاضرهم، واستلهام الخير من ماضيهم".

### **Title: Abu Talib ibn Abd Al-Muttalib in Ibadi literature**

#### **Abstract:**

This paper is a quick introduction to the Ibadi view on the person of Abu Talib as a topic that has not been addressed previously within the Ibadi school, to the researcher's best knowledge.

It is a research that became necessary in order to provide answers to questions directed on this regard especially by the Imami school among others to the Ibadi school. It was a simple survey of some Ibadi sources, and a quick reading based on backgrounds shared among Islamic schools, in these time of need of a "common word".

The paper began initially by surveying the Ibadi literature for biographies of Abu Talib and his father Abd Al-Muttalib, finding most of the mentions about the latter. There were only a few references about Abu Talib in Islamic biographies and Quran interpretations (Tafsirs), usually descriptions shared by all Islamic schools of his position in support of the Prophet p.b.u.h.

Then it touched on the presence of Abu Talib in Ibadi literature, beginning with the fields of doctrine and jurisprudence, then Hadith, Tafsir and biographies. The narrations about Abu Talib in the Ibadi and the Sunni Tafsirs are not different, namely in the interpretation of the two verses: "It is not proper for the Prophet and the believers to seek forgiveness for the polytheists, even if they were close relatives, after it has become clear to the believers that they are bound for the Hellfire". [Repentance, 113], and "You surely cannot guide whoever you like O Prophet , but it is Allah Who guides whoever He wills, and He knows best who are fit to be guided". [stories, 56]. There was, however, little or no mention at all of Abu Talib in doctrine, jurisprudence or hadith books.

The research then talks about Abu Talib according to the doctrinal rooting of the Ibadi school, showing that the hadiths about him were narrated by only a few narrators making them non-binding in doctrine and cannot be relied upon to build certain conclusions.

At the end, the paper concludes that "Abu Talib had a great position at the heart of the Muhammadan mission, and in the support of the Prophet p.b.u.h. He

sacrificed his political, societal and financial standing to enable his nephew spread the message of reform. This is sufficient to grant him a positive thought in the minds of Muslims, to leave metaphysical controversies for God alone, and to occupy the present generations with the present time while drawing inspiration from the past.

## ١- سيرة أبي طالب وأبيه عبد المطلب في الأدب الإباضية:

ترد في الأدب الإباضية سيرة أبي طالب مقرونة بسيرة أبيه، مع شيء من الذكر لسيرة أبيه أكثر من سيرة أبي طالب، ولعلّ حضور الزعامة عند عبد المطلب كانت أكثر زمناً من أبي طالب، لهذا كانت الروايات عنه أكثر، والله أعلم.

**أ- اسم أبيه عبد المطلب:** "واسم عبد المطلب شيبة الحمد، لأنّه ولد وفي رأسه شيبة ظاهرة، وقيل ولد ووسط رأسه أبيض، وقيل لأنّ أباه أوصى أمّه أن تلقّبه بذلك، رجاء أن يكبر حتى يشيب ويكتثر حمد الناس له، وقد حقق الله عزّ وجلّ ذلك، وصار سيد قريش وشريفهم كمالاً وفعلاً"<sup>(١)</sup>، "وقيل اسمه عامر"<sup>(٢)</sup>.

**ب- سبب تسمية أبيه عبد المطلب:** "سمّي عبد المطلب لأنّ أباه هاشما قال حين احضر لأخيه المطلب: أدرك عبدك بيشرب، وذلك استعطاف، أو على عادة العرب في تسمية اليتيم المربي في حجر شخص عبده، وقيل إنّ عمّه عبد المطلب لما جاء به من المدينة بلا إذن من أمّه فيه وهو يلعب بالكرة، وقيل بإذنها، وبلغ مكة بثلاث ليال خوفاً، أن تندم أمّه، أردفه فمرّ على جماعة من قريش، فقالوا هذا عبدك، ولما دخل أهله غسله وألبسه، فقال: ليس عبداً، إله ابن أخي"<sup>(٣)</sup>.

**ج- لقب وكنية وصفات عبد المطلب:** "لقب الفياض لجوده، و[لأنّه] مطعم طير السماء"<sup>(٤)</sup>، "وكنيته أبو الحارث، وهو أكبر أولاده"<sup>(٥)</sup>، و"كان أول من تحنت بجراء صعدة في رمضان"<sup>(٦)</sup>، "وهو أول من خضّب بالسواد من العرب"<sup>(٧)</sup>.

(١) اطفيش: محمد بن يوسف: *شرح عقيدة التوحيد*, ط وزارة التراث القومي والثقافة, سلطنة عمان, ط 1403هـ/ 1983م, ص: 32.

(٢) المرجع نفسه، ص: 32.

(٣) المرجع نفسه، ص: 31 - 32.

(٤) المرجع نفسه، ص: 31.

(٥) المرجع نفسه، ص: 32.

(٦) المرجع نفسه، ص: 31.

(٧) المرجع نفسه، ص: 31.

"وكان عبد المطلب مجاب الدّعوة، يحرّم الخمر على نفسه"<sup>(1)</sup>، وكان "يطعم المساكين، ويرفع من مائدته للطّير والوحش"<sup>(2)</sup>، "وكانوا يغزون إليه في التواب ومهما الأمور"<sup>(3)</sup>.

**د- موقفه مع الرسول - صلى الله عليه وسلم** - : "أما أبو طالب فهو عمّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - وشقيق أبيه، وقد كان يحنّى على الرسول ويُعطِّف عليه، وقد كان يحميه من عداوة قومه، نظراً إلى مكانة أبي طالب في قريش وهيبته عندهم، وهو الذي قال لابن أخيه عندما طلب منه التخلّي عنه، وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - قوله الخالدة، وظنَّ أنَّ عمَّه رِيمَا سيتخلّى عنه فاستعبر وانصرف، حينذاك ناداه أبو طالب قائلاً له: اذهب يا ابن أخي وقل ما شئت، فوالله لا أسلنك لشيء أبداً"<sup>(4)</sup>، "وكلَّ من اطلع على السيرة النبوية وعلى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلم أنَّ أبا طالب حبي النبي - صلى الله عليه وسلم - حمایة مؤذنة، حتى أنَّ قريشاً لم تستطع أن تناول منه شيئاً طول حياة أبي طالب"<sup>(5)</sup>، و"كان أبو طالب يقول لابن أخيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : ادع إلى سبيل ربِّك، واصدِّع بما تؤمر، ولن يصلك ضرر، أو أذى من أحد، وكانت قريش تهاب أبا طالب وتحترمه، وقد تحمل الأذى مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وبني هاشم لما قاطعوهم قريش في شعب بني هاشم لمدة ثلاثة سنوات، بعد أن طلبوا منهم أن يسلّموا إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ليقتلوه، فرفضوا، فأخرجوه كلَّهم مؤمنهم، وكافرُهم"<sup>(6)</sup>.

## 2- حضور أبي طالب في الأديبيات الإباضية:

المتأمل لسيرة أبي طالب سيجد حضوره ضعيفاً جداً في الأديبيات الإباضية، وما ذكر فهو منقول من الأديبيات السنّية، ولا توجد استقلالية لأبي طالب في هذه الأديبيات، وأغلب حضوره كان في كتب السير والتفسير.

(1) المرجع نفسه، ص: 31.

(2) المرجع نفسه، ص: 31.

(3) المرجع نفسه، ص: 32.

(4) السّيّابي: أحمد بن سعود؛ *السيرة النبوية: روایة تحليلية ونظرة تصحيحية*، ط مكتبة الظّامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ولاية السّيب، الطبعة الأولى 1437هـ / 2016م، ص: 119.

(5) بيوض: إبراهيم بن عمر؛ *في رحاب القرآن*، تحرير: عيسى بن محمد الشّيخ بالحاج، ط جمعية التراث، الجزائر/ القرارة، ط 1421هـ / 2000م، ج: 8، ص: 423.

(6) المرجع نفسه، ج: 8، ص: 423.

**أ- أبو طالب في كتب الاعتقاد والفقه:**

كتب الاعتقاد خصوصا لا تلتفت إلى قضية أبي طالب رأسا؛ لأن المسألة هامشية - كما سنرى -، ولم يدخلوا في جدل حول هذه المسألة.

وأشار نور الدين السالمي [ت 1332هـ/ 1914م]، وهو من المتأخرین؛ في كتابه: "مشارق أنوار العقول" في جانب عرضي إلى أبي طالب متعلقا بالنبي - صلى الله عليه وسلم -: "قال مجاهد: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأبو بكر، وخيّاب، وصهيب، وبلال، وعمار، وسمية، أمّا الرسول - عليه الصلاة والسلام - فمحماه أبو طالب ..."<sup>(1)</sup>.

وأمّا في كتب الفقه فيندر ذكره، يذكر في جوانب هامشية؛ مثلاً في كتاب النكاح فيما يتعلق بخطبة أبي طالب للنبي - صلى الله عليه وسلم - من خديجة، "قيل خطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تزويجه خديجة بنت خوبيل - رضي الله عنها - فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل - صلوات الله عليهما -، وجعل لنا بلداً آمناً حراماً، وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إنّ محمد بن عبد الله ابن أخي، من لا يُوازن به فتى من قريش إلا رجح برأ وفضلاً، وكarma وعقلاء، ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال الأقل، فإنّما المال ظلّ زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خوبيل رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحبتكم الصداق فعلي"<sup>(2)</sup>، وفي كتاب مسائل اليتامي قوله: "وقالوا: يتيم أبي طالب يعنون به النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بالغ"<sup>(3)</sup>.

**ب- أبو طالب في كتب الحديث:**

المدرسة الإباضية مدرسة فقهية سياسية، وليس مدرسة أخبارية حديثية، ومع هذا حسب أقدم مصدر حديثي في المدرسة؛ وهو كتاب "الجامع الصحيح"، مستند الإمام الريّع بن حبيب [ت 170هـ]، لا نجد في هذا الكتاب آية إشارة إلى أبي طالب.

(1) السالمي: عبد الله بن حميد؛ مشارق أنوار العقول، تحقيق عبد الرحمن بن عميرة، ط دار الجبل، لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1989م، ج: 2، ص: 399-400.

(2) الكندي: أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى؛ المصنف، تحقيق مصطفى بن صالح باجو، ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1437هـ/ 2016م، ج: 32، ص: 54.

(3) المرجع نفسه، ج: 23، ص: 319.

### جـ- أبو طالب في كتب التفسير:

النظرة الإباضية إلى التأليف في التفسير والتاريخ عند المتقدمين أقرب إلى النظرة السلبية، الأول خشية التقول على الله بغير علم، والثاني لقلة الفائدة منه، خصوصاً عند المشارقة، ومع هذا أدرك المتأخرون خطأ هذا الرأي.

ومع هذه النظرة السلبية نجد تفسيراً قدماً للمدرسة الإباضية؛ وهو "تفسير كتاب الله العزيز" لود بن حكيم الهواري في القرن الثالث المجري، ومن المتقدمين أبو الحواري محمد الحواري [ت نهاية ق 3هـ] في كتابه المتعلق بتفسير الأحكام: "الذراء وكتن الغناء ومتنهى الغاية وبلغ الكفاية في تفسير خمسين آية"، ووُجِدَتُ أيضًا آراء تفسيرية متقدمة كما عند أبي الحسن البسيوي [ت في القرن 4هـ] في كتابه الجامع وغيره.

والمتأمل في كتب التفسير يجد التأثر بمروريات المدرسة السنّية عموماً، وفيما يتعلق بموضوعنا نراه يندرج في تفسير الآيتين: ﴿مَا كَانَ لِلّٰهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَٰئِكُ فَرِيقٌ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [التوبه/ 113]، والآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ [القصص / 56].

وفي هذا مثلاً يقول الهواري في تفسيره: "﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾". نزلت في أبي طالب حين راوه النبي عليه أن يقول: لا إله إلا الله فأبى، وقال مجاهد: قال له النبي : قل كلمة الإخلاص، وهي التوحيد أجادل بها عنك يوم القيمة، فقال له: يا ابن أخي، قد علمت أنك صادق، وأنك لن تدعوا إلا إلى خير، ولو لا أن تكون عليك وعلى بنيك سبة لأقررت بما عندك عند الفراق، ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ".<sup>(1)</sup>.

قلت: هذه الرواية في كتب التفسير قريبة من رواية البخاري [ت 256هـ] من طريق ابن المسيب عن أبيه "أن أبو طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي وعنه أبو جهل،

(1) الهواري: هود بن حكيم؛ *تفسير كتاب الله العزيز*، تحقيق: الحاج بن سعيد شريفي، ط دار الغرب الإسلامي، لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ج: 3، ص: 285 - 286.

فقال: أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزلا يكلمانه، حتى قال: آخر شيء كلامهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: لاستغفرن لك ما لم أنه عنه، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلّٰهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوْلِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَٰئِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبه: 113]. ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَّتِ﴾ [القصص: 56]<sup>(1)</sup>.

وأقرب من الهواري يقول اطفيش [ت 1332هـ / 1914م] في تفسيره هيميان الزاد: "قال لعمه أبي طالب عند احتضاره: يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أشهد، روي: أحاج لك بها يوم القيمة، فقال له: يا ابن أخي، لقد علمتُ أنك صادق، وأنك تدعوا إلى خير، ولو لا أن تعيرني قريش، يقولون إنما حمله على ذلك الجزء لأنقررتُ بها عينك، وأنشد الآيات المشهورة التي منها:

ولقد علمت بآن دين محمد \*\*\* من خير أديان البرية دينا

ولكن على ملة الأشياخ، يعني أموات على دين عبدالطلب، وعبد مناف، وهاشم، ثم مات، ونزلت الآية في ذلك، قال الزجاج: أجمع المسلمين أنها نزلت في أبي طالب، وذلك أنه قال عند موته: يا عشر بي هاشم، أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك، قال: فما ت يريد يا ابن أخي؟ قال: أريد منك كلمة واحدة، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أشهد لك بها عند الله، فقال: يا ابن أخي، قد علمتُ أنك لصادق، ولكنني أكره أن يقال جزع عند الموت، ولو لا أن تكون عليك وعلى بيتك غضاضة ومسبة بعدى لقتلها، ولأنقررت بها عينك عند الفراق، لما أرى من شدة وجده ونصيحتك، ولكن سوف أموت على ملة الأشياخ، ونزلت الآية، وقال غير

(1) البخاري: أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل؛ صحيح البخاري، اعتبرت به أبو صهيب الكرمي، طبعة الأفكار الدولية للنشر، ط 1419هـ / 1998م، كتاب مناقب الأمصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم: 3884، ص: 736.

الزجاج: إنّ نزولها في شأن أبي طالب غير متفق عليه بل قول الجمهور، وقال أبو روق: وفي قوله ﴿وَلَا كُنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ إشارة إلى العباس<sup>(1)</sup>.

وذكر اطفيش في تفسير آية براءة في الهميميان: "وروي أنّ رسول الله وجد أبا طالب في دركة النار السفلی وغمراها، فشقّع فيه لأنّه كان يحوطه وينصره ويغضّب له، فأخرجه إلى ضحاض من النار تبلغ كعبه، تغلّى بها أم دماغه"<sup>(2)</sup>.

قلت: وأصل الرواية عند البخاري من طريق العباس بن عبد المطلب قال: "قال للنبي : ما أغنيت عن عمك، فإنّه كان يحوطك ويغضّب لك، فقال: هو في ضحاض من نار، ولو لا أنا لكان في الدّرّاك الأسفل من النار"<sup>(3)</sup>.

وجاء في البخاري أيضاً من طريق أبي سعيد الخدري "الله سمع النبي ، وذكر عنده عمه فقل: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة، فيجعل في ضحاض من النار يبلغ كعبه، يغلي بها دماغه"<sup>(4)</sup>.

وبيّن اطفيش في تفسيره المتأخر عن الهميمان<sup>(5)</sup> وهو تيسير التفسير للقرآن الكريم: "وقد اختلف في إسلامه، وإنما اقتصر على لا إله إلا الله، ولم يذكر محمد رسول الله، لأنّه يأمرهم بلا إله إلا الله، على أنه أرسله الله به، فإذا قالها على ذلك فقد أقرّ برسالته"<sup>(6)</sup> أي على اعتبار أصل التصديق.

فكما نرى ما جاء في تفاسير الإباضية نقولات من كتب غيرهم بدون تحقيق.

(1) اطفيش: محمد بن يوسف؛ هيميان الزاد إلى دار المعاد، ط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط 1411هـ/1991م، ج: 12، ص: 276 - 277.

(2) اطفيش: محمد بن يوسف؛ هيميان الزاد إلى دار المعاد، ط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م، ج: 7، ص: 274.

(3) البخاري: أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل؛ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب مناقب الأمصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم: 3883، ص: 736.

(4) المرجع نفسه، كتاب مناقب الأمصار، باب قصة أبي طالب، حديث رقم: 3885، ص: 736.

(5) كتاب الهميميان في فترة مبكرة من حياته، وأغلبه نقولات بدون تحقيق من تفاسير المذاهب الأخرى، ثم ألف «تيسير التفسير للقرآن الكريم»، وكان له فيه بعض التحقيقات، إلا أنّ أغلبه أيضاً لم يخرج من دائرة التقليل.

(6) اطفيش: محمد بن يوسف؛ تيسير التفسير للقرآن الكريم، ط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407هـ/1987م، ج: 9، ص: 451.

**د- أبو طالب في كتب السير:**

كتب السير تطرقت عرضاً لأبي طالب، كما جاء في سيرة ابن هشام [ت 218هـ] عن ابن اسحاق [ت 151هـ] أو ما ورد بشكل سريع في كتب التاريخ، وأشارنا إلى نماذج في البداية، وعموماً لا تطرق إلى قضية نجاته أو هلاكه.

**3- أبو طالب حسب التأصيل العقدي عند الإباضية**

قضية أبي طالب لم تدخل في مباحث الإباضية العقدية، فهي أقرب إلى المسائل الهماسية التي وردت عرضاً كما في كتب التفسير نقالاً من غيرهم، لسبق الغير في ذلك، وعادة مثل هذه المسائل تدخل في قضايا الولاء والبراء، فهي تدخل في ولية وبراءة الأشخاص على الحقيقة، أو ولية وبراءة الجملة.

إلا أن المنطق الإباضي في المعتقد من حيث الجملة أن يبني على القرآن، أو تقوم به الحجة من الرواية، أي تكون متواترة، ولا حجة للإجماع إلا إذا بني على القرآن أو صحيح الرواية<sup>(1)</sup>، وشروط الرواية أن تكون مجتمعاً عليها، أي بين الأمة، لا تحتاج إلى البحث عن طلب صحتها لإشاعتتها بين الرواة وأهل التأويل، وأن تكون موافقة لحكم التنزيل<sup>(2)</sup>.

وعليه فالمتأمل في أخبار أبي طالب عند الإباضية يجدها تدخل في دائرة الآحاد، وهي متنازع في صحتها، لهذا بقيت من قضايا الأخبار الهماسية التي لم يلتفت إليها، إلا ذكراً، حتى ولو ثبت سندًا، إلا أنها لا تدخل في دائرة المعتقد، ولا يفسق من أثبت أو نفى، كما يقول السالمي: "إلى سائر المדיيات أشار بقوله: إنك لا تهدي من أحبت، نعم إلا أن المنفي ها هنا هي الدلالة حقيقة على حد قوله: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، أو بلا واسطة على أن يكون المراد من جميع الأمة، وإن ثبت نزولها في أبي طالب، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر مثلاً: الخليلي: سعيد بن خلفان؛ تمهيد قواعد الإيمان وتقيد شوارد ومسائل الأحكام والأديان، تحقيق حارث بن شامس البطاشي، ط مكتبة الشيخ محمد بن شامس البطاشي، الطبعة الأولى 1431هـ/2010م، ج: 1، ص: 274.

(2) ينظر الشقسي: خيس بن سعيد؛ منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ط مكتبة مسقط، سلطنة عمان/مسقط، الطبعة الأولى 1427هـ/2006م، ج: 1، ص: 79.

(3) السالمي: عبد الله بن حميد؛ مشارق أنوار العقول، ج: 1، ص: 158.

وأماماً من حيث الولاية والبراءة<sup>(1)</sup>، وهي من أصول الإباضية في الاعتقاد، فهي هنا إما أنها تدخل في ولاية وبراءة الحقيقة، أي تكون مبنية بنص قطعي سعادة كمريم بنت عمران، أو شقاوة كفرعون<sup>(2)</sup>، وهنا حسب تصايل مسألة أبي طالب لا يوجد دليل قطعي لا ولاية ولا براءة، لا من كتاب ولا سنة متواترة، وعليه تدخل المسألة في ولاية وبراءة الجملة عند الإباضية المغاربة، أو ولاية وبراءة الرأي عند الإباضية المشارقة، أي ولاية الموحدين والمسلمين، من أول البسيطة إلى يوم الدين، دون تخصيص لأحد، إلا من خصّ قطعاً فيدخل في ولاية الحقيقة، وكذا براءة الجملة<sup>(3)</sup>، وهذا متعلق بعلم الله، ويشمل كلَّ فرد من الجنس البشري قدِّيماً وحديثاً، ويُسْعَ أيضاً فيه - أي أبو طالب - الوقوف في غير ولاية وبراءة الحقيقة لمن وصله الدليل القطعي ليصبح مما لا يسع جهله<sup>(4)</sup>، وهذا لعموم قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمَعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتَحْوِلاً﴾ [الإسراء / 36]، يقول أبو الريحان سليمان بن يخلف [ت 471هـ]: "فلما أن نهاهم عن القول بغير علم ثبت بذلك أنه أمرهم بالإمساك عنه، وذلك أن النهي عن شيء هو الأمر بضدّه، وضدّ الولاية العداوة، وضدّ العداوة الولاية، وضدّ الوقوف هو الإمساء، وضدّ الإمساء هو الإمساك، وقت وجوبه وفرضه عند معرفة الشخص الذي لا يدرى منه كفر ولا إيمان"<sup>(5)</sup>، ومن قواعد الولاية والبراءة عند الإباضية: "الخطأ في الولاية أهون من الخطأ في البراءة"<sup>(6)</sup>، "والإمساك [أي الوقوف] أولى في المحتملات، لا

(1) لي رؤية شخصية تقديرية في قضية الولاية والبراءة، وأرى أنها مرتبطة بالعمل لا بالشخص في الجملة.  
ينظر: العربي: بدر بن سالم؛ فقه التطرف، ط الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، سلطنة عمان، ودار مسعي، كندا، الطبعة الأولى، 2018م، ص: 28 - 31.

(2) ينظر مثلاً: الخليلي: أحمد بن حمد؛ شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط 1431هـ/ 2010م، ص: 120.

(3) ينظر مثلاً: المزاتي: أبو الريحان سليمان بن يخلف؛ التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، تحقيق: حمزة بو سهال بو معقل، ط دار الخلدونية، الجزائر/ القرارة، الطبعة الأولى 1438هـ/ 2017م، ص: 296.

(4) ينظر: الخليلي: أحمد بن حمد؛ شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، مرجع سابق، ص: 121.

(5) المزاتي: أبو الريحان سليمان بن يخلف؛ التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، مرجع سابق، ص: 299.

(6) الكندي: أبو بكر أحمد بن سليمان؛ التخصص في الولاية والبراءة، تحقيق: حمود بن عبد الله الرأشدي، ط وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1432هـ/ 2011م، ص: 81 [من مقدمة المحقق].

سيما في الولاية بالحقيقة [أي القطع بذلك]، فإنّ شهادة غيب لا يقطع بها على غلبة ظنّ ولا قياس<sup>(1)</sup>.

وأمّا في الجانب التاريني فيلخصه السالمي بقول:

وكان من قولهم فيما مضى \*\*\* ليس علينا فيه أمر فرضاً  
فما مضى قبلك لو بساعة \*\*\* فدعه ليس البحث عنه طاعة<sup>(2)</sup>

ويقول إبراهيم بن عمر بيوض [ت 1981م]: "ونحن في عام 1395هـ وقد مرّ على هذه الفتنة 1350 سنة، ولا يزال الناس يكتبون ويعثثون، خاصة في العهود الأخيرة، ولا يمرّ العام إلا بكتاب جديد عن هذه الحوادث والفتنة والروايات، وأنا أعتقد أنه لا يوجد اليوم من يجمع الكتب التاريخية قدّيمها وحديثها، وما كتب طيلة 1350 سنة فيقرأها وينخرج بحقيقة، وهذا نحن بعد هذه الملة الطويلة نرى باحثين يكتبون أشياء تنقض ما كان يظنّ حقيقة..."<sup>(3)</sup>.

وعليه دراسة قضية أبي طالب من ناحية تارينية عند الإباضية أقرب إلى الوقوف، وخلاصة لما سبق ندرك عدم تطرق الإباضية لهذه القضية وعدم مشاركتهم في هذا الجدل؛ لأنّه مما يسع الوقوف فيه، مع بيان فضل أبي طالب ومكانته وجلالة منزلته، وما ذكر من روايات ليس من باب الاعتقاد، وإنما جرياً لما ذكر في كتب التفسير خصوصاً كما مرّ بيانه.

#### 4- قراءة ذاتية لجدلية أبي طالب

نجد التأريخ الإسلامي، والمرويات الإسلامية مطلقاً، سنّية وشيعية وزيدية وإباضية تجلّ أبا طالب، وما قام به من دور كبير في نصرة النبي - صلّى الله عليه وسلم - وسمّي العام الذي توفي فيه مع خديجة بنت خويلد بعام الحزن، إشارة إلى مكانتهما.

والأصل في الغيب علمه عند الله تعالى وحده، والله مطلق الغيب، ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ  
يَعْلَمُ بِمَا يَنْتَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المتحنة/ 10]، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ  
أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةٌ بَيْنَنَا وَبِنَكُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُ إِنَّا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى/ 15]  
﴿إِنَّمَا تُوقَّعُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ 161].

(1) المرجع نفسه، ص: 81 [من مقدمة الحقق]. ما بين معرفتين من عندي.

(2) السالمي: عبد الله بن حميد؛ كشف الحقيقة، مرقون.

(3) بيوض: إبراهيم بن عمر؛ فضل الصحابة والرضا عنهم، تحرير وتحقيق: بهون بن يوسف حميد أو جانة؛ إشراف: محمد بن موسى بابا عمّي، ط معهد الحياة، الجزائر/ غردية، ط 17 1417هـ / 1996م، ص: 89.

وما حدث من جدل سببه الرواية، ومنها علقت كسبب نزول بعض الآيات، هذه الروايات المتباعدة جعلها البعض كما يرى حسن السقاف [معاصر] "... هي من صنع الأمويين وأذنابهم الذين كانوا يشتمون سيدنا علياً وأل البيت ويحتقرونهم، والذين جعلوا أبويه في النار"<sup>(1)</sup>، وقيل "إن إشاعة كفر أبي طالب لم تكن في العصر الأموي، بل قد بثها العباسيون، وبالتالي في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور"<sup>(2)</sup>، في حين اعتبرها أهل الحديث صحيحة لسندتها، ولأن الاعتقاد يؤخذ بخبر الواحد، ومع هذا يذكرونها عرضا لأنّه "كان ينصر النبي" وينفعه<sup>(3)</sup>.

وبعضهم رفض زيادات الحكم بالملائكة، واعتبرها مصنوعة، إلا أنه قبل عدم إظهار أبي طالب لإسلامه، وعلل ذلك أحمد بن زيني دحلان [ت 1304هـ] بقوله: "ومن هذا القبيل امتناع أبي طالب من الانقياد في الظاهر خوفا على ابن أخيه، وهو سيدنا محمد فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل أذى ليبلغ رسالة ربّه، وكان كفار قريش يمتنعون من إيماء النبي رعاية لأبي طالب وحمايته، وكانت رياضة قريش بعد عبد المطلب لأبي طالب، فكان أمره نافذا، وحمايته عندهم مقبولة، لعلمهم بأنّ أبا طالب على ملتهم وديهم، ولو علموا أنه أسلم وتبع النبي فإنّهم لا يقبلون حمايته ونصرته؛ بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه، ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبي".<sup>(4)</sup>

وبعضهم أدخل جدلية أبي طالب في اشتراط النطق بالشهادتين للدخول في الإسلام أم يكفي التصديق بالقلب، ومن الرّيادة ذكر المفسّر أحمد الأعمق [ت 9هـ] في تفسيره "والآية نزلت في أبي طالب - أي آية إِنَّكَ لَا تهدي من أحببْت - الذي ذكره في الكشاف أنه مات كافرا واحتاج بالأية، والذي روی في الحاكم أنه أسلم وفي إسلامه إجماع أهل البيت، وهم أعلم بأحواله، وكان لأبي طالب عند النبي أيدي مشکورة عند الله تعالى، وقد روی أن النبي دعا فأسلم، ذكره الحاكم".<sup>(5)</sup>

(1) دحلان: أحمد بن زيني؛ أنسى المطالب في نجاة أبي طالب، تحقيق حسن بن علي السقاف، ط دار الإمام التوسي، الأردن / عمان، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2004م، ص: 14. [من مقدمة المحقق].

(2) الموسوي: عبد الرحيم؛ سيد الطحاء أبو طالب، نشر: المجمع العالمي لأهل البيت، الطبعة الثانية، 1426هـ، ص: 84.

(3) دحلان: أحمد بن زيني؛ أنسى المطالب في نجاة أبي طالب، المرجع نفسه، ص: 8. [من مقدمة المحقق].

(4) المرجع نفسه، ص: 35.

(5) الأعمق: أحمد بن علي، تفسير الأعمق، تفسير سورة القصص، مرقوم. بتصرف بسيط.

وبعض الزيدية "يجزم بأنّ أبا طالب كان موحداً، ومات على الإسلام، وبعضهم يتماهي مع الرأي السائد لجمهور أهل السنة بأنّ عبد المطلب كان مشركاً كسائر قومه، والمسألة لا تصل عند الزيدية إلى حد المسائل الأصولية والقطعية، ولكن تبقى مسألة تاريخية"<sup>(1)</sup>.

والمتأمل في جميع المدارس عدا المدارس الأخبارية عند السنة والشيعة يجعلها من المسائل الهامشية، وليس من المسائل القطعية، التي لا يترتب عليها تفسيق ولا تكفير، ولا ينبغي التزاع حولها. فإذا خرجنا من المسألة العقدية والأصولية، وهو الأصل؛ لأنّها مسألة هامشية، وأنّ الروايات متناقضة، وأنّ الحكم بيد الله تعالى وحده، وهو أعلم بالغيب، لهذا ستبقى القضية قضية تاريخية. والقضايا التاريخية - في نظري - "لا تخرج عن العناصر الثلاثة: الماضوية البشرية المطلقة، والظرفية التاريخية، والستنية الكونية المجتمعية، أما الماضوية البشرية المطلقة، فهو تاريخ بشري انتهى بخيه وشره، بانتصاره وإخفاقاته، بتقادمه وتأخره، بأمنه واستقراره، وبتفرقه وحرقه وانهزاماته، فيبقى كما هو، ولا يجوز اللتلاعב به وتحريفه، وطمس شيء وإظهار شيء آخر، وفي الوقت نفسه ليس تاريخنا مقدسًا، فهو تجرب بشرية ثقراً في جوّها الإنساني، فالاعتزال به ليس شركاً، ونقده ليس كفراً، فلا يصحّ (أدّلجه) دينياً، ولا توجيهه سياسياً، فيحرّك لما يواافق التوجهات الدينية والمذهبية، ويُتلاعّب به وفق المصالح السياسية، فيحترم كخبر، ولكنه لا يؤلّه ك الماضي، لطبيعة البشر تاليه وتقديس الماضي".

وأما الظرفية التاريخية، فالتاريخ حدث ظرفيٌ من حيث الجملة، تضمن أحاديث ظرفية من حيث التفصيل، هذه الأحداث انتهت في نقطة ما، قد يمتدّ أثرها كامتداد الماضي المستمر، وقد يتلهي مع مرور الزّمن كاتهاء الماضي البسيط، فالتأريخ لا يصنع الحاضر، ولكن يستلهم منه لصنع الحاضر، لهذا كان العنصر الثالث وهو الستنية الكونية المجتمعية، فوجود تقدم في الماضي لا يخرج عن استغلال أهله لسنن التقدّم المجتمعي في عصرهم، ووجود تأخر لإهمالهم لسنن التقدّم .... فالماضي سني، والحاضر سني، والذي يصنع الماضي والحاضر

(1) لقاء مع الشيخ والباحث اليمني الزيدى محمد يحيى عزان، على الفيسوبوك في المخاص، الأحد 11 فبراير 2021م. [بتصرف]

هو السنّية وليس الماضوية، فنجاحنا اليوم يستلهم منه الأجيال المقبلة لنجاحهم، ولكن نجاحنا لا يعني نجاحهم إن لم يستغلوا سنن النجاح المجتمعي والكوني في زمانهم<sup>(1)</sup>. وعليه نخلص من هذا كله: أنَّ لأبي طالب مكانة كبيرة في صدر البعثة الحمدية، وفي نصرة النبي ، ضحى بمكانته السياسية والمجتمعية والمالية لخدمة هذه الدعوة، ونشر رسالة الإصلاح، وإعطاء الحرية لابن أخيه وهذا حدّ كاف لغرسه في الأجيال، والاستفادة منه، وترك الجدلية الغبية في علم الله وحده، وإشغال الجيل بحاضرهم، واستلهام الخير من ماضيهم، والحمد لله رب العالمين.

### ثُبُت المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم برواية حفص.

1. اطفيش: محمد بن يوسف؛ *تيسير التفسير للقرآن الكريم*، ط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407هـ / 1987م.
2. اطفيش: محمد بن يوسف؛ *شرح عقيدة التوحيد*، ط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط 1403هـ / 1983م.
3. اطفيش: محمد بن يوسف؛ *هييمان الزاد إلى دار المعاد*، ط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط 1411هـ / 1991م.
4. الأعمق: أحمد بن علي، *تفسير الأعمق*، تفسير سورة القصص، مرقوم.
5. البخاري: أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل؛ *صحيح البخاري*، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ط بيت الأفكار الدولية للنشر، ط 1419هـ / 1998م.
6. بيوض: إبراهيم بن عمر؛ *فضل الصحابة والرضا عنهم*، إشراف: محمد بن موسى بابا عمّي، ط معهد الحياة، الجزائر / غردية، ط 1417هـ / 1996م.
7. بيوض: إبراهيم بن عمر؛ *في رحاب القرآن*، تحرير: عيسى بن محمد الشیخ بالحاج، ط جمعية التراث، الجزائر / القرارة، ط 211421هـ / 2000م، ج 08.
8. الخليلي: أحمد بن حمد؛ *شرح غایة المراد في نظم الاعتقاد*، ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط 1431هـ / 2010م.
9. الخليلي: سعيد بن خلفان؛ *تمهيد قواعد الإيمان وتقدير شوارد وسائل الأحكام والأديان*، تحقيق حارث بن محمد بن شامس البطاشي، ط مكتبة الشيخ محمد بن شامس البطاشي، الطبعة الأولى 1431هـ / 2010م.

(1) العربي: بدر بن سالم، مقال قراءة التاريخ وفق [الماضوية البشرية] و[الظرفية التاريخية] و[السنّية المجتمعية].. قراءة في الفيلم الوثائقي "سواحل عُمان" أثوذجا، نشر صحيفة شؤون عمانية الالكترونية، 13 أغسطس، 2020م. بتصرف.

10. دحلان: أحمد بن زيني؛ **أسنى المطالب في نجاة أبي طالب**، تحقيق حسن بن علي السقاف، ط دار الإمام التوسي، الأردن / عمان، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2004م.
11. السالمي: عبد الله بن حميد؛ **كشف الحقيقة**، مرقوم.
12. السالمي: عبد الله بن حميد؛ **مشارق أنوار العقول**، تحقيق عبد الرحمن بن عميرة، ط دار الجيل، لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ / 1989م.
13. السيابي: أحمد بن سعود؛ **السيرة النبوية: رؤية تحليلية ونظرة تصحيحية**، ط مكتبة الظامر للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ولاية السيب، الطبعة الأولى 1437هـ / 2016م.
14. الشقصي: خميس بن سعيد؛ **منهج الطالبين وبلغ الراغبين**، ط مكتبة مسقط، سلطنة عمان / مسقط، الطبعة الأولى 1427هـ / 2006م، ج: 1.
15. العربي: بدر بن سالم، مقال قراءة التاريخ وفق [الماضوية البشرية] و[الظرفية التاريخية] و[الستنائية المجتمعية].. قراءة في الفيلم الوثائقي "سواحل عُمان" أمنودجا، نشر صحيفة شؤون عمانية الالكترونية، 13 أغسطس، 2020م.
16. العربي: بدر بن سالم؛ **فقه التطرف**، ط الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، سلطنة عمان، ودار مسعي، كندا، الطبعة الأولى، 2018م.
17. الكندي: أبو بكر أحمد بن سليمان؛ **التخصيص في الولاية والبراءة**، تحقيق: حمود بن عبد الله الراشدي، ط وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1432هـ / 2011م.
18. الكندي: أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى؛ **المصف**، تحقيق مصطفى بن صالح باجو، ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، 1437هـ / 2016م.
19. لقاء مع الشيخ والباحث اليمني الرئيسي محمد يحيى عزان، على الفيسبوك في الخاص، الأحد 11 فبراير 2021م.
20. المزاتي: أبو الريبع سليمان بن يخلف؛ **التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية**، تحقيق: حزبة بو سهال بو معقل، ط دار الخلدانية، الجزائر / القرارة، الطبعة الأولى 1438هـ / 2017م.
21. الموسوي: عبد الرحيم؛ **سيد البطحاء أبو طالب**، نشر: المجمع العالمي لأهل البيت، الطبعة الثانية، 1426هـ ص: 84.
22. المواري: هود بن محكم؛ **تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق: بال حاج بن سعيد شريفى، ط دار الغرب الإسلامي، لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.



# آثاره العلمية للشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (الحلاقة الأولي)

الباحث/ منير محمد خليفة زندوج  
باحث ماجستير في أصول الفقه، ليبيا  
[moneermoh7@gmail.com](mailto:moneermoh7@gmail.com)

م ملخص :

خصص الله هذه الأمة الحمدية بشرعيته السمعة، وهيأ لها رجالاً قصوا حياتهم في الوقوف على أسرارها، ويسط تعاليماها بما فقهوا منها.

ومن هؤلاء الرجال العلماء الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسى، واضع نظام العزابة، والذي ترك في كل فن تأكيل كثيرة وحكماً خلدت في بطون الأوراق، ولكنها ضاعت ولم يبق منها إلا بعض المقتطفات المثبتة في كتب السير والتراجم إلى جانب كتب العقيدة والفقه. وقد عزمت على جمع ما أمكن من الآثار، وكانت البداية مع الكتب المذكورة في المصادر والمراجع، إذ قمت بتنقيح هذه الكتب للبحث عن أقوال الشيخ؛ وكانت الحصيلة 93 آثراً علمياً:

17 آثراً في العقيدة / 36 آثراً في الفقه / 40 آثراً في الأخلاق والحكم والسير.

**الكلمات المفتاحية:** أبو عبد الله، محمد بن بكر الفرسطائي النفوسى؛ الآثار العلمية

**Title:** The Scientific traces of the Cheikh ABI Abd Allah Muhammed Bin Bakr el Fursutaai

## Abstract:

Among the men whom God had bestowed the honor of serving the Muslim world by their writings and reforms is Cheikh Abu Abd Allah Muhammed Ben Bakr El Fursutaai El Naffussi, who established the Azzaba system, that we unfortunately have lost the writings and that there remain only scattered passages in the works of Siyar or books of Fiqh

And in this article I will expose 93 passages that I collected from a bibliographic search:

17 passages in the Aqida books / 36 passages in the Fiqh books / 40 passages in the Siyar books

**Key words:** Abu Abd Allah Muhammed Ben Bakr El Fursutaai, Scientifique production.

الحمد لله الذي يسر سبيل المتقين، وهدى الأنام إلى الحق المبين، وصلى الله على نبيه الأمين، وعلى آله الأطهار الطيبين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى خص هذه الأمة الحمدية بشرعيته السمحاء، وهيأ لها رجالاً أفاداؤها، قضوا حياتهم في خدمتها، والوقوف على أسرارها، وشرح مقاصدتها، وبسط تعاليمها بما فقهوا منها، واستنبطوه من أحکامها، فلم يذخروا وسعاً في تعليمها وتلقينها وتبليغها للناس كافة، لأنها شريعة الله التي تحقق سعادتهم وخلاصهم، وتجلب لهم المصالح في شتى شؤون حياتهم، وتدرأ عنهم المفاسد الضارة بهم، والعلماء هم الذين يتحققون ذلك، بسعفهم الدؤوب إلى الاجتهد وتطبيق أحكام الشريعة في الواقع، وتفهيم الناس مقاصدتها. ومن بين هؤلاء العلماء الإمام أبي عبد الله محمد بن بكر الفسطائي النفوسى، فقد كانت له جهود عظيمة في خدمة الدين الحنيف وتوضيح أحكام الشريعة السمحاء، مما يبعث في نفس الباحث الافتخار والاعتزاز به، ويحدو إلى افتقاء أثره، ونفض الغبار عن صفحات المجد التي رسمها في تاريخ الحضارة الإسلامية بالمغرب، تيسيراً للمعرفة الدينية وتسهيلاً للاقتباس من معينها الصافي وكتوزها الثرية.

هذا ما دفعني إلى تتبع وجمع آثاره العلمية، وقبل البدء في الآثار العلمية للإمام أبي عبدالله نذكر شذرات من سيرته:

- اسمه: هو محمد بن بكر بن يوسف الفسطائي النفوسى كنيته أبو عبد الله، (345هـ/956م - ت 449هـ/1049م). أحد أقطاب الإسلام في المغرب، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين.

- موطن الإمام قرية "فرسطاء" التي تقع شرق مدينة كاباو بجبل نفوسه غرب طرابلس الغرب بليبيا.

- ولادته: لم تحدّد كتب السير تاريخ ميلاده، فيجعله الجعبيري في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، أي ما بين 375هـ - 400هـ وهو تاريخ غير محتمل، لأنّ أبا عبد الله

تتلمذ على يد الشيخ أبي نوح سعيد بن زنギل بالقيروان، ويبدو أن ذلك كان أثناء إقامته بالحامة بين يدي المعز الفاطمي، أي قبل رحيله إلى مصر سنة 362هـ. صنفه الدرجيني في الخمسين الأولى من المائة الخامسة الهجرية، فجعله في الطبقة التاسعة (400 - 450هـ) وقد ذكر الشيخ علي يحيى معمر والشيخ سالم بن يعقوب أن تاريخ ميلاده سنة 345هـ وهو الراجح. إذا يمكن حصر ولادته حوالي سنة 345هـ حسبما ضبطه بعض المحققين.

- تعلمه: أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه فرسطاء، ثم تنقل بين عدة مدن للاستزادة من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه مثل: القيروان، وجربة، والحامة – بالجمهورية التونسية – . ففي الأولى نهل من معين اللغة العربية وعلوم الآلة، وفي الثانية ارتوى من علوم الشريعة عند الشيخ أبي زكرياء فضيل بن أبي مسور بالجامع الكبير، وفي الحامة عند شيخه أبي نوح سعيد بن زنغيلاً، فكان من تلاميذه المتقدّمين كما يذكر الوسياني في سيره فأخذ عنه علم الكلام.

تأثر أبو عبد الله بشقاقة شيوخه ووصاياتهم فكانت نبراساً له في حياته، وعما أوصاه به عمر بن يعلا (عليك بلزم قراءة القرآن، والدعاء إلى الله والرغبة إليه، والرأفة بالضعفاء). سافر بعدها إلى قصططيلية بحثا عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء، ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلا أنّ وفدا من جربة اضطربوا إلى التحول من مرحلة التعلم إلى مرحلة التعليم وتأسيس حلقة العزابة.

- أسرته: له زوجة اسمها "عائشة"، وبنت اسمها: "تيسيل" وأما الذكور فهم ثلاثة: أبو العباس أحمد صاحب التأليف الكثيرة منها كتاب "القسمة وأصول الدين" ، وأبو يعقوب يوسف الذي اشتهر بغزاره العلم وكان مفتياً في عصره، وإبراهيم. أما حفيده فهو أبو نوح يوسف أورد له الشمامي ترجمة مهمة، وأما كنيته بأبي عبد الله فهي كنية تشريف لكل "محمد".

- مصدر رزقه: اعتمد أبو عبد الله على نفسه في توفير مصدر قوته، فلم يشغله العمل العلمي والاجتماعي عن السعي لكسب الرزق بكلّ يمينه، فقد اخذ لنفسه غنماً و ماشية يتنقل بها بين عدة مناطق، متبعاً مصدر الكلأ، مثل نفوسه، ووادي سوف، ووادي أريغ، ووادي مزاب. كما كان يملك ضيعات كثيرة منها ما أشار إليه الوسياني بقوله: إنّ بني ورتيلن غرسوا له خمسمئة (500) فسيلة «وحيين كلّهنّ وبأغن العشور».

- أشهر تلامذته : منهم أبو العباس أحمد ابنه، وأبو الريبع سليمان بن يخلف المزاتي، وزكرياء ويونس ابنا الشيخ أبي زكرياء فصيل وأبو الخطاب عبد السلام منظور بن وسجون المزاتي . وله تلميذ في بادية بني مصعب (أي وادي مزاب) قيل منهم الشيخ ابراهيم بن مناد الزناتي . وللشيخ أبي عبد الله عدد آخر لا يحصى من التلاميذ يفوق الخمسين من وادي أريغ وورجلان وجربة ونفوسه.
- تأسيس حلقة العزابة: تميز أبو عبد الله بتأسيس لنظام هو الآية بين النظم الاجتماعية القديمة والحديثة: نظام حلقة العزابة. أطربت المصادر في ذكر تفاصيل تأسيس هذا النظام، فقد كانت المبادرة لوفد من طلبة جربة، التقوا بالشيخ وهو في طريقه إلى قصطالية - كما ذكرنا - وبلغوا إليه وصيحة شيخهم وشيخه - من قبل - أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور بأن يطلبوا منه تأسيس حلقة للعلم، فأبى أول الأمر، وبعد إصرارهم وإلحاحهم الشديد لم يتركوا له بدًا من القبول؛ فاشترط عليهم مهلة أربعة أشهر ليربّ فيها نظاماً محكماً ودقيقاً للتيسير الحسن للحلقة، فوافقوا. وساعدوه في التنظير والتخطيط أستاذوه فصيل بن أبي مسور، ولذلك عرف هذا النظام بـ «السيرة المسورية البكرية».

ثم شرع في تطبيق مبادئ هذا النظام في أول حلقة له بغار في «تين يسلبي»، وهي «بلدة أعمّر» بالقرب من مدينة ثُقْرُتْ - جنوب شرق الجزائر حالياً -، وذلك سنة 409هـ/1018م، وإلى هذا التاريخ نسب هذا الغار وسمى بـ «الغار التسعي»، وقد حُفر وجُهز ونظم خصيصاً لهذا الغرض.

لم يحصر أبو عبد الله هدفه في مجرد التعليم الديني النظري فحسب، وإنما سعى إلى غرس مبادئ الإسلام في طلبه، على أنه منهج حياة، لا فصل فيه بين العلم والعمل، ولا بين النصِّ والواقع. لذلك كان الشيخ كثير السفر مع طلبه في المغرب الإسلامي، من نفوسه شرقاً إلى وادي مزاب غرباً، يتعلّمون ويعلّمون الناس أمر دينهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ونذكر من بين المناطق الكثيرة التي استقرَّ فيها بحلقته: تين يسلبي، قصطالية، طرابلس، لمّاية، جربة، تفاجالت، وادي أريغ، وغلانة، قنطرة، وارجلان، بادية بني مصعب. وهذا عرف الشيخ عند العامة بـ «سيدي محمد السايج».

وقد ضبط قوانين وأنظمة صارمة لتسهيل الحلقة، فقسم العزّاب - جمع عزّابي من العزوب عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، وخدمة الصالح العام. ولا تعني العزوبة عن الزواج - إلى ثلات مجموعات هي منزلة المراحل التربوية المعروفة في عصرنا: الأصغر - المرحلة الابتدائية-/ الأوسط - المرحلة الثانوية-/ الأكابر - المرحلة الجامعية. ويورد الوسياني تفاصيل أكثر بقوله: «وكان [أبو بعقوب محمد ابن يدر الزنزي] في أسنان [بمجل نفوسة] عادته يجلب العزّاب المبتدئين من أهاليهم، ويعلّمهم الأدب والسير، فإذا وصلوا الشيخ محمد بن سُدرين الوسياني أقرأهم القرآن والإعراب والنحو، وإذا وصلوا الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر علمتهم الدين والعلم والأصول. فمثّلوا هؤلاء الثلاثة في أريغ وقالوا: أبو بعقوب القاطع للأعواد من الجبل حزمات، والتّجّار أبو عبد الله محمد بن سُدرين يقطع الحزمات الواحا، ويركبها الشيخ أبو عبد الله محمد ابن بكر - رحمة الله عليهم - ويصلحها ويستبيها».

وقد نظم الشيخ مجلساً للنساء، يتعلّمن منه، ويستفتيه في أمور الدين والحياة، ومن العالّمات اللاحائي تخرّجن على يده: أمّ البحت وأختها. ولم يكتف الشيخ بالجانب العلمي، فقد كان بمثابة الإمام في جميع الأمور والأحكام، وفي أخصّ الأحوال الشخصية والعائلية والاجتماعية. فعلم تلاميذه الاعتناء بشؤون المجتمع، وتبعوه في سيرته، وورثوا مبادئ هذا النظام الحكم وورثوه للأجيال من بعدهم. ولا يزال نظام الحلقة قائماً إلى اليوم في جميع قرى وادي مزاب ووارجلان، يدير شؤون المجتمع: الدينية، والأخلاقية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية...».

- وفاته: أجمع المصادر على أنّ وفاة الشيخ كانت سنة (440هـ/ 1049م)، وقبره في مقبرة قدّام غاره بأجلو بالجزائر، إلا أنّ أبي زكرياء يقول إنّ أبي الخطاب عبد السلام نزل أريغ سنة 441هـ/ 1050م، فوجد أبي عبد الله يتحضر؛ وانفراده بهذه المعلومة رغم قدمه، يجعلنا نرجّح أن يكون التاريخ تصحيفاً من بعض النساخ.

### **الأثار العلمية للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفسطائي:**

من المناسب في البداية أن أذكر قول العلّامة الدرجي في شيخنا أبي عبد الله، يقول: "وله في كلّ فنٍ تأليف كثيرة، وأكثرها الحجّ والبرهان لأنّه كان فيها ركناً من الأركان، وحفظ عنه في الأخلاق حِكم خلّدت في بطون الأوراق، وله الدّعوات التي ثرّتْجَى وتنقّى عوّاقبها، وهي

باقية لذريته يتوارثها بُدُورُها وكواكِبُها" ، هذا ما قاله العلامة الدرجي<sup>١</sup> في شيخنا الجليل . فالشيخ صاحب تأليف كثيرة في كل فنٍ من فنون العلم، ولكنها ضاعت ولم يبقى منها إلّا بعض المقتطفات الموثقة في كتب السير والترجمٰ إلى جانب كتب العقيدة والفقه.

وقد عزّمت على جمع ما أمكن من الآثار، وكانت البداية مع الكتب المذكورة في المصادر والمراجع، إذ قمت بتبسيط هذه الكتب للبحث عن أقوال الشيخ وكانت الحصيلة 93 أثراً علمياً وقسمتها كما يلي:

**أولاً: العقيدة، وفيها 17 مسألة.**

**ثانياً: الفقه، وفيه 36 مسألة.**

**ثالثاً: الأخلاق والحكم والسير، وفيها 40 مسألة.**

### بعض ما قيل في الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (رحمه الله):

قال الشيخ محمد بن أبي صالح النفوسي لعزّاب أربع عندما التقى بهم: أنتم بنو مغراوة أعظم منّا بجثتا وحظوظه، بجثتكم التي ساقت إليكم أبا عبد الله محمد بن بكر، وفيه خمس خصال قليلة في غيره من أهل العصر: عالمٌ، ورعٌ، عابدٌ، سخيٌّ، شجاعٌ، من ذرورة نفوسه.

قال أبو الريبع: كان أبو محمد يمثل الشيوخ، ويقول: مئل أبي عبد الله مئل ما قال الله:

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ الْنُّذُرِ الْأُولَئِكَ﴾<sup>(١)</sup>، وليس بإندار النبوة، ولكن كما قال الله في الجن:

﴿وَلَّا إِلَّا قَوْمٌ هُمْ مُنْذَرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبلغنا [أبو زكريا يحيى بن أبي بكر] أنه نظر إليه يوماً أبو نوح سعيد بن زنفیل - رحمه الله - فقال: إن كنت أفهم شيئاً، فإنّ هذا الفتى هو الذي يحيي دين الله - أبا عبد الله محمد بن بكر رحمه الله. "هو البحر الذي لا تقاس به الشداد، وبيت أهل المذهب المشهور بالبركات، أسس قواعد السيرة، وله في كل فنٍ تأليف كثيرة، وأكثرها الحجج والبرهان لأنّه كان فيها ركناً من الأركان، وحفظ عنه في الأخلاق حكم خلدت في بطون الأوراق، وله الدعوات التي ترجحى وتشتتى عوقيها، وهي باقية لذريته يتوارثها بُدُورُها وكواكِبُها"، ولكنها ضاعت ولم يبقى منها إلّا بعض المقتطفات من هنا وهناك؛ وسأذكر ما تيسر من هذه المقتطفات...

(1) سورة النجم: 56.

(2) سورة الأحقاف: 29.

**أولاً: العقيدة :**

1.. وذكر عن أمُّ الشِّيخ عَدْل<sup>(1)</sup>، واسمها ورْتَنْجِيرٌ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتْ إِذَا جَازَ عَلَيْيَّ مِنْ أَحَبُّ وَلَمْ أَرْهَ تَحْيِيرًا، حَتَّى سَمِعَتْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ بَكْرٍ يَقُولُ: لَا تَلْتَقِي الْوَجْهَ إِلَّا بِالْقَدْرِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدْرُ بِالتَّلَاقِي التَّقْتُ، وَإِذَا جَاءَ بِالْفَرَاقِ افْتَرَقَتْ، فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ مَا تَحْيِيرَتْ بَعْدَ<sup>(2)</sup>.

2. مسألة: كراهيَة السفر من بلاد أهل الدُّعَوةِ إلى بلاد الكُفَّارِ، تَدْرِج تحت الولاية والبراءة: عندَما كان الشِّيخ أبو موسى هارون بن أبي عمَّان يُرِيدُ السفر إلى غَانَةَ، كَتَبَ إِلَيْهِ أبو عبد الله: أَنْ يَتَرَكَ السُّفُرَ وَيَدْعُ الغَرْبَةَ، فَإِنَّ فِي بِلَادِ أَهْلِ الدُّعَوةِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِقَوْلِ عُرُوْفَ بْنِ الْوَرَدِ:

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسْ الْغَنِيِّ      تَعْشُ ذَاهِبًا أَوْ تَمُوتُ فَتَعْذِرَا  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ      شَكَّا الْفَقَرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا  
وَصَارَ عَلَى الْأَذْنِينِ كَلَّا وَأَوْشَكَتْ      صَلَاتُ الْقَرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكِرَا

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ: دَعِ السُّفُرَ إِلَى تَلْكَ الْجَهَةِ، فَمَاذَا عَبَتْ عَلَى فَلْحَوْنَ بْنَ إِسْحَاقَ حَتَّى مَاتَ فِيهَا، فَمَرَّ بِنَفْعِهِ وَعِلْمِهِ<sup>(3)</sup>. مَسْأَلَتَانِ أَجَابَ الشِّيخُ عَنْهُمَا بِنَظَائِرِهِنَّ:

**3. مسألة في الولاية والبراءة:**

ما تقول في رجل مشهور في الخير، وفعل كبيرة أَيْبِرَا منه أو لا؟ فَقَالَ لِلسَّائِلِ: مَا تَقُولُ أَنْتَ فِي إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا فَعَلَ كَبِيرَةً، أَيْبِرَا مِنْهُ؟ قَالَ السَّائِلُ: نَعَمْ. قَالَ: إِلَمَّا أَعْظَمَ مِنَ الإِشَارَةِ، وَأَفْضَلَ مِنَهُ<sup>(4)</sup>.

**4.. مسألة: في الطاعن في الدين.**

ئُمَّ قَالَ لِهِ السَّائِلِ: مَا تَقُولُ فِي الطَّاعِنِ فِي الدِّينِ، أَيْقُتَلُ فِي كُلِّ زَمَانٍ؟

(1) الشِّيخُ عَدْلُ بْنُ الْلَّؤْلُؤِ مِنَ الطَّبْقَةِ الْعَاشرَةِ (450-500هـ/1058-1106هـ)، مُعاصرُ أَبِي الرِّبِيعِ سَلِيمَانَ بْنِ مُوسَى الرِّزْغَنِيِّ. مِنْ أَفَاضِلِ أَهْلِ وَارْجَلَانِ، كَانَ مَشْهُورًا بِالْعِبَادَةِ وَالْوَرْعِ وَالْكَرْمِ، مَؤَذِّنًا بِأَحَدِ مَسَاجِدِ وَارْجَلَانِ، وَكَانَ جَهِيرُ الصَّوْتِ، يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدِ أَهْلِ "تَمَانِيَتِسْتَ" (لِعَلَّهَا: ثَمَانِيَسْتَ). يَنْظُرُ: أَبُو زَكْرِيَّاءَ السِّيرَةِ، 2/425. الدَّرْجِيَّ: طَبَقَاتٍ، 2/318-317.

(2) سِيرَ الوَسِيَّانِيِّ؛ أَبِي الرِّبِيعِ سَلِيمَانَ الوَسِيَّانِيِّ؛ 1/449.

(3) سِيرَ الوَسِيَّانِيِّ؛ أَبِي الرِّبِيعِ سَلِيمَانَ الوَسِيَّانِيِّ؛ 2/566. / السِّيرَ؛ أَحْمَدُ الشَّمَانِيِّ؛ 2/677.

(4) كِتَابُ الْعَلَقَاتِ فِي أَخْبَارِ وَرَوَايَاتِ أَهْلِ الدُّعَوةِ؛ ص: 117.

فقال للسائل: ما تقول أنت في المرتد، أيقتل في كلّ زمان؟ قال السائل: نعم. فقال:  
الطاعن أعظم منه وأشر<sup>(1)</sup>.

#### 5. معاملة أصحاب الريبة:

وسأله رجل عن أهل الريبة، هل يعاملون؟ قال: ما تقول أنت في رجل أتى جحر  
يربوع، فصار يحفر عليه، حتّى نظر إلى حيّة دخلت ذلك الجحر، أتراه يدخل يده فيه بعد  
[ذلك]؟ قال: لا. قال: فكذلك صاحب الريبة لا يعامل<sup>(2)</sup>.

#### 6.. مسألة في البراءة من الكاذب:

وقال: الكذب كُلُّه كبيرة، وكُلُّ ما قال فيه النبي ﷺ: "ليس منا" إِنَّه البراءة<sup>(3)</sup>.

#### 7.. مسألة ماذا يقال للمسلم الذي تتولاه:

اختلاف هو [أبو يعقوب يوسف بن سهلون] وأبو عبد الله محمد بن بكر فيما يُقال  
لمن تتولاه، هو مسلم عندي عند الله، أو مسلم عند الله عندي؟، قال أبو عبد الله: لا يجوز  
إلا أن يقول مسلم عندي، وقال أبو يعقوب: كلامها جائز سواء، لا فرق بينهما، لأنك  
إذا قلت عند الله فإنك تعني يعلم الله أنه عندي مستحق هذه المنزلة<sup>(4)</sup>.

#### 8.. مسألة طلب الجنة بدون عمل:

أبو الربيع قال: كان أبو صالح يحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن بكر،  
فحضر مجلسه وناديا ذات مرأة ذكر فيه التخويف والتحذير، فقال له أبو صالح: أليس  
يقال - يا محمد - «الجنة في آخر الزمان أرخص من حمار أدبر؟»، قال: «نعم، ولكن أرأيت  
إن وجدت في السوق جلأً ينادي عليه بقيراط واحد ولم يكن عندك، أئّي لك به؟»<sup>(5)</sup>.

#### 9.. مسألة في البراءة.

روى الشيخ علي بن أبي علي الياباني - رحمه الله - عن أبي عبد الله أنه قال: من  
قال للمتولى يا إنسان سوء، يُبرأ منه<sup>(6)</sup>.

(1) كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة؛ ص: 117. / شرح النيل؛ محمد بن يوسف اطفيش؛ 499/14.

(2) المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة؛ ص: 118.

(3) كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة؛ ص: 116.

(4) طبقات المشايخ؛ أحمد بن سعيد الدرجنى؛ 2/ 246. / السير؛ أحمد الشماخى؛ 2/ 601. / شرح النيل؛ محمد بن يوسف اطفيش، 17/429.

(5) سير الوسيانى؛ أبي الربيع سليمان الوسيانى؛ 2/ 800.

(6) سير الوسيانى؛ أبي الربيع سليمان الوسيانى؛ 2/ 574.

## 10.. مسألة في التحذير والتخويف.

وذكر أنَّ أكثر مجالس أبي عبد الله في التحذير والتخويف. فقيل له ذات مرَّة: «هذا أمر شديد ضيق، والنجاة منه عسيرة مع ما ذكرت». فضرب له مثلاً: «ما تقول في ظعينة اقتحمت بيداء بهماء، ذات حرٌّ شديد، وسفر بعيد، فضل دليلهم وخرّيتهم، فأخذتهم الرمضاء، فكيف نجاة هؤلاء من العطاب والهلاك؟»<sup>(1)</sup>.

ثلاث مسائل سأله فيها الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر - رحمه الله - الشيخ أبا نوح سعيد - رحمه الله - بحراب مسجد قنطرارة<sup>(2)</sup>:

11.. 1 / قال الشيخ أبو عبد الله: أخبرني عن طفل رجل مسلم إذا أبلغ الحلم، ما الحكم فيه؟

قال الشيخ: إنْ أنسَتَ منه خيراً فجدد له الاستغفار، وإنْ لم تأنسَ منه رشداً ولا خيراً، فأمسكْ عن ولايته. فقال له أبو عبد الله: أليس يلزمـنا معارضـة النـكارـ فيـ الـحـارـثـ وـعـبـدـ الجـبارـ إـذـ قـلـنـاـ بـالـإـمـضـاءـ عـلـىـ وـلـايـتـهـماـ،ـ وـقـالـواـ بـالـلـوقـوفـ فـيـهـماـ؟ـ

قال له الشيخ: لا يلزمـنا معارضـة النـكارـ فيـ ذـلـكـ لـأـنـاـ كـانـتـ وـلـايـتـاـ إـيـاهـمـ بـولـايـتـاـ لـأـبـائـهـمـ،ـ فـإـذـ بـلـغـواـ رـجـعواـ إـلـىـ أـفـاعـلـهـمـ،ـ وـزـالـ عـنـهـمـ حـكـمـ آـبـائـهـمـ،ـ وـتـوـقـفـنـاـ فـيـهـمـ إـذـ صـارـواـ إـلـىـ حـكـمـ أـنـفـسـهـمـ بـعـدـ إـذـ لـمـ يـكـنـ لـهـمـ إـلـىـ حـكـمـ آـبـائـهـمـ.ـ وـأـمـاـ النـكـارـ فـقـدـ أـرـأـلـواـ المعـنىـ الـذـيـ أـتـبـواـ لـهـ مـنـ الـوـلـاـيـةـ،ـ وـلـمـ يـبـتـوـاـ ضـدـ مـاـ أـرـأـلـواـ،ـ وـهـوـ الـبرـاءـةـ،ـ فـلـاـ يـلـزـمـنـاـ مـعـارـضـتـهـمـ فـيـ شـيـءـ»<sup>(3)</sup>.

12.. 2 / وسائله عن معنى الرواية التي يؤثرها أهل التشبيه عن رسول الله ، قالوا لا تقتلى جهنّم حتى يضع الجبار قدمه فتنزوي من نواحيها، وتقول: «قطني، قطني»؟

قال الشيخ: إنْ كانت الرواية صحيحة، فلها مخرج ومعنى قدمه ما قدم لها من أهل الشقاوة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسِّرِ اللَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدْمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) سير الوسياني؛ أبي الريبع سليمان الوسياني؛ 2/835.

(2) كتاب سير الأنئمة وأخبارهم؛ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر؛ ص: 245/246.

(3) ذكرت المسألة في كتاب طبقات المشايخ بالغرب وهذا النص: أن أبا عمران موسى بن زكريا كتب إلى أبي عبدالله سؤالاً عن هذه المسألة. وكتب له أخبرني بما حفظت فيها عن شيخنا أبي نوح سعيد - رحمه الله - فأجابه ما نصه: "الله أعلم في الحارث وعبدالجبار، وأما رجل لم يبلغك صلاحه إلا مقرتنا بمحدثه فليس عليك منه شيء والسلام".

طبقات المشايخ؛ أحمد بن سعيد الدرجبي؛ 2/211.

(4) سورة يونس: الآية: 2.

13.. 3 / وسأله عن الورود الذي تقوم به الحجّة؟ فقال له: كما تفهم قول من قال لك قم فادخل وكل.

#### 14.. مسألة: هل العلم بالفرض واجب كالعمل به؟

ذكر الشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة -رحمه الله عليه- أنَّ الشِّيخ أبا يعقوب محمد بن يدَر أجاب مسألة فأخطأ فيها، فقال: علينا العمل بالفرائض وليس علينا العلم بها، وكان الشِّيخ يزيد بن خلف والزواغي المصعي -قومُه من زواغة - وأبو الريبع سليمان بن يخلف -رضي الله عنهما - خلف المجلس وقتئذ، فلَمَّا سمعاً بذلك الجواب نادى: سليمان، سليمان! ماذا عندك عن أبي عبد الله محمد بن بكر في هذه المسألة؟ فأجابه أبو الريبع: إذا لزم الفعل بشيء لزم معرفته والعلم بكيفيته، وأنَّ عليه الثواب، وأنَّه فرض وعدل<sup>(1)</sup>.

#### 15.. مسألة في الجهل بمعرفة الأنبياء.

وذكر أبو نوح عن أبي زكرياء عن أبي الريبع قال: كنا في مسجد الشِّيخ يكنول بن الطويل في تاماست نجري بيننا المسائل حتى قال الشِّيخ عبد السلام بن أبي زوجون: ليس علينا من معرفة آدم عليه السلام، يحكيها عن أبي نوح، فقمت ضحى، فجعلت كسامي على رأسِي من الشمس، وجزت الوادي إلى أبي عبد الله، وكان غربي الوادي عند الشِّيخ مزین، فوجده ولم يقل، فسألته عن المسألة قلت: أليس وقد حكى عن أبي نوح أنَّ من جهل آدم فقد أشرك؟ فقال: نعم، وما يدريك أنَّ الشِّيخ هو الذي أجاب ذلك أياضًا، والشِّيخ يسمح لطلابه المؤخرین ما لا يسمح به للأولين، وعبد السلام من تلاميذه المؤخرین<sup>(2)</sup>.

#### 16.. مسألة هل يسع جهل موت النبي .

وذكر الشِّيخ أبو الريبع عن أبي عبد الله محمد بن بكر رحمهما الله، أنه لا يسع جهل موت محمد ح لأنَّ من جهل موته جهل أنَّ الذي في يده من الشِّريعة ينسخ أو لا ينسخ، ثم اعتراض عليه بقوله: واعلم أنَّ النسخ من بعض أوصاف الشِّريعة ليس على الناس من معرفته، ولا الإيمان به، ولا الإقرار به شيء، حتى تقوم عليه الحجّة بذلك، وأحرى أنَّ الذي يجوز عليه النسخ ليس بما يشرك به جاهله لأنَّ التوحيد لا يجوز عليه النسخ.<sup>(3)</sup>

(1) سير الوسياني؛ أبي الريبع سليمان الوسياني؛ 2/ 633. / طبقات المشايخ؛ أحمد بن سعيد الدرجبي؛ 2/ 251. / شرح النيل؛ محمد بن يوسف اطفيش؛ 37/17.

(2) سير الوسياني؛ أبي الريبع سليمان الوسياني؛ 2/ 734.

(3) شرح النيل؛ محمد بن يوسف اطفيش؛ 11/534.

## 17.. مسألة في الشرك:

وعلينا أن نعلم أنَّ الأمر بالشرك شرك، وجهل الشرك شرك، والتقرُّب به والاستحلال له والإصرار عليه شرك كذلك، وهو جواب تلامذة الشيخ أبي عبد الله بن أبي بكر :، وأما جوابه هو فلا يُلزم معرفة هذه الوجوه ولا يُحقّها، ويقول: هي شرك حسب هذا، رواه الشيخ الجليل القدر أبو عمرو :<sup>(1)</sup>

### قائمة المصادر والمراجع:

- سير الوسياني، لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (ق: 6/12م)، تحقيق: عمر بن لقمان بوعصيابة، وزارة التراث والثقافة، مسقط سلطنة عُمان، ط: 1، 2009هـ/1430م.
- كتاب سير الأئمة وأخبارهم، المعروف بتاريخ أبي ذكرياء، أبي ذكريأ يحيى بن أبي بكر (450هـ)، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، ط: 3، 1984م.
- كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم بازريز، وزارة التراث والثقافة، مسقط - سلطنة عُمان، ط: 1، 2009هـ/1430م.
- كتاب السير، أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد الشماخي، تحقيق: حمد حسن، دار أويا، طرابلس - ليبيا، ط: 1، 2009هـ/1430م.
- طبقات المشايخ بالغرب، أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجنبي (ت: 670هـ)، تحقيق: إبراهيم محمد طلای، الطبعة الثانية.
- الإيابية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، مكتبة الضامر، السيب - سلطنة عُمان، ط: 3، 2008هـ/1429م.
- شرح النيل وشفاء العليل، للعلامة احمد بن يوسف اطفيش، مكتبة ...، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 2.
- حاشية الترتيب، كتاب الترتيب للعلامة أبي يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني، محسن بحاشية العلامة أبي عبد الله محمد بن عمر، وزارة الأوقاف والتراث، مسقط - سلطنة عُمان، ط: 20، 1986هـ.



(1) شرح النيل؛ محمد بن يوسف اطفيش، 17/25.

# النظام القضائي في المجتمع المزابي

## (الحلقة الثانية): القضاء في عهد الاحتلال الفرنسي

أ. د: محمد بن صالح حمدي  
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية  
جامعة الحاج لخضر - باتنة  
echohamdi@gmail.com

مختص

تتناول الحلقة الثانية من هذا المقال؛ نظام القضاء المزابي في مرحلة الاحتلال الفرنسي، فقد أدرك المحتل أنه لا تتم له السيطرة التامة على الجزائر إلا بالقضاء على مقومات هذا الشعب، ومنها القضاء الشرعي - الذي يُعد المرجع في الاحتكام عند الخصومات وفض النزاعات - وإلحاقه بالنظام القضائي الفرنسي.

ولما وضع المستعمر يده على منطقة مزاب بعد إلغاء اتفاقية الحماية، ألحقه بالحكم العسكري الذي خضعت له كل مناطق الجنوب، وبدأ بالتقليص من صلاحيات القضاء الشرعي في الجانب المدني والجنائي، ولم يُبق له إلا الأحوال الشخصية، وقد أنشأ سبع محاكم في مزاب، ثم ثلاثاً في التل، يختار قضاياها من طرف مجلس العزابة وتقوم السلطة بتعيينهم.

فما هي هيكلة هذا القضاء؟ وما هي درجات التقاضي فيه؟ وما هو موقف حلقة العزابة من تولي الوظائف القضائية؟ وما هي نظرة السلطة العسكرية لهذا الجهاز؟ هذا ما تتناوله هذه الحلقة بشيء من التفصيل، تاريخياً وتنظيمياً.

الكلمات المفتاحية: القضاء الشرعي، السلطة العسكرية، التشريع القضائي، الهيكل القضائي، الأحوال الشخصية.

Title: The Judicial System in The M'zab Community.  
(Part Two): Judiciary During The French Occupation

**Abstract:**

The second part of this article is about the M'zab justice system during the French occupation.

The occupier understood that in order to have the Algerian people under full control, he needed to eliminate the constituents of its identity such as the religious judiciary, being the reference in litigation and settling of disputes, and subject it to the French judicial system.

After the French took over the M'zab region, they canceled the protection treaty and subjected it to the military rule as they did all the regions of the south. They began then to reduce the prerogatives of the legitimate religious judiciary on the civil and criminal sides, leaving only the personal status. They established seven courts in M'zab then Three in the north region, whose judges were chosen by the Azzaba council and appointed by the French authorities.

What was the structure of this judiciary? What were the degrees of litigation? What was the stance of the Azzaba circle on assuming judicial positions? How was this entity regarded by the military authority? In this second part of the article, we will answer these questions while we provide details about the history and organization of the M'zab judicial system.

**Keywords:** religious judiciary, military authority, judicial legislation, judicial structure, personal status

تناول الباحث في الحلقة الأولى مفهوم القضاء الشرعي ونشأته في وادي مزاب بعد سقوط الدولة الرستمية، وتطوره مع نشأة حلقة العزابة، ثم تناول القضاء الشرعي في ظل الدولة العثمانية التي خضعت لها الجزائر مع بداية القرن السادس عشر. وقد تميّز القضاء باستقلاليته في هذا العهد، وقد استطاع هذا المجتمع أن ينظم هيكله الاجتماعية والقضائية وينشئ هيئة استئناف بمرجعيتها وهيئاتها.

في هذه الحلقة ستتناول تطور النظام القضائي وخصائصه وهيكله في ظل الاستعمار الفرنسي، ونقف على أهدافه وعمله على القضاء تدريجياً على هذا الجانب الأساسي من مقومات المجتمع المزابي الجزائري المسلم، وعن نشأة المحاكم الإباضية، واحتياصها، وهيكلها، وموقف الأمة منها. وستتناول الموضوع ضمن ستة مباحث.

## المبحث الأول: الأوضاع القضائية إبان دخول الاحتلال الفرنسي:

حاول المستعمر الفرنسي منذ أن توطّدت أركانه في الجزائر أن يطمس الشخصية الجزائرية المسلمة، ويقضي على كلّ مقوماتها الدينية والثقافية والتاريخية، ويقطع كلّ صلة عن هويتها المتمثّلة في الدين واللغة والتاريخ، وكان من أهمّ وسائله لتحقيق أهدافه هو القضاء على القضاء الشرعي الذي يمثل مرجعية الإسلام والاحتلال إليه لفض النزاعات وتسويه الخلافات.

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله<sup>(1)</sup> "شعر الفرنسيون أنهم ما لم يسيطرّوا على القضاء الإسلامي فإنّ شخصية الجزائر سوف تبقى قائمة، فالقاضي هو رمز السلطة الشرعية، والساهر على تطبيق أحكام الدين، وبإمكانه من هذا الموقع أن يعارض السلطة الفرنسية مباشرةً أو غير مباشر، باعتباره الوسيط بينها وبين الشعب، ومن ثمة يظهر دور القاضي كان أكثر خطورةً من دور المدرس أو إمام المسجد". ويضيف مبيّناً أهمية القضاء وخطورته، "فالقضاة المسلمين في نظر الشعب هم رموز السلطة الباقيّة، سلطة الدين التي تعني الهوية بكلّ أبعادها، فهم يمثلون التحدّي السياسي والمقاومة الثقافية، وجذور المجتمع المتميّز عن المجتمع الفرنسي، فكان تحطيم جهاز القضاء الإسلامي في نظر الفرنسيين يدخل في خطط تدمير المجتمع الجزائري الشامل بما فيه اللغة وجعلها أجنبية، والقضاء على الملكية بالصادرة والقضاء على وحدة المجتمع وعلى الدين الصحيح".

مع العلم أن سلطة القاضي كانت فيما مضى غير محدودة، فهو مسؤول أمام الله تعالى وأمام ضميره، وأحكامه غير قابلة للطعن، ونافذة وسريعة وبدون مقابل، وكان محلّ تقدير وهيبة أمام الجميع، فهو يمثل الدين كما يمثل السلطة الزمنية.

### موقع القضاء الشرعي في ظل الاحتلال:

كانت السلطة القضائية في ظل الحكم المتعاقب على بلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي إلى آخر العهد التركي تتمتع بالاستقلالية عن السلطة السياسية، وكان الولاة يحترمون القضاء الإسلامي ويحّلّونه المكانة الرفيعة كمرجع لفض النزاعات والاحتلال إلى كتاب الله وسنة رسوله الكري姆.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ميج: 4، ص 455

بوقوع الاحتلال أقرت السلطة الفرنسية القضاء الشرعي وتركت للقضاء - في أول الأمر - سلطتهم وتنظيم شؤونهم. لكن لم يدم الأمر طويلا، ففي 28 فبراير 1841 صدر أمر بتحجيم وتقليل نفوذ القاضي، وذلك بأن نزع منه سلطة الأحكام في الجنایات والجنح، والنظر في مسائل الملكية والاستحقاق، وجعلت قاضي الصلح الفرنسي هو الحاكم في القضايا العامة، وأحكامه تستأنف إلى دائرة الاستئناف الفرنسية. وأصبح نظر القاضي الشرعي لا يشمل إلا الأنكحة وتنفيذ أحكام قاضي الصلح<sup>(1)</sup> وبهذا يكون قد حقق أول خطوة في عزل القضاء الشرعي النابع من الحضارة الإسلامية للمجتمع الجزائري وربطه بالسلطة الفرنسية.

فظام القضاء الفرنسي في الجزائر لم يكن متوفداً الأركان على أساس متينة منذ بداية الاحتلال، بل أخذ يتدرج شيئاً فشيئاً في طريق الانتظام والكمال إلى أن اندمج بصورة شبه كلية في النظام القضائي الفرنسي.

كما شهد القضاء الشرعي مدةً وجزراً في صلحياته، فقد حاول نابليون الثالث إصلاح القضاء وأنشأ المجلس الشرعي الأعلى كدائرة استئناف، لما أراد أن يؤسس ما يسمى "المملكة العربية" بأرض الجزائر.

لكن الأمور عادت إلى الانتكasaة وسلب صلحيات هذا القضاء، وفي عهد الجمهورية الثالثة صدر قانون 26 جويلية 1873 من القضاة حق النظر في مسائل الملكية والاستحقاق، وأخيراً صدر قرار 7 جوان 1889 والمعدل بقرار 25 سنة 1892 فنظم شأن القضاء الشرعي تنظيماً نهائياً بعد أن نزع عنه كل سلطة وأصبح نظر القاضي لا يشمل إلا الأنكحة والمواريث وتنفيذ أحكام قضاء الصلح.

## **المبحث الثاني: هيكلة النظام القضائي في عهد الاحتلال**

يشتمل النظام القضائي في عهد الاحتلال على نوعين:<sup>(2)</sup>

النظام القضائي المدني في الشمال، والنظام القضائي العسكري في الجنوب.

### **أولاً: النظام القضائي في الشمال، يشتمل:**

❖ محكمة استئناف واحدة مقرها الجزائر.

(1) هو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابيين، الدينية والسياسية والعلمية، ج: 1، ص: 337

(2) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 1، ص: 312، 1984، ص: 312

- ❖ محاكم جنائية في كلّ من الجزائر وقسنطينة ووهران وعنابة.
- ❖ محاكم ابتدائية وعدها سبعة عشر، موزعة على مراكز ومدن الشمال، أمّا مدن الجنوب، ولكونها منطقة عسكرية، فقد ألحقت بمحاكم الشمال حسب التوزيع الجغرافي، فكانت غرداية تابعة لمحكمة البليدة.

ومن حيث الاختصاص المكاني أصبح القضاء الإسلامي يشمل أربعة فروع: القضاء في الأرض المدنية، القضاء في بلاد القبائل البربرية، القضاء في أرض الجنوب، القضاء الإباضي.<sup>(1)</sup>

#### ثانياً: القضاء الفرنسي في الجنوب الجزائري:

لما بسط الفرنسيون سلطتهم على الجزائر، أطلقوا عبارة الحكم العسكري على المناطق الجنوبية، فالقضاء الفرنسي في الجنوب الجزائري كان خاصاً للأحكام العسكرية ويختلف تماماً عن نظام القضاء في بلاد الشمال المدنية، وذلك فيما يتعلق بالجرائم والمخالفات التي يرتكبها المسلمين، أما الأوربيون فيرجع أمرهم إلى محاكم الشمال وكذلك اليهود. فالقضاء في أراضي الجنوب يشمل:<sup>(2)</sup>

- ❖ المجالس الحربية لقضايا الجنائيات.
- ❖ اللجان الجزرية لقضايا الجنح.

وكانت منطقة مزاب ضمن الجنوب ومع ذلك اعتبرها الفرنسيون وحدة قضائية لأنها تتبع المذهب الإباضي، كما أنّ بني مزاب كانوا "محمية" فرنسية من 1853 إلى 1882 وكان اتفاق الحماية قد اعترف لهم بتطبيق الشريعة الإسلامية على ما كانوا عليه وعلى اتباع تقاليدهم وب مجالسهم المحلية. وهو القضاء الشرعي منذ الفتح الإسلامي على يد السلطة المتعاقبة إلى عهد الدولة العثمانية، حيث لم تتدخل في الشؤون الخاصة بالمزابيين فتركت لهم الحرية في تنظيم شؤونهم الداخلية تحت لواء حلقة العزابة. لكن الأمر لم يبق كذلك بعد احتلال المنطقة سنة 1882م، ومع ذلك بقي القضاء هناك تبعاً للمذهب الإباضي.

(1) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص: 336

(2) نفسه ص: 331

### **المبحث الثالث: نشأة المحاكم الإباضية بمزاب والتلّ و اختصاصها الوظيفي:**

#### **أولاً/ نشأة المحاكم الإباضية:**

نظراً لخصائص المجتمع المزابي الإباضي ولما يتمتع به من تنظيمات داخلية تحت رعاية حلقة العزابة، واستقلالية نسبية عن السلطة السياسية المركزية لعهود طويلة، ولكونه تقع بنظام الحماية في المرحلة الأولى من الاحتلال، فقد أنشأت السلطات الفرنسية نظاماً قضائياً خاصاً به، بعد أن جرّدته من كثير من الصلاحيات، وأبقت حلقة العزابة حقّ اقتراح المرشحين لتولي مناصب القضاء. وهذه هي المراحل التاريخية: <sup>(١)</sup>

- ❖ في 7 نوفمبر 1882م صدر أمر من الوالي يتضمن إحداث سبع حاكم إباضية بمدن مزاب، وإنشاء مجلس الاستئناف بغرداية.
- ❖ في 1 جانفي 1883م صدر قرار تعين القضاة السبع، وقد وافق القطب الشیخ أطفیش على ذلك وقام بترشیح هؤلاء القضاة للسلطات الفرنسية.
- ❖ بقرار من الوالي العام مؤرخ يوم 28 فیفري 1883م، عُین أعضاء مجلس الاستئناف. وهذا المجلس سمي أولًا مجلس الإعادة، ثم المجلس الشوري، وكان مقره بمسجد أمي سعيد بغرداية، وعرف بمجلس عمّي سعيد. ويبدو أن آخر جلسة إعادة له كانت يوم 4 جانفي 1925م.

- ❖ نتيجة لمطالبات بدأت عام 1883م وبفضل مساعي السيد الحاج صالح بومعقل الغرداوي، فإنَّ رئيس الجمهورية الفرنسية "كارنو" أصدر مرسوماً يوم 29 ديسمبر 1890م يقضي بإنشاء محكمة إباضية في كلّ من الجزائر وقسنطينة ومعسكر للحكم بين المزابيين في قضايا الأحوال الشخصية، وتقسيم الترکات، ثمَّ حُولت بعد ذلك محكمة معسكر إلى وهران، وتشتمل كلّ محكمة على قاض وباش عدل واحد أو أكثر.
- ❖ وفي 26 فیفري 1891م، أنشأ الوالي بمقتضى المادة الثالثة للمرسوم، محكمة إباضية فرعية بكلّ من قصر البخاري، والأصنام (الشلف)، وتيارت، وباتنة، وسوق أهراس، تشتمل كل منها باش عدل واحد وعدلين اثنين.

#### **ثانياً/ الاختصاص الوظيفي:**

الاختصاص هو السلطة القضائية التي يتمتع بها القاضي، أو جهة قضائية يُخوّل لها

(1) نفسه، ص:

حق النظر والفصل في القضايا المرفوعة، وهو مصطلح قانوني يقابله في الشريعة مصطلح الولاية، فالاختصاص القضائي يعني ولاية القضاء. وقد رأى الفقهاء تخصيص القضاء بالزمان والمكان ونوع الخصومة.

### أنواع الاختصاص:

**1- الاختصاص المذهبي:** قصر ولاية القاضي على مذهب معين لا يحكم بخلافه، وقد ظهر في القضاء تبعاً لظهور المذاهب الفقهية، والاختصاص المذهبي للقضاء الشرعي في مزاب هو المذهب الإباضي.

**2- الاختصاص النوعي:** يعني اختصاص القاضي بنوع معين من القضايا كالمعاملات المدنية والجنائية وأحكام الأسرة (الأحوال الشخصية). إن المختل الفرنسي لما استولى على السلطة جعل الاختصاص النوعي للمحاكم الشرعية الموجودة في الشمال الجزائري (الأراضي المدنية) قاصراً على المنازعات المتعلقة بالأحوال الشخصية والمواريث، بينما وسع قليلاً في الاختصاص النوعي للمحاكم الشرعية الموجودة في الجنوب، ليشمل قضايا الأحوال الشخصية والمواريث والمسائل المدنية والتجارية معاً. أما القضايا المتعلقة بالجناح والجنایات فقد جعلها المختل من اختصاص المحاكم الفرنسية، وفق القانون الجزائري الفرنسي.

**3- الاختصاص المكاني:** الاختصاص المحلي أو الإقليمي تعني تحديد صلاحية القاضي بمكان معين، حيث لا يملك القاضي ولاية القضاء خارج هذا المكان. فقد حدد التنظيم القضائي صلاحية قضاة المحاكم الإباضية في مزاب وفي التل. أما التخصيص المكاني غير وارد بالنسبة لمجلس الاستئناف بمجلس عمي سعيد من جانبين:

- أن المجلس صاحب سلطة قضائية متعددة، أي لا ينحصر عمله في مكان معين، فهو ينظر في كل القضايا سواء من وادي مزاب أو من خارجه.

- مشكلة تنازع الاختصاص المكاني مع محكمة الاستئناف بالبليدة، رغم كونهما من نفس درجة التقاضي لأنهما نفس الصلاحية، فالطاعن في حكم هذه المحاكم له الخيار في الاستئناف بمجلس الاستئناف بغردية أو محكمة الاستئناف بالبليدة.

#### 4- صلاحيات القضاء الشرعي<sup>(1)</sup>:

تشتغل محاكم القضاء الشرعي بالقضايا المتعلقة بـ:

أ- قضايا الأسرة (الأحوال الشخصية): الولاية، الوصاية، الوراثة، الحضانة، الحجر

وفكه وإثبات الرشد، تنصيب القيم والوصي، المناكحات، الطلاق، المهر، والنسب

ب- قضايا الديمة.

ج- الأمور المختصة بالأوقاف.

ومن صلاحياتها حق تقديم الولي الشرعي على القاصرين، على الرغم من أن الأصل في عرف المذهب الإباضي يجعل ذلك الحق خاصا لعشيرة الهاں الموصي عليه.

وفي تقسيم المواريث وتعيين الأوصياء يؤخذ بالموطن الذي توفي فيه الهاں، حتى

وإن لم يترك فيه مالا وتركه في موطن آخر، فصلاحيّة تقسيم التركة تعود إلى قاضي الموطن التي توفي به الهاں.

#### 5- مؤهلات الالتحاق بسلك القضاء:

ولا تشترط الإدارة أي شرط علمي لإسناد خطّة القضاء أو العدالة، بل تكتفي أن يكون صاحب الخطّة عارفاً ذا سيرة حسنة، اشتهر بين أبناء المذهب الإباضي بالعفة

والاستقامة، وصاحب السلطة في تسمية القضاة بالتل هو مجلس العزابة بغرداية، ولو بأن يقدم قائمة بأسماء المرشحين للحكومة وهي تختار من بينهم من تراه لائقا وأكمل للحقوق.

**المبحث الرابع: الهيئات القضائية وأعضاؤها ودرجات التقاضي**

##### أولاً/ الهيئات القضائية

توجد عدة هيئات تقوم بمهمة القضاء، وهي:

/ أ/ الهيئة التشريعية:

لم يكن مزاب حاليا من هيئة تشريعية، يختار أعضاؤها من علمائه المبرزين الذين هم أعضاء مجالس العزابة، تتدبّهم هيئاتهم في جتمعهم في مجلسي باعبد الرحمن الكريبي وعمّي سعيد، لوضع القوانين والأحكام في الجرائم والجنائيات والمعاملات؛ طبق الفقه الإسلامي

(1) حمو بن محمد عيسى التوري، نبذة من حياة الميزابيين، الدينية والسياسية والعلمية، الجزء الأول، دار الكروان، باريس، ط:1، سنة 1984، ص: 337

وراجح علماء المذهب الإباضي،<sup>(1)</sup> يسير وفقها القضاة الشرعي في وادي مزاب؛ ولما حلّ الاستعمار الفرنسي قلص من صلاحياته، وجعل منظومته التشريعية هي الحاكمة، ما عدا ما يتعلق بالأحوال الشخصية كما أشرنا.

#### ب/ الهيئة القضائية:

كانت بيد حلقات العزابة، فهي التي تتولى فصل النوازل بين الخصوم وذلك طبق مجلة القوانين "اتفاقيات وادي مزاب" وما ينص عليه كتاباً "الإيضاح" و"الديوان"، وهما عمدة الفقه في الزمن القديم، أو من كتاب "النيل" في الزمن الحديث. لما دخلت فرنسا وادي مزاب سنة 1882م، أدخلت تغييرات في نظام القضاء، فكان القاضي يختاره وجهاً للبلد من هيئة العزابة فتسميه هي، وتلقبه "شيخ العزابة".<sup>(2)</sup>

ثمأخذت فرنسا تتدخل شيئاً فشيئاً في الوظيفة الشرعية، كغيرها من أمهات أمور البلد فسلبت الأمة حق اختيار القضاة، ولكنها كانت تتحرى هي نوعيتهم، كما سلبت لقب "شيخ العزابة" واستبدلته باسم القاضي، ثم تدرجت بالقضاء إلى أن كاد أن يصبح ألعوبة يتلهى بها الأميون والصبيان، ثم تدرجت إلى أن ألغت بعض المحاكم فأضافتها إلى غيرها.

#### ج/ هيئة الاستئناف:

زيادة على المحاكم الابتدائية بوادي مزاب، توجد بين مجموعة البلاد محكمة استئنافية تسمى "مجلس عمّي سعيد" يتربّك أعضاؤها من قضاة البلد وبعض علمائه الأفذاذ، وتعقد جلساتها على رأس كلّ ثلاثة أشهر، للنظر في النوازل المفصولة في المحاكم الابتدائية المروفة إليها بواسطة كاتبها العام، وهي تصدر تارة بتأييد الحكم الأول وتارة بنقضه. هذا ما كانت عليه في العهد القديم، لكنّ يد العسف تلاعبت بها مع مرور الأيام، فحرمت أولئك العلماء من عضويتها، وخلا الجو للقضاة أنفسهم المعينين من طرف السلطة، فكانوا يتناوبون على رئاستها.

ومن أجل القضاء المبرم على القضاة الشرعي جعلت الحكومة مدة رفع الحكم إلى محكمة الاستئناف "عمي سعيد" قصيرة الأجل وهي ثمانية أيام، ومدة رفع الحكم إلى محكمة البليدة الفرنسية شهراً كاملاً، أضاف إلى ذلك دعاية سماسة السوء في تزهيد الناس في الأولى وترغيبهم في الثانية، وهذه العوامل أصبحت في حالة يرثى لها.

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 116

(2) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر

**ثانياً/ أعضاء الهيئة القضائية:**

ت تكون الهيئة القضائية من القضاة وأعوانهم، ويتفاوت عدهم حسب طبيعة المحكمة؛ ابتدائية أم محكمة استئناف.

**1/ القاضي:** لا يُشترط فيه أي شرط سوى أن يكون ذا سيرة حسنة اشتهر بين أهل المذهب بالعلمة والاستقامة. يتضمن مرتبا قاراً قدره 10500 فرنك فرنسي في السنة، أما العدول والأعوان لا ينالون أجرا ثابتا، وإنما يقتسمون مداخيل المحكمة حسب تعريفة خاصة.

**2/ الأعوان:** هو كل من كان ظهيرا لهم في تأدية مهامهم المنوطة بهم، وهم:

أ- الكاتب (باش عدل): وهي كلمة تركية يقصد بها نائب القاضي.

ب- المترجم أو الترجمان: وهو شخص له ملكرة نقل معنى الكلام من لغة إلى أخرى، وقد تدعوا الحاجة إلى وجود مترجم بين القاضي والخصوم أو غيرهم في حال تعدد التواصل بينهم.

ج- الخبراء: هم الأشخاص الذين تتوفر لديهم معلومات فنية في مجال معين، كالطب والهندسة والزراعة والمحاسبة، والتي تخرج عن اختصاص القاضي، وقد يضطر القاضي أحيانا إلى طلب المساعدة من ذوي الخبرة من أجل الوقوف على حقيقة نزاع دقيق.

د- وكلاء بالخصوصية (المحامون): طائفة من رجال القانون غير الموظفين، يقومون بمساعدة المتقاضين بإبداء النصح إليهم، و مباشرة إجراء الخصومة عنهم أمام المحاكم عن طريق الوكالة.

**ثالثاً/ التقاضي على درجتين:**

مفهوم التقاضي على درجتين يعني وجود محاكم على درجات متفاوتة، بعضها أعلى من بعض، يقوم على مبدأ جواز طرح النزاع مجددا أمام محكمة أعلى، هدفها صون العدالة من الأخطاء التي قد يقع فيها القاضي، ومنح الشخص فرصة التقاضي في نزاع واحد أمام محكمتين مختلفتين تعلو إحداهما على الأخرى.

يفترض الباحث يوسف بابا وإسماعيل أن القضاء قبل الاحتلال كان على درجة واحدة؛<sup>(2)</sup> ويورد الأدلة على ذلك، غير أن الشواهد التاريخية والوقائع ثبتت العكس تماما،

(1) يوسف بابا وإسماعيل، المرجع نفسه، ص: 130

(2) يوسف بابا وإسماعيل، القضاء في مجلس عمي سعيد، نظامه، إجراءاته، مصادره، أطروحة دكتوراه، في العلوم الإسلامية، تخصص شريعة وقانون، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2017/2018، ص: 55

فتوجد وثيقة تؤكد أن التقاضي على درجتين وُجد في مزاب مع نشأة مجلس عمي سعيد وبعبد الرحمن الكريثي، أي قبل الوجود العثماني في الجزائر، ويحفظ لنا التاريخ جزءاً من اتفاقيات المجالس العامة، والتي هي بمنزلة الهيئة التشريعية. وقد جُمعت في كتيب سمى "اتفاقيات المجالس العامة"<sup>(1)</sup>، كما أكد المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدنى وجود التقاضي على درجتين في مزاب قبل دخول المستعمر الفرنسي.

وترشدنا النصوص إلى أن جلسات النظر في دعاوى الاستئناف كانت تعقد بروضة<sup>(2)</sup> الشيخ عمي سعيد بن علي بغريداية.

### **المبحث الخامس: موقف السلطات العسكرية المحلية من القضاء الشرعي:**

إذا كانت السلطة القضائية للاحتلال قد قلّصت من صلاحيات القاضي الشرعي، ولم يُبق له إلا النزير اليسير من أحكام الأسرة، فإن السلطة العسكرية الفعلية قد أهانت هذه الهيئة وضغطت عليها لتكون آلوبة بين يديها وتأمر بأوامرها؛ ومن مظاهر الحكم العسكري، جعله للمحاكم الإسلامية - على ما لها من مقام وجلال - تحت سلطان الترجمان المطلق وتدخله في أحكام القضاء، واستعمال نفوذه ليكون فيفائدة غير المغضوب عليهم من طرفها بكيفية سرية، كأن يستدعي القاضي نفسه، أو يهتف له في التلفون فيأمره بأمره. يقول الشيخ عبد الرحمن بكلـي الذي عايش الصراع بين الإدارة الاستعمارية ورجال الإصلاح في هذا الصدد: " وما مسألة عزابة العطف ومسألة عزابة بريان وغيرهما التي لا تزال مشاكلها أمام محكـمـ الاستئناف قائمة، وفتـهمـا دائمة لا نائمة إلا شواهد ناطقة على تدخلـهـ في مسائلـناـ الدينـيةـ، وـمنـازـلـنـاـ في آخر حصنـ بـقـيـتـ لـنـاـ فـيـ شـائـةـ قـوـةـ، بـغـيـةـ القـضـاءـ علىـ الـبـقـيـةـ الـبـاقـيـةـ مـنـ سـلـطـانـنـاـ، قـضـاءـ نـهـائـيـاـ لـاـ قـدـرـ اللهـ".<sup>(3)</sup>

"إذا شئت أن تصوّر مدى الإهانة ومبـلـغـ الحـيـفـ والمـضـمـ، فاعـلـمـ أنـ التـرـجـمانـ العـسـكـريـ عـبـارـةـ عنـ ضـابـطـ صـغـيرـ يـحـسـنـ التـكـلـمـ بالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الدـارـجـةـ نـوـعـاـ، أـمـاـ الفـقـهـ إـلـاسـلـامـيـ فـغـالـبـهـمـ يـجـهـلـهـ كـلـ الجـهـلـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـهـوـ يـحـكـمـ فيـ تـقـرـيرـ مـصـيـرـ الـقـضـاءـ وـأـعـضـاءـ الـمـاـكـمـ، بلـ تـعـقـيـبـهـمـ،

(1) اتفاقيات المجالس العامة لميزاب 1405/1928، تقديم باعمارة عيسى، نشر دار الشهاب، باتنة، بدون ط/ت

(2) كلمة روضة تعني المكان المخصص لجلسات الحكم داخل مسجد عمي سعيد، بغريداية

(3) عبد الرحمن بكلـيـ بنـ عمرـ بكلـيـ، مـسـيـرـةـ إـلـاصـلـاحـ فـيـ جـيلـ، إـعـدـادـ وـتـقـدـيمـ: دـ.ـ مـصـطـفـيـ بـنـ صالحـ باـجوـ، نـشـرـ مـكـتبـةـ الـبـكـريـ، الـعـطـفـ، ولاـيـةـ غـرـداـيـةـ، طـ: 1ـ، 1425ـ/ـ2004ـ، صـ: 28ـ

يحو ما يشاء ويثبت، ولا معقب لأمره إلّا نادراً، ولا رادّ لقضائه إلّا قليلاً."<sup>(1)</sup>  
 على أن الترجمة في دائرة غرادية تتدّل سلطتهم إلى أبعد من القضاء الشرعي، فيتدخلون في كلّ ما له ماله مساس بخصوصيات المجتمع المزايي من التعليم القرآني العربي والجمعيات التعليمية والخيرية، وفي صلاحيات حلقات العزابة.  
 وفي مقال منشور بجريدة وادي ميزاب<sup>(2)</sup> تحت عنوان: "أنباء ميزاب" ما نصّه:  
**«ungehiebtheit des Übersetzer»:**

"من مقتضيات جهل الولاية المسلمين أن كانت محکمهم في كثير من البلاد تجري على أيدي المترجمين، وهؤلاء يجدون من هذه الثغرة قوة على من فوقهم في الوظيف، فیتحکّمون فيهم كما شاءوا. ومن هؤلاء المترجمين الترجمان "م.بيتزريش" بـ "بيرو عرب غرادية"، فقد وافتنا عن تحكماته في الولاية الشرعية والمخزنية، الرسالة الآتية للأديب صاحب الإمضاء المحفوظ، ونحن نقدمها إلى المراجع العليا ليروا رأيهم في تصرفات من هو تحت نفوذهم في رعايا المسلمين".

ثم استعرض المقال المذكور عينات من التدخلات المهينة لجنة القضاء.

#### **المبحث السادس: موقف حلقة العزابة من توقي وظائف القضاء:**

تهيّب المجتمع الإباضي في بداية عهد الاستعمار من توقي القضاء لأن فيه إعانته للكافر على ظلمه وكفره، وتهيّبا من مهمة القضاء. غير أنّ الشيخ أطفيش وازن بين المصالح والمفاسد ورأى أنّ هذا التحفظ سيؤدي إلى فسح المجال أمام المحتل ليرشح كلّ شخص يوالي سياسته، لذلك أوعز إلى هيئات العزابة في كلّ مدن الوادي أن ترشح من تراه أصلح لمنصب القضاء. ومن مصادر أخرى نقرأ أنّ الشيخ اطفيش رغب بجموعة من تلاميذه لما رأى أهليةهم لذلك. وعما يؤكّد ذلك أنّ عدداً كبيراً من أسماء القضاة الذين تعاقبوا على المحاكم الإباضية كانوا من خريجي معهد القطب.

على غرار كلّ الوظائف لم يقبل المزاييون الالتحاق بوظائف القضاء تحت سلطة الاحتلال،<sup>(3)</sup> واستمرّت الأوضاع على ما عليه عدة عقود، بسبب فتوى أصدرها بعض العلماء، وفحواها

(1) نفسه

(2) جريدة وادي ميزاب، الجمعة 16 صفر 1347 / أوت 1928

(3) بن عمر الحاج موسى، مزاب وقضايا الأمة والوطن، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ج: 1، ص: 256 -

تحريم تولي المسلم وظائف حكومية في ظل الاحتلال الفرنسي لأنّه كافر ظالم. ولم يمنع ذلك الشيخ أطفيش من الحصول سنة 1888 على إرسال نسخة من كتابة "شرح النيل" في الفقه المقارن إلى القضاة الفرنسيين، حين أصبحوا يسيطرون على جوانب القضاء الإسلامي باستثناء الأحوال الشخصية التي بقيت من اختصاص القضاة المسلمين، وكان الشيخ يهدف من وراء ذلك إلى حمل أولئك القضاة على تطبيق الفقه الإسلامي على الإيابيين<sup>(1)</sup>، تطور بعد ذلك موقفهم بتعيين السلطة الفرنسية القضاة من بين شيوخ العزابة. وبعد تولّي الشيخ بيوض مهام المشيخة سنة 1924 دعا إلى تولي الوظيف الرسمي الحكومي بقصد جلب المصالح للمجتمع ودرء المفاسد عنه.

#### استنتاجات وخاتمة:

- بعد هذا العرض التاريخي والتشريعي لتطور النظام القضائي الشرعي بوادي مزاب في ظل الاحتلال الفرنسي نستنتج ما يلي:
- ❖ تميّز القضاء الشرعي بالاستقلالية منذ زوال الدولة الرستمية إلى بداية الاحتلال الفرنسي، الذي تدخل في صلاحية الجهاز القضائي، وجرّد من كثير من صلاحياته؛ فلم تبق له سلطة إلا في قضايا الأحوال الشخصية، أي تحولَ القضاء إلى مكاتب للتوثيق.
  - ❖ من حيث المستوى العلمي للقاضي، لا يُشترط فيمن يتولّ القضاء الالتحاق بالتكوين الخاص الذي يخضع له سائر القضاة، وإنما يكفي بأن يكون ملماً بالقواعد الفقهية الأساسية.
  - ❖ من حيث المرجعية الفقهية، فإنه يحتمل المصادر الإباضية وعلى رأسها كتاب "شرح النيل" لقطب الأئمة الشيخ أطفيش.
  - ❖ أن الاحتلال الفرنسي أدرك أنه لا تقوم له قائمة بأرض الجزائر ما لم يقض على مقومات الشعب الجزائري، ومنها الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية بواسطة القضاء الشرعي.
  - ❖ تدرج الاحتلال في سلب القضاء الشرعي صلاحياته، وإخضاعه لنظامه القضائي.
  - ❖ أن حلقة العزابة هي المرجعية، وتتمثل الهيئة التشريعية، وقد انتزع منها النظام القضائي الفرنسي أغلب صلاحياتها.
  - ❖ أن القضاء في وادي مزاب كان بسيطاً في إجراءاته ونظمها، ويتصف القضاة بالتقوى

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر التقافي، ج: 3، ص: 269 / عن بن عمر حاج موسى، ميزاب وقضايا الوطن والأمة، مرجع سابق

والنزاهة والعدل. ويتطبق النظام الفرنسي أدخلت عليه إجراءات التقاضي الاختصاص.

- ❖ أن الاستئناف في الحكم (التقاضي على درجتين) موجود في وادي مزاب قبل الاحتلال الفرنسي، تحت نظر مجلس عمي سعيد وباعبد الرحمن الكريثي.
- ❖ أن السلطات العسكرية المحلية بوادي مزاب كانت تتدخل في صلاحيات القاضي، وترغمه أحياناً بالحكم على هواها لتحقيق مآربها.

ختاماً: من خلال هذا العرض الموجز، وفقنا على سياسة المستعمر الذي أدرك أنه لن يتمكن من استمراره وبقائه على أرض الجزائر إلا باقتلاع جذور الشخصية المسلمة الجزائرية، ورأى أن القضاء الشرعي من أهم العوائق أمامه، فحوال المنظومة القضائية الشرعية وأدججها ضمن منظومته القضائية، ونزع أغلى صلاحياتها، وحال القاضي الذي كان يحكم في كل القضايا المدنية والجنائية إلى مجرد موظف يسجل العقود ويخرّرها.

#### المصادر والمراجع:

- 1- يوسف بابا وإسماعيل، القضاء في مجلس عمي سعيد، نظامه، إجراءاته، مصادره، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة) في العلوم الإسلامية، تخصص شريعة وقانون، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2017/2018م، ص: 51.
- 2- اتفاقيات المجالس العامة لمزاب 1405/1928، تقديم باعماره عيسى، نشر دار الشهاب، باتنة، بدون ط/ت.
- 3- أحمد توفيق المدنى، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 1، س: 1984، ص: 312.
- 4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مج: 4.
- 5- حمو بن محمد عيسى التوري، نبذة من حياة الميزابيين، الدينية والسياسية والعلمية، الجزء الأول، دار الكروان، باريس ط: 1، سنة 1984م، ص: 37.
- 6- بن عمر الحاج موسى، مزاب وقضايا الأمة والوطن، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ج: 1.
- 7- يوسف بن بكر الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، ط: 4، سنة: 1438هـ/2017م.
- 8- عبد الرحمن بن عمر بكلي، مسيرة الإصلاح في جيل، إعداد وتقديم: د. مصطفى بن صالح باجو، نشر مكتبة البكري، العطف، ولاية غرداية، ط: 1، 1425هـ/2004م.
- 9- ناصر بالحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، جمعية التراث القرارة – سلسلة بحوث منهجية مختارة – عدد 19، ط: 1، 1439هـ.

# أثر الدبلوماسية الثقافية العُمانية على الهوية العربية والإسلامية

أ/ سالم بن هلال الحبسى (المؤلف الأول) (\*)

طالب دكتوراه في التاريخ وال العلاقات الدولية

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

salim9334477@gmail.com

م ملخص :

عرفت سلطنة عُمان عبر التاريخ بالتجارة البحرية، وتميز العمانيون بفنون الملاحة البحرية؛ مما جعلهم يتواصلون مع الشعوب الأخرى المطلة على المحيط الهندي. وقد سيطر التجار العمانيون على طرق الملاحة البحرية المؤدية إلى الصين (طريق الحرير)؛ الأمر الذي أكسب العمانيين خبرة في التعامل مع الثقافات الأخرى للشعوب المطلة على طرق التجارة واستقرارهم بها. في هذا البحث ستتطرق إلى دور العمانيين في نشر القيم والهوية الإسلامية والعربية وتعزيزها في المدن التي استقروا بها على سواحل المحيط الهندي في آسيا وسواحل إفريقيا الشرقية، والذي ساعد في نشر الإسلام واللغة العربية بها.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الثقافية، الإباضية، طريق الحرير، منظمة التعاون

الإسلامي، منظمة الأسيسيسكو

**Title: The impact of the Omani cultural diplomacy on the Arabic and Islamic Identity**

## Abstract:

The Sultanate of Oman was known throughout history for its maritime trade and Omanis were distinguished by their maritime navigational arts. This enabled them to communicate with other peoples on the Indian Ocean. Omani merchants controlled the shipping routes leading to China (the Silk Road). This gave the Omanis experience in dealing with other cultures on trade routes

(\*) - المؤلف الثاني لهذه الورقة البحثية :

أ. د. مولانا أكبر شاه، قسم التاريخ والحضارات، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

and human settlements there. In this research, we will address the role of Omanis in spreading and promoting Islamic and Arabic values and identity in the cities they settled in on the coasts of the Indian Ocean and the coasts of East Africa, helping spread Islam and the Arabic language there.

:

تعطي الثقافة العُمانية بعد الإنساني للمجتمع، وترصد إمكانات مادية كبيرة في جوانب الإبداع والثقافة العُمانية باعتبارها وجه عُمان داخلياً وخارجياً. وقد كانت ولا زالت الثقافة العُمانية سفيرةً للوطن أينما حلَّ العُماني واستقرَّ؛ حيث كان التجار وطلبة العلم، والرجال والفنانون وغيرهم خير سفراء للدبلوماسية الثقافية العُمانية؛ فقد هيأوا وتفاعلوا مع الثقافات الأخرى. وقد سجلت الثقافة حضورها في سياسة عُمان الخارجية، فهي أداة من الأدوات السياسية، وتميزت الدبلوماسية الثقافية العُمانية وتبلورت وافتتحت على الآخر مع محافظتها على أصالتها وقيمها.

### **المور الأول: علاقة الدبلوماسية الثقافية العُمانية بالهوية العربية الإسلامية**

عرف العُمانيون عبر تاريخهم الإنساني والحضاري بانفتاحهم على الآخر، وانته giova قيم الحوار والتفاهم والتواصل والتواصل مع الأمم والحضارات الأخرى بهدف الإبقاء على أيَّ قيم إنسانية مشتركة، والبحث عن التبادل التجاري والبناء الحضاري لأممهم، وإقامة علاقات متكافئة، حيث ظهر ذلك في تأثير العُمانيين بالدين الجديد مع بداية دعوة الرسول ح لقريش والممالك المحيطة بشبه الجزيرة العربية إلى الإسلام. وقد أسلم العُمانيون بقناعة راسخة وبدون حرب، وذلك لافتتاح عقلية العُمانيين على الثقافات الأخرى وعدم تصليبهم على آرائهم ومعتقداتهم القديمة، ذلك أنهم يستخدمون العقل والمنطق في التوازن بين ما هو جيد وما يخالف نهجهم وتقاليدهم وقيمهم. ومن هذا المنطلق فإنَّ العُمانيين اهتموا بالتفاهم والتعاون مع الآخرين بهدف التبادل التجاري والثقافي وما يتعلق بالمعارف الإنسانية.

وقد عَبَرَ الرجال والمستشرقون الذين ارتحلوا إلى عُمان في فترات تاريخية مختلفة بأنَّ العُمانيين يمتلكون حضارة راسخة وقدِّيمة، وهم منفتحون على الحضارات الأخرى وثقافاتها، مع تفاعلهم وتواصلهم فيما يخص الجوانب الاقتصادية والمعرفية والإنسانية.<sup>(1)</sup>

Kessell, Nicole. "Migration, Identity, and the Spatiality of Social Interaction in (1) Muscat, Sultanate of Oman." (2018).

### أهمية الموقع الجغرافي:

قدر للعمانيين أن تكون أرضهم ذات موقع جغرافي متميز ومطل على طرق التجارة العالمية، حيث يعدّ الموقع من العوامل الأساسية في تطور الشعوب وبناء حضارتهم. وقد قام النبي عليه الصلاة والسلام باتصالات واسعة مع أهل عُمان وحكامها للمساعدة في نشر الإسلام بسبب موقع عُمان الجغرافي واستغلال العمانيين في التجارة والملاحة البحرية. ولذا فقد كان للعمانيين دورٌ كبيرٌ في انتشار الإسلام في العديد من دول آسيا وإفريقيا، وإرساء قيم الحوار والتعاون في العلاقات الإنسانية والتجارية التي اتسعت بالمرور والصدق والتسامح؛ الأمر الذي ساهم في إكساب عُمان سمعة حضارية واسعة، وقوية، المناخ الحضاري بين عُمان والحضارات الأخرى.

ومن خلال العلاقات التجارية والثقافية التي أقامها العمانيون في العديد من الأمصار في آسيا وإفريقيا التي استوطن العمانيون فيها، وتأثروا بها وأثروا فيها؛ أصبحوا نسيجاً متجانساً احتفظ بقيمه وמורوثاته وثقافته، بل استطاعوا أن يغرسوا قيمهم وثقافتهم في الآخرين من تلك الشعوب، بفضل تسامحهم وأخلاقهم، ولعبوا دوراً كبيراً في الثقافة والفكر في شرق إفريقيا، وأسهموا في مجدها السياسي. والدبلوماسية العمانية تعكس قيم العمانيين وخصوصيتهم الحضارية والثقافية والدينية، حيث جسدت صورة الماضي ومرآة الحاضر ورؤيه المستقبل، استناداً على مبادئ الكيان السياسي العماني الذي يمثله.<sup>(1)</sup>

### الدور الحضاري للعمانيين في شمال إفريقيا:

تعد الصلات الحضارية والثقافية بين عُمان وببلاد المغرب الإسلامي قديمة ضاربة في عمق التاريخ، وخاصة مع ظهور الإسلام، وتحديداً مع نشر المذهب الإباضي، وانتشاره في بلاد المغرب الإسلامي والتمثلة في (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) حالياً.

إن العلاقة بين عُمان والإباضية ترجع إلى منشئ المذهب الإباضي، وهو الإمام جابر بن زيد اليحمدي الأزدي العماني؛ والذي ولد في بلدة فرق بمدينة نزوى العمانية، وقد رحل إلى البصرة بالعراق ثم إلى بلاد الحجاز في مكة والمدينة. تعلم علوم الدين على يد كبار الصحابة؛ وفي مقدمتهم الصحابي عبد الله بن عباس، المعروف بحبر الأمة وترجمان

Nutz, Gretchen. "Think Place: Geographies of National Identity in Oman." (2013). (1)

القرآن وبحر العلم. وقد انعكس علمه على المذهب الإباضي الذي بدأت بوادر انتشاره بين الشرق والغرب في عهد إمام الإباضية خليفة جابر بن زيد، العماني أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والذي استقر في مدينة البصرة. وقد بدأت الحملات العلمية من البصرة وعمان إلى بلاد المغرب الإسلامي، فأدى ذلك إلى قبولهم للمدرسة الإباضية لقربها الفقهية من النهج النبوي وكبار الصحابة.<sup>(1)</sup>

زاد التواصلُ الثقافي بين العُمانيين والمغاربة بعد الفتوحات الإسلامية في المغرب الإسلامي، وتَدفَّقُ العديد من قبائل الأَزْد، وخاصة العُمانية إلى مصر، ومن ثم إلى بلاد المغرب الإسلامي، واستقرارهم فيها، ونشرهم للفكر الإباضي إبان الدولة الأموية وبداية تشكُّل المذاهب الإسلامية. ثم زادت حركة الرحلات العلمية بين البصرة وبِلاد المغرب العربي؛ وتمثل هذه الرحلات في البعثات الطلابية والعلماء؛ حيث كانت البصرة مركز المذهب الإباضي في تلك الفترة مع ارتباطهم بعمان.<sup>(2)</sup> بالإضافة إلى التواصل مع الدولة الرستمية في بلاد المغرب، حيث أرسلت الإمامة الإباضية في عُمان وفداً إلى الدولة الرستمية حاملاً معه مساعدات مالية لها، وذلك نظراً لانتهاج الدولة الرستمية للفكر الإباضي وتجاربها ثقافياً وفكرياً.<sup>(3)</sup>

### انتشار المذهب الإباضي:

يعود انتشار المذهب الإباضي في عُمان شرقاً وبِلاد المغرب الإسلامي غرباً إلى تركيز زعماء الإباضية على نشر المذهب في المناطق النائية والبعيدة شرقاً وغرباً عن مركز الدولة الإسلامية الأموية في دمشق، والدولة العباسية في بغداد. وهذا لإقامة كيان سياسي يتم نشر الفكر الإباضي عن طريقه، ولتكون لهم مكانة، يتعارضون بكل حرية بعيداً عن بطش الأمويين والعباسيين. وقد ولد المذهب الإباضي في البصرة وانتقل إلى عُمان وبِلاد المغرب الإسلامي، فأصبحت القيادة في عُمان على يد الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي العماني،

(1) السيابي، أحمد بن سعود. (2014). *التواصل الإباضي بين عمان والبلاد المغاربة*. ط١. سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

(2) بوتيشيش، إبراهيم القادي. (2000). *التواصل الحضاري بين عمان وبِلاد المغرب .. دراسات في مجالات الثقافة والتجارة والمجتمع منذ الفتح الإسلامي لإفريقيا حتى القرن الثامن الهجري*. ط١. سلطنة عمان: جامعة السلطان قابوس، وحدة البحث والدراسات العمانية.

(3) المرجع نفسه

بعد زيادة الضغط على علماء الإباضية في البصرة من قبل الدولة العباسية؛ حيث خرجت العديد من القبائل العمانية من البصرة إلى عُمان، وبعضاً منها اتجه إلى بلاد المغرب الإسلامي واستقرت فيها. وتختلف علماء الإباضية من عُمان وببلاد المغرب الإسلامي وترتبطهم زاد من انتشار هذا المذهب، وبالتالي زاد من الحركة الثقافية بين عُمان والمغرب الإسلامي، والمتمثلة في الرحلات العلمية والتجارية، واستقرار العديد من القبائل والأسر في الجانبيين. وقد نتج عن ذلك تشابه في العديد من العادات والتقاليد والقيم الدينية والاجتماعية.<sup>(1)</sup>

وقد كان العلماء بين عُمان وببلاد المغرب العربي يستغلون مواسم الحج للالتقاء، والتعارف ونشر المذهب الإباضي. وقد وصلت درجة التنسيق بين علماء المذهب الإباضي في عُمان والبصرة والمغرب العربي؛ لدرجة أن كانت المحكمة واحدة، والحكم الصادر من المغرب يتولاه من هُم بالشرق، والعكس أيضاً.<sup>(2)</sup> كما زادت الحركة العلمية بين عُمان والمغرب العربي، فنشأت حركة الدعوة والمدارس المتنقلة بين الحضر والبوادي والجبال؛ والتي اشترك بها علماء من عُمان أسهموا في نشر العلم والمذهب الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي. ومن المدن التي أصبحت من أبرز مراكز الإباضية: جبل نفوسة في ليبيا، وجزيرة جربة في تونس، ووادي مزاب في الجزائر، وسعجلمسة في المغرب وغيرها،<sup>(3)</sup> إضافة إلى تبادل الكتب والمؤلفات بين العلماء والمفكرين؛ بين عُمان والمغرب العربي. وخير مثال على ذلك اهتمام الرحالة والمفكرين من بلاد المغرب بعمان؛ ومنهم الرحالة الشهير ابن بطوطة الذي زار عُمان، ووصف مدنها، وعرفها تعريفاً دقيقاً. بالإضافة إلى الرحالة والجغرافي الإدريسي، الذي تحدث عن عُمان في كتابه "نرفة المشتاق"، ووصف مدن عُمان وسكانها، ومناخها وزراعتها؛ حيث تعرف سكان بلاد المغرب الإسلامي على عُمان من كتب الرحالة، والبعثات العلمية، وتبادل الكتب والمؤلفات، وإصدار الفتاوى، والمراسلات بين عُمان وببلاد المغرب الإسلامي.<sup>(4)</sup>

(1) الندابي. ناصر بن علي بن سالم. (2019). العلاقات الثقافية والاجتماعية بين عُمان وببلاد المغرب في الفترة ما بين القرنين (1هـ/8 - 14هـ/8). طـ1. سلطنة عمان: جامعة نزوى، مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية الإنسانية.

(2) بوتشيش، التواصيل المضاربي بين عُمان وببلاد المغرب (مراجعة سابقة)، 2000

(3) السيباني، التواصيل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية (مراجعة سابقة)، 2014

(4) بوتشيش، مرجع سابق، 2000

ولم يتوقف التواصل الثقافي بين عُمان والمغرب الإسلامي على نشر المذهب الإباضي والعلوم الإسلامية فقط، بل تعدّى هذا التواصل إلى زيادة الصلات التجارية بينهما، فقد كثّف التجار العمانيون رحلاتهم التجارية إلى بلاد المغرب الإسلامي لتحقيق هدفين رئيسيين، وهما: العلم، والتجارة.<sup>(1)</sup> إضافة إلى أنّ هناك تشابهًا في العادات والتقاليد بين عُمان والمغرب الإسلامي، حيث أشار ابن بطوطة في وصفه لأهل ظفار العُمانية "بأنّهم أشبه الناس بأهل المغرب"<sup>(2)</sup>؛ حيث يتشابه العمانيون مع أهل المغرب العربي في البناء وتزيين البيوت من الداخل والخارج، والديكور الإسلامي والنقوش، والقاشاني العماني يتشابه الزليج المغربي. بالإضافة إلى التشابه في الأطعمة خاصة الأسماك والذرة، وأيضاً الأزياء والملابس والرقصات والفلكلور، والمخرجات الصوتية في بعض الكلمات وغيرها.<sup>(3)</sup>

وعلى مرّ التاريخ ظلّ التواصل بين الإباضية في عُمان وببلاد المغرب الإسلامي قائماً؛ فقد استمرّت المراسلات والبعثات العلمية في عهد النباة في عُمان، ثم عهد اليعاربة، وعهد البوسعيد الذين حكموا عُمان على فترات متزامنة حتى وقتنا الحاضر.<sup>(4)</sup>

### الدور الحضاري للعمانيين في شرق إفريقيا:

كان للعمانيين العرب الدور الرئيسي في نشر اللغة العربية في سواحل شرق إفريقيا؛ حيث تمّ فتح المدارس وتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي. وقد جعل السلاطين العمانيون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للتعليم في شرق إفريقيا إبان الإمبراطورية العُمانية وتوسعها حتى شرق إفريقيا. وقد كانت زنجبار مركزاً سياسياً وثقافياً لتعليم اللغة العربية في القارة الإفريقية، وبذلك صبغوها بالصبغة العربية والإسلامية، فانتشر التعليم والأدب، مما أثر على اللغة السواحلية.<sup>(5)</sup> ومن يترعرّف على اللغة السواحلية سيكتشف بأنّها تتضمّن

(1) الندابي، العلاقات الثقافية والاجتماعية بين عمان وببلاد المغرب (مراجع سابق)، 2019

(2) ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي. (حققه عبد الهادي التازي).

(3) رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة الأنوار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

مج 2. المغرب: أكاديمية المملكة المغربية. ص 125.

(4) بوتشيش، مرجع سابق، 2000

(5) السياسي، مرجع سابق، 2014

McDow, Thomas Franklin. "Arabs and Africans: Commerce and kinship from Oman to the East African interior, c. 1820-1900." Yale University, 2008.

العديد من المفردات العربية بشكل واضح، كما تتضمن العديد من المفاهيم والمصطلحات العربية؛ على سبيل المثال (كريبيو: قريبي أو تفضلو)، (سلامو: السلام عليكم)، (ناكوله: نأكل) وهكذا، الكثير من المفاهيم والمصطلحات العربية الموجودة باللغة السواحلية.

إن الوجود العربي والعماني في سواحل إفريقيا مدفوع بالدين والترااث واللغة؛ الأمر الذي أدى إلى امتزاج حضاري للإنسان الإفريقي دينياً وثقافياً، إضافة إلى العادات والتقاليد الإسلامية والعربية، والتي هدبت من عادات وتقاليد السكان في إفريقيا.

وتجدر الإشارة إلى أن العمانيين لهم دور في اكتشاف أدغال إفريقيا قبل الأوروبيين. فمثلاً الشيخ حميد بن محمد المرجي، والمعروف بـ"تيوتيب"، والشيخ محمد بن خلفان البرواني؛ استطاعاً أن يكتشفاً إفريقياً وبجاراتها؛ وصولاً إلى أواسطها عند حوض نهر الكونغو. ساعد ذلك في نشر الإسلام إلى المناطق التي وصلها العمانيون في أواسط إفريقيا. ومن الأمثلة أيضاً لأثر العمانيين في إفريقيا، وصول الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري، التاجر العماني إلى بلاط الملك سانا في مملكة أوغندا في عام 1843، والذي أبدى شجاعة واضحة في بلاط الملك أدت إلى إسلام شعب أوغندا وملكها. حيث صادف وصول التاجر العماني يوماً مشهوداً في بلاط الملك الأوغندي (الكباكا)؛ يقتل فيه بعض الرعايا الأبراء كقرابين للألمة، فتصدى لهم الشيخ أحمد العامري، وخطب أمام الملك يشرح له ويذكره بالأمانة، وأن الله هو من أنعم عليه بالملك، وعليه أن يحافظ على مخلوقات الله. وهنا افتح قلب الملك لكلام الشيخ العامري، وقربه، ودخل في الإسلام، ودخل معه شعب أوغندا. كل ذلك يدلُّ على أن العمانيين حتى في رحلاتهم واستكشافاتهم وتجارتهم كانوا يحملون على عاتقهم مبادئ الدين الإسلامي، وثقافتهم التي لطالما نشروها أينما حلوا.<sup>(1)</sup>

### الدور الحضاري العماني في الهند وشرق إفريقيا:

كما كان هناك اتصال مباشر بين عُمان والهند. فالموقع الجغرافي لعُمان، واتصال عُمان بالخليط الهندي، وقرب الهند من شبه الجزيرة العربية؛ زاد من الحركة التجارية بين العمانيين والهند، والتي زادت مع قوة عُمان البحري، ووصول العمانيين إلى شرق آسيا، فتمر الطرق

(1) الصالحي، قاسم بن محمد. (2019). *العوامل الأساسية في تاريخ الدبلوماسية العمانية*. ط 1، سلطنة عمان: مؤسسة بيت الغمام للصحافة والنشر والاعلان.

التجارية والملاحة البحرية بالموانئ الهندية. فقد كان العمانيون يستوردون العطور والتوابل والأخشاب والأقمشة من الهند، ويصدرون لها اللبان والتمر؛ بالإضافة إلى ربط الموانئ الإفريقية بالموانئ الهندية عن طريق التجار العمانيين. وأدى نشاط القراءنة الهنود عبر المحيط الهندي إلى قيام السلاطين العمانيين بتعزيز الحماية بأسطول بحري قوي، استطاع أن يحمي الحركة التجارية بين عُمان والموانئ المطلة على المحيط الهندي. وبما أن العمانيين هم سادة البحار والملاحة في تلك الفترة، فقد كانوا يتقلّلون ما بين عُمان وشرق إفريقيا والهند، ووصولاً إلى الصين.<sup>(1)</sup> وقد كانت المراكب العُمانية تتوقف بالموانئ الهندية التي عزّزت العلاقات بين العمانيين وسكان تلك المناطق وخاصة الهند؛ فقد استقرَّ كثير من العمانيين فيها، وتزوجوا منها، وكوَّنوا تجارة وعلاقات كبيرة مع السكان الأصليين؛ مما ساعد في انتشار الإسلام فيها ونقل العادات والتقاليد العربية إليها.

### الدور الحضاري للعمانيين في شرق آسيا وبلاد الصين:

أما علاقة العمانيين ببلاد الصين فقد كانت منذ القرن الثاني الهجري، وذلك عبر طريق التجارة البحرية. فقد كانت التجارة بين العمانيين والصينيين مزدهرة، وقد انتشر الإسلام في الصين عن طريق تاجر وداعية عُماني يسمى أبو عبيدة عبد الله بن القاسم العُماني؛ يلقب بأبي عبيدة الصغير. وقد عبر المؤرخون الصينيون عن علاقة عُمان التجارية بالصين في كتاب "موجز تسجيل الأمور المختلفة في عهد أسرة سون"، حيث تحدث الكتاب عن وصول مبعوث عربي من مدينة صحار العُمانية لتقديم الهدايا للإمبراطور الصيني، وكانوا يقصدون عبد الله بن القاسم، وكانوا يسمونه عبد الله، حيث كان مشرفاً على التجار والمقيمين العرب في مدينة قوانغتشو. وقد لقبه الإمبراطور الصيني بجنرال الأخلاق الطيبة، وذلك لما يتميز به الشيخ عبد الله بن القاسم من صفات دبلوماسية، وأخلاق عالية.<sup>(2)</sup> وقد تحدث الوثائق التاريخية والمؤرخون حسب ما أوردته الباحث في الشؤون العربية الصينية كرار أحمد (2007)، بأنَّ الشيخ عبد الله بن القاسم عاش في قوانغتشو الصينية عشرات

Nicolini, Beatrice. "Makran, Oman, and Zanzibar: three-terminal cultural (1) corridor in the western Indian Ocean, 1799-1856." Vol. 3. Brill, 2004.

Han, Zhibin, and Xiaoqian Chen. "Historical exchanges and future cooperation (2) between China and Oman under the 'Belt & Road'Initiative." International Relations and Diplomacy 6, no. 1 (2018): 1-15.

السنين، وله أملاك كثيرة ذات قيمة باللغة تدلّ على التجارة القوية التي ربطت العمانيين بالصين. وما يهمّ هنا هو الأثر الذي وضعه العماني الشيخ أبو عبيدة عبدالله بن القاسم لدى الإمبراطور الصيني وشعبه، بحيث يعطيه لقب عسكري (جنزال) ويرتبط اسمه بالأخلاق الطيبة؛ له دلالة كبيرة على أن العمانيين عندما استقروا في الصين حملوا معهم أخلاقهم النبيلة ودينهم الإسلامي المتسامح، وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم العظيمة، التي اكتسبوها من حضارتهم وتاريخهم العميق، وأثروا به في الصين<sup>(1)</sup> واستطاعوا أن ينشروا الإسلام فيها عن طريق علاقاتهم التجارية وتعاملهم الحسن مع الآخرين، حتى بدا العمانيون مسيطرين على ميناء كانوا يأتون بالصين بقوة تجارتهم وعلاقتهم الطيبة مع الصينيين. كما كون العمانيون علاقات وطيدة مع الصينيين خلال الفترات التالية:

- ❖ علاقة عُمان بالصين خلال فترة حكم أسرة تانغ (618-960م).
- ❖ علاقة عُمان بالصين خلال فترة حكم أسرة سونغ (960-1279م).
- ❖ علاقة عُمان بالصين خلال فترة حكم أسرة يوان (1279-1368م).
- ❖ علاقة عُمان بالصين خلال فترة حكم أسرة مينغ (1368-1644م).

وما يهمنا هنا هو أن هذه العلاقة طويلة الأمد أثرت في الشعبين العماني والصيني ثقافياً، ونمّت الحركة التجارية؛ فكون العمانيون نموذج حياة عربية وإسلامية بالصين ساعدت على استقرار العرب في الصين، وبقيت آثارهم إلى يومنا هذا.

و بما أن حركة التجارة بين عُمان والهند والصين تمرّ بعدة محطات وموانئ، فقد كانت كلّ من موانئ سيلان (سريلانكا)، مالديف، إندونيسيا، جزر الملايو، وسومطرة؛ محطات مهمة للرحلات العمانية. وكانت موقعاً استراحة للبحارة العمانيين والعرب؛ مما أدى إلى استقرار الكثير منهم بهذه الواقع، حيث عُثر على مساجد قديمة وأثرية غير زخارف، تدلّ على أن من بناتها هم البحارة العمانيون، والتي كان لها طابع بناء عماني يتميز بالبساطة. كما أن إندونيسيا انتشر الإسلام فيها، وتعلم اللغة العربية، وتقاليد العرب العمانيين؛ فقد

(1) كرار أحمد، جعفر. (2007). الدور الحضاري للعمانيين في الصين.. العلاقات التاريخية بين سلطنة عمان وجهورية الصين الشعبية منذ ظهور الإسلام وحتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ط. 1. سلطنة عمان: اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم.

انتشرت بعض المفردات العربية في لغاتهم مثل "اللغة التشهيلزية" لجزيرة سومطرة، وهي لغة شفوية استخدم بها أحرف عربية لكتابتها. إضافة إلى ذلك فقد انتشر الإسلام في شرق آسيا بفضل التجار العرب؛ والذين يشكل غالبيتهم من العمانيين، كما وصلوا أيضاً إلى جزر الفلبين. ولم يكن العمانيون يطهرون بقعة جغرافية إلا ويؤثرون فيها، وينشرون الإسلام بها، ويتركون انطباعاً حسناً عن العرب المسلمين بأخلاقهم وقيمهم النبيلة، وموروثهم وتقاليدهم العربية.<sup>(1)</sup>

## **الموروث الثاني: دور الدبلوماسية الثقافية العُمانية في تعزيز الهوية العربية الإسلامية**

إن العلاقة بين الدين والدبلوماسية الثقافية العُمانية في العلاقات الدولية تعتمد على التوازن بين الدين والقيم والتقاليد والثقافة. فقد اعتبرت الدبلوماسية العُمانية الدين متغيراً رئيسياً في العلاقات الدولية، وهو جزء لا يتجزأ من الثقافة العُمانية والسياسة الخارجية، فلا يمكن فصل الدين عن السياسة وال العلاقات الدولية؛ كما عبرت عنه نظريات العلاقات الدولية الحديثة. ولا يمكن أن تختزل الحضارة في الدين فقط، بل لابد من التماسك والاتساق بين الدين والثقافة، مع بقية المجالات الأخرى التي تساعده في بناء العلاقات الدولية بين الدول والشعوب.

### **المكون الثقافي في الحضارة العُمانية**

وينبع المكون الثقافي ذا دور مهم في الحضارة العُمانية جنباً إلى جنب مع الدين الإسلامي، وقد ترافقاً معاً عبر التاريخ. كما أن هناك اعتبارات أساسية أمام علاقة عُمان بمحيطها الإقليمي والدولي، تلتزم بروابط دينية وعرقية واقتصادية واجتماعية، ومن هذه الروابط: العلاقة مع العالم العربي والإسلامي، والذي ترتبط معه بروابط عقلية وروحية وثقافية. ورغم أن عُمان ظلت مستقلة عن الدولة الأموية، وبعدها العباسية، ثم الدولة العثمانية؛ إلا أنها ارتبطت معها بعلاقات وطيدة تربطهما علاقات الدين واللغة والتاريخ؛ حيث كانت عُمان إمبراطورية متaramمية للأطراف، ذات قوة بحرية قامت بطرد البرتغاليين من المحيط الهندي ومناطق شرق إفريقيا، وأصبحت السد المنيع للدول العربية والإسلامية على مرّ التاريخ.<sup>(2)</sup>

Chaziza, Mordechai. "The significant role of Oman in China's maritime silk road initiative." Contemporary Review of the Middle East 6, no. 1 (2019): 44-57.  
Kessell, 2018 (2)

## المكون الديني (المذهب الإباضي) في الحضارة العُمانية

المكون الديني له وظائف حيوية مهمة في الدبلوماسية الثقافية العُمانية، وذلك بتوظيفه في التعبئة، فهو مصدر من مصادر التشريع السياسي، ويُستخدم كأداة في أي تغيير سياسي. وهو إطار إيديولوجي في التوازن السياسي بين الجماعات المختلفة، وأداؤه لبعث الحيوية في الجوانب السياسية والاجتماعية للمجتمعات، ومناهضة الففك والانحلال، والفساد والانهيار. وكان للدبلوماسية الثقافية العُمانية دوراً في إبراز الهوية العربية والإسلامية في كلٍّ من (سواحل جنوب شرق ووسط وشمال إفريقيا، الهند، جزر ملايو وسيريلانكا والفلبين، الصين).

فالمدرسة الدينية (الإباضية) التي يتبناها سلطان عُمان عبر التاريخ معتمدة على مؤسسة البيعة الوجданية والشرعية، وهي متعمقة الجذور في التاريخ الإسلامي، وقد توطدت العلاقات بين عُمان وإفريقيا وبالأخصّ بلاد المغرب والمتمثل في (ليبيا والجزائر وتونس والمغرب)، والسودان وغانا. كما دخلت الطبقات الحاكمة للإسلام، ونشأت علاقات دبلوماسية بين عُمان وبعض دول إفريقيا، وتمّ معها إرسال العلماء والدعاة. وبذلك تغلغلت الحضارة العُمانية بشمال وغرب إفريقيا، وارتبط ذلك مع مراكز علمية في تدريس الفقه الإباضي في جبل نفوسة بليبيا، ووادي مزاب بالجزائر، وجزيرة جربة بتونس، وسجلت ملامسة بالمغرب.

وقد عملت الدبلوماسية الثقافية العُمانية في إفريقيا من خلال ترسين الخصوصية الدينية والمحافظة عليها في إفريقيا. كما عملت على مواجهة الدعوات الدخيلة والهدامة؛ عن طريق استقبال الطلبة بالمدارس الإباضية، وتأسيس المعاهد الدينية، والاهتمام بالعلماء. وتجلى ذلك في فلسفة الدبلوماسية العُمانية، ورسم معالم السياسة الخارجية الوسطية، وتأسيس التوازنات الجيوسياسية والاستراتيجية في القارة الإفريقية، وتطوير التعاون الديني والثقافي والاقتصادي، لمواجهة أي تحديات قد تهدد استقرار البلدان وأمنها.<sup>(1)</sup>

وتتسم العلاقات العُمانية وبباقي دول شمال وغرب وشرق إفريقيا على مدى التاريخ، بالتواصل الحضاري الوثيق نتيجة ما نسجهته البعثات العلمية والدعوات الدينية والإصلاحية والمدارس الفقهية والتبادل الاقتصادي والتجاري؛ مما زاد من ارتباط هذه

(1) الصالحي، العوامل الأساسية في تاريخ الدبلوماسية العُمانية (مرجع سابق)، 2019

الدول بالإمبراطورية العُمانية. فقد كانت ترتبط بعُمان من خلال علاقات تاريخية وعادات وتقاليد مشتركة تأثرت بال מורوث الروحي والديني، وبفعل دعاء عُمان وعلمائها الذين انتشروا في تلك البلدان ونشروا العلوم الفقهية والمعارف. ولذا فقد حافظت عُمان على صلاتها بالدول العربية والإسلامية على مرّ التاريخ.<sup>(1)</sup>

حرصت الدبلوماسية الثقافية العُمانية على تمكين الرموز الدينية والروحية لسُكَّان إفريقيا، من خلال العلماء العُمانيين والمجرات العُمانية لهذه المناطق من إفريقيا، وتأثيرهم على سكانها من الناحية الدينية والثقافية؛ مما أثّر على عاداتهم وتقاليدهم، وعلى فنونهم وملابسهم، وحتى العمران الذي بدا متشابهاً بالعمارة العربية والعُمانية. أدى ذلك إلى زيادة الاندماج والانصهار بين العرب العُمانيين والأفارقة، سواء بالزواج أو المجاورة، مما أوجد تأكلاً بين ثقافتهم والثقافة العربية الإسلامية. فالملاحظ في الأزياء العُمانية المتواجدة على طول الساحل الإفريقي من مقديشو إلى جزر القمر، وحتى في عادات الزواج، ولبس الرجل والمرأة للأزياء العُمانية حتى يومنا هذا؛ لأنهم لم يتأثروا بالغزو الأوروبي الذي سيطر على بعض الدول في ساحل جنوب شرق إفريقيا، حيث ظلت العادات والتقاليد والأزياء العُمانية باقية، ولها ارتباط حيّ بسلطنة عُمان الدولة الأم.<sup>(2)</sup> أمّا فيما يخص العمارة؛ فنجد تأثير العمارة في جنوب شرق إفريقيا بالعمارة العربية العُمانية واضحة للعيان، فهناك المساجد والقلاع والمحصون والبيوت الأثرية التي تتضخّح هويتها العُمانية والعربية؛ حتى شكل المحراب والنقوش الموجودة عليه بالمساجد مقتبسة من الثقافة العربية العُمانية. وهناك تشابه بين بعض القرى والمدن في الساحل الإفريقي في نمط عماراتها بالآثار الموجودة في المدن العُمانية، وهذا يدلّ على التأثير الثقافي الذي ظلّت آثاره باقية على مرّ السنين، في جوانب التعايش والاندماج الثقافي، والديني.<sup>(3)</sup>

#### -أثر الدبلوماسية الثقافية العُمانية على الهوية العربية والإسلامية

وحتى مع توسيع الإمبراطورية العُمانية ما بين عُمان بشبه الجزيرة العربية وزنجبار بالساحل الشرقي لإفريقيا، فقد عمل السلاطين العُمانيون على استخدام الدبلوماسية

---

McDow, 2008 (1)

- Bang, Anne K. "Textual sources on an Islamic African past: Arabic material in Zanzibar's National Archive." The meanings of (2008): 349.
- Steyn, Gerald. "An analysis of an Omani house in Stone Town, Zanzibar." (2001). (3)

الثقافية في نشر الإسلام، وتشجيع العلماء والفقهاء وأئمة المساجد والأدباء والمتقين على ضرورة الحفاظ على مبادئ الإسلام وال تعاليم الدينية، ولللغة العربية في أوساط السكان الأصليين. كما شجع السلاطين المتلقون والأدباء والعلماء على الالقاء بنظرائهم من العلماء لتبادل الخبرات والعلوم،<sup>(1)</sup> وقد كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة وحضرموت والقاهرة أبرز مقرات هذه اللقاءات. ومن أشهر الأدباء والشعراء العُمانيين الذين كان لهم دور في تطور الحركة الثقافية في شرق إفريقيا: الشاعر والأديب العماني أبو مسلم بن ناصر البهلاوي، والذي أنشأ مجلة النجاح في عام 1911م، والعديد من المؤلفات في العقيدة والفقه، ودواوين الشعر وغيرها. وقد احتفلت منظمة اليونسكو به كشخصية عُمانية مؤثرة عالمياً في عام 2019.<sup>(2)</sup>

وحتى في وقتنا الحاضر هناك تواصل ثقافي، وديني متمثل في المذهب الإباضي، وخاصة مع الجزائر. حيث تعقد الملتقيات الثقافية، والمحاضرات والندوات بين الجزائر وعمان، فيلتقي العلماء والمفكرون والمتقون من المذهب الإباضي وتطرح أوراق عمل علمية، تشرف عليها مؤسسات المجتمع المدني وسفارات الدول. وتساهم هذه الملتقيات في تشجيع التواصل الحضاري والثقافي بين متتببي المدرسة الإباضية. وهذا ينطبق أيضاً على تونس، حيث تساعد الملتقيات والزيارات بين المتقين والمفكرين، والرياضيين والفنانين وغيرهم في زيادة الحركة الثقافية بين بلدان المغرب العربي وسلطنة عُمان، وهذا يكون تحت غطاء الدبلوماسية الثقافية التي تشرف عليها عن بعد وزارات الخارجية ومؤسسات المجتمع المدني.

ومع انتشار المدارس التعليمية في شرق إفريقيا أيضاً، والتي أنشأها العُمانيون زادت حركة التأليف باللغة العربية والسوائلية، بالإضافة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة السواحلية. وأدى اهتمام السلاطين العُمانيين بنشر العلم وتشجيع العلماء إلى ترسیخ تجذر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأنّر ذلك على اللغة السواحلية وتطبيعها بالمفردات العربية، واستخدام الحروف العربية بها. كما أن للصحافة العُمانية تواجدً في شرق إفريقيا، فقد أسسوا جريدة الفلق في عام 1929م، وهي جريدة سياسية وأدبية وأخلاقية

(1) Bang, 2008

(2) الصالحي، مرجع سابق، 2019

تهم بهموم الشارع الإفريقي. وقد كان الكتاب العرب والعمانيون ينشرون مقالاتهم أيضاً في العديد من الصحف والمجلات العالمية كمجلة الهمال المصرية مثلاً.<sup>(1)</sup>

إن الانغلاق وحصر الثقافة داخل المجتمع الواحد بغرض حمايته ليس هو العلاج، وإنما البناء الثقافي والاندفاع المؤثر بالاعتزاز بالوطنية الثقافية وال الحوار، والافتتاح مع الآخر يعدّ هو العلاج الحقيقي. فالدبلوماسية الثقافية العمانية حاولت حماية تراثها وثقافتها من الاختراق أو الاندثار، وهي تُعبّر عن إحساس المواطنين العمانيين وسلامطينهم، واعتزازهم بثقافتهم وتطورها، ومحافظتهم على المنجزات الحضارية والإنسانية التي ظلت شاهدة إلى وقتنا الحاضر. وبذلك فهي عاملٌ قوّة لسلطنة عُمان على مرّ التاريخ، فساعدت في تعزيز العلاقات الخارجية، وتحقيق المكانة الدولية.

كما أن سلطنة عُمان تستغل دبلوماسيتها الثقافية وعلاقاتها الدولية مع الصين في المشاركة في مشروع طريق الحرير وإعادة تفعيله. ومن أجل إعادة أمجاد عُمان التاريخية والملاحة البحرية، واستخدام موقعها الاستراتيجي؛ فقد تحمسَت عُمان لهذا المشروع والعمل على إنجاحه، ولتكون عُمان ضمن خطوط الملاحة والتجارة الدولية بطريق الحرير.<sup>(2)</sup>

والدبلوماسية الثقافية متمثلة في التعاون الثقافي، كالمبادرات الثقافية خارج نطاق الحكومة من خلال الزواج المختلط واللغات والأدب والفنون؛ أصبحت تشكل قوة ناعمة إذا ما تمّ إدماجها في برامج واستراتيجيات معينة تخدمصالح العُلّيا للوطن.

### **الدبلوماسية الثقافية العمانية الحديثة**

وفي العهد الحديث فإن سلطنة عُمان - بصفتها دولة عربية وإسلامية - سعت إلى الانضمام إلى جامعة الدول العربية، ونالت عضويتها في التاسع والعشرين من سبتمبر 1970م؛ إيماناً من السلطنة بأهمية العمل العربي المشترك وإسهاماً في تعزيز الهوية العربية ومشاركة الدول العربية في التعاون من أجل الحفاظة على اتحاد العرب وتضامنهم في قضياتهم ورباطهم القوي في الموقع الجغرافي المتصل، والتاريخ المشترك والدين الإسلامي، واللغة العربية التي تتحدث بها شعوبهم، والوقوف ضدّ تزعزع أيّ كيان عربي، والعمل

Sadgrove, Philip. "The Press: Engine of a Mini-Renaissance in Zanzibar (1860-1920)." History of Printing and Publishing in the Languages and Countries of the Middle East (2005): 151-178.

Chaziza, 2019 2

على تحرير الأراضي الفلسطينية من الاحتلال الإسرائيلي الغاصب، وحماية الحدود العربية، ونشر الثقافة العربية في الخارج.<sup>(1)</sup>

أما على المستوى الإسلامي فقد انضمت سلطنة عُمان إلى منظمة التعاون الإسلامي في عام 1972م. وتعد هذه المنظمة ثاني أكبر منظمة دولية بعد منظمة الأمم المتحدة، وهي كيان جامع للأمة الإسلامية ووحدتها، حيث تهدف إلى حماية المصالح الإسلامية وال المسلمين، وحل المشكلات بالطرق السلمية بين الدول الإسلامية، وتوحيد الرؤى، والدفاع عن القيم الإسلامية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين. وبما أن سلطنة عُمان عضو في هذه المنظمة فإن لها دوراً إيجابياً في توحيد الكلمة الإسلامية وتعزيز الهوية، والثقافة الإسلامية على مستوى الدول الإسلامية والعالم، والمحافظة على الأماكن الإسلامية المقدسة وحمايتها.<sup>(2)</sup>

كما انبثقت من هذه المنظمة مؤسسات متخصصة، تعمل تحت لوائها كالبنك الإسلامي، ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة "اليسيسكو"، والتي انضمت إليها سلطنة عُمان عام 1982م. وهي معنية بالدبلوماسية الثقافية في مجالات التربية والعلوم والثقافة والاتصال، وتطويرها على مستوى الدول الإسلامية.<sup>(3)</sup> وتشترك سلطنة عُمان الدول الإسلامية في تبادل المعلومات والخبرات عبر هذه المؤسسات بما يخدم العالم الإسلامي والعربي.

## الخلاصة

نستخلص مما سبق أن الدور العُماني في تعزيز الهوية العربية والإسلامية كان له الأثر في نشر الإسلام في العديد من الأمصار الآسيوية والإفريقية التي وُجد العُمانيون بها لفترات زمنية، إضافة إلى نشر المذهب الإباضي في البصرة في العراق وبلاد المغرب الإسلامي. فالعُمانيون بفضل خبراتهم في التواصل مع الثقافات الأخرى استطاعوا أن يؤثروا ويتأثروا بالشعوب التي اتصلوا بها عبر التاريخ. وهذا يتجلّى في العديد من العادات

1 الفلق. (29 سبتمبر، 2016). ذاكرة وطن.. سبتمبر 1971 انضمام السلطنة إلى جامعة الدول العربية . تم المشاهدة بتاريخ 29 سبتمبر، 2016 <https://www.alfalq.com/?p=8768>

2 منظمة التعاون الإسلامي. (2020). [https://www.oic-oci.org/page/?p\\_id=56&p\\_ref=26&lan=ar](https://www.oic-oci.org/page/?p_id=56&p_ref=26&lan=ar) تم المشاهدة بتاريخ 9 يونيو، 2020.

3 منظمة اليسيسكو. (2020). <https://www.icesco.org/> تم المشاهدة بتاريخ 4 يونيو، 2020.

والتقاليد العُمانية والعربيَّة والإسلاميَّة التي لا تزال باقية في الكثير من المدن المطلة على المحيط الهندي في آسيا وإفريقيا، بالإضافة إلى العديد من العادات والتقاليد والفنون التي تأثر بها العُمانيون؛ والتي لا تزال موجودة إلى الآن.

ومن هذا المنطلق، فإن الدبلوماسيَّة الثقافية العُمانية وُجِدت منذ زمان بعيد على الرغم من عدم وجودها بمصطلح متعارف عليه إلا في العصر الحديث، إلا أن الممارسات الدبلوماسيَّة الثقافية عند العُمانيين كانت أسلوبَ حياةً، ونهجًا مُتَّبعًا في تعاملهم مع الشعوب الأخرى؛ إلى درجة أن جعلتهم مقرَّين من الأُسر الحاكمة، كما هو الحال في بلاد الصين؛ مما سهَّل عليهم نشر الإسلام عن طريق التعامل والتجارة وليس بالسلاح، إضافة إلى نشر اللغة العربيَّة والكثير من القيم، والعادات والتقاليد العربيَّة والإسلاميَّة في مدن سواحل المحيط الهندي في آسيا وإفريقيا.

### قائمة المراجع العربيَّة:

- ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي. (حققه عبد المادي التازمي). (1417/1997). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنوار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. مج. 2. المغرب: أكاديمية المملكة المغربية. ص 125.
- بوتيشيش. إبراهيم القادري. (2000). التواصل الحضاري بين عُمان وبِلَادِ المَغْرِب .. دراسات في مجالات الثقافة والتجارة والمجتمع منذ الفتح الإسلامي لإفريقيا حتى القرن الثامن الهجري. ط١. سلطنة عُمان: جامعة السلطان قابوس، وحدة البحوث والدراسات العُمانية.
- السيفي، أحمد بن سعود. (2014). التواصل الإيابي بين عُمان والبلاد المغاربة. ط١. سلطنة عُمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.
- الصالحي، قاسم بن محمد. (2019). العوامل الأساسية في تاريخ الدبلوماسيَّة العُمانية. ط١، سلطنة عُمان: مؤسسة بيت الغشام للصحافة والنشر والإعلان.
- الفلق. (29 سبتمبر، 2016). ذكرة وطن.. سبتمبر 1971، انضمام السلطنة إلى جامعة الدول العربية . تم المشاهدة بتاريخ 29 سبتمبر، 2016 <https://www.alfalq.com/?p=8768>
- كرار أحد، جعفر. (2007). الدور الحضاري للعمانيين في الصين.. العلاقات التاريخية بين سلطنة عُمان وجمهورية الصين الشعبية منذ ظهور الإسلام وحتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ط١. سلطنة عُمان: اللجنة الوطنية العُمانية للتربية والثقافة والعلوم.

- 7- منظمة الإيسسكو. (2020). <https://www.icesco.org/>. تم المشاهدة بتاريخ 4 يونيو، 2020.
- 8- منظمة التعاون الإسلامي. <https://www.oic-.org/>. تم المشاهدة بتاريخ 9 يونيو، 2020.
- 9- الندابي، ناصر بن علي بن سالم. (2019). العلاقات الثقافية والاجتماعية بين عُمان وبِلَاد المغرب في الفترة ما بين القرنين (1هـ/808 - 14هـ/1408). ط١. سلطنة عُمان: جامعة نزوى، مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية.

### قائمة المراجع الأجنبية:

- 10- Bang, Anne K. "Textual sources on an Islamic African past: Arabic material in Zanzibar's National Archive." *The meanings of* (2008): 349.
- 11- Chaziza, Mordechai. "The significant role of Oman in China's maritime silk road initiative." *Contemporary Review of the Middle East* 6, no. 1 (2019): 44-57.
- 12- Han, Zhibin, and Xiaoqian Chen. "Historical exchanges and future cooperation between China and Oman under the 'Belt & Road'Initiative." *International Relations and Diplomacy* 6, no. 1 (2018): 1-15.
- 13- Kessell, Nicole. "Migration, Identity, and the Spatiality of Social Interaction in Muscat, Sultanate of Oman." (2018).
- 14- McDow, Thomas Franklin. "Arabs and Africans: Commerce and kinship from Oman to the East African interior, c. 1820-1900." Yale University, 2008.
- 15- Nicolini, Beatrice. "Makran, Oman, and Zanzibar: three-terminal cultural corridor in the western Indian Ocean, 1799-1856." Vol. 3. Brill, 2004.
- 16- Nutz, Gretchen. "Think Place: Geographies of National Identity in Oman." (2013).
- 17- Sadgrove, Philip. "The Press: Engine of a Mini-Renaissance in Zanzibar (1860-1920)." *History of Printing and Publishing in the Languages and Countries of the Middle East* (2005): 151-178.
- 18- Steyn, Gerald. "An analysis of an Omani house in Stone Town, Zanzibar." (2001).



# القواسم المشتركة في فكر وكفاح الشيوخين والفقهيين والصوفيين: أبو اليقظان إبراهيم وسليمان الباروني

الدكتور / ميلود أحمد عمر  
أستاذ التشريع الدولي في الجامعات الليبية  
عضو مراقب بلجنة الأمم المتحدة للتشريع الدولي  
[Melodahmaedamar@gmail.com](mailto:Melodahmaedamar@gmail.com)

مختص :



ائتَخَذَ كُلَّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَبِي الْيَقْظَانِ وَسَلِيمَانَ بَاشَا الْبَارُونِيَّ السِّيَاسَةَ وَمِيَادِينَهَا أَدَاءً لِإِرْضَاءِ اللَّهِ، وَإِرْضَاءِ الضَّمِيرِ بِخَدْمَةِ الدِّينِ وَالوَطْنِ، وَهُمَا يَصْدِرَانِ فِي ذَلِكَ عَنْ مُشَرِّبٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ اتَّحَدَتْ أَهْدَافُهُمَا وَغَایَاتُهُمَا، وَالكَثِيرُ مِنْ وَسَائِلِهِمَا فِي جَهَادِهِمَا الْفَكْرِيِّ وَالْإِصْلَاحِيِّ، ضَدَّ الْجَهْلِ وَالْاسْتِعْمَارِ، وَقَدْ مَيَّزَتْ هَذَا الْجَهَادُ عَدَّةَ قَوَاسِمَ مُشَتَّرَكَةً تَتَمَثَّلُ أَسَاسًا فِي:

- ❖ وقوفهمَا فِي وَجْهِ الْاسْتِعْمَارِ وَاعْتِبَارِهِ الْعَدُوِّ الْأَوَّلِ.
- ❖ الْعِلْمُ الْمُحْمَدُ، وَتَوْظِيفُهُ أَسَاسُ النِّجَاحِ وَالتَّوفِيقِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.
- ❖ الصَّحَافَةُ وَالْإِعْلَامُ هُمَا عُمَادُ الدِّعَوَةِ وَالتَّوْجِيهِ، وَبَنَاءُ الْفَرْدِ وَالْمُجَمَعِ وَالْوَلَوْلَةِ.
- ❖ السِّيَاسَةُ فِي خَدْمَةِ الدِّينِ، وَلَيْسُ الدِّينُ فِي خَدْمَةِ السِّيَاسَةِ.
- ❖ السُّعْيُ لِبَنَاءِ الْوَحْدَةِ الْوَطَنِيَّةِ وَالْمَغَارِبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ.

الكلمات المفتاحية: أبو اليقظان إبراهيم - سليمان الباروني - الجهاد - القواسم المشتركة.

Title : The Common points in the Thought and the straggle of the tow jurists and journalists Abu Yaqadhan Ibrahim and Soulieman el Baruni

## Abstract:

Ibrahim abi yaqadhan et Souliemene Bacha El Baruni are two figures who made politics out of love for the homeland and a duty to God and personal responsibility.

Both had fought to achieve common goals, those of reformers to reduce the ignorance sown by colonialism among the population and this by similar actions:

- ❖ Confronting the colonial system, the first enemy
- ❖ acquiring high and noble knowledge
- ❖ -using journalism and awareness-raising exercise in the society
- ❖ making politics at the service of religion, not the opposite
- ❖ Building the National, Maghrebine and Muslim Union

**Keywords :** Ibrahim abi yaqadhan, Souliemene El Baruni, Jihad ,colonialism.

### أولاً- التعريف بالفقهيين أبي اليقظان والباروني :

وُلد أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى، بمدينة القرارة (بوادي مزاب) جنوب الجزائر في 29 صفر 1309هـ / 5 نوفمبر 1888م وتوفي في مدينة القرارة يوم الجمعة 29 صفر 1393هـ الموافق 30 مارس 1973م. وُلد سليمان بن عبد الله الباروني بمدينة جادو بجبل نفوسه بلبيسا، سنة 1287هـ / 1873م وتوفي يوم 1/5/1940م.

**ثانياً: مسيرتهما العلمية والدراسية:**

بدأ أبو اليقظان دراسته بمدرسة (القرارة) حيث حفظ القرآن الكريم و بدايات العلوم الشرعية واللغة على يد أستاذه الشيخ الحاج عمر بن يحيى، ثم التحق بمدرسة أستاذه احمد بن يوسف أطفيش بمدينة بني يسجن بالجزائر، وفي سنة 1912م سافر إلى تونس وواصل دراسته في جامع الزيتونة، ثم المدرسة الخلدونية، وفي سنة 1914م ترأس أول بعثة علمية مزابية إلى تونس. وبدأ سليمان الباروني دراسته على يد والده الشيخ عبد الله الباروني بمدينة جادو، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس بداية سنة 1305هـ، ثم التحق بالجامعة الأزهر بمصر سنة 1310هـ إلى سنة 1313هـ ثم التحق بوادي مزاب بالجزائر بمعهد الشيخ احمد بن يوسف أطفيش بمدينة (بني يزقن) سنة 1313هـ إلى سنة 1316هـ.

**ثالثاً: اعتمادهما في منهجهما الفكري والجهادي والإصلاحي على سياسة الدنيا بالدين:**

ينطلق كل من الفقيهيين من أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في هذه الدنيا ليعبده ويسبح بحمده، وأن عليه أن يسير حياته على هدي شريعة الله، لكي يسعد في دنياه وأخرته، مستخدما عقله وبذنه لتوظيف هذا الكون ومكانته لخدمته وإسعاده؛ آخذنا في الاعتبار عدم الإفساد في الأرض أو البحر أو الاعتداء على البشر، ولذلك نجد أن للفقيهيين

الصحفيين موافق تدل على تقيد كلّ منها بهذه المرجعية الروحية، إذ لا يصدر من أيّ منها إلا ما يرضي الله، والذي يقود حتما إلى سعادتهم في حياتهم وأخرتهم.

والدليل على ذلك:

1- وقوف أبي اليقظان في وجه الاستعمار الفرنسي لبلاد الجزائر والتعاونين معه، ورده على مدير الأمور الأهلية الفرنسي (السيد م. ميرانت) الذي كرس جهوده في الجزائر بسياسة (فرق تسد) بين الجزائريين، وطلب منه توضيح مقاصده من نشاطه الجهادي عبر الصحف التي أصدرها، ومن أشعاره، ومن دروسه ومحاضراته التي كان يلقىها على مواطنه، وعرض عليه المال والوظيفة والنياشين، وغير ذلك من المُتع؛ فكان ردّ أبي اليقظان: أطلب رضاء ربّي وراحة ضميري فيما أقوم به من عمل ونشاط، ثم أضاف موضحاً: «أرجو أن يدخلني الله جنته رضوانه في دار جزائه، فهل يمكنك أن تمنعني لأترك عملي؟؟؟». ونتيجة لهذا الموقف كان تصنيف الفرنسيين للفقيه أبي اليقظان: (أنه العدو الأول لفرنسا).

2- أما المرجعية الروحية لسليمان الباروني، وكما وصفها الفقيه أبو اليقظان في كتابه «سليمان الباروني في أطوار حياته الجزء الأول»<sup>(1)</sup>:

"...أجداده العظام الذين تداولوا الأمارة والمشيخة العامة الكبرى في طرابلس ونواحيها؛ جنوباً وشمالاً وشرقاً من نواحي سرت وزلة وقرآن وغدامس إلى جبال دمر بالجنوب التونسي، من لدن أواسط القرن الرابع، بعد انقراض دولةبني رستم بناهـت إلى أواخر القرن العاشر للهجرة. وكانوا في ذلك أمثلة عليا في العدل والتزاهة والاستقامة، وقد وصفـهم الـبارـونـيـ في رسـالـته لأـبـيـ اليـقـظـانـ بـقولـهـ:

"إن المطالع يرى سيرتهم كسيرة الصحابة والتابعـينـ لا تعاظـمـ ولا تـكـبرـ، مع العـفـةـ التـامـةـ والـعـلـمـ العـزـيرـ، والـاعـتـنـاءـ بـالـدـينـ وـالـعـدـلـ، كـتـابـ اللهـ حـجـتـهـمـ، وـسـتـةـ رـسـولـهـ دـلـيـلـهـمـ، وـآثـارـ السـلـفـ الصـالـحـ مـنـهـجـهـمـ، إـنـ هـمـ جـلـسـواـ لـلـحـكـمـ عـدـلـواـ، وـإـنـ تـصـدـرـواـ لـلـتـعـلـيمـ أـجـادـواـ وـأـحـيـواـ، وـإـنـ قـامـواـ لـلـدـافـعـ عـنـ وـطـنـهـمـ وـمـلـكـهـمـ أـبـلـواـ وـنـصـرـواـ، وـإـنـ بـسـطـواـ أـيـدـيـهـمـ لـلـإـحـسـانـ أـغـنـواـ، وـإـنـ شـمـرـواـ لـلـعـبـادـةـ صـامـواـ النـهـارـ، وـفـىـ اللـلـيـلـ تـهـجـدـواـ .."<sup>(2)</sup>.

(1) سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، الجزء الأول، ص(6).

(2) أظر أبي اليقظان: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص(6).

وفي رسالة الباروني الشهيرة إلى موسوليني القائد الإيطالي الذي ألغى اتفاق صلح بن يادم والتشريع الأساسي الذي وقعه الباروني مع الحكومة الإيطالية وما تابعه من إعلانه مع زملائه قادة الجهاد في طرابلس أول ((جمهورية في الشرق الأوسط)) وهي ((الجمهورية الطرابلسية)), وتاريخ هذه الرسالة 15 ذي القعدة 1345هـ، والتي جاء فيها: "وها هي أوراق وسجلات أسلافك الوزراء بين يديك، فراجعها فلا تجد أسماءنا إلّا في دفاتر الواقع والمعارك". أمّا دفاتر المالية والمدايا الشمية والمطالب الشخصية فلا تجد لنا فيها - ولا فخر- أثراً ولا ذكرًا<sup>(1)</sup>.

إن الإيطاليين يعرفون حق المعرفة هذا الموقف الصلب والشرف للباروني، والذي يصدر دائماً عن مرجعياته الإسلامية الروحية، فها هو النظام الإيطالي يستخدم الميرالي (مولاساني) فيرسل في 23 نوفمبر 1914م رسالة إلى والده الشيخ عبد الله يحيى الباروني قائلاً له: "نترجّاكم أن تنصّح لولدكم الشيخ سليمان نصائح الخير ليزيل المحاربة ويترك العداوة ويصالحنا ..."<sup>(2)</sup>.

ويقدم لنا أبو اليقطان نماذج من شعر الباروني دليلاً على عفة الباروني أيام جهاده ضد الطليان، رافضاً كل الإغراءات التي قدموها له، متأسفاً لمن سقط في هذا الوحل:

ولي التغربُ في الب حار	و في البراري بالسنين
ولي الجيوبُ الخاو ياتُ	مع الكفوف الطاهريين
ولي التباхи بالو قائع	في كفاح الغاصب بين
ولي السيوف المرهفات	الماحيات لكل شين
ولي الجياد ال صاففات	الصائلات على الدفين
العاد يات المور بيات	الغائرات على الك مين
الجاد بات ال شاطحات	لدى اقت فاء المار بين
هذا الف خار ولا ف خار	ب خيره في كل دين

(1) أبو اليقطان المرجع السابق، الجزء الثاني، (ص) 182.

(2) زعيمية الباروني: صفحات خالدة من الجهاد، ص 266-267.

ويدعو الباروني الأمة إلى اقتداء آثاره ومقارعة الأعداء:

فل ينهض الا حرار إن را هوا نجاة ا لمؤمنين

فمح حدف خر ال عوالم لم يستعن ولا م عين<sup>(1)</sup>

ولهذا الموقف الوطني الغيور على الدين والوطن والأمة، صنف الأوريون جمعياً (الباروني عدو أوروبا الأكبر) ومنعوه من دخول الأقاليم التي تخضع لسيطرتهم.

فهاهم الإنجليز يمنعونه من دخول مصر؛ فيصور حرقه وتألمه لتحكم الأعداء في بلاد المسلمين وحرمان أبنائها من دخولها:

هويتك يا مصر وهل في الهوى صبر

وأنت التي يشفى بدوائك الصدر

هويتك لكن لا سبيل إلى اللقاء

وكيف وباب الشرق أغلقه الحمر

لقد فتح الإسلام مصرًا وساسها

وها الآن (جورج) قال يكفيكم الزمر

يقول ألا لا تدخلوها ففي يدي

مفاتحها والذلُّ والطرد والقهر

وما هي لابن الباروني بمتنزل

ولو يشفع القبطان أو يسجد البدر<sup>(2)</sup>.

وقد منع وزير خارجية فرنسا «بون مارشي» الباروني من دخول الجزائر وقال قوله المشهورة: «إن الباروني لن يدخل الجزائر ولو في المنام»، وهو يعلم علاقة الباروني بالمابيين وبالخصوص بأستاذة احمد بن يوسف أطفيش<sup>(3)</sup>.

ويصور الباروني هذه المرجعية الروحية الإسلامية التي يزن على ميزانها الدقيق الحساس كل خطوة يخطوها في حياته - مخاطباً بذلك أبا اليقظان شرعاً - مؤكداً القواسم المشتركة التي تربط بينهما في هذا المجال:

(1) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الأول، ص (54-55).

(2) أبو اليقظان المرجع السابق، الجزء الأول: ص (202-203).

(3) أبو اليقظان المرجع السابق، الجزء الثاني: ص (203).

تأمل يا أبي اليقظان وانظر \*\*\* تجد ذا المؤس في جنب الملوك  
فليس المال للإجلال كاف \*\*\* ويكتفي للعلا حسن السلوك  
فسبحان الذي خلق البرايا \*\*\* على حِكْمَ تجلّ عن الشكوك

#### رابعا: الإعان الصادق بالقضايا التي يكافح من أجلها الرجال مكتتباً من الصبر في الشدائـد والإصرار على الكفاح:

لقد كابد الباروني تصلّت الأتراك في بلاده ليبيا، وفي إقليم طرابلس وجبل نفوسه، عندما اتهّمته بتأسيس إمارة إباضية، وصادرت أوراقه وكتبه، وبعدها منعت كتابه «الأزهار الرياضية في ملوك وأئمة الإباضية» من النشر بعد أن قام بطبعه في (المطبعة البارونية) لأنَّ الإباضيين على زعم الجواسيـس الذين نسجوا هذه التهمة لا يعترفون بالخلافة العثمانية، ويوجبون الخروج عليها<sup>(1)</sup>، ثم كانت نفس المعاناة عندما تصدّى للعدوان الإيطالي بشكل خاصٍ على بلاده ليبيا، وعدوان الدول الأوروبيـة عند استعمارها لبقية البلدان الإسلامية؛ خاصة تلك التي كانت تابعة للعثمانيـن. يقول الباروني شرعاً في ذلك:

يودُون موتـي ولـكـنـي \*\*\* على رغم أنـهـمـ لاـ أـمـوـتـ  
أـعـمـرـ دـهـرـاـ وـلـيـ أـمـلـ \*\*\* تـخـرـ إـذـ ماـ تـجـلـ لـيـوـثـ

ثم يقول:

هيـ النـوـائـبـ لـيـ فـلاـ \*\*\* أـرـضـىـ بـهـ لـلـخـامـلـينـ  
الـعـاكـفـينـ عـلـىـ الـلـذـائـذـ \*\*\* فـرـضـاـ المـشـرـكـينـ<sup>(2)</sup>

ويقول كذلك:

نـلتـ الصـدارـةـ فـيـ كـلـ الـمـجـالـسـ لـكـنـ \*\*\* لـاـ رـجـالـ وـلـاـ مـالـ يـؤـيـدـنـيـ  
لـوـ كـانـ لـيـ كـالـورـىـ مـالـ لـنـلتـ بـهـ \*\*\* لـلـمـنهـجـ الـحـقـ أـعـلـىـ مـرـكـزـ مـدـنـيـ<sup>(3)</sup>

إنَّ هذا الصمود ليـنـعـكـسـ كذلكـ فيـ بنـاءـ وـصـقلـ فـكـرـ أـبـيـ الـيـقـظـانـ وـصـمـودـهـ وإـصـرـارـهـ علىـ مـقـارـعـةـ الـفـرـنـسـيــنـ، بإـصـرـارـهـ عـلـىـ إـصـدـارـ جـرـائـدـ الثـمـانـيــةـ، عـنـدـمـاـ أـسـسـ فـيـ سـنـةـ 1926ـ جـريـدةـ (وـادـيـ مـيزـابـ)ـ الـقـيـاسـيــةـ ثـحـرـرـ فـيـ الـجـزـائـرـ، وـتـطـبـعـ فـيـ تـونـسـ، ثـمـ تـقـلـ بـالـقطـارـ لـتـوـزـعـ

(1) أبو اليقظان المرجع السابق، الجزء الأول، ص (155).

(2) أبو اليقظان المرجع السابق، الجزء الثاني، ص (123).

(3) أبو اليقظان المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 104.

في الجزائر (وادي مزاب)، وأن جهاده الصحفي استمرّ ثلاث عشرة سنة، ورغم إصابته بالشلل النصفي في سنة 1957م إلا أنه تفرّغ بعد هذا المرض للتحرير والتأليف.

## 2- العلم الحمود أساس التوفيق في كلّ شيء:

لقد كان كلّ من الفقيهين والصحفيين أبي اليقظان والباروني على اتفاق تامَّ من أنَّ ضمَان نجاح مشروع كلّ منهما في التحرُّر من الاستعمار، وتحريير الأمة من الجهل والفقر والمرض، وبناء التنمية والعدل والمساواة إنما ضمَان نجاحه: التسلُّحُ بالعلم؛ لأنَّ أولَ كلمة خاطب الله سبحانه وتعالى بها مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت "إقرأ" وهو يبحث عن الحقيقة في غار حراء، ثمَّ نبَّهَهُ وهو يتعلَّم أنَّ يتوَكَّلَ على الله، وأنَّ ينشد العلم الحمود الذي يعود عليه وعلى كلّ البشر بالخير والبركة فقال له: ﴿أَقْرَا وَرِبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ  
بِالْقَلْمَنِ﴾ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 03-05] وكان العلامة إسماعيل الجيطالي النفوسي على حقٍّ عندما جعل الجزء الأول من كتابه *القيم* (قناطر الخيرات) بعنوان: (قطرة العلم والإيمان) فجعل من العلم طريقاً لضمان كلّ شيء: معرفة الإنسان لربِّه، وحسن عبادته، وتدبیر معاشه، واستغلال ما خلق الله في الكون لصالحه.

ولذلك نجد أنَّ:

**أ- أبي اليقظان:** بعد الانتهاء من دراسته في جامع الزيتونة بتونس، عاد إلى مدنه التي اقرأها بوادي مزاب بالجزائر، ليؤسس مدرسة على الطريقة العصرية.

**ب- سليمان الباروني:** بعد عودته من مصر حيث يدرس بالأزهر الشريف، وبعد خروجه من السجن الذي حكم به عليه الأتراك لاتهامه بالتفكير في إنشاء (إمارة إياضية) قام مع والده في 12 ربيع الأنوار عام 1342هـ - 1924م بافتتاح المدرسة البارونية تجديداً للمدرسة التي كان قد أسسها المصلح الكبير الحاج سالم أباً الهول اليغبني في يفرن، في صدر المائة الثالث عشرة للهجرة، وعندما يؤكّد إيمان الباروني بفضل العلم ودوره في بناء الأمم وتحرّرها من الجهل والاستعمار، آنه أرسل في 22 فبراير 1924م - 1342هـ رسالة إلى أبي اليقظان يشكره على ما أرسله له من صور ونشاطات طلبة البعثة العلمية المزابية بتونس (جامعة الزيتونة) والتي كتب عنها قصيدة نورد منها:

حياة تجلّت فاستثار بها الشعب  
 وشمس تبدّت فاستضاء بها الغرب  
 وروح سرت من مبدع الكون فائشى  
 فتى مركز الصحراء نحو العلي يصبو  
 أروهم من الدين الحنيفي أسته  
 ومن أمر دنياهם علوما لها لب  
 فهم عدة بل للطواري أستة  
 وهم أعين الأجيال بل هم القلب  
 ومن لم يسلح بالمعارف قومه  
 غدا علقمأً مستعبدأً ماله صحب<sup>(1)</sup>.

وفي 27 شعبان 1343هـ كتب أبو اليقظان قصيدة رداً على ما جاء في رسالة الباروني إليه وهو إذ ذاك في عُمان :

يهدي مزاب تحية وسلاما \*\*\* متواصلين مع الأثير دواما  
 لأنّيه شعب عمان حيث الدين \*\*\* حيث المجد حيث العز فيه ترامي  
 حيث المعارف أورقت أغصانها \*\*\* حيث المكار زانت الإقداما<sup>(2)</sup>.

فكان رد الشاعر العماني عيسى بن صالح الطائي قصيدة حرّرها في 6 ذي الحجة 1343هـ نقبس منها :

أيقظت منا أبا اليقظان من رقدا \*\*\* لما بعثت بنظم أنعش الكبدنا  
 أيقظت منه أبا اليقظان نائمة \*\*\* فهب مستأسدا من بعد ما رقدا

وقال شاعر عماني آخر:

أبا اليقظان أيقظت النياما \*\*\* وأطربت الحواضر والخياما  
 وحرّكت الغصون وعاشقيها \*\*\* وأرقشت الجوامد والغماما  
 سليمان الباروني الذي قد أدق \*\*\* عدوه الموت الزؤاما<sup>(3)</sup>.

(1) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 189.

(2) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 233.

(3) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 242 وما قبلها.

### 3- الصحافة والإعلام:

لقد تأكّد للفقيهين الصحفيين أبي اليقظان والباروني أنَّ توظيف العلم لخدمة برنامجهما التحريري، والتوييري، والعقلاني، للمجتمع يتحقّق بواسطة: الصحفة: إذ قام أبو اليقظان بإصدار ثمان جرائد؛ كلّما أفلَ إحداها الاستعمار الفرنسي قام بإصدار غيرها على النحو الآتي:

- ❖ جريدة (وادي ميزاب) 1926/10/1 إلى 1929/1/18
  - ❖ جريدة (ميزاب) عدد واحد 1930/1/25
  - ❖ جريدة (المغرب) من 1930/5/29 إلى 1933/3/9
  - ❖ جريدة (النور) من 1931/5/2 إلى 1933/9/15
  - ❖ جريدة (البستان) من 1933/4/27 إلى 1933/7/13
  - ❖ جريدة (البراس) من 1933/7/21 إلى 1933/8/22
  - ❖ جريدة (الأمة) من 1933/9/6 إلى 1938/6/8
  - ❖ جريدة (القرآن) من 1938/7/8 إلى 1938/8/3
- أما سليمان الباروني ولنفس الغرض فقد أصدر جريدين:
- ❖ جريدة (الأسد الإسلامي) أصدرها في مصر سنة 1342هـ - 1906م ولم يصدر منها إلا ثلاثة أعداد.
  - ❖ جريدة (الباروني) أصدرها في (إسطنبول) في تركيا، بعد إبرامه صلح بن يادم سنة 1918م وإعلان الجمهورية الطرابلسية.

### 4- إنشاء المطبع:

نشر الثقافة وطباعة الكتب والجرائد وغيرها مما يتحقّق الوعي بانتشار المطبوعات، وانتشار العلم وتوظيفه لخدمة الإنسان والمجتمع والأمة:

أسس أبو اليقظان (المطبعة العربية) بمدينة الجزائر العاصمة، وتعدّ من أوائل المطبع في تلك الفترة، وذلك سنة (1931م) حيث طبع بها جرائد وبعض الكتب والمنشورات التي تعلّق بالذهب الإباضي، والإسلام، وحرب التحرير الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. وأسس الباروني (المطبعة البارونية) في مدينة القاهرة سنة 1324-1906م

سماها (مطبعة الأزهار البارونية) وطبع جرينته (الأسد الإسلامي) ونفائس الكتب ذات العلاقة بالذهب الإباضي بها، مثل حاشية السالمي على (مسند الربع بن حبيب) في الحديث، ووفاء الضمانة الجزء الثاني والثالث، والجزء الثاني من كتاب (الأزهار الرياضية في ملوك وأئمة الإباضية)، وكذلك ديوان شعره، وديوان السيف النقاد للشيخ الحضرمي، وديوان شعر والده (عبد الله الباروني وعمر التندميري).

### المكتبة البارونية:

أسسها سليمان الباروني بمدينة القاهرة إلى جانب مطبعته، وزوّدتها بنفائس الكتب، ولعله من العلماء والمصلحين الأوائل الذين تنبهوا لأهمية دور المكتبات العامة في نشر الوعي بين أبناء الشعب.

**السياسة في خدمة الدين والأمة، وليس الدين في خدمة السياسة:**

لقد اتخذ كل من أبي اليقظان والباروني السياسة وميادينها أداة لإرضاء الله وضمائرهم سعياً لنيل مرضاه الله والفوز بالجنة، وضمان الحياة الكريمة والسعيدة في الدنيا؛ ولقد سبق أن قدّمنا ميزان القيم الروحية والأخلاقية الذي كان يتخذه كلّ منهم مقاساً وميزاناً لتقدير وتقدير ما يقوم به في هذا المجال؛ وبناء على ذلك فإنّ:

أبا اليقظان: دخل المترك السياسي أثناء وجوده في تونس، معتمداً فكرة الوطن الإسلامي الواحد، حيث تأثر بأفكار أستاذة (عبد العزيز الشعالي) الذي انضمّ عن طريقه إلى الحزب الحرّ الدستوري التونسي)، وفي سنة 1931 انضمّ إلى (جمعية العلماء المسلمين بالجزائر)، وفي سنة 1934 انتخب عضواً في مجلسها الإداري، كما ساهم عن طريق الجرائد التي أصدرها، والمطبعة التي أسسها، ومقاتلاته التي كان يكتبها في تلك الجرائد ، والجرائد الأخرى مثل: جريدة (المنير والصواب) التونسيتين، وجريدة المنهاج (أبو إسحاق إبراهيم أطفيش في مصر). وقد داوم على هذا النشاط حتى اعتلال صحته وإصابته بالشلل النصفي سنة 1957م الذي اضطرره إلى مغادرة العاصمة الجزائر إلى مسقط رأسه القرارة بوادي ميزاب، أين تفرّغ للكتابة وسخر مؤلفاته وشعره لخدمة القضايا التي يؤمن بها. **سليمان الباروني:** بدأ نشاطه السياسي بانتخابه من قبل مواطنيه من جبل

نفوسه (عضوًا في مجلس المبعوثان) البرلمان التركي، وقد هنأ أبو اليقطان بهذه المناسبة بأبيات شعرية منها:

يا حائز قصب السباق بفرصة  
يا نجل عبد الله ذي الأنعم  
يا بهجة الإسلام يا نور المهدى  
أذهبت ما قد كان من ألام<sup>(1)</sup>.

وعندما هاجرت ايطاليا لليبيا في سنة 1911م كان أول من سجل اسمه في سجل الجهاد. ولقد وثق أبو اليقطان هذه الواقعة بنقل البيان الذي أعلنه الباروني مجرد علمه بهجوم الطليان على مدينة طرابلس، والذي جاء في جزء منه:

(وها أنا أيضًا من قبل أن نسمع بهم جعلت تنظيمًا جديداً، وفتحت دفاترًا في مركز القضاء لتقييد المجاهدين في سبيل الله، قيدتُ اسمى أولاً في مجاهداً (سليمان الباروني)، وكافة نفوسه على أثرٍ ..)<sup>(2)</sup>.

ويقول الباروني شعراً دفاعاً عن دينه ووطنه وشعبه ضد الطليان:

نصول إذا حان الدفاع ولا نرى \*\*\* جزاء من المولى سوى جنة الخلد  
هنيئاً لمن أمسى صريعاً مجاهداً \*\*\* له حلةً من أرجوان على الجرد  
وقد عاهد الباروني ربه أن لا يخلق شعر رأسه حتى ينجز وعده بتحرير وطنه أو موته، فقال:

شهد الحروب المائلات	هذا هو الشّعرُ الذي
كال صواتن نازلات	وعليه أمطرت القنابل
أن يعبر الجندي القناة	آليت أن يبقى إلى
النيل تفتاك بالبغاة	ونرى الغزاة على ضفاف
في ليالي با هرات	ونرى طرابلس العزيزة
في البلاد الـ ضائعات	وتسود أعلام الخليفة
جزر المحيط الحالات	ونرى ال�لال متوجاً

(1) أبو اليقطان المرجع السابق، الجزء الأول، ص 87.

(2) أبو اليقطان: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 96

إذ ذاك يُحلق بين أَفَ  
ساج الأَعاظم والغَزَاة  
هَا بَيْن تهَلْ يَلْ وَتْ كَبِير وَتَقْدِيم الْمَصْلَة  
أَو هَكَذَا يَقْنِى إِذَا لَمْ  
لَمْ نَتَصْرَ حَتَّى الْمَمَاتِ<sup>(1)</sup>

إن جهود الباروني لتحرير بلاده من العدوان الإيطالي لا يتسع المجال هنا لتفصيله، ولكن يكفي أن نشير إلى الخطوات الهامة التي اتخذها مع إخوانه المجاهدين في هذا السياق، حيث استغل في البداية وظيفته (كعضو في مجلس المبعوثان العثماني)، وعند وصوله إلى مدينة يفرن قام بزيارة والده الذي كان يقيم هناك مشرفاً على إدارة (المدرسة البارونية)، ثم انتقل إلى مدينة (جادو) بناء على طلب سكانها ليصوم رمضان معهم، وبمجرد سماعه بنبي العدوان الإيطالي، دعا المواطنين إلى الجهاد مستحضرًا أوامر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فكان ملتقي المجاهدين بميدان أمي أو عثمان بمدينة جادو، والذي تعاهدت فيه كل القبائل والمواطنين على الجهاد ضد الطليان، ثم كان إعلان يفرن الذي اجتمع فيه المواطنون التابعون للواء يفرن واتفقوا على (أركان الموية الوطنية) التي روعي فيها المساواة بين الأمازيغ والعرب وتسمية الجيش (بالجيش الإسلامي الطرابلسي). بتاريخ 11 جمادي الأولى سنة 1330 هـ - 16 نيسان 1912 م وصل المجاهدون إلى (سواني بن يادم)، وأسس سليمان الباروني مع إخوه قادة المجاهدين إدارة معسكر مجاهدي الجبل، وبمجرد تخلي تركيا عن ولاية طرابلس رسمياً بوجب اتفاقية أوشي بين تركيا وإيطاليا؛ والذي بناءً عليه منحت تركيا طرابلس استقلالاً ذاتياً.

**دعا الباروني المجاهدين وزعماء القبائل والأعيان إلى اجتماع العزيزية في ذي القعدة 1330 هـ** والذي بناء عليه صدر بيان تشكيل الحكومة الوطنية، وتم اختيار الباروني رئيساً لها.

وقد جاء في هذا الإعلان المهام: "وببناء على الفرمان المؤرخ في شهرى ذي القعدة الحرام سنة 1330 هـ القاضي بمنح بلادنا الاستقلال، قد اتفقنا على الرضا به وقبوله مع السرور الكامل، وكلفنا حضرة مبعوث الجبل سليمان بك الباروني بإعلان استقلالنا وتبلغه إلى من يلزم التبليغ إليه، وتشكيل حكومة تقوم بما يلزم اتخاذه من تعليم الأمان والراحة والمحافظة على شرف الدين والوطن بوجب قواعد الشرع الشريف، والمنظمات

(1) المرجع السابق: صفحات خالدة من الجهاد (الملحق)

العمرانية، مع القيام بكلّ ما يجب اتخاذه من وسائل المدافعة. والتوفيق من الله والنصر بيده". وقام الباروني بما يلزم وفقاً لهذا الإعلان وباعتباره رئيساً للحكومة الوطنية.

وقد انتهت هذه الحكومة بالهجوم الإيطالي عليها وهزيمة المجاهدين في معركة جندوبة 13 مارس 1913م حيث التجأ الباروني إلى تونس، ثمّ عاود الجهاد من جديد مستغلاً ظروف ونتائج الحرب العالمية الأولى، والتقارب بين تركيا وألمانيا في مواجهة إيطاليا.

وصدر من الباب العالي بتركيا فرمان بتعيينه والي وقوندان طرابلس الغرب في سنة 1915م، نتج عنه قيامه بتأسيس الجمهورية الطرابلسية، يديرها مجلس: بعضويته، ورمضان السويملي، وعبد النبي بلخير وأحمد المريض، وذلك سنة 1918م.

ثمّ توّلى الإشراف على عقد صلح بن ادم مع الطليان سنة 1919م، وإصدار التشريع الأساسي، أو ما يسمى بالدستور الطرابلسي، ولكن نظراً لغدر الطليان وانتهاكهم لهذا العهد والميثاق أضطر إلى مغادرة ليبيا، ليبدأ جهاداً من خارج حدودها، حاولاً توظيف الأوضاع الدولية في هذا المجال.

وما يهمّنا هنا هو أن ثبت أنّ الباروني كان على صلة مع أبي اليقظان، وكان يرسله ويطلب منه الاحتفاظ بما يرسله إليه من وثائق تاريخية، فإنه سيحتاجها في المستقبل.

❖ يقول أبو اليقظان إنّ الباروني خاطبه بقوله: "احفظ لي كلّ ما كتبته لك، وما أكتبه، ربّما يأتي وقت أحتاج إليها فاطلبها منك، لأنّ ذكرها لا مسوقة لها عندي"<sup>(1)</sup>.

❖ في رسالة للباروني إلى أبي اليقظان في محرم 1355هـ جاء فيها: "تلزمني خريطة طرابلس الجديدة من صنع إيطاليا، ويلزمني دليل طرابلس الإيطالي أيضاً، إذ يمكنكم الحصول عليهما من الجزائر أو تونس، ولتكن الخريطة كبيرة مفصلة إذا توجد".

❖ ثم يضيف في نفس الرسالة: "وقد وجدت في أوراقي ذكرًا لجريدة الحقّ الفرنسية التي كانت تصدر في (وهران) في وقت هجوم إيطاليا على طرابلس، وأنّها أول من

(1) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 102  
-235 -

انتصر للحق وكتبت مقالات عن الحرب، فهل يمكنكم الاطلاع على مجموعتها في سنة 1911 - 1912م، ونقل ما يهم التاريخ منها...<sup>(1)</sup>.

#### **رابعاً - أسس بناء الوحدة الوطنية والمغاربية والإسلامية:**

##### **أسس بناء الوحدة الوطنية:**

أورد أبو اليقظان نماذج لطريقة تحقيق الباروني للوحدة الوطنية في ليبيا بطرابلس، وذلك بتحقق اعتراف كلّ من ركني الهوية الوطنية كلّ منهما بالأخر الأمازيغ والعرب، ثمّ جعل الإسلام المظلة التي يستظلّ بها هؤلاء، فتنزّل العرقيات والعنصريات عندما يستظلّ هؤلاء بهذه المظلة الرائعة، ويُسیر الجميع على هدى الشريعة الإسلامية الوسطية الغراء، لا إفراط ولا تفريط، ويكون الوطن هو الوعاء الذي يتّسع للجميع، فيتتحقّ العدل والمساواة والشوري والتشاروية، والأمن والأمان، فينطلق الجميع للعمل والبناء بأيدي متشابكة لما فيه خير الجميع وبالجماع. ويصوّر أبو اليقظان هذه الوحدة بعقلية الفقيه الوسطيّ والصحيّي المتطلّع فيقول:

"ما حفظ لنا التاريخ أنه لمجرد ما بلغ الخبر بظهور الأسطول الإيطالي في البحر أمام مدينة طرابلس مسامع المسلمين في الجبل، اجتمع عند الباروني باشا في مركز القضاء يفرن كثير من رؤساء القبائل العربية والبربرية، فتفاوضوا في وضع ميثاق يديرون بمقتضاه دفة الدفاع، وينون على أساسه قواعد الجهاد فاتفقوا على ما يأتي:

على عدم اعتبار كلّ ما يؤدّى إلى الانقسام من عادات وخلافات مذهبية أيّاً كانت.  
على أن يكون الجامع في الجهاد هو الجيش الإسلامي الطرابلسي، وأنّ المجاهدين كلّهم إخوان في الإسلام فلا ذكر لمذهب أو لعنصر.

ثم حرّروا تلغرافاً بإمضاءاتهم، فوجّهوه إلى وكيل الوالي بطرابلس، وإلى نادي الاتحاد والترقي، على لسان أعيان المالكية والإبااضية من العرب والبربر من لواء الجبل ..."<sup>(2)</sup>.

(1) أبو اليقظان إبراهيم المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 224 وما بعدها.  
أنظر كذلك: حياة سليمان باشا الباروني زعيم المجاهدين الطرابلسيين، لأبي القاسم سعيد الباروني، ص 44 وما بعدها.

(2) أبو اليقظان: المرجع السابق الجزء الأول، ص 94.

### أسس بناء الوحدة المغاربية (المغرب الكبير):

وفيما يتعلق (بالمغرب الإسلامي) وفكرة الباروني بشأن توحيده على الأساس الذي وضعه في طرابلس كأساس للوحدة الوطنية، وفي رسالة منه إلى الفقيه والصحفي أبي القظان بقول:

"من رأي أن لا تنتصروا الجامعة العربية، بل صوبوها بالنسبة إلى الشرق، وإنما المغرب لا تنفعه إلا الجامعة الإسلامية، لأنَّه ليس في المغرب كُلُّه من طرابلس إلى المحيط غير مسلم من الوطنيين تجحب مراعاته. وفيه غير العرب ملايين من ببر وترك وسودان وغيرهم، ولا تجمعهم إلَّا كلمة الإسلام والوطن التي تجمع الجميع بالأقطار الإسلامية كلَّها، وتوجب عليهم حقَّ الأخوة الإسلامية التي فرضها الله في كتابه العزيز چوْقُچ [الحجرات: 10]"<sup>(1)</sup>.

ويصور لنا أبو اليقظان حبَّ الباروني وشغفه بأقطار شمال إفريقيا، طرابلس، تونس، الجزائر ومراكش، فيقول: "إِنَّ لَهُ نَحْوَ هَذِهِ الأَقْطَارِ لَشُغْفٌ لَا يَمْارِي، وَحْبًا لَا يَجْارِي، وَمَطَامِحٌ وَاسِعَةٌ غَيْرُ مَحْدُودَةٌ، وَأَمَانِي بَعِيدَةٌ مَمْدُودَةٌ..."<sup>(2)</sup>.

ويصف لنا الفقيه والصحفي أبو اليقظان علاقة الباروني بإخوانه في تونس إبان الجهاد فيقول: "... وأما تونس منبته العلمي فقد أنشأ في علمائها، وبعض ملوكها، غرر القصائد في شبيته، والتتجأ إليها بعائلته في محنته بعد الحرب الأولى سنة 1931، وعمل في قيادته مع رجالها الأحرار لا سيما مع الزعيم على باش حامبه، والأستاذ الشعالبي لتحريرها في الحرب الكبرى سنة 1914".

وفي رسالة من الباروني إلى أبي اليقظان بتاريخ 20 شعبان 1343هـ يصور له فيها العلاقة بينه وبين أستاذ أبي اليقظان الشيخ الشعالبي، فيقول: "الأستاذ الشعالبي في الهند، وقد وصلتني منه كتب من مبایی ، وهو بخیر فی راحة واحترام..."<sup>(3)</sup>.

وكم دليل على مكانة أبي اليقظان لدى الباروني، ولا تتفاوتها في العديد من القواسم والرؤى المشتركة، فقد أطلع الباروني أبي اليقظان على العديد من الوثائق والصور المهمة، منها:

(1) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 196.

(2) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 178.

(3) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 232.

الراية الوطنية للحكومة الوطنية التي شكلها طرابلسيون بعد أن منحتهم تركيا استقلالا ذاتيا، وتركهم ومصيرهم لجاءة إيطاليا ومنعها من احتلال بلادهم: "وأطعني الباروني باشا على وثائق وصور عديدة للواقع، ومنها صورة الراية التي اتخذتها الحكومة الوطنية في طرابلس شعاراً لها، وهي قطعة خضراء وفي أعلىها ﴿وَعَدْكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً فَأَخْذُونَهَا﴾

[الفتح: 20] وفي أسفلها ﴿قَتَلُوكُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ يَأْتِي بِكُمْ﴾ [التوبية: 14] وإلى جانبها من جهة السارية قطعة حمراء أكبر منها وفي متصفها دائرة زرقاء، وفي هذه الدائرة قطعة برقاية اللون، رسمت عليها خريطة شمال إفريقيا، إلى جانبها اسم طرابلس<sup>(1)</sup>. فهنا الراية الوطنية تعكس طموحاته لأن تكون طرابلس جزءاً فاعلاً في الشمال الإفريقي، أو المغرب الإسلامي كما يسميه.

ويصور لنا أبو اليقطان مدى اهتمام الباروني بالإصلاحات الجارية في وادي مزاب، فيقول نقا عن رسالته إليه: "ثم قال : إنني في اهتمام كبير بالإصلاحات الجارية في ميزاب، خصوصا المتعلقة بالولاية والبراءة، فإنها مما لا تدوم رابطة في ميزاب بدونهما، وإنه مثلما عظيم لسيرة هذا المذهب التقى، لا يوجد لها نظير في الدنيا فغضوا بالنواجد على محافظتها في المدن والقرى، فإنها جامعة للشمل، فلا توهنوا بمسائل السياسة والوطن العمومي، فتضيع الميزة والشخصية البارزة لميزاب والميزابيين ، وهذا لا ينافي اتحاد أبناء القطر كلهم من جهة أخرى .."<sup>(2)</sup>.

وينقل لنا أبو اليقطان وصية زميله الباروني لوادي مزاب بالاعتدال في المشرب فيقول: ".. فاجعلوا همتكم في ذلك واعتدلوا في المشرب، فقد قلت لكم من قبل: إن قليلا دائمًا خير من كثير منقطع"<sup>(3)</sup>.

### ج- أسس بناء الوحدة الإسلامية:

ويصور لنا أبو اليقطان عمق العلاقة بين الفقهين والصحفيين الذين يتفقان في معظم قضيائهما وأوطانهما وعصرهما، فيذكر أن الباروني أرسل له رسالة في ذي الحجة 1345هـ بشأن جرينته (وادي ميزاب) والمطبعة العربية التي أسسها، وفي

(1) أبو اليقطان: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 160.

(2) أبو اليقطان: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 210.

(3) أبو اليقطان: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 211.

ذى الحجة 1350هـ أرسل له رسالة بشأن ديوانه وجريدة النور، وفي رسالته إليه بتاريخ 12 رجب 1353هـ بشأن جريدة الأمة. ويتفق أبو اليقظان مع سليمان الباروني حول مشروع وحدة الأمة الإسلامية، وعلاج مسألة التمذهب وتوظيفها من قبل البعض بشكل سلبيٌّ يضر بالإسلام وال المسلمين فيقول: "... فمتى يأتي يوم لا يذكر فيه المسلمين في الشرق والغرب إلا الله، ورسوله وكتابه، ولا يذكرون الأئمة إلا باسم علماء، كغيرهم من علماء الإسلام، فيصبح الدين واحد، والمذهب واحد، لا طرق ولا مذاهب، وإن ذلك يزول الشقاقي، ويتحدد الرأي" <sup>(1)</sup>.

### **الخلاصة والخاتمة:**

من خلال هذا العرض المختصر لمسيرة الفقيه والمعلم والمؤرخ والصحفي أبي اليقظان، هذا المفكر المجاهد المحتسب الصابر نصل إلى الآتي:

- 1 الإسلام الوسطي، وسيرة رسول الله وصحابته وخلفائه من بعده شكلت الرؤافد الغنية والمتداقة والأزلية للقيم الأخلاقية والعقلية التي حملها أبو اليقظان إلى سلوك.
- 2 إن العلم الحمود هو مفتاح الخير والنصر والتطور والازدهار، والمعتمد عليه في كل مشروع حضاري وتحريزي على مستوى الفرد والجامعة والأمة.
- 3 هناك علامات اهتدى بها أبو اليقظان في مسيرة حياته العامرة، فكانت له كالنجوم في ليل هذه الدنيا الدامس، وهذه النجوم هي:

❖ والدته التي أحسنت تأسيسه وتربيته على هدي القيم الأمازيغية الحنيفية الموحدة المؤمنة الموروثة، والإسلام الجامع المانع الحنيف.

❖ أستاذة الجليل احمد بن يوسف أطفيش.

❖ صديقه وأخوه سليمان باشا الباروني النفوسى.

❖ أستاذة عبد العزيز التعالي.

❖ مدرسته، مدرسة الإصرار على الحياة، الحياة بما فيها من حلو ومر، وفشل ونجاح، وبداية ونهاية، فولدت في نفسه جذوة الحياة رغم الألم والمرض.



(1) أبو اليقظان: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 145  
-239 -

# الشيخ الحاج حمو بن محمد الزغبة المأقِبُ بـ «المعلم» من الأوائل المؤسسين لمدرسة قرآنية جزائرية بحسب القانون الفرنسي 1892م (\*)

مرياما بنت محمد بوراس  
باحثة - بني يسجن، غرداية  
merbou2002@gmail.com

مختص :

يستعرض المقال شخصية تربوية ذات جهد معتبر في التعليم إبان العهد الاستعماري، وهو **الشيخ الحاج حمو بن محمد الزغبة**، الملقب "بالمعلم"، من مواليد قرية بني يزقن، ولاية غرداية الجزائر، خلال (1286هـ - 1869م)، كانت بداية مساره العلمي من الكتاب التابعة لزوايا البيض، ثم قصد سوق أهراس للاسترزاق، وهناك بدأ مشواره التعليمي سرّاً في غرفة خلف محل التجاري الذي يعمل فيه. وبعد أن تعرض لمضايقات من فرنسا وفقاً للقانون 18 أكتوبر 1892م القاضي بعدم إنشاء مدارس عربية إلا بتخخيص من "إدارة الاحتلال"، حمله ذلك على السعي للحصول على التخخيص؛ فتسلمه في 23 جويلية سنة 1907م، من قبل محافظ مقاطعة قسنطينة.

استطاع الشيخ المعلم بفكره الإصلاحي الوطني، ورؤيته الاستشرافية أن يفتح مدرسته التي كان فيها المعلم والمدير، في غرفة ضيق حجمها واسع أفقها إلى أن شاء الله أن ينحو شعاع هذه المدرسة في سوق أهراس؛ ليكتب الله له التوهج من جديد في مسقط رأسه سنة 1914م، ففتح بيته الخاص التي سبّلها خصيصاً لرسالته، وبقي كذلك إلى أن أسلمت

(\*) أثني كثيراً على الأستاذ القاضل: ابن ادريس مصطفى بن محمد على جيل ملاحظاته وتوصياته حول تهذيب المقال. كماأشكر الأستاذة: دادي بهون. لك على ترجمة قرار السلطات الفرنسية القاضي بتخخيص فتح مدرسة.

روحه الطاهرة لبارئها يوم: 28 أوت سنة 1933م، يوافقه 08 جمادى الأولى 1352هـ.  
رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مأواه.

### الكلمات المفتاحية: الزغبة الحاج حمو، تاريخ الثورة الجزائرية

**Title : Sheikh Al-Haj Hammu bin Muhammad Al-Zaghba  
(known as Al-Muallim)**

(among the first to found an Algerian Quranic school, under the French law of 1892)

#### **Abstract:**

Sheikh Haj Hammu bin Muhammad Al-Zaghba, known as 'Al-Muallim' (The Teacher), was an educational figure who put considerable effort in the field of education during the colonial period. Born during the year 1869 AD - 1286 AH in the village of Beni-Isguen, Ghardaïa, Algeria, he started in the field of education in local Quranic schools. He went then to Souk-Ahras to work in commerce where he began teaching secretly in a room at the back of the shop where he worked. He was harassed by the French authorities as it was against the law of October 18, 1892 to establish Arabic-teaching schools without a license from the occupation administration. This prompted him to seek a license and receive it on July 23, 1907, issued by the governor of the Constantine Province.

With his patriotic reformist thought and forward-looking vision, Al-Sheikh Al-Muallim was able to open a wide horizon school in a narrow small room where he was teacher and principal. It was God's will that the flame of this school fades eventually, but only to glow anew in the Sheikh's hometown in 1914, where he opened his own house and set to deliver the message of education until his death on August 28, 1933 A.D, Jumada Al-Ula 8, 1352 AH. May God bless his soul.

#### **Keywords: Zegha Haj Hammu, history of M'zab, history of the Algerian revolution**

عرف التعليم في الجزائر بعد الغزو الفرنسي سنة 1830م تدھوراً كبيراً، بمحاربة الثقافة العربية ومحاولة القضاء على المقومات الدينية والممية الجزائرية، لكن الشعب الجزائري قاوم هذا الاضطهاد فكان لهم بالمرصاد من خلال القيام بثورات مختلفة ومتعددة؛ ثقافية وسياسية ومسلحة.. ورغم أن هذه الثورات اختلفت وتتنوعت لكن يجمعها هدف واحد، هو: "مقاومة ورفض كل أشكال الاستعباد والاستعمار".

ومن أشكال هذه الثورات؛ الثورة الثقافية التي مست الروايا والمدارس القرآنية والكتابات والماضير، حيث ضيق المستعمر عليها الحصار وقيد من نشاطها، ووصل به

الأمر إلى غلق وهدم<sup>(1)</sup> الكثير منها سعيا منه إلى إنشاء جيل "جزائري فرنسي" ممزق بين حضارتين متباعدتين، إلا أن الله كتب لبعض ما تبقى من هذه الزوايا والمدارس والكتابات والمحاضر؛ أن تبقى صامدة أمام كل الهجمات الشرسة للمستدمر الفرنسي بتنوعها، وأن تعمل بمقصد الحفاظ على تعليم القرآن الكريم، واللغة العربية وكلّ ما يساعد على ترسيخ ثوابت الأمة الإسلامية، والهوية الجزائرية.

لما فتح الفرنسيون مجال التعليم أمام الجزائريين بحسب قانون 1892م الذي يقضي بعدم إنشاء مدارس عربية إلا بقرار ترخيص من "إدارة الاحتلال" وفق شروط خاصة<sup>(2)</sup>، قيّض الله رجالاً جاهدوا لإعلاء كلامه، وصابروا مع الضغوط والمضائقات! فظهرت بعض المدارس الحرة<sup>(3)</sup> في أوائل القرن العشرين، لكن سرعان ما انتشرت في حوالي سنة 1920م بحسب تصريح المؤرخ أبو القاسم سعد الله<sup>(4)</sup>.

من ميزة هذه المدارس المفتوحة بقرار ترخيص من السلطات الفرنسية أنها كانت تحفظ القرآن الكريم<sup>(5)</sup> وتدرس معها المواد التعليمية الأخرى، وكانت إلى جانب ذلك تتعرض

(1) يذكر أبو القاسم سعد الله: أن رحالة أوروبي زار الجزائر سنة 1854 وقال: إنه لم يق من حوالي مائة مدرسة سوى التصف. كما أظهر أن في قسنطينة -حسب تقرير الجنرال "بيدو"- عدد المدارس القرآنية بلغ 90 مدرسة في سنة 1835م، ولم تبق منها بعد عشر سنوات (1847م) سوى 30 مدرسة. ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 40، 44.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 240.

(3) يقول أبو القاسم سعد الله: "نعني بالمدارس الحرة تلك المؤسسات التعليمية التي نشأت منذ أوائل هذا القرن، ثم انطلقت انطلاقاً كبيرةً منذ حوالي 1920م على يد أفراد أو جماعات؛ لنشر التعليم العربي الإسلامي في الجزائر".

ويدخل في هذا التعريف المدارس التي قامت في المدن والأرياف، والتي كانت تحفظ القرآن في الأساس؛ أو التي أضافت إليه مواد أخرى، وأصبحت تطلق على نفسها اسم المدارس العصرية أو الحديثة". ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 238.

(4) يذكر زعيم المؤرخين أن أول مدرسة عصرية حرة في الجزائر كانت بتيسة، تأسست سنة 1913م، يدعمها السيد عباس بن حمانة. ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 241؛ لكن بيدو أن هذه ليست أول مدرسة بحسب ما ستراء في مقالنا هذا.

(5) الواقع أنَّ الجزائر لم تخل من المدارس القرآنية الحرة (الكتابات) التي ألزمت بتحفيظ القرآن فقط دون بقية المواد، بإيعاز من السلطات الفرنسية.

إلى رقابة سياسية صارمة من قبل السلطات الفرنسية، وأحياناً يتحكمون حتى في البرنامج والممواد التي تدرس في هذه المدارس<sup>(1)</sup>.

وإذا تحدثنا عن أوائل الجزائريين الذين أسسوا مدرسة قرآنية بالمواصفات السابقة سنجد اسم الشيخ "ال حاج حمو بن محمد الزغبة" ، الذي كان كذلك أول مزابي أسس مدرسة خارج أسوار قرىبني مزاب<sup>(2)</sup>، ومن أوائل الجزائريين الذين تحصلوا على رخصة فتح مدرسة قرآنية خاصة من قبل السلطات الفرنسية، وذلك في عهد كانت فيه أمثال هذه المدارس في القطر الجزائري محصورة ومعدودة.

والشيخ هو: الحاج حمو بن محمد بن الحاج إبراهيم الزغبة من مواليد 1869م يوافقه 1285هـ أو 1286هـ)، في قرية بني يزقن، دائرة بنورة، ولاية غرداية الجزائر<sup>(3)</sup>، أمّه السيدة: "لالة بنت صالح بن إبراهيم الزغبة"<sup>(4)</sup>، ينحدر من عشيرة "آت افضل"، فرقه أولاد بيسة<sup>(5)</sup>، توفيت أمّه وتركته صبياً لاماً يبلغ الطعام، فنكلل بتربيته ورعايته جده من أمّه: صالح بن إبراهيم الزغبة<sup>(6)</sup>؛ وهو أيضاً عمّ لوالد الحاج حمو.

نشأ الولد "ال حاج حمو" في أحضان العائلة الكريمة المتواضعة الحال، تنشئة دينية ترتكز على الإيمان والأخلاق والصلاح وحب العلم والتضحية في سبيله، ولماً بلغ الولد سبع

(1) البند المذكورة في قرار الترخيص الوارد في ملحق المقال، تدل على المراقبة الصارمة التي فرضتها السياسة الاستعمارية على المعلم لتنقيذ من نشاطه.

(2) ترجع المدرسة المشهورة في مزاب في أواسط القرن التاسع عشر، إلى القطب الشيخ احمد بن يوسف طفيش، درس فيه ثمانين سنة، ينظر: مصطفى بن الناصر وينتن: آراء الشيخ اطفيش العقدية، ص 54. وفيما يخص المدرسة المزابية العصرية المعروفة خارج مزاب فترجع إلى الشيخ إبراهيم بن بنوح مطياز في الجزائر العاصمة، أسسها بعد تاريخ: 1924م. ينظر: يوسف بن بكر الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب، ص 196. وسيظهر المقال مدرسة مزابية عصرية قبل هذا التاريخ.

(3) شهادة ميلاد رقم: 123 / م: 1869 حررت ببلدية بنورة دائرة بنورة ولاية غرداية يوم: 2020/12/08

(4) مراسلة مكتوبة من السيد: يوسف بن بكر الحاج سعيد، اعتمد على سجلات القائد سليمان بن عيسى فضلي.

(5) شجرة عائلة الزغبة بجوزة السيد: إبراهيم بن يحيى بن عيسى الزغبة.

(6) مقابلة شفوية مع السيد: مامدة عزة بنت حاجي إبراهيم عيسى؛ (ابنة لالة بنت الحاج حمو الزغبة).

سنوات ( حوالي عام 1876م) أخذه جده صالح في رحلة للتجارة إلى مدينة البيض<sup>(1)</sup>، أين تعلم القرآن الكريم ومبادئ بعض المعارف الدينية في الكتاتيب التابعة لزاوية البلدة<sup>(2)</sup>، فتمكن من ختم القرآن الكريم وإتقان آدائه وحفظه وعمره آنذاك إحدى عشرة سنة<sup>(3)</sup>.

اضطر الجد "صالح" أن يغادر مدينة البيض<sup>(4)</sup> بعد أن أصابت تجارةه خسارة<sup>(5)</sup> أرغمهه على الرجوع إلى مسقط رأسه بمزاب، فقرر الجد بمعية والد الحاج هو إرسال ابنهما إلى مدينة سوق أهراس للتجارة، حاله حال أترابه المزابيين في تلك الحقبة الزمنية، فانضم الحاج هو إلى أعمامه وإخوانه<sup>(6)</sup>؛ إبراهيم، وعيسي، وموسى وحمد في سوق أهراس<sup>(7)</sup>، وتمكن من تعلم فنون التجارة، وتدرج في المهام التي أستندت إليه بكل يسر وراحة.

لما اشتد عضده لاحظ أعمامه وإخوانه ذكاءه وفضله وسرعة حافظته، إضافة إلى حفظه القرآن الكريم وطلاقه في الحديث مع الزبائن باللغة الفرنسية، فخصصوا له حجرة

(1) مقابلة شفوية مع السيد: مرياما بنت حاجي إبراهيمو عيسى؛ (ابنة لالة بنت الحاج هو الزغبة).

(2) لم أتعش على وثيقة أو خطوط يتحدث عن الشيخ أو عن مكان تعلمه، هذا؛ وقد اتصلت بالأستاذ يحيى بن عيسى بوراس (المهتم بفهرسة المخطوطات) فذكر لي بأنه لم يطلع على معلومات عن المترجم له في المخطوطات التي يسر الله له تصفحها. وأشار إلى أن كل المقابلات الشفوية التي أخبرتها، روت أن الشيخ الحاج هو الزغبة تعلم وحفظ القرآن في زاوية بالبيض.

وللعلم فإن الزاوية المعروفة في البيض حينها؛ الزاوية الشيخية التي أنشأها الشيخ بوعلامة سنة 1875م بعد أن استقر في بلدة مغار التحتاني. ينظر: عاشور الزهراء، الزاوية الشيخية ما بين 1875-1908، قراءة في أدوارها الدينية والاجتماعية والجهادية، مجلة الدراسات التاريخية، ص 356.

(3) مقابلة شفوية مع السيدة: زهرة بنت يحيى بن الحاج هو الزغبة.

(4) مقابلة شفوية مع السيد: محمد الصغير بن الحاج هو الزغبة.

(5) شهدت هذه المدينة بزوج الشيخ بوعلامة معلنا الكفاح ضد الاستعمار في أفريل 1881م، فأرسلت فرنسا قواتها من أجل تطبيق الثورة التي دامت ما يقارب 23 عاماً، وقد أشارت بعض الدراسات الفرنسية إلى أنَّ أسباب اندحار هذه الثورة ترجع بالدرجة الأولى إلى انتشار المague في أوساط الأهالي، وهذا من أسباب تردِّي الأوضاع الاقتصادية بالبيض. ينظر: إبراهيم مياسي، دور ثورة الشيخ بوعلامة في التصدي للتوسيع الاستعماري، مقال في مجلة مصادر، ص 134.

(6) مقابلة شفوية مع السيد: محمد الصغير بن الحاج هو الزغبة.

(7) مقابلة مسجلة مع السيدة: ناتة بنت عمر دادة، ذكرت وجود هؤلاء الإخوة في العمل التجاري بسوق أهراس بالتقريب قبل سنة 1917م.

ولقد افترضنا أنَّ الحاج هو قد انضم إليهم، لأنَّ محمد الصغير لم يعط لنا أسماء العاملين في محل، وإنما أكفى بقول إنه "الشيخ المعلم" انضم إلى العمل في حانوت سوق أهراس، وهي حانوت مشهورة لآل الزغبة.

خلف المحل التجاري<sup>(1)</sup> ليدرس فيها القرآن ومبادئ بعض المعارف العلمية، فصارت التجارة بالنسبة له مهمة ثانوية، مقابل الأوقات الطويلة التي يرغب أن يقضيها في الحجرة المخصصة له خلف الحانوت لاستقبال التلاميذ. وفي سنة 1900م سلمت له جماعة المزابين بسوق أهراس المسؤولة عن المسجد الذي يرتادونه، غرفة صغيرة داخل المسجد<sup>(2)</sup> لرفع الحرج عنه ومساعدته في تعليم المزابين من أبناء سوق أهراس.

استطاع الشيخ رغم صغر الحجرات المتاحة أمامه أن يحوّلها إلى فضاء علمي متميز للتكوين والتربية على الاستقامة وحفظ القرآن ومبادئ بعض العلوم، وأن يربى الشء على الحسّ الوطني، والغيرة على الإسلام. وهذه المقاصد النبيلة ما إن بدأت تظهر آثارها في تلاميذه، حتى صار الشيخ يتعرض لمضايقات من المستدرم الفرنسي<sup>(3)</sup> .. لكن؛ أتى هذه الثبيطات وغيرها أن تُنفي عزيمة الشيخ، بل زادته عزيمة وثباتا وإصرارا؛ فقرر أن يتحصل على تصريح رسمي من السلطات الفرنسية لإنشاء مدرسة فرآئية بشكل رسمي لتبلیغ رسالته التي يؤمن بها، ويناضل من أجلها.

فتح "الحاج حمو" الذي صار يلقب في سوق أهراس بـ "المعلم" أبواب مدرسته الرسمية التي كان فيها المدرس والمدير بتاريخ 23 جويلية سنة 1907م<sup>(4)</sup>، بقرار ترخيص تسلمه من قبل محافظ مقاطعة قسنطينة، باعتبار أنّ مدينة سوق أهراس كانت تابعة لقسنطينة إداريا؛ وبهذا تكون مدرسة الشيخ الحاج حمو الزغبة قبل مدرسة تبسة التي تأسست سنة 1913م<sup>(5)</sup>، والله أعلم، وألزم "الحاج حمو، المعلم" بتنفيذ الشروط التالية<sup>(6)</sup>:

❖ يكون التدريس خارج أوقات عمل المدارس الرسمية، عملاً بمقتضى المادة 55 من مرسوم القانون الفرنسي الصادر في 18 أكتوبر 1892م.

(1) مقابلة شفوية مع السيد: محمد الصغير بن الحاج حمو الزغبة.

(2) مراسلة مكتوبة من السيد: بكر بن محمد زرقون.

(3) مقابلة شفوية مع السيدة: لالة بنت محمد زنداري؛ (زوج ابن الشيخ الحاج حمو).

(4) قدم قرار ترخيص من قبل محافظ مقاطعة قسنطينة BERNARD، يوم: 07/23/1907. وكلف عمدة مدينة سوق أهراس بتطبيق القرار.

(5) ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص 241.

(6) ينظر: ملحق القرار باللغة الفرنسية، وترجمته إلى اللغة العربية في آخر المقال.

❖ على المدرسة أن تتمثل للوائح التدريس الخاص والقضائية بتعليق اللوائح المدرسية باللغة الفرنسية والعربية في القاعات المخصصة للتدريس.

❖ يتولى عمدة مدينة سوق أهراس قرار الترخيص، ومتابعة أحوال المدرسة.

تعاقب على هذه المدرسة عدد من التلاميذ المجددين الذين صار لهم باع بعد تحصيلهم، ذكر منهم: السيد عيسى بن محمد قضي، والسيد حاجي بن إبراهيم إبراهيم عيسى<sup>(1)</sup>، والسيد محمد بن يحيى بنوره<sup>(2)</sup>، وغيرهم من لم تتمكن من الحصول على أسمائهم، وقد شاء المولى أن ينطفع سراح هذا المشروع في سوق أهراس، تدريسا وإماما للمصلين في المسجد الذي يرتاده المزايدين<sup>(3)</sup>، ليشتعل فتيله في بني يزقن مزاب من جديد.

في سنة 1914م يوافقه بالهجري (1332هـ) قرار الشيخ العودة إلى مسقط رأسه<sup>(4)</sup> لعدة أسباب نجهل الكثير منها حاليا، ولعل من بينها كبر مسؤوليات أولاده (عائلته الصغيرة) التي كان والده يقاسمها أبناءها، إذ كان له من الأولاد حيئذ إبراهيم، ولالة، وصالح، وعيسى، وعائشة، ومحمد. ثم بعد استقراره بمزاب رزقه الله إضافة لأبنائه السيدة السابقين: يحيى، ونانة، ومحمد الصغير. فصار جموع أولاده تسعة؛ ستة ذكور، وثلاث إناث<sup>(5)</sup> أنشأهم نشأة صالحة، ورباهم على التقوى والصلاح، فكان حريصا على تعليمهم القرآن ومبادئ الدين الحنيف.

بعد أن استقر "المعلم" في مسقط رأسه ببني يزقن تفرغ لمهمة التربية والتعليم التي طالما آمن بها وناضل من أجلها، ففتح أبواب داره التي تقع في الجهة الغربية من البلدة كمحاضرة

(1) مقابلة شفوية مع السيدة: مرياما بنت حاجي إبراهيم عيسى؛ (ابنة لالة بنت الحاج حمو الزغبة).

(2) مقابلة شفوية مع السيد: حمو بن يحيى الزغبة؛ (حفيد الشيخ الحاج حمو).

(3) بالنسبة لانتقاله للتدريس إلى مسجد سوق أهراس، أخبرنا السيد بكير بن محمد زرقون: أنَّ الشيخ انتقل إلى التدريس في المسجد سنة 1900م بشهادة تلميذه الشيخ محمد بن يحيى بنوره.

أما السيد عمر بن موسى يعقوب: فقد أخبرنا أنه انتقل إلى المسجد بعد أن تحصل على قرار الترخيص، وخلف السيد محمد بن إبراهيم بنوره في الإمامة وتدرس القرآن.

ونرجح شهادة السيد: بكير زرقون إذ كانت المعلومات الواردة فيما يخص قرار الترخيص دقيقة، أما بالنسبة لشهادته السيد يعقوب فتفتقر إلى المصادر بسبب تعرض أرشيف المزايدين في سوق أهراس للتلف. ينظر: مراسلة مكتوبة من السيد: عمر يعقوب، ومقابلة مع السيد بكير زرقون.

(4) مراسلة مكتوبة من السيد: بكير بن محمد زرقون.

(5) مقابلة شفوية مع السيدة: صليحة بنت يحيى بن الحاج حمو الزغبة (حفيدة الشيخ).

يعلم فيها أبناءه وأبناء قريته الـدّكّور؛ القرآن الكريم ومبادئ بعض العلوم والمعارف. وبعد أن ابتع الشّيخ بيّنا واسعاً انتقل إليه هو وعائلته فجعل من بيته القديم محضرة خاصة للتعليم فقط<sup>(1)</sup>؛ سعياً لراحة طلبه وكذا عائلته، وكان هذا البيت مجاوراً لحضرته.. وقد حفّر هذا زوجه ورفيقه دربه "فافة بنت محمد الغنّاي"<sup>(2)</sup> لأنّ تسهم بما تستطيع في مساعدة زوجها في رسالته النّيلية؛ إذ كانت تهتم كلّ يوم بعد انصراف الطلبة بغريبة التّراب الذي قد فرش الشّيخ داره به لسبعين<sup>(3)</sup>؛

أولاً: ليعلّم عليه تلامذته الكتابة.

ثانياً: ليكون لهم فراشاً يحميهم من البرد.

فكان لهذه المرأة العظيمة "فافة" الأثر الكبير في حياة الشّيخ المعلم، فكانت السّند بتحمل أعباء مسؤولية أولادها حينما كان زوجها مغترباً، والزّوج المعين؛ عندما استقرّ زوجها في بلدته معلّماً.

عرف عن الشّيخ الحاج حمو روح المبادرة وقوّة الشخصيّة، وإتقانه اللّغة العربيّة، وفصاحة لسانه، وتجويده للقرآن الكريم، وامتاز أيضاً بجودة خطه.. كما كان الشّيخ المعلم صبوراً على تلاميذه، ميسراً لهم غير معسر، وتتميز بدماثة الخلق؛ جلبت إليه أنظار الكثير من طلبه ومعاصريه. فقد تخرج على يدي الشّيخ حينما كان يدرّس بمسقط رأسه عدداً من التلاميذ، صاروا متفوقين، وتبؤوا مسؤوليات في كبرهم، منهم: الشّيخ صالح بزملاّل<sup>(4)</sup>، والشّيخ عبد الله بوراس الكاملي<sup>(5)</sup>، والشّيخ عمر بن محمد باعلي<sup>(6)</sup>، والمجاهد يوسف بن محمد كوزي<sup>(7)</sup>، وغيرهم كثير، إذ حسب الإحصاء العام للبلدة مما دون في سجلات القائد سليمان بن عيسى فضلي من إحصاء المحاضر ودور العلم، نجد ما يلي<sup>(8)</sup>.

(1) مقابلة شفوية مع السيدة: ماما بنت صالح فضلي؛ (ابنة نانة بنت الحاج حمو الزغبة).

(2) مقابلة شفوية مع السيد: محمد الصغير بن الحاج حمو الزغبة.

(3) مقابلة شفوية مع السيد: محمد الصغير بن الحاج حمو الزغبة.

(4) مصطفى بن محمد ابن ادريسو: ندوة اليوم الدراسي حول الشّيخ صالح بزملاّل، ص 18.

(5) جمعية التّراث: معجم أعلام الإباضية، 1 / 398.

(6) منتدى المرين اليسجنيين: السّجل الذهبي، ص 55.

(7) تقيد حياة المجاهد يوسف بن محمد كوزي قبل وفاته، من مذكرات الباحثة.

(8) مراسلة مكتوبة من السيد: يوسف بن بكر الحاج سعيد، اعتمد على سجلات القائد سليمان بن عيسى فضلي.

عدد التلاميذ 44 تلميذا	إحصاء 24 جانفي 1914
عدد التلاميذ 45 تلميذا	إحصاء 12 جانفي 1921
عدد التلاميذ 50 تلميذا	إحصاء 01 فيفري 1924
عدد التلاميذ 35 تلميذا.	إحصاء 14 سبتمبر 1925

أفنى الشيخ الحاج حمو زهرة شبابه وعمره في التربية والتعليم وفي تحفيظ أي كتاب الله الرحمن، وأحب هذه المهنة النبيلة، فرغّب طلبه على حفظ كلام الله العزيز المنان، وحب إليهم التعليم والتعلم، فكانوا لا ينصرفون من المضرة إلاّ وهم ينشدون أبياتا في فضل تعلم القرآن، مطلعها<sup>(١)</sup>:

أفضل ما يتلى وما يقال ☆ وأفضل ما ينفق فيه المال  
تلاوة القرآن عند الناس ☆ كذا عند أية القياس

هذا قبس من عطاء الشيخ الحاج حمو بن محمد الزغبة، قد ضرب لنا أروع مثال في التضحية بالوقت والراحة من أجل تربية الأجيال وتعليمهم، كما أنه لم ينقطع عن حلقات العلم والذكر مع شيخ زمانه أمثال الشيخ اطفيش "القطب"، والشيخ أزار، والشيخ المعلم الشقمة عيسى<sup>(٢)</sup>، وقد شاء الله الرحمن بعد رجوعه من أداء فريضة الحج<sup>(٣)</sup>، وزيارة قبر النبي المختار في مارس سنة 1932<sup>(٤)</sup> أن يصاب بمرض أعجزه عن مواصلة مشاوره<sup>(٥)</sup> إلى أن أسلمت روحه الطاهرة لبارئها يوم: 28 أوت سنة 1933م، يوافقه 8 جمادى الأولى 1352هـ. رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مأواه. وتوفي رحمه عن عمر ناهز الأربع وستين 64 سنة.

(1) هذه القصيدة في فضل تعلم القرآن ذكرها كل الذين أجرينا معهم المقابلة الشفوية، واتفقوا على أنه تعلمها في الزاوية التي درس فيها.

(2) مقابلة شفوية مع السيدة: لالة بنت محمد زنداري؛ (زوج ابن الشيخ الحاج حمو).

(3) مقابلة شفوية مع السيد: صالح بن محمد يعقوب (كان موظفا عند إبراهيم بن الحاج حمو الزغبة؛ ابن الشيخ).

(4) أخبرنا السيد: صالح يعقوب أن الشيخ الحاج حمو قد زار البقاع المقدسة حاجا مرتين، والمرة الأخيرة رافقه ابنه إبراهيم إلى ميناء عنابة، ليذهب إلى الحجّ عبر البحر.

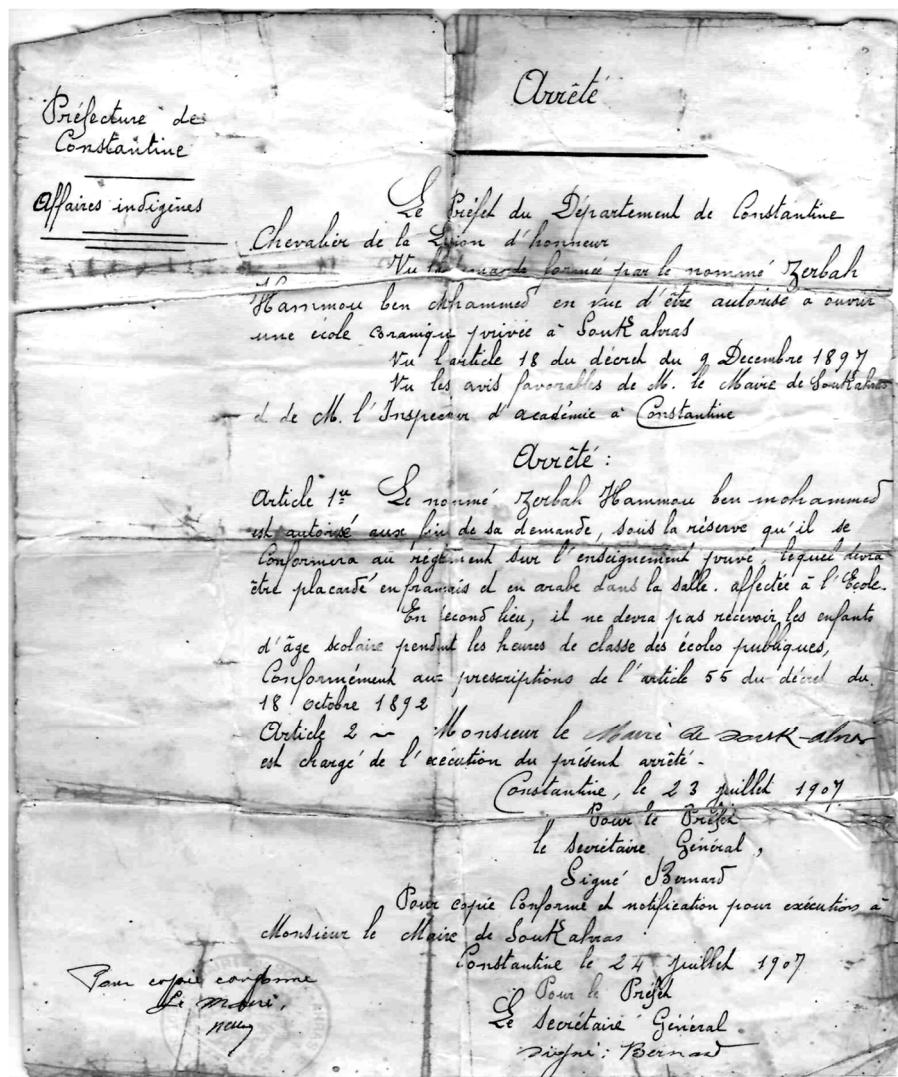
(5) مقابلة شفوية مع السيد: مرياما بنت حاجي إبراهيم عيسى؛ (ابنة لالة بنت الحاج حمو الزغبة).

## قائمة المراجع:

- الزغبة إبراهيم بن يحيى بن عيسى: شجرة عائلة الزغبة.
- إبراهيم مياسي: دور ثورة الشيخ بوعلام في التصدي للتوسيع الاستعماري، مقال في مجلة مصادر، تاريخ الجزائر المعاصر، مجلد 1، عدد 1، من ص 131-178.
- ابن ادريسو مصطفى بن محمد: ندوة اليوم الدراسي حول "الشيخ صالح بزملال"، عشيرة آل باحمد،بني يزقن، 1431هـ، 2010م.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، 1830-1954 دار الغرب الإسلامي، 1998.
- برنارد: قرار ترخيص إلى الزغبة الحاج حمو من قبل محافظ مقاطعة قسنيطينة BERNARD، بتاريخ: 23/07/1907، وترجمة الترخيص من قبل الأستاذة: دادي بهون. ك
- بوراس مرياما بنت محمد: مذكرياتي مع المجاهد كوزي يوسف بن محمد. (مخطوط).
- بوراس يحيى بن عيسى: مراسلة مكتوبة (مهتم بالخطوط وفهرسة مكاتب وادي ميزاب، وهو من أسباط الشيخ الحاج حمو)، بتاريخ: 05/04/2021.
- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، من ق 1هـ إلى ق 15هـ: قسم المغرب، المطبعة العربية، 1999.
- زرقون بكير بن محمد: مراسلة مكتوبة (من تاجر مدينة سوق أهراس، من مذكراته في سوق أهراس)، بتاريخ: 04 فيفري 2021.
- عاشرول الزهراء: الزاوية الشيخية ما بين 1875-1908م، قراءة في أدوارها الدينية والاجتماعية والجهادية، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 21، عدد 1، سنة 2020، 356-381.
- منتدى المربين اليسجيين: السجل الذهبي، 2007. [بحث مصنف].
- وينتن مصطفى: آراء الشيخ اتفيش العقدية (1239-1821هـ / 1914-1821م)، جمعية التراث، القرارة، غردية، 1998.
- يعقوب عمر بن موسى: مراسلة مكتوبة (المقيم على مهام مسجد سوق أهراس منذ الثمانينات)، بتاريخ: 10 جانفي 2021. يوسف بن بكير الحاج سعيد:
- تاريخبني ميزاب، المطبعة العربية، 1992.
- مراسلة مكتوبة (مدير المعهد الجابرية لبني يزقن، وباحث في تاريخ بني مزاب)، بتاريخ: 24 ديسمبر 2020.

## المقابلات الشفوية

- 1 بوراس محمد بن صالح: مقابلة شفوية مع السيد: يعقوب صالح بن محمد، (كان موظفاً عند ابن الشيخ؛ الزغبة إبراهيم بن حمو).  
بوراس مرياما بنت محمد:
- 2 مقابلة شفوية مع السيدة: إبراهيمو عيسى مامّة عزّة بنت حاجي؛ (ابنة لالة بنت الحاج حمو الزغبة)، بتاريخ: 12 ديسمبر 2020.
- 3 مقابلة شفوية مع السيدة: إبراهيمو عيسى مرياما بنت حاجي؛ ابنة لالة بنت الحاج حمو الزغبة، بتاريخ: 24 ديسمبر 2020.
- 4 مقابلة شفوية مع السيد: الزغبة الحاج حمو بن يحيى؛ (حفيد الشيخ)، بمنزله، بتاريخ 4 ديسمبر 2020.
- 5 مقابلة شفوية مع السيدة: الزغبة زهرة بنت يحيى؛ (حفيدة الشيخ) وأجريت لقاءات مع أخواتها على فترات متفرقة.
- 6 مقابلة شفوية مع السيدة: زنداري لالة بنت محمد، (زوج عيسى بن الحاج حمو الزغبة)، بتاريخ 10 ديسمبر 2020.
- 7 مقابلة شفوية مع السيدة: مامّة بنت صالح فضلي؛ (ابنة نانة بنت الحاج حمو الزغبة)، بتاريخ 09 ديسمبر 2020.
- 8 مقابلة مسجلة مع السيدة: دادة نانة بنت عمر، (أرملة المُحَاجِدُ الزغبة يحيى بن عيسى؛ وهو ابن أخي الشيخ)، بتاريخ: 26 ديسمبر 2020.
- 9 ترشين شاشة بنت عمر "زوج ابنه": مقابلة شفوية مع السيد: الزغبة محمد الصغير بن الحاج حمو، أنجزتها في فترات متفرقة بمنزله.

قرار التدريس:

### ترجمة قرار التدريس:

محافظة قسنطينة

محافظ مقاطعة قسنطينة، فارس وسام جوقة الشرف

شؤون السكان الأصليين

- نظرا للطلب المشكّل من طرف المدعى زعْبة حمو بن محمد بعرض الترخيص له بفتح مدرسة قرآنية خاصة في سوق أهراس.
- نظرا المادة 18 من مرسوم 9 ديسمبر 1897.
- نظرا للآراء الإيجابية للسيد عمدة سوق أهراس، والسيد مفتش الأكاديمية في قسنطينة.

### قرار

✓ البند الأول:

يسمح للمدعى زعْبة حمو بن محمد لأغراض طلبه، تحت التحفظ أنه سيتمثل للوائح التدريس الخاص والتي يجب أن تعلق بالفرنسية والعربية في القاعة المخصصة من المدرسة. ثانيا، لا يسمح له باستقبال الأطفال بسن التمدرس أثناء ساعات دوام أقسام المدارس العمومية، وفقا لأحكام المادة: 55 من مرسوم 18 أكتوبر 1892.

✓ البند الثاني:

السيد عمدة سوق أهراس مسؤول عن تطبيق هذا القرار.

قسنطينة، في 23 جويلية 1907

للمحافظ،

الأمين العام

Bernard مضى

نسخة متطابقة وإشعار التنفيذ للسيد عمدة سوق أهراس

قسنطينة يوم 24 جويلية 1907

السيد المحافظ لنسخة متطابقة

العمدة

الأمين العام

Bernard مضى



# تدقيق قصيدة الشيخ اطفيش في ممح سلطان عُمان فيصل بن تركي

(1331-1280هـ / 1864-1913م)  
(حكم 1305-1888هـ / 1913-1905م)

أ/ مصطفى بن محمد ابن ادريسو  
قسم العلوم الإسلامية - جامعة غردية  
[mustapha\\_bendrissou@yahoo.fr](mailto:mustapha_bendrissou@yahoo.fr)

مخصوص :



استغل قطب الأئمة الشيخ اطفيش العلاقة بين إباضية عمان والجزائر للتعریف بالذهب الإباضي ونشر أعماله العلمية، فكتب قصيدة تضم واحداً وعشرين (21) بيتاً خصّ فيها سلطان عمان: "فيصل بن تركي البوسعيدي" بالملح والثناء.

ورغم أن عهد هذا السلطان لم يكن متميّزاً من حيث تسخير دواليب الحكم، وبخاصة وأنه كان تحت ضغط إملاءات الاستعمار البريطاني، إلا أن الشيخ اطفيش سعى أن ينظر إلى السلطان باعتباره حاكماً إباضياً له حرقة على دينه، فمدحه وأظهر عراقة نسبه وسخاءه، وأنثى على جهوده في تشجيع العلم وأهله.

هذا؛ ولقد تمت عملية التحقيق بالاعتماد على عشر نسخ مخطوطه مبثوثة في مكتبات وادي مزاب، بالجزائر، وكان المعمول في ترتيب هذه النسخ على ضبط نصّها أولاً، ثم النظر في تاريخ نسخها.

ومن مميزات هذه المنظومة أن الناظم عبر بصيغة بلاغية موحية عن شوّقه إلى السلطان البعيد عنه دياراً وجسداً، والقريب منه قلباً وروحًا، فاحتاج إلى تذكره من لحظة إلى أخرى ليجفف عنه عباب الدموع، مبيناً أن فتوة شبابه ذابت من لوعة الشوق، وأنه سيقبل منه

كل شدة سوى هجرانه إن لم يداركه بالوصال، ثم أظهر في آخر مدحه أن عمان لا زالت بخير مدام حكم السلطان "فيصل بن تركي" سائداً فيهم.

الكلمات المفتاحية: اطفيش، فيصل بن تركي، المذهب الإباضي، مزاب، عُمان، الدولة البوسعيدية.

**Title:** Sheikh Tfayyesh: A Poem in Praise of The Sultan of Oman Faysal Bin Turki - A Critical Study

### Abstract:

Qutb Al-Ayimmah Sheikh Tfayyesh, took advantage of the relationship between the Ibadis of Oman and Algeria to introduce the Ibadi school of thought and publish his works. He wrote a poem of twenty-one verses praising the Sultan of Oman, Faysal bin Turki Al-Busaidi.

The reign of this Sultan was not distinguished in terms of running the wheels of government, especially since he was under the pressure of the British occupation. However, Sheikh Tfayyesh viewed the Sultan as an Ibadi ruler with an anxious heart for his religion, so he praised him showing his generosity, the nobility of his lineage his efforts in Encouraging knowledge and scholars.

This study was carried out based on ten copies of a manuscript scattered throughout the libraries of the M'zab region, Algeria. Their order of reliability was determined first by the accuracy of their texts then the dates they were copied.

From among the characteristics of this poem is the rhetoric in which the author expressed his longing for the sultan who was far in land and body, yet close in heart and soul. He expressed the anguish of separation and a wish to accept all hardship except to be kept away by The Sultan. He concluded his a praise saying that people of Oman would be fine as long as they had The Sultan a leader.

**Keywords:** Tfayyesh, Faysal bin Turki, The Ibadi school, M'zab, Oman, The Bousaïdi state.

:

كتب قطب الأئمة الشيخ احمد بن يوسف اطفيش (1243-1332هـ / 1827-1914م) مجموعة قصائد، من ذلك قصيدة تضم 21 بيتاً خصّ بها حاكم عُمان السلطان "فيصل" بن تركي بن سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي، وهو أحد أحفاد مؤسس الدولة البوسعيدية في عُمان<sup>(1)</sup>.

(1) عبد العال محمد علي عبد الله: فيصل بن تركي ودوره في السياسة العمانية، 47

تُظهر القصيدة حنكة الشيخ في استغلال العلاقة المذهبية القائمة بين إباضية المشرق والمغرب، ومحاولته الاستفادة من هذه العلاقة في نشر أعماله العلمية بالمكتبة البارونية بالقاهرة مالكها: "الحاج احمد ابن يوسف الباروني"<sup>(1)</sup>، وقد استعان الشيخ رحمه الله للطباعة في هذه المكتبة بسلطين عمان زنجبار من خلال المعموث السلطاني إلى مزاب، السيد "سليمان بن ناصر اللمكي"<sup>(2)</sup>.

والشخصية المدوحة في هذه القصيدة هو الحاكم العماني "فيصل بن تركي"<sup>(3)</sup> المولود بعمان سنة 1280هـ / 1864م، والذي عُرف بالشجاعة والسياسة، والخزم في الأمور، والكرم الفياض<sup>(4)</sup>.

تربي "فيصل" بضع سنين في الهند، بداية من سنة 1867م<sup>(5)</sup>، حينما كان والده "تركي" في المنفى، بسبب المناوشات التي وقعت بين والده وعمه "ثويني" -حاكم عمان- حول الحكم، وكذا مع ابن عمّه "سالم".

لما عاد "فيصل" إلى عمان مع رجوع والده من المنفى، بإيعاز من البريطانيين سنة 1871م، سعى الوالد للقضاء على حكم الإمام الإباضية التي يتربع عليها الإمام عزّان بن قيس (ت: 1287هـ / 1871م)<sup>(6)</sup>، والتي شَيَّر يفتيا العالم "سعيد بن خلفان الخليلي" (ت:

(1) انظر: الحروقي والشهيمي: مراسلات زعماء الإصلاح إلى سلطاني زنجبار، 38-46.

(2) زار سليمان بن ناصر اللمكي مزاب مووفداً من قبل سلطان زنجبار حود بن محمد، جاء وهو يحمل معه الهدايا والوعود إلى أهل مزاب، انظر: جهلان محمد: حضور عمان في وجدان الشعراء الجزائريين، مقال ضمن كتاب التواصل الحضاري الجزائري العماني، 166.

(3) من الشعراء العمانيين الذين مدحوه الشيخ محمد بن شيخان، وأبو الصوفي سعيد بن مسلم، وعدى بن عمر بن عدي البطاشي، انظر: حمد بن سيف البوسعيد: الموجز المفيد تأذن من تاريخ البوسعيد، 48.

(4) حمد بن سيف البوسعيد: الموجز المفيد تأذن من تاريخ البوسعيد، 48.

(5) عبد العال محمد علي عبد الله: فيصل بن تركي ودوره في السياسة العمانية، 49.

(6) جي جيلوريير: تاريخ عمان في دليل الخليج العربي ووسط الجزيرة العربية، 160.

1287هـ/1871م) الملقب بالإمام الحق<sup>(1)</sup>. وكان "فيصل" حينها مضطلاً على العديد من المهام الإدارية والعسكرية<sup>(2)</sup>، ثم صار خليفةً لوالده بعد وفاته، سنة 1305هـ/1888م<sup>(3)</sup>.

ائتُمت سياسة "فيصل" عموماً في عهدها الأول من توليه السلطة بمعاهدة القبائل العُمانية، والسير على هُدى اختياراتهم الاقتصادية، كقضية عدم تسيير الرقق من العبودية، والسماح بتجارة السلاح. لكن بمجرد أن استتبَ له الحكم، وتحت الضغط البريطاني، مال "فيصل" إلى إرضاء السياسة البريطانية، ودعا إلى سياسة تحرير الرقق، وإصدار قانون منع تجارة الأسلحة<sup>(4)</sup>، كما أظهر بوادر الخلاف مع حاكم زنجبار "حمد بن ثويني بن سعيد" (حكم: 1310-1893هـ/1896-1896م)<sup>(5)</sup>، وقمع الثورات التي يُديرها الإباضية لاسترجاع الإمامة في عمان، وبخاصةً مع "إبراهيم بن قيس"، آخر الإمام "عران بن قيس"<sup>(6)</sup>. وتَيَّزَ عهده أيضاً بالتحالف مع فرنسا وروسيا اللتين بدأتا توسيعَان من نفوذهما الاستعماري في الخليج العربي<sup>(7)</sup>.

عرف عن السلطان "فيصل" أنه مشجع للعلم، إذ أسس مدارس تعليمية جديدة في مسقط إبان عهد ولايته، كمدرسة مسجد الوكيل التي تولى تدريس أبناء السلاطين<sup>(8)</sup>، وقد ظلَّ هذا الحاكم يُسِّرِّر دواليب الحكم في عُمان إلى غاية وفاته في 3 ذي القعدة 1331هـ، الموافق لـ 04 أكتوبر 1913م<sup>(9)</sup>.

وبعد استعراضنا لجزء من تاريخ حكم "فيصل بن تركي" ندرك افتراضنا أن الشيخ اطفيش لم يكن له اطلاعٌ واسع على سياسة حُكام عُمان، وكذا حُكام زنجبار، وأنه لم تكن تصله أخبار تلك البلاد بدقة، وإنما كان يراهم بمثابة حُكام إباضيين لهم حرفة على

(1) سعيد بن خلفان الخليبي: تمهيد قواعد الإمام، 92، (مقدمة المحقق حارث بن شامس البطاشي).

(2) عبد العال محمد علي عبد الله: فيصل بن تركي ودوره في السياسة العمانية، 54.

(3) هيثم بن طارق آل سعيد، الموسوعة العمانية، 8 / 2776.

(4) عبد العال محمد علي عبد الله: فيصل بن تركي ودوره في السياسة العمانية، 80.

(5) عبد العال محمد علي عبد الله: فيصل بن تركي ودوره في السياسة العمانية، 86.

(6) إسماعيل بن أحمد بن هارون بن إسماعيل الزدجالي: تجارة عمان الخارجية في عهد السلطان فيصل بن تركي البوسعيدي، 34.

(7) جي جيلوربيير: تاريخ عمان في دليل الخليج العربي ووسط الجزيرة العربية، 258، 259.

(8) عبد الله بن ناصر الحارثي: دور آل بوسعيد في تشجيع الحركة الثقافية في عمان وشرق إفريقيا، 109.

(9) هيثم بن طارق آل سعيد، الموسوعة العمانية، 8 / 2780.

مذهبهم، ويرغبون في نشره، وتوضيحه إلى العالم الإسلامي، ولهذا راح الشيخ -رحمه الله- يحرك فيهم هذه الأشجان، وبخاصة وأن له معهم اتصالات ومبادلات مختلفة، قضية طباعة كتبه<sup>(1)</sup>. وإن كُنَّا لا نستبعد أن لديه بعض الاطلاع على أحوال تلك البلاد البعيدة عنه، لكن ليس بشكل كافٍ، ولعل ما يؤيد وجهة نظرنا، أنَّ الشيخ أطري الحاكم النجاري "حُمود بن محمد (حكم 1314-1320هـ / 1896-1902م)، بأحسن ما أُثْنِي على الحاكم العماني "فيصل بن تركي"، نظراً لتمايزهما في سياسة الحكم.

فقد قال عن الأول<sup>(2)</sup>:

1- حُمودُنا ابن محمد وشيعته ظلُّ البريئَة، والحقُّ شريعته

وقال عنه أيضاً:

6- سُلطانُنا أم ملِيكٌ أم خليفتنا وأجزُم بالآخر، والحرُبُ مُطِيعُه

أما عن "فيصل بن تركي" فقد ركز على عطائه وسخائه وعلى بيان عراقة نسبه، دون الاستطراد في باقي أعماله وسياسته. والقصيدة التي نحن بصدده تحقيقها تُظهر ذلك.

### وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

اعتمدنا في تحقيق القصيدة على النسخ المتوفرة في مكتبات وادي مزاب، بالجزائر، وهي بمجموع عشر نسخ، والمعلول في ترتيب النسخ على ضبط نصها أولاً، ثم النظر في تاريخ نسخها، وهذا تفصيل الأمر:

1- النسخة الأم: هي من مكتبة اشقبق بغرداية. رقم المخطوط: ش13، ورقم النسخة في الفهرس: 226.

(1) يقول الشيخ اتفيش عن علاقته بأهل عمان ومسؤوليهم: "وَلِشِدَّةِ حِبِّي لِأهْلِ عُمَانَ وَأهْلِ زُنجِيَارَ مِنْ أَصْحَابِي، وَهُمْ أَصْحَابُ الْعُلُومِ حَدِيثًا وَقَدِيمًا وَلَتَسْكُنُهُمْ بِالْمَذَهَبِ، وَشِدَّةِ بُعْضِهِمْ لِلْمُحَاذِفِينَ، وَلَنَفْعُهُمْ إِنَّا يَرْسَالُ الْكُتُبُ أَكْثَرَ مِنْ وَقْرَ الْتَّعِيرِ، وَلَا هَذَا هُمْ إِلَيْيَ أَشْنَاءَ جَلِيلَةَ، وَلَا بَأْعُهُمْ إِنَّا يَ فِي أَفْوَالِي وَتَرْجِي حَاتِي، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ". انظر: الشيخ اتفيش: شرح النيل، 3/464.

(2) انظر القصيدة من تحقيقنا، تضم 32 بيتاً، وهي تحت الطبع في أعمال منتدى التواصل العماني الجزائري، 2020م.

**التصرير بالمؤلف:** فيه تصريح بالمؤلف، "قال شيخنا العلامة السيد الحاج محمد بن يوسف".

الناسخ: لم يرد اسمه في النسخة، لكن احتمل المفهرس أنَّ اسمه "باب بن سليمان اشقبق" من خلال مقابلة الخطوط مع باقي الخطوط.

**تاريخ النسخ:** كُتِبَتْ بعد وفاة المؤلِّف لورود عبارة "رحمه الله" في نسبة القصيدة للمؤلِّف.

تضُمُّ النسخة ورقة واحدة؛ وجه وظهر، وتضم الورقة 19 سطراً، مقاسها: x 22.9 سم، خطُّها مغربي جيدٌ، كُتِبَ بمداد أحمر: العنوان وصاحب القصيدة، وعبارة تمتَّ الأخرية. والقصيدة هي الواحدة والستون في المجموع؛ وهي من 1119 إلى 1119 ظ.

ميزتها: كاملة، وخطُّها واضح، وسليمة من الأخطاء، وتميزت بحسن اختيار ألفاظها، إذ أغلب ما أتبناه، ورجحناه في المختلف حوله من الألفاظ، وجذناه في هذه النسخة، فضلاً عن شكل بعض الألفاظ الغربية، وضبط حركاتها بما يتناسب مع الوزن، فكانت هذه العوامل، إضافة إلى أنها كُتِبَتْ في عهد المؤلِّف، مما دعاها أن تختارها على غيرها ونرجحها أن تكون هي النسخة الأم.

**2- نسخة آل افضل:** 1: من مكتبة آل افضل بيني يزقن. رقم المخطوط: د.غ 43، ورقم النسخة في الفهرس: 609.

**التصرير بالمؤلف:** فيه إشارة إلى المؤلِّف من خلال عبارة "له أيضاً"، ويقصد حسبما مرَّ من قصائد في المجموع المخطوط أَنَّها لقطب الأيمَة، احمد بن يوسف اطفيش.

الناسخ: لم يرد اسمه في النسخة، لكن احتمل المفهرس أنَّ اسمه "عمر بن إبراهيم بن بكيـر" من خلال مقابلة الخطوط مع باقي الخطوط.

**تاريخ النسخ:** كُتِبَتْ بعد وفاة المؤلِّف لورود عبارة "رحمه الله" في نسبة القصيدة للمؤلِّف.

تضمُّ النسخة ورقتين، وتضمُّ الورقة 20 سطراً، مقاسها: 23.7 × 17.2 سم، خطُّها مغربي واضح، كُتب العنوان والإشارة إلى المؤلِّف وكذا البيت ما قبل الأخير في التصليَّة بمداد أحمر. والقصيدة هي السادسة في مجموع قصائد به 10 أوراق؛ وهي من 7 إلى 8 و. ميزتها: كاملة، وخطُّها واضح، وسليمة من الأخطاء، ويُحتمل أنَّ ناسِخها من المشهرين بالضبط، فلذلك رجَحنا أن تكون أول قصيدة مختارة بعد النسخة الأم، وذلك على الرغم من أنَّ النسخ كان بعد وفاة المؤلِّف.

**3- نسخة القطب:** 2، هي النسخة الأولى للقصيدة في مكتبة القطب، رقم المخطوط: أ. ق. 13، ورقم النسخة في الفهرس: 17.

التصريح بالمؤلف: الشيخ السيد عمنا الحاج محمد بن يوسف اطفيش.

الناسخ: لم يرد اسمه، لكن احتمل مفهُرسُ مكتبة القطب أنَّ اسمه "صالح بن أعلى بن محمد" من خلال مقابلة المخطوط، ومن ورود هذا الاسم في ذات المجموع الذي يضمُّ هذه القصيدة وغيرها.

تاريخ النسخ: كُتِّبَتْ في حياة المؤلِّف، ويظهر ذلك من خلال نسبة القصيدة إلى الشيخ من دون أن يترَحَّم عليه، إذ قال الناسخ: "هذه قصيدة للشيخ السيد عمنا: الحاج محمد بن يوسف اطفيش".

تضمُّ النسخة ورقتين، وتضمُّ الورقة 19 سطراً، مقاسها: 25 × 18 سم، خطُّها مغربي واضح، كُتب العنوان ونسبة القصيدة إلى مؤلفها بمداد أحمر عادي، والقصيدة هي الرابعة ضمن مجموع يتكون من أربعة قصائد، من 2 ظ إلى 3 و، وبين ورقي القصيدة تمزُّق وقصم.

ميزتها: نظراً لكون القصيدة محفوظة في مكتبة الناظِم نفسه، وبناء على نسخها في عهد المؤلِّف على الراجح، وأجلَّ أنها مضبوطة في الغالب مع بعض الاستثناء، فإنَّا اخترنا أن نجعلها الثانية بعد النسخة الأم.

**4- نسخة القطب:** 3، هي النسخة الثانية للقصيدة في مكتبة القطب، رقم المخطوط: أ. ق. 13. 1، ورقم النسخة في الفهرس: 16.

التصريح بالمؤلف: عمنا الحاج محمد بن يوسف اطفيش.

الناسخ: لم يرد اسمه، لكن احتمل مُفهرس المكتبة أنَّ اسمه "صالح بن اعلي بن محمد" من خلال مقابلة المخطوط.

تاريخ النسخ: كُتبت بعد وفاة المؤلِّف، ويظهر ذلك من خلال الترْحُم عليه قبل بداية القصيدة.

تضُمُّ النسخة ورقتين، وتضمُّ الورقة 30 سطراً، مقاسها: 27 × 21.5 سم، خطُّها مغربي واضح، كُتب العنوان ونسبة القصيدة إلى مؤلفها، وعبارة تمت الأخرية بمداد أحمر. والقصيدة هي الرابعة ضمن مجموع من أربعة قصائد، في 1 ظ.

ميزتها: نلاحظ أنَّ هذه النسخة لا تتقاطع في أغلب اختيارات الألفاظ المختلف حوالها بين النسخ مع نسخة القطب السابقة: 2، الأمر الذي جعلنا نحمل أنَّها مستقلة عن سابقتها -نسخة القطب: 2 - وأخَرَناها عنها لأنَّها نُسخت بعد عهد المؤلِّف.

**5- نسخة آل أفضل:** 4، من مكتبة آل أفضل ببني يزقن، رقم المخطوط: د.غ 184، ورقم النسخة في الفهرس: 612.

التصريح بالمؤلِّف: لم يتم التصريح بالمؤلِّف.

الناسخ: لم يرد اسمه في النسخة، لكن احتمل المفهرس أنَّ اسمه "عمر بن إبراهيم بن بكر" من خلال مقابلة المخطوط مع باقي المخطوطات.

تاريخ النسخ: لم ترد أي إشارة لتاريخ النسخ.

تضُمُّ النسخة ورقة واحدة؛ وجه وظهر، وتضمُّ الورقة 17 سطراً، مقاسها: 24.5 × 17.7 سم، خطُّها مغربي واضح، شكل البيت ما قبل الأخير بمداد أحمر، والمخطوطة هي الثانية في مجموع قصائد به 10 أوراق؛ وهي من 7 ظ إلى 8 و.

ميزتها: بناء على احتمال اسم الناسخ الضابط، وخلوُّ النسخة من ألفاظ منفردة على بقية النسخ، رأينا تقديمها على غيرها.

**6- نسخة دار التلاميذ:** 5، من مكتبة دار التلاميذ (إروان) بغريادة، رقم المخطوط: إ/ دغ 308، ورقم النسخة في الفهرس: 968.

التصرير بالمؤلف: لم يتم التصرير بالمؤلف.

الناسخ: لم يرد اسمه في المخطوطة.

تاريخ النسخ: لم يرد تاريخ النسخ.

وردت النسخة في ورقة واحدة؛ وجه وظهر، وتضم الورقة 16 سطراً، مقاسها: 17.524.5 سم، خطّها مغربي واضح، كُتب البيت ما قبل الأخير وعبارة التتمة بداد أحمر.

ميزتها: نظراً لخلوّها من أخطاء، وإنفرادات في الألفاظ عن بقية النسخ، فإنّا آثروا أن نقدمها على ما بقي من النسخ، لكن نظراً لخلوّ النسخة من معلومات الناسخ، وتاريخه فقد جعلناها النسخة الخامسة.

**7- نسخة الخزانة العامة:** 6، من مكتبة الخزانة العامة غريادة، رقم المخطوط: دغ 128، ورقم النسخة في الفهرس: 632.

التصرير بالمؤلف: شيخنا اطفيش.

الناسخ: لم يرد اسمه في المخطوطة.

تاريخ النسخ: لم يترّح الناسخ على الشيخ، وليس لدينا حاليًا ما يرجح تاريخ نسخها، في عهد المؤلّف أم بعده.

تضم النسخة ورقة واحدة، وتضم الورقة 29 سطراً، خطّها مغربي مقروء، لون المداد بني قرمزي، وكتب مستهل القصيدة بالداد الأحمر. والقصيدة هي الرابعة والأخيرة في جموعه بـ 3 أوراق؛ وهي في 3 و.

ميزتها: انفردت النسخة بالألفاظ متعددة عن النسخة الأئمّة وغيرها، وبها تمزق طال الجزء الأسفل من الورقة، حيث تأكلت كثير من الكلمات في متصرف القصيدة وفي الأبيات الأخيرة، فلذلك لم ننشأ أن نقدمها على ما سبقها.

**8- نسخة أبو بكر بن مسعود:** 7، من مكتبة أبو بكر بن مسعود من غرداية، رقم المخطوط: بابكر 24، ورقم النسخة في الفهرس: 259.

التصریح بالمؤلف: فيه إشارة إلى المؤلف من خلال عبارة "وقال أيضاً"، ويقصد حسبما مرّ من قصائد في المجموع المخطوط أنّها لقطب الأئمّة، احمد بن يوسف اطفيش.

الناسخ: لم يرد اسمه في النسخة، لكن احتمل المفهوس أنّه "قاسم بن أحمد بن داد نون" من خلال مقابلة الخطوط.

تاریخ النسخ: كُتبت بعد عهد المؤلف لأنّ الناسخ ترحم على الناظم "وقال أيضاً رحمه الله".

وردت النسخة في ورقة واحدة؛ وجه ظهر، وتضمُّ وجه الورقة 18 سطراً، أمّا ظهرها فيه 15 سطراً، خطُّها مغربي واضح، كُتبت الديباجة المتضمنة العنوان ونسبة القصيدة، وكذا البيت ما قبل الأخير وعبارة التسمة بالمداد الأحر. والقصيدة هي الواحدة والخمسون في مجموع به 150ق؛ وهي من 84 ظ إلى 85.

ميزتها: انفردت النسخة بالألفاظ متعدّدة عن النسخة الأم، مثل النسخة السادسة، لكن آخرناها عنها، لأنّه ثبت أنّ هذه النسخة نسخت بعد عهد المؤلف.

**9- نسخة الحاج سعيد محمد:** 8، من مكتبة الحاج سعيد محمد من غرداية، رقم المخطوط: 13، ورقم النسخة في الفهرس: 586.

التصریح بالمؤلف: فيه إشارة إلى المؤلف من خلال عبارة "وقال أيضاً"، ويقصد حسبما مرّ من قصائد في المجموع المخطوط أنّها لقطب الأئمّة، احمد بن يوسف اطفيش.

الناسخ: لم يرد اسمه في النسخة، لكن احتمل المفهوس أنّ اسمه "حُمو بن باحمد باباموسى" من خلال مقابلة الخطوط مع باقي المخطوطات.

تاریخ النسخ: كُتبت بعد حياة المؤلف لورود عبارة "رحمه الله" في نسبة القصيدة للمؤلف.

تضمُّ النسخة ورقتين، وتضمُّ الورقة 27 سطراً، خطُّها مغربي مقروء، كُتب العنوان ونسبة القصيدة، وكذا عبارة تمتَّة القصيدة بالمداد الأحمر. والقصيدة هي الرابعة والعشرون في جموع بخطِّ الشيخ حُمو بن باحمد؛ وهي من 157 ظ إلى 158 ظ.

ميزتها: تميَّزت النسخة عن غيرها من النسخ ببقع الخبر، والتقطيب للكلمات التي طالت نصَّ القصيدة، مع إعادة كتابة الصحيح من اللفظة في الهاشم، مما جعلنا نختتم أنَّ هذه النسخة مسوَّدة، فلذلك أخرناها إلى ما قبل آخر نسخة. ولعلَّ ما يحفِّزنا على قرارنا، أنَّنا نجد الألفاظ المشطوب عليها في المتن ومعادة في الهاشم، هي ذاتها الموثَّقة بين اختيارات النسخ الأخرى؛ بين التي تأخذ بالمشطوب، وبين التي تُرجمَ المُصَحَّح في الهاشم، فدلَّ بذلك أنَّ هذه النسخة هي النسخة الأولى للقصيدة، وأنَّها التي أملأها القطب على تلميذه "الشيخ باباموسى"، والله أعلم.

**10- نسخة بابهون:** 9، من خزانة الشيخ بابهون صالح بن حُمو من غردية، رقم 21. المخطوط: به

التصريح بالمؤلف: فيه إشارة إلى المؤلَّف من خلال عبارة "وقال أيضاً"، ويقصد حسبما مرَّ من قصائد في المجموع المخطوط أنَّها لقطب الأئمة، احمد بن يوسف اطفيش.

الناسخ: لم يرد اسمه في النسخة.

تاريخ النسخ: لم يرد تاريخ النسخ.

تضمُّ النسخة ورقة واحدة، وتضمُّ الورقة 20 سطراً، خطُّها مغربي مقروء، كُتبت القصيدة بالمداد البنَّي، وكُتبت بداية القصيدة المتضمنة العنوان ونسبة القصيدة بالأصفر والأخضر، وشكَّلت القصيدة بالأحمر، وبها تتميقات على حوافي الأبيات -بين صدر البيت وعجزه- على شكل ثلات نقاط؛ الأصفر والأخضر والأحمر.

ميزتها: هذه النسخة الوحيدة من بين النسخ السابقة غير كاملة، وإشكالها الثاني أنَّها تضمُّ أخطاء كثيرة في الضبط والشكل، مما حملنا أن نجعلها في آخر العنقود.

## الورقة الأولى لنسخة مكتبة أشقبق (النسخة الأم، رقمها: ش 13)



## الورقة الأخيرة لنسخة مكتبة أشقبق (النسخة الأم، رقمها: ش 13)



## تحقيق نص القصيدة:

مدح سلطان عُمان: فيصل بن تركي<sup>(١)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآلها<sup>(٢)</sup>

قال شيخنا العلامة السيد الحاج محمد بن يوسف في مدح سلطان عمان فيصل بن

[تركي]<sup>(٣)</sup> دعاء بما لم يكن، وإخبارا بما كان بحسب الإمكان<sup>(٤)</sup>.

(١) لم يرد عنوان مباشر للقصيدة في النسخ المعتمدة، لكن ورد في أغلب النسخ أن القصيدة في مدح سلطان عمان: فيصل، فأعتمدنا ذلك عنواناً للقصيدة.

(٢) لم ترد الحمد له في نسخة الأم، وأثبتناها من النسخة الموالية لها في الاختيار، وهي نسخة آل افضل:

١. وورد في نسخة القطب: ٢، ونسخة القطب: ٣؛ "والله وسلام"؛ أما في نسخة آل افضل: ٤، ورد

فيها "والله وصحبه وسلم"؛ وورد في نسخة دار التلاميذ: ٥، ونسخة أبو بكر مسعود: ٧، "على

سيدنا محمد" دون التكملة؛ وذكر في نسخة الخزانة العامة: ٦، "والله وصحبه وسلم"؛ والمذكور في

نسخة الحاج سعيد محمد: ٨، "والله وصحبه وسلم تسليماً"؛ ولم ترد الحمدلة في نسخة باهون: ٩.

(٣) ورد في نسخة الأم: "فيصل بن حود"؛ وال الصحيح فيصل بن تركي، ولعل الناسخ توهم أن المدح

هو ابن سلطان زنجبار "حود" الذي نظم له القطب قصيدة في مدحه، في حين أن ابن هذا السلطان

الزنجباري الذي حكم بعد والده اسمه: "علي بن حود (حكم من 1902 إلى 1911م)"، وما يؤكّد

أيضاً خطأ النسبة المثبتة في النسخة أن المدح هو سلطان عُماني وليس زنجباريا.

(٤) ورد في نسخة آل افضل: ١، وقال أيضاً رحمة الله تعالى ورضي عنه في شأن سلطان عمان؛ وورد في

نسخة القطب: ٢، هذه قصيدة للشيخ السيد عمّانا الحاج محمد بن يوسف اطفيش، يمدح فيها سلطان

عمان: فيصل؛ وفي نسخة القطب: ٣، هذه قصيدة للشيخ السيد عمّانا الحاج محمد بن يوسف اطفيش

رحمة الله ورضي عنه، يمدح فيها فيصل سلطان عمان؛ وفي نسخة دار التلاميذ: ٥، [...] الحال؛

ونسخة الخزانة العامة: ٦، وقال أيضاً شيخنا اطفيش في شأن سلطان عمان، أخبر بما كان ودعاه بما

لم يكن؛ وفي نسخة أبو بكر مسعود: ٧، وقال أيضاً رحمة الله في مدح سلطان عمان، إخباراً بما كان،

ودعاه بما لم يكن بحسب الحال؛ وفي نسخة الحاج سعيد محمد: ٨، وقال أيضاً رحمة الله في مدح

سلطان عمان، إخباراً بما كان، ودعاه بما لم يكن بحسب الحال؛ في نسخة باهون: ٩، وقال أيضاً في

مدح سلطان عمان.

وَرِزْعُ بَنِي غَبْرَاءِ فِي الْخَصْبِ<sup>(3)</sup> وَالْمَحْلِ<sup>(4)</sup>  
 جَرِيءٌ كَمِيٌّ<sup>(5)</sup> غَيْرُ<sup>(6)</sup> نَكْسٍ وَلَا عَرْلٍ  
 عَلَى النَّدْبِ بِالْفُؤَادِ كَانَ<sup>(7)</sup> وِبِالْفَعْلِ  
 بَزْهُدٍ، وَمُولَعاً<sup>(11)</sup> بِطُهْرٍ وَبِالْغُسْلِ  
 مِنَ السَّجَوِ وَالْبُحُورِ وَالسَّخْنِ وَالسَّهْلِ  
 فَتَرْدَادُ وَصَلَا<sup>(14)</sup> قَدْرٌ مَا كَانَ مِنْ  
 عُبَابَ الدُّمُوعِ<sup>(17)</sup> مِثْلَ صَاحِبَةِ التَّكَلِّ

1- عَلَى فَيَصِيلِ، مَنْ فَيَصِيلُ ذِرْوَهُ<sup>(1)</sup> الْبَذْلِ<sup>(2)</sup>  
 2- طَلِيقٌ يَدِ بِالْدُرِّ وَالنَّقْدِ وَالنَّعْمِ  
 3- وَذُو الْوَرَى السَّمَفُروضِ، وَالْوَرَعِ الَّذِي  
 4- وَلَمْ أَرَ أَيْنَا<sup>(8)</sup> قَبْلَهُ<sup>(9)</sup> مُتَنَسِّكًا<sup>(10)</sup>  
 5- سَلَامٌ يَعْمُمُ كُلَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا  
 6- تَنَاعَتْ دِيَارُ<sup>(12)</sup> وَالْقُلُوبُ تَلَاصَقَتْ<sup>(13)</sup>  
 7- لِمَا ضَمَنْتُ مِنْ نَارِ شَوَّقِ<sup>(16)</sup> فَانْجَتَ

(1) ورد في نسخة القطب: 3، ونسخة آل افضل: 4، ونسخة أبو بكر مسعود: 7، "دروة". والأصل ما أثبتناه.

(2) نسخة القطب: 3، ونسخة الخزانة العامة: 6، ونسخة أبو بكر مسعود: 7، "البذل"; أما في نسخة دار التلاميذ: 5، فانفردت بلفظة "المجد". وأثبتنا "البذل" لأنه الأنسب، ومعنى البذل: ضيء المعن، فيقال: بذلك يبذل وبيذل بذلك: أعطاء وجاء به. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة بذل، 11 / 50.

(3) في نسخة القطب: 3، الخصب.

(4) المحل: الشدّة. والمَحْلُ: تقىضُ الخصب. انظر: ابن منظور: لسان العرب، محل، 11 / 616.

(5) الْكَمِيُّ: الْلَّابِسُ السَّلَاحُ، وَقَيْلَ: هُوَ الشَّجَاعُ الْمُقْلِمُ الْجَرِيءُ. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة كمي، 15 / 231.

(6) في الخزانة العامة: 6، سقطت لفظة: "غير".

(7) ورد في النسخة آل افضل: 1، ونسخة القطب: 2، ونسخة القطب (من 4 إلى 9) "كان بالفؤاد". لكنني اعتمدت ما ورد في نسخة الأم، وفي بقية النسخ (من 4 إلى 9) "بالفؤاد كان".

(8) في نسخة الخزانة العامة: 6، ونسخة أبو بكر مسعود: 7، "ليث"، وهو خطأ.

(9) انفردت نسخة بابهون: 9، بلفظة "قلبه".

(10) ورد في نسخة القطب: 2، ونسخة أبو بكر مسعود: 7، ونسخة بابهون: 9، "متكسسا". بينما ورد في نسخة القطب: 3، "متكسسا".

(11) في نسخة بابهون: 9، مولع، وهو خطأ.

(12) ورد في نسخة أبو بكر مسعود: 7، ونسخة بابهون: 9، "ديار تناعت"، وجاء هذا أيضاً في نسخة الحاج سعيد حمد: 8، مع وضع تعليق في المامش: تناعت ديار.

(13) ورد في نسخة القطب: 2، ونسخة القطب: 3، "تلحقت".

(14) ورد في نسخة القطب: 3، "وصل"، وهو خطأ.

(15) ورد في نسخة بابهون: 9، "صل"، لعله سهو من الناسخ.

(16) في نسخة بابهون: 9، قلب.

(17) العَبَابُ: كُثْرَةُ الماء. وعَبَابُ السَّيْلِ: مُعْظَمُهُ وارتفاعُهُ وَكُثْرَتُهُ. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة عب، 1 / 572. ولعل الأنسب بالوزن أن يقال: عباب دموع، والله أعلم.

- وَنِيرَانَ شَحْرٍ<sup>(2)</sup> بِالْعَدُوِّ وَبِالْأَصْلِ<sup>(3)</sup>  
وَصُحْبِي وَأَهْلِي<sup>(5)</sup> فِي الْحَيَاةِ عَلَى الشَّمْلِ  
فَغَارٌ<sup>(7)</sup> وَحَلَّ الْيُنْسُ بِالسَّخِيلِ وَالرَّجْلِ  
حَمَامٌ عَلَى كُلِّ الْخِضَابَةِ<sup>(9)</sup> مُسْتَعْلِ<sup>(10)</sup>  
وَكَلْمَوْتٍ فِي السَّيْفِ الْمُهَنَّدِ، وَالدَّبْلِ<sup>(11)</sup>  
وَلَوْ سَالَ فِيهَا<sup>(14)</sup> الرُّوحُ عَلَى نَهَلٍ<sup>(15)</sup>
- 8- ذَكْرُتُ هَيَا نَارُ الْمُحَصَّبِ<sup>(1)</sup> مِنْ مِنِي  
9- لَيَالِيَ كَانَ الْوَالِدَانِ<sup>(4)</sup> وَجِيرَتِي  
10- وَمَاءُ الشَّبَابِ لَجَ<sup>(6)</sup> فِي الْفُصْنِ حَارِيَا  
11- وَطَارَ غُرَابٌ عَنْ شُعُورِي<sup>(8)</sup> وَحَلَّهَا  
12- وَفِي كَمِينُ الْحُبِّ كَالثَّارِ فِي الْحَجَرِ  
13- وَمِمَّا<sup>(12)</sup> يَسِّلُ مِنْ دَمْعَةٍ فِيهِ لَمْ

- (1) المُحَصَّب: مَوْضِعُ رَمَيِ الجمار يُمنى. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة حصب، 1 / 319.  
 (2) شَحْرٌ فَاهْ شَحْرًا: فَتَحَهُ، يُقَالُ: شَحْرُ عُمَانَ وَشَحْرُ عُمَانَ، وَهُوَ سَاحِلُ الْبَحْرِ بَيْنَ عُمَانَ وَعَدَنَ. انظر:  
 ابن منظور: لسان العرب، مادة شحر، 4 / 398.  
 (3) الأَصْلُ وَالْأَصْلَانُ، جمع لِأَصْبَلٍ. وَالْأَصْبَلُ: الْوَقْتُ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَعْرِبِ. انظر: ابن منظور: لسان  
 العرب، مادة أصل، 11 / 16.  
 (4) في نسخة القطب: 3، "الوالدائن"، وهذا خطأ.  
 (5) في نسخة باهون: 9، "صحبٌ" و "أهلٌ".  
 (6) لَجَ في الْأَمْرِ: تَمَادَى عَلَيْهِ وَأَبَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ، ويُقَالُ: لَجَةُ الْمَاءِ، مُعْظَمُهُ. انظر: ابن منظور: لسان  
 العرب، مادة لجح، 2 / 354. ويقصدُ الشاعر من تعبيره أن قتوة شبابه كانت تعم جسده قبل أن  
 تذبل من لوعة الشوق.  
 (7) في نسخة أبو بكر مسعود: 7، فمار، وهذا خطأ.  
 (8) في القطب: 3، شعور.  
 (9) في نسخة أبو بكر مسعود: 7، الخصابة، وال الصحيح ما أثبتناه.  
 (10) ورد في كل النسخ بما فيها النسخة الأولى: "مستعلٍ"، وأثبتنا ما ورد في نسخة القطب: 3، "مستعلٍ"  
 لأنَّه اسم منقوص مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المعنوفة.  
 (11) ورد في نسخة القطب: 2، ونسخة القطب: 3، "الدَّبْلِ". وجاء في لسان العرب أن الدَّبْلُ، والدَّبْلُ،  
 والدَّبْلُ يعني واحد، وهو التَّكْلُ. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة دبَل، ومادة دبَل، 11 / 235، 235.  
 (12) ورد في كل النسخ "مهماً"، وأثبتنا ما جرى عليه رسم أداء الشرط حالياً "مهماً".  
 (13) ورد في نسخة القطب: 2، "يضعٌ"؛ وورد في نسخة الخزانة العامة: 6، لم تُضْعِفْ، بدون حذف الياء  
 وهو خطأ.  
 (14) ورد في نسخة آل افضل: 1، "فيهِ".  
 (15) ذكر ابن منظور الأفعال "علٌّ" ، "علاً" ، و "نهلٌ" . فقال: "العلُّ والعَلَلُ: الشُّرْبَةُ الْأَكَائِيَّةُ، وَقَيْلَ: الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ تِبَاعًا، يُقَالُ: عَلَلٌ بَعْدَ نَهَلٍ ... وَعَلٌّ بَعْدَ نَهَلٍ ... وَعَلٌّ بَعْدَ عَلٌّ وَعَلَلًا" ، كما نقل ابن منظور  
 كلام بعضهم في الدُّعَاء: "لَمْ أَثْنَى مِنْ بَعْدِ ذَذَّا، فَصَلَى ... عَلَى النَّبِيِّ نَهَلًا وَعَلَلًا". انظر: ابن منظور:  
 لسان العرب، مادة علل، نهل، 11 / 467، 682.

=

وَلِيدُ مُسَوْدٌ<sup>(2)</sup> بِحَقِّ وِبِالْعَدْلِ  
سِوَى هَجْرُهُ إِنْ لَمْ يُدَارِكُهُ بِالوَصْلِ  
أَوِ الضَّوْءِ مِنْ شَمْسِ السَّمَاءِ لِذِي الْعُقْلِ<sup>(3)</sup>  
وَأَنْتَ عَلَى رَفِيعِ تَلَذِّ<sup>(4)</sup> وَتَسْتَحْلِي<sup>(5)</sup>  
وَإِلَّا عَذَرْنَاكُمْ<sup>(6)</sup> فَكُنْتُمْ عَلَى الْحِلِّ  
سَقَى اللَّهُ هَاتِيكَ الْبِلَادَ بِسُمْنَهِ<sup>(7)</sup>  
وَأَصْحَابِهِ مُسَلِّمًا عَدَدَ الرَّمَلِ  
خُلاصَةُ خُلُقٍ، مَالِكِي، خَاتِمُ الرُّسُلِ

- 14- هو<sup>(1)</sup> السَّيِّدُ بْنُ سَيِّدِ نَجْلِ سَيِّدِ  
15- وَيُنْبَلُ مِنْهُ كُلُّ مَا يَكْرَهُ الْفَتَى  
16- وَحَلَّ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسْمٍ مُنْصَفِ  
17- وَمَرْتَبَةُ الْعَاصِي عَلَى الْكَسْرِ تَبَتَّتِي  
18- وَلَكِنْ لَنَا وَغْدُ لَدِيْكُمْ فَفَعَوا بِهِ  
19- وَلَا بَأْسَ فِي عُمَانَ مَا دَمْتَ فِيهِمْ  
20- وَصَلَّى عَلَى حَبِيِّ النَّبِيِّ وَآلِهِ  
21- شِغَافٌ لِقَلْبِي، حَبَّةُ الْقَلْبِ، سَيِّدِي

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَوْنَهُ وَتَوْفِيقِهِ<sup>(9)</sup>

والناظم وظف الفعلين "علّ" و"نهل" تعبيراً عن الاستزادة من الشيء، واستثناساً من إيراد الإبل الماء مرتين، وقصده المبالغة في وهب الروح للمدوح.

(1) في الخزانة العامة: وهو.

(2) الوليـد: الصيـءُ وـالعـبدُ. والمسـودُ الـذـي عمـمـه قـومـه وجـعلـوه مـلـكاـ، فـيـقالـ: رـجـلـ مـعـصـبـ وـمـعـمـمـ أيـ مـسـودـ. انـظـرـ: ابنـ منـظـورـ: لـسانـ العـربـ، مـادـةـ ولـدـ، وـمـادـةـ عـصـبـ، 3/ 469، 1/ 602. لمـ أـدرـكـ مقـصـدـ النـاظـمـ منـ لـفـظـةـ "الـولـيـدـ".

(3) في الخزانة العامة: 6، الذي الصقل. ولا نر له وجهـاـ.

(4) ورد في النسخة آل افضل: 1، ونسخة القطب: 3، "تلـدـ" ، وتـلـدـ منـ الـولـادـةـ، وـلـمـ تـجـدـ لـهـ معـنىـ فيـ الـبـيـتـ. أـمـاـ تـلـدـ، فـمـنـ اللـذـةـ. وـلـعـلـ قـصـدـ النـاظـمـ أـنـ السـلـطـانـ مـرـفـعـ الشـائـنـ، يـتـلـذـذـ طـعـمـ الـحـيـاةـ.

ونـشـيرـ إلىـ وـرـودـ تـعـلـيقـ فيـ هـامـشـ نـسـخـةـ الـأـمـ استـنـادـ إـلـىـ فعلـ تـلـدـ، وـجـاءـ نفسـ التـعـلـيقـ فيـ نـسـخـةـ أبوـ بـكرـ مـسـعـودـ: 7، بـنـاءـ عـلـىـ فعلـ تـلـدـ، وـالـتـعـلـيقـ هوـ: "أـيـ تـلـدـهـ [تـلـدـهـ] وـتـسـتـحـيلـهـ".

(5) وـرـدـ عـلـىـ هـامـشـ نـسـخـةـ أبوـ بـكرـ مـسـعـودـ: 7، أـيـ: تـلـدـهـ وـتـسـتـحـيلـهـ؛ وـجـاءـ فيـ هـامـشـ نـسـخـةـ الحاجـ سـعـيدـ

حمدـ: 8، أـيـ: تـلـدـهـ وـتـسـتـحـيلـهـ.

(6) فيـ نـسـخـةـ القـطـبـ: 3، عـدـنـاكـمـ؛ وـفيـ نـسـخـةـ الخـزانـةـ الـعـامـةـ: 6، عـدـنـاكـمـ، وـالـصـحـيـحـ ماـ أـثـبـتـاهـ.

(7) فيـ نـسـخـةـ القـطـبـ: 3، بـمـنـصـلـ. وـالـتـأـصـلـ حـدـيـدـةـ السـهـمـ وـالـرـمـحـ، وـلـاـ وـجـهـ لـهـ فيـ الـبـيـتـ. بـخـلـافـ المـهـلـ

فـهـوـ مـوـضـعـ الشـرـبـ، لـذـلـكـ الصـحـيـحـ ماـ أـثـبـتـاهـ. ابنـ منـظـورـ: لـسانـ العـربـ، مـادـةـ نـصـلـ، 11/ 662.

(8) فيـ الخـزانـةـ الـعـامـةـ: 6، عـدـادـ.

(9) وـرـدـ فيـ نـسـخـةـ القـطـبـ: 2، "كـمـلـتـ بـحـمـدـ اللـهـ، وـحـسـنـ عـونـهـ"؛ وـفيـ نـسـخـةـ القـطـبـ: 3، "تـمـتـ بـحـمـدـ اللـهـ وـحـسـنـ عـونـهـ"؛ وـفيـ نـسـخـةـ آلـ اـفـضلـ: 4، "تـمـتـ"؛ أـمـاـ فيـ نـسـخـةـ دـارـ التـلـامـيـذـ: 5، فـوـرـدـ فـيـهاـ: "تـمـتـ بـحـمـدـ اللـهـ الـجـلـيلـ، وـحـسـنـ عـونـهـ الـجـمـيلـ"؛ وـأـمـاـ فيـ نـسـخـةـ الخـزانـةـ الـعـامـةـ: 6، وـنـسـخـةـ أبوـ بـكرـ مـسـعـودـ

7، وـنـسـخـةـ الحاجـ سـعـيدـ مـحـمـدـ: 8، فـجـاءـتـ فـيـهاـ عـبـارـةـ مـوـحـدـةـ "تـمـتـ وـيـالـخـيرـ عـمـتـ".

**المراجع:**

إسماعيل بن أحمد بن هارون بن إسماعيل الزدجالي:

- تجارة عمان الخارجية في عهد السلطان فيصل بن تركي البوسعيدي (1305هـ / 1888م - 1332هـ / 1913م)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان. وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، 2014.

اطفيش محمد بن يوسف:

- شرح النيل وشفاء العليل، الناشر: دار الفتح، بيروت. ودار التراث العربي، ليبيا. ومكتبة الإرشاد، جدة. الطبعة الثانية، 1392هـ / 1972م.

حمد بن سيف بن محمد البوسعيدي:

- الموجز المقيد ثُد من تاريخ البوسعيدي، تقديم: محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي، مطبعة عُمان، 1995.

جمعية التراث:

- فهرس مخطوطات آل افضل، دليل مخطوطات وادي مزاب رقم: 6، فيفري 1996.

جهلان محمد:

- حضور عُمان في وجدان الشعراء الجزائريين، منذ حوالي 250 سنة إلى العصر الحديث، مقال ضمّن كتاب أعمال الملتقى الدولي الأول حول: التواصل الحضاري الجزائري العماني، إشراف وإعداد: جمعية التراث في الجزائر، ونادي نزوئي في سلطنة عُمان، المنعقد بين 14 ماي إلى 20 ماي 2017م، جمعية التراث، القرارة، 2019.

جي جيلوريير (j. lorimer):

- تاريخ عُمان في دليل الخليج العربي ووسط الجزيرة العربية، مجموعة مترجمين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2015.

سعيد بن خلفان الخليلي، المحقق (ت: 1287هـ / 1871م):

- تمهيد قواعد الإيمان، تحقيق: حارث بن محمد بن شامس البطاشي، مكتبة الشيخ محمد بن شامس البطاشي، سلطنة عُمان. دار الهلال العالمية، القاهرة، 2010.

سيوسيو صالح بن بكر، وبوسنان محمد بن عمر:

- فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة احمد بن يوسف اطفيش اليسجني، الشهير بـ "القطب" (1243هـ / 1827م - 1332هـ / 1914م)، جوبلية 2013.

عاصم بن محمد السعدي، وأخرون:

- 9- الموسوعة العُمانية، تقديم: عبد الله بن ناصر الحراصي، وزارة التراث والثقافة، 2013.
- عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي:
- 10- دور آل بوسعيد في تنشيط الحركة الثقافية في عُمان وشرق إفريقيا، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان، 2006.
- عبد العال محمد علي عبد الله:
- 11- فیصل بن تركي ودوره في السياسة العُمانية (1864 / 1913م)، رسالة ماجستير بإشراف: د. سمير محمد طه، و د. محمد المهدى صديق، قسم التاريخ، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، 1991م.
- مؤسسة الشيخ عمّي سعيد، قسم التراث والمكتبة:
- 12- فهرس خطوطات الخزانة العامة. أكتوبر 2002.
- 13- فهرس خطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات). ديسمبر 2005.
- 14- فهرس خطوطات، خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي، الشهير بالشيخ "الحاج بابكر" (ت: 1325هـ / 1907م). أوت 2007.
- 15- فهرس خطوطات دار التلاميذ، (لاروان) بجامع غرداية الكبير، تقديم: إبراهيم بن بكير بحاز، أبريل 2009.
- 16- فهرس خطوطات الخزانتين، بنوح بن أحمد مصباح (ت: 1427هـ / 2006م)، صالح بن حُوش باهون (ت: 1384هـ / 1964م)، مايو 2010.
- 17- فهرس خطوطات، خزانة آل اشقبق، مكتبة إبراهيم بن سليمان اشقبق (ت: 1340هـ / 1922م)، ومكتبة نجله صالح (ت: 1394هـ / 1974م). أبريل 2012.
- المحروقي، محمد بن ناصر، والشهيمي، سلطان بن عبد الله:
- 18- مراسلات زعماء الإصلاح إلى سلطاني زنجبار: حمود بن محمد، وعلي بن حمود البوسعيديين 1896-1919م)، جامعة نزوى، سلطنة عمان، 2014.



# الحياة في مجلة الحياة اليوبيل الفضي لمجلة الحياة قراءة وصفية إحصائية في أعدادها الخمسة والعشرين

الباحث/ يوسف بن الحاج يحيى الواهج

باحث ومؤلف. بريان. غرداية. الجزائر

[louyou02@gmail.com](mailto:louyou02@gmail.com)

مُنْحَصٌ :

للمجلات دور كبير في الحياة العلمية والفكرية والثقافية في المجتمعات، ومن خلاها يُقاسُ مستوى الإنتاج العلمي، والإبداع الفكري في المجتمع، والنشاط أو الحراك التفاعلي على مستوى النخبة فيه. وعلى صفحاتها تراكم المعرفة، وتكتشف الأفلام، وتتنشق الموهاب.

ومن هذه المجالات: "مجلة الحياة"، التي بلغت هذا العام ربع قرن من عمرها، وقد كانت بامتياز منبراً لأقلام شابة نضجت على صفحاتها، ومنصة لأساتذة وعلماء، ساهموا ببحوثٍ علمية قيمة في مختلف الحقوق والتخصصات العلمية والأدبية الراقية.

الكلمات المفتاحية: مجلة الحياة، معهد الحياة، جمعية التراث

**Title : Al-Hayat Magazine, A Life Experience  
Al-Hayat Magazine in its Silver Jubilee**

## Abstract:

A Magazine plays a great role in the scientific, intellectual and cultural life of a society. It measures its level of scientific production, intellectual creativity, and the activity of its elite thinkers. The pages of a magazine is where knowledge is accumulated, pens are discovered, and talents are detected.

Al-Hayat Magazine is a perfect example of such a magazine, which celebrates, this year, its 25th anniversary. During a quarter of a century of active participation in knowledge spreading, it has been a cradle for young pens who grew big and bright, and a platform for professors and scholars who have contributed valuable research in various fields of scientific and literary disciplines.

**Keywords:** Al-Hayat magazine, Al-Hayat Institute, Al-Tourath Association

في هذه السنة المجرية 1442هـ، الموافق لسنة 2020م، تصل الدورية الفكرية "مجلة الحياة" إلى العدد الخامس والعشرين في مسیرتها العلمية والفكرية، بعد أربع عشرين سنة بالحساب الهجري، وثلاث عشرة سنة بالحساب الميلادي، وهي بحسب الأعداد الصادرة من المجلة (عدد لكل سنة) يكون عمر مجلة الحياة خمسة وعشرين سنة، لهذا أصبح من حق المجلة علينا في جمعية التراث أن نحتفل لها باليوينيل الفضي لمسيرتها المباركة.

والمجلة خلال هذه السنوات الراخدة، كان لها حضور متميّز بين الدكتورة والأستاذة الأكاديميين، وكثير من المثقفين المهتمين بالثقافة العربية عموماً، والعلوم الإنسانية، والأعمال الأدبية، والفكر الإسلامي الإصلاحي الوطني الجزائري خصوصاً، بما تحمله من مقالات ودراسات علمية وفكرة وتاريخية وأدبية راقية، فحق لها أن تأخذ مكانها في المكتبات الوطنية والعربية والإسلامية رفقة الدوريات الراقية، لتكون من المصادر والمراجع التي يعتمد عليها الباحثون وطلاب وطالبات الجامعات والمعاهد.

وقد صارت بالفعل كذلك، كما يقول الدكتور: يحيى بن صالح بن يحيى: -"بحيث (المجلة) أصبحت مرجعاً مطلوباً من قبل القراء في شئ الأصدقاء، يتربّون صدورها ويسألون عن أخبارها، ويتهّدون لمطالعة جديدها".<sup>(١)</sup>.

ولم أجد في عدد من أعداد المجلة أو خارجها، دراسة أو بحثاً أنجز عن "مجلة الحياة" خلال مسيرتها في ربع قرن من عمرها، إلّا وفتّين احتفاليتين، الأولى في افتتاحية العدد الثاني عشر عندما استكملت المجلة اثنى عشرة سنة، والثانية في افتتاحية العدد

(1) مجلة الحياة، العدد الثالث عشر، ص: ذ.

العشرين عند بلوغها عشرين سنة من عمرها، وهذا ما دفعني للقيام بهذه الإطلالة الدراسية الشكلية للمجلة، ومن خلالها أدعو طلاب الجامعات والباحثين للتصدّي لعمل أو أعمال بحثية عن المجلة وعن ما تحمله من خير فكريٌّ وعلميٌّ غزير، ففيها الكثير مما يُنجز من بحوث جامعية رفيعة.

أما ما أقوم به اليوم حول المجلة، فهو بحث - مختصر لا يفي بحق المجلة - يجمع بين المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، أتطرق من خلالهما إلى دراسة وبحث مسار وتطور المجلة شكلياً، وفنّياً، وإدارة، وتحرير، وتحريجاً، مع التطرق إلى مسارها تاريخياً، وتوثيق ما يمكن توثيقه من خلال مقالاتها، ورجالها القائمين عليها، والكتاب المساهمين فيها.

### **مجلة الحياة، الشكل والمضمون:**

لقد اهتممت جمعية التراث ومعهد الحياة وهيئة التحرير بالمجلة اهتماماً كبيراً، تجلّى ذلك على المجلة في عدّة جوانب، منها:

- ❖ جمالية الغلاف، الذي تطور ويتطور من عدد إلى آخر.
- ❖ الحجم الثابت في كلٍّ أعدادها، طولاً وعرضًا. (5 سم - 23.5 سم).
- ❖ التوازن في عدد الصفحات. (معدل 300 صفحة لكل عدد).
- ❖ الشعار القرآني الثابت على الغلاف منذ التأسيس.
- ❖ الاستمرار على الخط الفكري والمرجعية الإصلاحية.
- ❖ التطور المرافق لتطور العصر في التكنولوجيا والرقمنة.
- ❖ الارتقاء بالمستوى العلمي والفكري والأدبي للمحظى.
- ❖ السعي إلى رفع القيمة الاعتبارية لمجلة الحياة في البحث العلمي.
- ❖ الوصول بالمجلة إلى مرحلة التحكيم.

وهذا ما جعل المجلة إلى الكتاب أقرب منها إلى مجلة أو جريدة أو دورية، التي غالباً ما يستغني عنها القارئ بعد تصفّحها، أو صدور عدد جديد منها. - "لولا جياد الكتب وحسانها لما تحرّكت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت إلى حب الكتب" -<sup>(1)</sup>.

بينما مجلتنا "الحياة" تحمل مكانة ومقام الكتاب شكلاً بأعدادها الخمسة والعشرين مرئية ومصفوفة على رفوف المكتبات، كأنّها أجزاء لكتاب موسوعي، ومضمونها بما تضممه

(1) أبو عثمان بن عمر الجاحظ، المحسن والأضداد، صفحة: 4.

بين أغلفتها من محتوى علميٌّ أكاديميٌّ محكمٌ، يفيض الباحث والمثقف والقارئ المااوي، ومن أدب إسلاميٍّ رفيع راقٍ، يُمتع الأديب والشاعر والناقد.

وهذا ما جعل لها جمهوراً قارئاً واسعاً، مختلف المستويات والاهتمامات، وهذا ما يفسر نفاذ بعض الأعداد من المجلة من السوق في سنة صدورها بفضل الطريقة العرفية لتوزيعها محلياً<sup>(1)</sup>، ومنها ما ينفذ بعد ذلك مع الأيام، بعد اكتشاف الباحثين مواضع فيها تفيد بحوثهم وتلبي اهتماماتهمعرفية.

وتجلى الاهتمام الأكبر بالمجلة في السنوات الأخيرة، خاصةً في سنة 2020م عامجائحة كورونا، بطلبها من طرف الباحثين وبعض دور النشر والتوزيع، عن طريق التواصل مع الجمعية مباشرةً، عندما ألغيت المعارض الوطنية والدولية التي كانت تعرض فيها للجمهور الواسع<sup>(2)</sup>، وهذا يدل على أنَّ المجلة أصبحت ضرورية في سوق البحث والعلم والثقافة، لا يمكن الاستغناء عنها.

كانت المجلة "الحياة" غير محكمة تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، حسب التعريف الذي تحمله على الغلاف: "دورية فكرية يصدرها معهد الحياة بالقرارة، الجزائر".

وبعد صدور عشرة أعداد منها، جاء في الورقة الأخيرة من العدد العاشر الصادر سنة 2006، أنَّ المجلة ابتداء من العدد القادم، أي الحادي عشر ستكون محكمة، تحت قواعد محددة للنشر<sup>(3)</sup>، ولكنَّ غلافها لم يتغيَّر فيه شيء وبقي يحمل نفس التعريف قبل التحكيم، إلى غاية العدد الثالث عشر الذي كانت منه البداية لتغيير التعريف إلى أنَّها محكمة: "دورية فكرية محكمة يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث بالقرارة، الجزائر"<sup>(4)</sup>.

(1) محمد بن موسى بكوش، لقاء معه بعنوان "جمعية التراث بالقرارة، 15 أكتوبر 2020م.

(2) المصدر السابق.

(3) انظر العدد العاشر، صفحة: 333 و 334.

(4) انظر غلاف العدد الثالث عشر.

وتكرر الإعلان بتحكيم المجلة في العدد الثاني عشر لسنة 2008م، ولا يحمل غالفيها ما يشير إلى ذلك<sup>(1)</sup>، ولم يتم أمر التحكيم بالفعل، إلاً في العدد الثالث عشر، مع الإعلان عن ذلك في صفحاته الأولى<sup>(2)</sup>.

فبناء على ذلك، يمكن أن نعتبر أن التحكيم الفعلي في المجلة، قد بدأ من العدد الثاني عشر، حيث ظهرت فيه لجنة خاصة بالتحكيم، من سبعة أعضاء بين دكتور وأستاذ<sup>(3)</sup> واستمررت في التطور والاثراء إلى أن يستقر عدد الأعضاء فيها عند ستة عشر عضواً يمثلون مختلف جهات الوطن<sup>(4)</sup>.

وإلى ذلك يشير الدكتور: مصطفى بن صالح باجو في افتتاحية العدد الثاني عشر، فيقول: -"ويحملنا التفاؤل المطلوب والواقع المحسوب لتمكّن دورية الحياة وقد أثبتت ستتها الثانية عشرة، ويرزت في ثوبها القشيب وهي تتأهّب إلى مرحلة التحكيم والإسهام الرائد، في بعث علمي واعد".<sup>(5)</sup>

وبقراءة عاجلة في الأرقام الإحصائية، يتجلّى لنا تصاعد المؤشر الإيجابي للشكل والمضمون للمجلة، فالنسبة لعدد الصفحات:

- ❖ الأعداد الأقل من 200 صفحة: عدّان (02). قبل التحكيم.
  - ❖ الأعداد الأقل من 300 صفحة: ستة أعداد (06). قبل التحكيم.
  - ❖ الأعداد الأقل من 400 صفحة: سبعة عشر عدداً (17). بعد التحكيم.
- أما ما جاء بين دفّات أعدادها، فقد ثبت من الأبواب عبر كل الأعداد منذ التأسيس: الافتتاحية، بحوث التخرج، حصاد المطابع، أسماء مستظهري القرآن الكريم، واحة الشعر والأدب.

أما الأبواب الأخرى، فأغلبها ثابت حسب منهج ورسالة ومرجعية المجلة وجمعية التراث ومعهد الحياة، فقط تتغيّر في صياغة العنوانين من عدد إلى آخر؛ وهي كُلُّها تهتمُّ

(1) انظر العدد الثاني عشر، ص: ث/ج.

(2) انظر العدد الثالث عشر، ص: ث/ج.

(3) انظر العدد الثاني عشر، ص: ب.

(4) انظر العدد الخامس والعشرون، صفحة المعلومات الخاصة بالمجلة.

(5) مجلة الحياة، العدد الثاني عشر، ص: ذ.

بالجوانب الثقافية المختلفة، مثل: القرآن والسنّة، الفكر والعقيدة، الفقه والشريعة، التاريخ والحضارة، التربية والتعليم، التراث والمخطوط، الاقتصاد الإسلامي، الترجم والأعلام، بحوث ودراسات ومقالات أكاديمية، دراسات بلغات أجنبية.

إضافة إلى ملفات ثفتح حسب المناسبات والأحداث، ووثائق من الأرشيف التاريخي للحركة الإصلاحية، ورسائل هامة ترد إلى المجلة والجمعية من شخصيات مهمة.

وتجدر الإشارة إلى القفزة النوعية للمجلة، بتوفير قسم منها للدراسات والبحوث بلغات أجنبية، ابتداء من العدد التاسع عشر. فلخصينا في المجلة عبر أعدادها الخمسة والعشرين:

❖ أربعينات وبسبعين (470 عنوانا): بين بحثٍ، دراسة، تحقيق، مقالة، ورسالة، وحوار، وتقرير.

❖ ستين (60) قصيدة: من نظم شعراء عديدين من داخل وخارج الوطن، حول مواضيع ومناسبات مختلفة.

❖ خمسة وعشرين افتتاحية (25): حررها أعلام مشايخ ودكتورة وأساتذة، ساير فيها أصحابها مسار المجلة من التأسيس، إلى التحكيم، واحتفلوا فيها بالسنة العاشرة، والستة العشرين للمجلة، إضافة إلى وقوفاتهم عند المناسبات الدينية والوطنية، والأحداث المختلفة التي شهدتها المنطقة والجزائر والعالم.

❖ أكثر من مائة وثمانين كاتباً وكاتبة (180+) ساهموا في إثراء المجلة. بين شيخ وأستاذ، ودكتور، وباحث، وطالب، وشاعر، من الجنسين ذكوراً وإناثاً.

## مجلة الحياة، رسالة، وأصلة واستمرارية.

عندما تسلّمتُ العدد الخامس والعشرين من مجلة الحياة، واكتشفت أنها بلغت ربع قرن من عمرها، وفكّرت أن أقي نظرة تقيمية سطحية عابرة لأعداد المجلة على سبيل الاطلاع فحسب، فوضعت الأسفار كلها بين نظري، وبدأت أتصفحها وأستعرض أبوابها وفصولها وبعض عناوين بحوثها، وقرأت بعض الفقرات من بعض افتتاحياتها، وأنا في تلك الأثناء كنتُ أعتقد أنَّ المجلة تأسست في سنة 1998م، كما هو مرسوم على العدد الأول.

ولكن بعد قراءة افتتاحية العدد الأول، التي حررها بتكليف من الشيخ عدنون (سعيد بن بالحاج شريفي) الشيخ: حُمُّو بن عمر فحّار (رحمهما الله):- "استجابة للدعوة والدي الكريم الشيخ عدنون -رعاه الله- الذي دعاني في رسالة خطّية يوم الجمعة 22 رمضان 1417هـ. الموافق لـ 31 جانفي 1997م. للمشاركة في المجلة المُمزمع إبرازها بالقراربة باسم الحياة تكون لسان معهد الحياة العامر من طلبه وخرّيجيه ومن سار على دربهم من كتّابٍ وشاعرٍ ومفَكِّرٍ".<sup>(1)</sup> عرفت أنَّ للمجلة جذور تنطلق منها، ومسار تواصله، ورسالة تحملها، ومرجعية تعود إليها.

أما الجذور، فهي تمتَّد عمقاً إلى العشرينيات من القرن الماضي، عند تأسيس معهد الشباب، أو "مدرسة الشيخ بيوض"<sup>(2)</sup>، وهو معهد الحياة حالياً، حيث كون الطلبة فيه جمعية ثقافية، أصدرت جريدة باسم: "الشباب" - "يدرِّبون فيها أفلامهم، ويبدون في مرآتها انطباعاتهم وخواطرهم"<sup>(3)</sup>.

ولمَّا انتقلت مدرسة الشيخ بيوض من داره إلى المسجد الأَمْ بالبلدة، ارتفعت الجريدة "الشباب" إلى مجلة "الشباب" - "تضاهي المجلات الرفيعة في عصرها"<sup>(4)</sup>.

فيمكن أن نعتبر أنَّ هذه الجريدة ثمَّ المجلة "الشباب" كانت الجذر الأول لمجلة الحياة التي بين أيدينا اليوم، وقد كانت تلك كما هذه اليوم، المنبر الأول الذي يمنح فرصة التعبير بحرّية لطلاب المعهد، وغيرهم من الثفَّفين، وهي أيضاً الواجهة الفكرية الأمامية للحركة الإصلاحية بمزاب والجنوب الجزائري وشماله، وبفضلها كان لأقلام معهد الحياة ومزاب حضور في الحركة الوطنية.

وهذا ما وأشار إليه أحد أعضاء هيئة التحرير فيها، الأستاذ محمد بن أحمد جهلان، في افتتاحيته الاحتفالية بالعدد العاشر، وهو يؤسّس "للحياة" من عهد "الشباب"،

(1) الشيخ حُمُّو بن عمر فحّار، مجلة الحياة، العدد الأول، صفحة: 7.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

يستشهد بقول الشيخ حمود بن عمر فخار في افتتاحية العدد الأول: -"حتى لا يظن المتأخر أنه نبت كالكلمة في الأرض لا جذور له يستمد منها الغذاء والنمو"<sup>(١)</sup>.

خاصة وأن رئيس تحرير مجلة الحياة عند صدورها في سنة 1998م، إلى غاية صدور العدد الثامن منتها 2005م، هو نفسه المشرف والمدير والرئيس على جريدة ومجلة "الشباب"<sup>(٢)</sup>، إله فضيلة الشيخ سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدون) رحمه الله؛ فأبواه للمشروع من "الشباب" إلى "الحياة" ثبت له هذه الجذور.

أما الرسالة، فهي اليوم تطل على المائة عام من الزمن، إذا حسبناها من الجذور الأولى إلى يومنا هذا 2020م، وهي كذلك كما ذكرنا آنفا.

فقد انطلقت من القرارة سنة 1925م<sup>(٣)</sup>، كما انطلق نور ﴿أَقْرَأْ إِيمَانَكُمْ لَذِكْرِي﴾ من غار حراء بمكة، عند تأسيس معهد الشباب (الحياة حاليا) على يد الإمام الشيخ يُوضّع (رحمه الله).

إليها رسالة معهد الحياة التي حملها على عاتقه منذ تأسّس، وهي نفسها التي حملتها جريدة ومجلة الشباب، عند نشأتهم في رحاب المعهد، بسواعد وأقلام طلابه، وتحت إشراف ورعاية أساتذته.

هذه الرسالة التي فصلها الشيخ عدون في افتتاحية العدد الثاني من المجلة "الحياة" وهي تحت شعار قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا أَسْتَجِبُ لَهُمْ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَوكُمْ لِمَا يُحِبِّي كُمْ﴾ وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْكِمَنَّ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فرفعت هذه الآية شعارا لها، مرسوما ثابتًا دائمًا على غلافها من العدد الأول إلى يومنا هذا. ومن كلمة الشيخ الافتتاحية، نجد رسالة المجلة تمثل في:

- ❖ ترسیخ الإيمان بالله ورسوله، يتزوج بشغاف القلب، ويترتب عليه العمل الصالح.
- ❖ نشر العلم الديني القرآني، ﴿يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

(1) محمد بن أحمد جهلان، (رئيس التحرير) مجلة الحياة، العدد العاشر، ص: 16.

(2) مجلة الحياة، العدد الأول، ص: 7 - والعدد العاشر، ص: 17.

(3) مجلة الحياة العدد الأول، ص: 7.

- ❖ خدمة كتاب الله وسنة رسوله الكريم.
- ❖ التمكين للغة العربية.
- ❖ ثبيت فضائل الأخلاق الكريمة في الفرد المسلم<sup>(1)</sup>.

وهذا الأستاذ المادي الحسني، يتأكّد عندما وصلته مجلة الحياة أنّها تحمل رسالة معهد الحياة، فيقول في افتتاحيته للعدد الرابع من المجلة:- "فَلِمَا وصلتني مجلّة "الحياة"، ورأيتها على تلك الصورة: جمال منظر، وغناء مخبر؛ لم أستغرب، وقلت: هذه من ذاك، وهي لبنيّ التمام"<sup>(2)</sup>.

أمّا الرسالة والغاية والأهداف الخاصة بمجلّة "الحياة" في ثوبها الجديد، فقد حدّدها الدكتور: محمد بن موسى بابا عمّي، في العدد السادس منها، وهي<sup>(3)</sup>:

- ❖ الغاية: رضوان الله تعالى.
- ❖ الرسالة: الدفاع عن وحدة الأُمّة الإسلامية وثوابتها، ونبذ الغلوّ في الدين، والتعصّب العرقي والطائفي والمذهبي، ..
- ❖ الأهداف: إيجاد منبر حرّ للتفكير والاجتهاد والإبداع.
- ❖ العمل على بعث جيل من الكتاب والنقاد.
- ❖ تشجيع الحوار العلمي الرصين.
- ❖ الكتابة في مواضيع قد تبدو للبعض من الممنوعات، بأدب وعلم وتحليل؛ ذلك لأنّ عصر الحجر على الأفكار قد ولّ، ولا بقاء إلا لروح القرآن الكريم.
- ❖ ربط ماضي الأُمّة بحاضرها، وشدّ حاضرها بمستقبلها.
- ❖ مواجهة الأفكار والحركات والتوجهات المنحرفة.
- ❖ تصحيح المفاهيم، وتصويب الأفكار.

وهذا ما يلاحظه ويستشفُه القارئ الدائم للمجلّة، في مقالاتها، ودراساتها، وفي اتجاهات ومشارب كتابها الكثُر.

(1) مجلّة الحياة، العدد الثاني، ص: 9.

(2) مجلّة الحياة، العدد الرابع، ص: 2.

(3) مجلّة الحياة، العدد السادس، ص: لـمـنـ.

## مجلة الحياة، بين التحرير والإدارة والتحكيم:

كأيّ مجلة من المجالات، تقع مسؤولية نجاحها أو إخفاقها، واتساع انتشارها أو الخسائرها، واستمراريتها أو انقطاعها، على عاتق المشرفين عليها من مسؤولين وهيئات وكفاءات للإدارة والتحرير والتحكيم.

وأمام مجلتنا "الحياة" نجد أنفسنا أمام دورية منتظمة في مواعيد صدورها، وفي حجمها الورقي، ومتوازنة في عدد صفحاتها؛ وهي في نفس الوقت كما الكائن الحي، تختزن بين جنبها روحًا حيًّا، تضمن لها التطور والتآclم والرقيَّ من حسن إلى أحسن. - "... وإن كان الأمل طمَّحاً إلى مستويات أعلى، والسعى حيثًا لتحقيق أهداف أسمى.." <sup>(1)</sup>.

فالمسؤولية والإدارة والتحرير والتحكيم في مجلة الحياة، تحملها وتقاسمها مشايخ دكتورة وأساتذة هم من أسرة علمية وفكرية ومنهجية واحدة، تستند وتتصدر عن مرجعية واحدة. - "وفاء مجلة "الحياة" لمنهج الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض الهداوي واتجاهه الإصلاحي"، وهو منهج زعماء الإصلاح في الجزائر والعالم الإسلامي، من لدن الشيخ محمد عبد رضا ورشيد رضا بمصر إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي وأبي اليقظان بالجزائر، والذي هو كذلك منهج معهد الحياة بالقرارة في التربية والتعليم وتكوين الأجيال.." <sup>(2)</sup>.

فقد كان رئيس المجلة الأوّل، فضيلة الشيخ: سعيد بن بال حاج شريفي (الشيخ عدُون) رحمه الله، وهو رئيس جمعية الحياة، ورئيس لجمعية التراث، وهو الأب الروحي للحركة الإصلاحية بعد الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (رحمه الله)، ولم ينفعه عن المجلة شيء إلاّ المنيَّة بعد عمر طويل؛ وحمل لواءها بعده تلميذه، وابنه الروحي، الدكتور: محمد بن قاسم ناصر بوجام (حفظه الله)، وهو مديرها إلى يومنا هذا، وسيقى عليها إلى أن يشاء الله تعالى.

كما تعاقب على هيئة التحرير فيها، (رئيس التحرير ونوابه، وأعضاء هيئة التحرير) دكتورة وأساتذة تسبعوا من فكر الحركة الإصلاحية السائد في مدارس وادي مزاب والجزائر، أمثال:

(1) مجلة الحياة، العدد الثاني عشر، ص: ذ.

(2) مجلة الحياة، العدد الثالث عشر، ص: ر.

- ❖ الدكتور إبراهيم بن بكير بجاز.
- ❖ الدكتور محمد بن موسى بابا عمّي.
- ❖ الأستاذ محمد بن أحمد جهان.
- ❖ الأستاذ صالح بن أحمد حدبون... وغيرهم

وهم الخلف الذي يحمل المشعل عن السلف بجدارة وأمانة ووفاء إن شاء الله.

كما تشكلت لجنة التحكيم عند ارتقاء المجلة إلى التحكيم سنة 2008م، من دكاترة وأساتذة يمثلون جهات عديدة من الوطن، ويتمون إلى جامعات ومؤسسات علمية مختلفة، وكلُّهم يتمون إلى الحركة الإصلاحية، ونهلوا من فكرها ومنهجها وعلم مشايخها الكبار، فمنهم:

- ❖ الدكتور عبد الرزاق قسوم. (رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).
  - ❖ الأستاذ محمد الهادي الحسني. (عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).
- وغيرهما من ذكرت أسماؤهم في قائمة لجنة التحكيم على صفحات المويَّة للمجلة. وبفضل هذه النخبة العلمية المتميزة في الإدارة والتحرير والتحكيم، تدرَّجت "الحياة" في تطويرها من مجلة عادية إلى مجلة فكرية علمية محكمة، تسير التكنولوجيا الحديثة والرقمنة في كل مراحل إنجازها، حتى تمكَّنت من إصدارها رقمية<sup>(1)</sup>، لتبلغ رسالتها الأفاق، وتجعل ذوي الأقلام يتبارون إلى النشر فيها ببحوثهم ومقالاتهم ودراساتهم وقصائدهم، كما يتبارى القراء إلى اقتنائها ومطالعتها والاستفادة منها.

### **مجلة الحياة، رقيٌ وجدية المحتوى:**

القارئ للمجلة يجد نفسه أمام مجلة جديّة في كلّ ما تقدِّمه على صفحاتها من بحوث ودراسات معمقة، لمواضيع في دائرة اهتمام الباحث المسلم حيث كان، وعلى أيّ مذهب كان، والمواطن الجزائري من أيّ جهة كانت، والمثقف العربي من أيّ بلد، وعلى أيّ ثقافة كانت.

---

(1) العدد الخامس والعشرون 2020م، صدر في نسخة رقمية إلى جانب النسخة الورقية.

وتلبي كل الاهتمامات الحادة والأذواق الراقية، وتخدم مواضيعها المحكمة أغلب الباحثين لإثراء رسائلهم وأطروحتهم العلمية، ومنها يستلهمون مواضيع قيمة ينجزون عليها بحوثاً ورسائل لتخريجهم، كما يجد الكتاب وأصحاب الأقلام الكثير من المعارف والمعلومات الحديثة الحادة، فتغدو المجلة مصدراً ومرجعاً فيما يحررون ويؤلفون ويُصدرون، وهي أيضاً بمحوها إضافة قيمة، وإثراء جيد يرتقي بالمستوى العلمي والفكري للمكتبة الوطنية الإسلامية والعربية.

- "ها هي اليوم مجلة الحياة بكل المقاييس الأكاديمية بهيئة تحريرها، وبتحكيم ما ينشر فيها، مجلة كتز ومنجم ذهي من المقالات المحكمة في العقيدة عند الإباضية، في التفسير، في الفقه الإباضي، في تاريخ الإباضية، في الأدب المزايي، في التربية والتعليم، في خطب الجمعة على منابر وادي مزاب والجزائر، في الثورة التحريرية وهديرها، في التراث والمخطوط، في تاريخ المدن، في مواضيع جزائرية وعمانية وعربية، في التراث والفكر الإسلامي عموماً."<sup>(1)</sup>

وبعد هذه الحديثة وهذا المستوى العلمي الأكاديمي الرافي، والتحكيم الجيد، واستقطابها للقراء الهواة، والثقفين المهتمين، والباحثين الأكاديميين، من كل المستويات في عديد التخصصات، أصبحت المجلة: - "... بحاجة إلى توسيع مجال نشرها، سواء على المستوى الوطني أو الدولي، نظراً لحاجة الباحثين والقراء إلى كثير مما ينشر فيها".<sup>(2)</sup>

### كتاب المجلة:

إن الحديث عن كتاب الحياة، أو مجلة الحياة طويل ومتشعب، فهو يجرّنا في هذه الجزئية عند البحث والدراسة حول الأقلام المساهمة في المجلة إلى جوانب مختلفة، مثل:

- أ- ارتقاء الكاتب مع ارتقاء المجلة.
- ب- تعلق الكتاب بالمجلة.
- ت- كتاب المجلة، انسجام أسرة.

(1) العدد الواحد والعشرين، ص: 15.

(2) العدد الرابع والعشرين، ص: 13.

## ارتفاع الكاتب مع ارتقاء المجلة:

من كتب المجلة من بدأ الكتابة فيها منذ تأسيسها سنة ثمان وتسعين وتسعمئة وألف للميلاد (1998م)، وهو آنذاك طالب في الجامعة، وترجع في دراسته مع السنوات وهو مراقب للمجلة كاتباً أو عضواً في هيئة تحريرها، أو في لجنة تحكيمها، حتى نال شهادة الدكتوراه والأستاذية، منهم:

- ❖ د. محمد بن موسى بابا عمّي.
- ❖ د. مصطفى بن صالح باجو.
- ❖ د. محمد بن صالح محمد.
- ❖ د. مصطفى بن محمد شريف... غيرهم

إضافة إلى الآباء والمشايخ الكرام، الذين كانوا الرؤاد الأوائل في تأسيس المجلة، والرعاة الأوفياء للمشروع، ولم يتخلّ أحدهم عن دوره فيها إلى أن وافته المنية رحمة الله تعالى، منهم:

- ❖ الشيخ سعيد بن الحاج شريف (الشيخ عذون).
- ❖ الشيخ حمو بن عمر فخار.
- ❖ د. صالح خرفي.

ومنهم من لا تزال أباؤته الصادقة ورعايتها الخالصة قائمة على المجلة إلى يومنا هذا، مثل:

- ❖ الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد (الشيخ كعباش).
- ❖ د. محمد صالح ناصر.
- ❖ د. محمد بن قاسم ناصر بوجام.
- ❖ صالح بن أحمد حدبون... وغيرهم.

حفظهم الله، ومدّ في أنفاسهم، وأبقاهم ذخراً للمجلة والعلم والفكر والثقافة.

## وفاء الكُتاب للمجلة:

شعر بهذا عندما نجد أسماء العديد من الكتاب، تتعدد أسماؤهم في كلٍّ عددٍ من أعداد المجلة، أو في أغلبها، وكثيراً ما تتعدد مشاركات الكاتب في العدد الواحد، بمساهمات عديدة تختلف كلُّ واحدة منها عن الأخرى.

وإن دلّ هذا على شيء إنما يدلّ على حبٍ هؤلاء الكتاب للملَّة، ووفائهم لها، وتوافق رسالتها مع رسالتهم التي يحملونها، والاهتمامات التي تشغلهما، وتقديرهم لخطبها الإعلامي الذي يقول عنه الأبُ الروحي، الشيخ سعيد بن بالحاج شريف (الشيخ عدُون)، بعد أن انتقد الإعلام السائد بقوله: -"إنَّ الإِعْلَامَ بِأَنْوَاعِهِ كُلُّهُ، هُمْ فِيهِ مِنْ غَثٍّ وَسَمِّينَ، قَدْ مَلَّ الدُّنْيَا بِضَجِيجِهِ، وَشَغَلَ النَّاسَ بِجَدِّهِ وَهَزْلِهِ وَهَزَالِهِ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا هَمًا وَشَقَاءً، وَإِلَّا تَهَافَتَا عَلَى كُلِّ شَرٍّ، وَتَسَابَقَا إِلَى التَّخْرِيبِ وَالْدَّمَارِ، وَغَفَلُوا عَنِ الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ وَتَنَاسُوهَا، فَبَقِيتِ مَنْبُودَةً مَهْجُورَةً مَضْرُوبَةً عَلَيْهَا الْحَصَارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَهَلْ تَقُومُ الْحَيَاةُ بِدُونِ رُوحٍ؟"-

إلى أن يقول عن الخط الإعلامي لمجلة الحياة: -"وجئنا - نحن - هنا لفكُّ هذا الحصار - بعون الله - وبعث هذه الروح، بجهد المقلُّ واليد القصيرة، والإمكان المحدود: -"ولأنَّ  
يهدِي الله بكَ رجلاً واحداً خيراً لكَ من الدنيا وما فيها"<sup>(1)</sup>.

ومن هؤلاء الكتاب الأوقياء، المساهمين بجدٍ وحرص في إثراء المجلة بالبحوث المختلفة، والمقالات الأدبية الراقية، والقصائد الشعرية العصياء، نذكر على سبيل المثال:

- ❖ د. محمد صالح ناصر.
- ❖ د. محمد بن قاسم بوحجام.
- ❖ د. إبراهيم بن بكير بجاز.
- ❖ د. محمد بن موسى بابا عمّي.
- ❖ د. مصطفى بن صالح باجو.
- ❖ أ. صالح بن إبراهيم باجو.
- ❖ أ. سليمان بن عمر دوّاق...

وغيرهم كثير لا يسمح المقام بذكرهم جميعاً، اعتذر لهم عن تجاوزهم هنا.

(1) العدد الثاني، ص: 14.

## كتاب المجلة، انسجام أسرة:

كونت مجلة الحياة أسرة علمية وثقافية وفكرية، بما جمعته من كتاب وباحثين، وأدباء وشاعراء، تجمعهم رسالة واحدة، ويستندون إلى نفس المرجعية والهوية، يسعون إلى تحقيق أهداف ترقى بالبحث العلمي إلى الأكاديمية الموضوعية، وتجمع وتقرب المسلمين إلى بعضهم، وتبني جسور التقارب بينهم بـ: "المعرفة والتعارف والاعتراف، وتجلي مظاهر الاختلاف والخلاف".

كانوا بالفعل أسرة تضم آباء ناصحين، وأخوات وإخواناً متافقين في أفكارهم واهتماماتهم، ومتفاوتين في أعمارهم وفي مستوياتهم ودرجاتهم العلمية، ينجذبون ويبذلعن بجدٍ ونشاط، وصدق وإخلاص، في انسجام جميل كفريق موسيقيٍّ يخرج سinfonia ممتعة تسمى: "مجلة الحياة".

يتصلّر ويقود أسرة الحياة مشايخ علماء، وآباء حكماء، يوجّهون ويرشدون وبياركون ويساركون، وكذلك فعلوا ووضعوا بصماتهم المباركة في الأعداد الأولى من المجلة، أمثل:

- ❖ الشيخ سعيد بن الحاج شريفي (الشيخ عدُون).
- ❖ الشيخ حُو بن عمر فحّار.
- ❖ الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد (الشيخ كعباش).
- ❖ الدكتور محمد صالح ناصر.
- ❖ الدكتور عبد الرزاق قسوم... وغيرهم.

وفيهما الأساتذة والدكتورة، الذين كانوا كما يكون الإخوة الكبار في الأسرة الواحدة، يرافقون إخوانهم بالحكمة والتي هي أحسن، والتشجيع بالكلمة الطيبة، والنظرية الحصيفة، أمثال:

- ❖ الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوجاجاً.
- ❖ الدكتور إبراهيم بن بكير بجاز.
- ❖ الدكتور محمد بن موسى بابا عمّي.
- ❖ الأستاذ صالح بن أحمد حدبون.
- ❖ الأستاذ محمد بن أحمد جهلاً. ... وغيرهم.

وبين الآباء الكرام، والإخوة الكبار، كانت في الأسرة مجموعة من الشباب الجامعي الطموح، ترعرعت بأعين هؤلاء وأولئك، وتدرّجوا في مسارهم الدراسي الجامعي، وتدربوا على صفحات المجلة ببحوثٍ ودراسات ومقالات، حتى تحصلوا على شهاداتهم العليا في مختلف التخصصات والمستويات بعلامات عالية، وملحوظات مشرفة جدًا؛ فكانت لهم المجلة مدرسة ومعهداً وجامعة ثانية، منهم على سبيل المثال:

- ❖ مصطفى بن محمد شريفى.
- ❖ مصطفى بن محمد ابن ادريس.
- ❖ بشير بن عمر مرموري.
- ❖ عيسى بن محمد بوراس. ... وغيرهم.

ولا تزال مجلة الحياة دائمًا مدرسةً أكاديمية راقية، و مجال تكوين وتدريب، ومنبر علم وفك وثقافة، تتلاعف فيها الأفكار، وتبلور الآراء، وتقارب الأجيال، وتجلى الحجج والبراهين، لإنجاز الحق وإبطال الباطل، والتمكين لدين الله تعالى.

### **حضور الأقلام النسوية في المجلة:**

للمرأة الكاتبة حضور متميز في مجلة الحياة وإن كان محتشماً، حيث لا يتجاوز عددهنَّ ثمانية أسماء، وهن بالنسبة لمجموع كتاب المجلة لا يبلغن الخامسة بالمائة؛ إلا أنَّ مساهماتهنَّ كانت فعالةً ومتنوَّعة، وعلى مستويات مختلفة، بين الدكتورة، والأستاذة والباحثة والطالبة، وعلى نهج الكتاب الآخرين في المجلة، كان لهنَّ حضور يوازي تدرجهنَّ في الدراسة، فمنهنَّ من نشر في المجلة وهي طالبة في الثانوي، ثمَّ انخرطت في التعليم الجامعي، ومنهنَّ من كانت في مستوى الماستر، ومنهنَّ في الماجستير، حتى نلن شهاداتهنَّ العليا.

لهذا نجد في المجلة من تحمل لقب الطالبة صحبة عنوان مقاها، وهي اليوم في الواقع أستاذة، أو حفظ لقبها أستاذة، وهي اليوم دكتورة، أو تحمل الأستاذية لقبها علمياً مرموقاً، منها على سبيل المثال:

- ❖ د. سناء مهني الباروني.
- ❖ د. نادية الوزناجي.
- ❖ د. حنان الطرا بلسي.
- ❖ د. رحمونة بوشة. ... وغيرهنَّ.

وقيمة مشاركة القلم النسوى، تتجلى في أكاديمية البحوث العلمية العميقـة، والدراسات العلمية الجديدة، حول مواضيع متنوعـة تعالج إشكالـات علمية مطروحة، وتحـلـبـ عن تساؤـلاتـ مشـروـعةـ؛ـ فيـ الـدـرـاسـاتـ الـقـرـآنـيـةـ،ـ وـالـإـسـلـامـيـةـ،ـ وـالتـارـيـخـيـةـ،ـ وـالـسـيـرـ،ـ وـالـتـرـاجـمـ،ـ وـالـمـقـالـةـ وـالـخـاطـرـةـ الـأـدـبـيـةـ.

وما لفت انتباـهيـ فيـ هـذـهـ الإـطـلـالـةـ السـرـيـعـةـ عـلـىـ مـشـارـكـةـ الـمـرـأـةـ فـيـ الـمـجـلـةـ،ـ هوـ غـيـابـ الشـعـرـ النـسـوـيـ كـلـيـاـ،ـ عـدـاـ القـصـيـدـةـ الـوـحـيـدـةـ الـتـيـ شـارـكـتـ بـهـاـ الطـالـبـةـ:ـ حـفـصـةـ بـنـتـ عـمـرـ لـقـمـانـ<sup>(1)</sup>ـ قـيـاسـاـ لـمـشـارـكـةـ الشـعـرـاءـ مـنـ الرـجـالـ.

وـمـنـ المـمـكـنـ جـدـاـ أـنـ تـكـوـنـ مـشـارـكـةـ أـوـ مـشـارـكـاتـ الـمـرـأـةـ الكـاتـبـةـ فـيـ مـجـلـةـ الـحـيـاةـ،ـ عـنـوانـاـ مـسـتـقـلـاـ لـبـحـثـ مـنـ بـحـوثـ التـخـرـجـ،ـ طـلـابـ وـطـالـبـاتـ الـمـعـاهـدـ الـعـلـمـيـةـ وـالـجـامـعـاتـ،ـ إـضـافـةـ إـلـىـ مـوـاضـيـعـ أـخـرىـ يـتـقـونـهـاـ مـنـ مـحتـويـاتـ الـمـجـلـةـ.

### الوصيات:

- ❖ إعادة إصدار المجلة حسب المواضيع، لتمكين الباحثين من الاستفادة منها بشكل أفضل وأوسع.
- ❖ وضع فهرس عامًّا لمواضيع المجلة، أو فهارس مبوئـةـ، يقرـبـهاـ للـبـاحـثـ وـالـقـارـئـ بـشـكـلـ أـفـضـلـ.
- ❖ اقتراح بحوث للخرجـ حولـ مجلـةـ الـحـيـاةـ عـلـىـ طـلـابـ الـجـامـعـاتـ.
- ❖ إنجاز دراسـاتـ وـبـحـوثـ حولـ مواـضـيـعـ الـوارـدـةـ فـيـ أـعـدـادـ الـمـجـلـةـ عـبـرـ رـبعـ قـرنـ مـنـ عمرـهاـ.
- ❖ فـسـحـ الـمـجـالـ لـلـشـعـرـاءـ وـالـشـاعـرـاتـ،ـ فـيـ مـخـلـفـ أـنـوـاعـ الـشـعـرـ:ـ الـشـعـرـ الـحرـ الـفـصـيـحـ،ـ وـالـشـعـرـ الـمـلـحـونـ،ـ وـالـشـعـرـ الـأـماـزـيـغـيـ الـمـزـايـيـ،ـ ..ـ
- ❖ فـسـحـ الـمـجـالـ لـلـفـنـونـ الـأـدـبـيـةـ الـإـبـدـاعـيـةـ الـأـخـرىـ،ـ كـالـقـصـةـ الـقـصـيـرـةـ،ـ وـالـرـوـاـيـةـ.
- ❖ إـقـامـةـ اـحـتـفـالـيـةـ لـلـمـجـلـةـ بـمـنـاسـبـةـ مـرـورـ رـبعـ قـرنـ مـنـ عمرـهاـ،ـ تـكـوـنـ تـقـيـيـمـيـةـ لـمـسـيرـتهاـ،ـ وـاستـشـرافـيـةـ لـمـسـتـقـبـلـهاـ.

### المصادر

- 
- 1 أبو عثمان بن عمر الجاحظ، المحسن والأضداد،
  - 2 مجلة الحياة، دورـيةـ فـكـرـيـةـ مـحـكـمـةـ يـصـدـرـهـاـ معـهـدـ الـحـيـاةـ وـجـمـعـيـةـ التـرـاثـ،ـ القرـارـةـ،ـ غـرـدـاـيـةـ.

(1) العدد الرابع والعشرين، ص: 248.

# رِجَالٌ فِي ذَكْرِ الْأَكْفَافِ

حتى لا ننسى أعلام الجزائر:

## إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَلَيْمَانَ نَاصِرَ (بِرْبُوشَةَ) وَجَمْعِيَّةُ الْإِخْرَاءِ الْعَالَمِيَّ - بِسَكَرَةِ (1931-1935)

أ. د/ محمد بن صالح ناصر  
باحث ومؤلف - الجزائر

لست أدرى كيف غفلت عن ذكر بعض التفاصيل عن الحركة الإصلاحية في مدينة بسكرة في كتابي: "ذكرياتي ومذكراتي (ج: 1)"، وهي الحركة التي كان عمّي إبراهيم شقيق أبي صالح بن سليمان بربوشة أحد أساطينها في الثلاثينيات، وبالتحديد ما بين سنتي (1931-1935م)، ولم تجد هذه التجربة الإصلاحية الجزائرية من يكتب عنها بما تستحق من الاهتمام، وإذ سرعان ما أجهضها الاستعمار الفرنسي خوفاً من رياضتها وأهدافها الوطنية، لاعتبارها تجربة ثانية في حقل الإصلاح الجزائري تجمع بين المزايدين وجمعية العلماء المسلمين؛ علماً أنَّ التجربة الأولى بدأت في مدينة تبسة سنة 1913م، كما هو معلوم، وكان من روادها التجار المزايدون، ورواد الإصلاح في تبسة. ولست هنا لأذكر التفاصيل بحثاً هذه التجارب الرائدة، ولكنني أحب أن أذكر بعض ما قام به عمّي إبراهيم بن سليمان ناصر (بربوشة) في مدينة بسكرة، وفي إطار جمعية الإخاء العلمي في بداية الثلاثينيات.

وكان إلى جانبه بعض التجار المزايدين ببسكرة مثل الإصلاحي الشهير عيسى بن عمارة خبزي، وهو صديق حميم لعمي بربوشة إبراهيم بن سليمان؛ الذي كان محله التجاري مشهوراً بلقبه "حانوت بربوشة"، وكان محل إقامة الإصلاحيين في الثلاثينيات والأربعينيات، ومقرّ

نزول المشايخ الكبار مثل: الشيخ الطيب العقي، ومحمد خير الدين، والشاعر محمد العيد آل خليفة، إلى جانب مشايخ مزاب: الشيخ بيوض، والصحفي الشهير أبو اليقظان إبراهيم، والشاعر الشهير مفدي زكريا. وكانت سمعة هذه التجربة الرائدة أي الإخاء العلمي من اهتمامات رجال الإصلاح، فقد احتفل بها ابن باديس نفسه، الذي جاءها من قسنطينة لحضور احتفال تدشينها، وقد أشاد الشاعر مفدي زكريا بهذه التجربة في قصيدة مشهورة وهي منشورة في ديوانه، ونشرت بجريدة النور لأبي اليقظان حوالي 1931م احتفاء بالحدث، وكان عمّي إبراهيم معروفاً بوجاهته، ورأيه السديد، وجّه الكبير للإصلاح.

ودرس فيها من الأساتذة أمثال: الشيخ الطرابسي، وأبو الحسن علي بن صالح، المعروف بمنهجه التربوي الصارم الذي جاء به من تونس.

وقد عُرِفتْ دار عمّي الأنقة بالقرارة بمثل هذا النشاط، وقد بناها على طراز فريد لاستقبال ضيوفه، وما زلت أتذكر بأبيها الغربيين بالمسامير الضخمة على الطراز التونسي، وهي من حسن الحظ ما تزال إلى يومنا هذا لم تصل إليها يد الهمد أو التغيير، ولا يوجد لها شبيه في القرارة كلّها، إلا دار صديقه الحميم عيسى بن عمارة خبزي أو ما يعرف بجنان أو بن «قاراج» عيسى بن عمارة التي كانت رائدة في حركة الإصلاح، حيث كانت تقام المسرحيات وحفلات الأناشيد ولا سيما في الأربعينيات.

ومن حق هذه الدار الموجودة بشارع بريوشة بالقرارة أن تكون معلماً من معالم الحركة الإصلاحية بالقرارة؛ لذكر الأجيال بجهود العاملين المخلصين.

وقد استقدم بعض مواد بناتها من مدينة بسكرة على ظهور الجمال، رغم فقدان مواد البناء قبيل الحرب الثانية وأثناءها، وما زال سقفها حتى اليوم مرفوعاً على قضيبين حديدين من قضبان سكة الحديد، وهذه الدار المخصصة للضيوف لا يدخلها من أهل الدار إلا صاحب محل عمّي إبراهيم، وإنما ضيوفه، وتبقى طوال غيابه مغلقة لا تطأها قدم؛ لأنها مفروشة بأحسن الزرابي، ولم أر داراً قبلها طلبت جدرانها بالدهان، وكنت نشأتُ بين عرصاتها حيث كان والدي مشغولاً ببناء دار سكنانا العائلية ما بين (1940-1945)، فكنتُ أتأمل هذين البابين؛ باب دار الضيوف، أو الدّويرة كما نسمّيها، ودار السكن العائلي (تدّارت أنْ لعيال).

وكان معروفاً، أيّ عمّي بهنداهه الأنبق النظيف، وقد ورث عنه ابنه يوسف هذه الخصائص التي عرف بها؛ بشهادة كلّ معاشريه ومعارفه.

فالفضل يعود إذاً إلى عمّي إبراهيم بن سليمان ومن آزره، مثل: المصلح عيسى بن عمارة خبزي، والشيخ العقي، والشيخ محمد خير الدين؛ من جمعية العلماء. وقد عرفت بسكرة نشاطاً لافتاً من شعراء وأدباء بسكرة، ووادي مزاب على السواء، وبعضاً من تخرج في هذه المدرسة؛ رغم كونها في مسجد الإباضية، ولكن الاستعمار الفرنسي، وحركة الكولون بهذه المدينة سرعان ما تقطّن إلى هذه التجربة فأجهضها بعد مضي ثلاث سنوات<sup>(1)</sup>، كما أجهض مدرسة تبسة سنة 1914م قبلها، حرصاً منه على عدم تلاقي التجربتين الإصلاحيتين في التهوض بالتعليم العربي في الجزائر.

فرحم الله رواد جمعيات الإصلاح بوادي مزاب وبسكرة وقسنطينة، ورحم الله مشايخها الشيخ بيوض، وابن باديس، ومحمد العيد، ومفتدي ذكري، ونحن هنا نذكّر الأجيال بما قدم الآباء، ولا سيما هذه الشخصيات المغمورة؛ ومنهم بريوشة إبراهيم بن سليمان الذي فارق الحياة بمدينة بسكرة حوالي سنة 1935م، وكان من أشهر أساطين الإصلاح بها، وقد عُرف محله بلقبه الشهير: حانوت بريوشة، ودفن بالمقبرة الإباضية بسكرة "رحمه الله".

### **بعض الحقائق المستخرجة من تجربة جمعية الإخاء العلمي:**

أولاً: أن المزابيين كانوا يعملون في الجمعيات العلمية أينما كانوا، وما كانوا تجّاراً يعملون في حقل الاقتصاد المالي الجزائريّ وحده، كما يذهب الجاهلون.

ثانياً: كان المدف من دخولهم في هذه الجمعيات، وتأسيسيهم لبعضها هدفاً وطنياً محضاً؛ لرفع مستوى اللغة العربية في الجزائر، لا في ميزاب فقط؛ بل في كامل القطر الجزائري.

ثالثاً: بعد تأسيس جمعية العلماء وخروجهما إلى ميدان العمل، انضمّوا إليها بكلّ قوتهم وبشكلٍ علنيّ، مما أفعى الاستعمار من هذا التوجّه الوطني اللافت للنظر، فأجهض الكولون بعض هذه الجمعيات ووقف دون الأخرى.

(1) لمزيد التفاصيل ينظر: أ. سليمان الصيد، الحركة العلمية بالزيان سنة 1931م، (مط). ب - مفتدي ذكري، الاحتلال العظيم بمدينة بسكرة، جريدة التور، ع: 11، 24/11/1931).

رابعاً: تعد تجربة جمعية الإخاء العلمي بمدينة بسكرة سنة (1931-1935م) من بواعير نماذج الاتحاد الوطني بين الجزائريين بعيداً عن المذهبيات، والتوقع وراء الأهداف الضيقية التي كان الاستعمار يغطيها، والجهل يقف وراءها طبعاً..

خامساً: لا بدّ من ربط الجهاد الوطني بهذه الحركات، ولا سيما تنظيم البعثات إلى خارج الجزائر؛ تونس والشرق، ووضعها في إطارها الوطني عند دراسة بواعيرها، مثل البعثات التي كان يترأسها ويقوم عليها جهاد أبي اليقظان إبراهيم عميد الصحافة العربية الجزائرية سنة 1914م.

سادساً: كان يؤازر الشيخ أبي اليقظان ثلاثة من التجار المزايدين في مدن التل، ولا سيما بأموالهم نذكر منهم على سبيل المثال: الوطني عيسى بن عمارة خبزي، وإبراهيم بن سليمان بربوشة بمدينة بسكرة قبل ظهور جمعية العلماء بها، وجمعية الإخاء العلمي سنة 1931م نموذج قوي لهذه المؤازرة.

### معلومة أخرى عنه:

ولد حوالي 1886م بالقرارة، توفي بها سنة 1934م. معلومات مستخرجة من دفتر الحالة المدنية سنة 1996م وهو يُعدّ منسياً حسب هذه الشهادة. وبحقّ ففترض أنه توفي بمدينة بسكرة ودفن بها سنة 1935م، فقد ترك ابنه يوسف ذي 12 سنة، ويوسف من مواليد 1923م. مات وعمره 53 سنة تقريباً، وقد تضاربت حول هذه المعلومات والحقائق (والله أعلم).





السيد ناصر إبراهيم بن سليمان (بربوشا)

(و: حوالي 1886م - ت: 1935م)

# الشيخ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدَ الْخَلِيلِيُّ فِي حَوَارٍ خَاصٍ: الشِّيخُ النَّاصِرُ مُرْمُورِيُّ الْمُفْتَيُ الْخَيْرُ وَالْأَبُ الدَّانِيُّ لِلْطَّلَبَةِ

أجرى الحوار / حمُّو بن يونس أوجانة  
صحفي بالمؤسسة العمومية للتلفزيون الجزائري  
[hammou.sahafi@gmail.com](mailto:hammou.sahafi@gmail.com)

عقب وفاة الشيخ الناصر بن محمد مرموري (رحمه الله)، شرعت في إنجاز مشروع فكري لم يشاً القدر أن يرى النور، ومن ثمراته بعض الأعمال، منها تحرير مجريات وكلمات اللقاء الأخير للشيخ قبل وفاته بخمس ساعات.<sup>(1)</sup> فضلاً عن تسجيل بعض المقابلات مع بعض معاشريه<sup>(2)</sup>، ومراسلة بعض المشايخ، على غرار سماحة الشيخ أَحْمَدُ بْنُ حَمْدَ الْخَلِيلِيَّ<sup>(3)</sup>، الذي أجريت معه حواراً صحفياً إلكترونياً عبر رسالة إلكترونية بعثتها إليه، ثم تلقيت رده عبر البريد الإلكتروني يوم 02 شعبان 1432هـ الموافق لـ 03 جويلية 2011م. أى حوالي شهر من وفاة الشيخ الناصر، وكم كانت فرحتي عارمة لما استلمت رد الشيف الخليلي الذي شرقي به، إذ لم أكُن أصدق ذلك، كوني طالباً جامعياً وصحفياً مبتدئاً آنذاك؛ إلا أنَّ الطموح الإعلامي، وشغف توثيق الأحداث دفعني لراسلة الشيخ؛ ورغم مكانته العلمية والاجتماعية المرموقة إلا أنه تفرغ لقراءة أسئلة الحوار والرد عليها في وقت وجيز، ويرجع هذا إلى حبه للشيخ الناصر، ووفائه للعلاقة التي تربطهما، إلى جانب تواضعه في الرد على

(1) ينظر البحث الرابع، كتاب حمامـة العـلـم الشـيـخ النـاصـر مـرـمـوري وـفـكـرـه الوـسـطـي ضـمـنـ الثـوابـ الـوطـنـيـةـ، للـدـكتـورـ صالحـ بنـ عبدـ اللهـ أـبـوـ يـكـرـ، الطـبـعةـ الـأـوـلـىـ، نـشـرـ جـمـيعـةـ التـرـاثـ: 2019ـ، صـ 185ـ.

(2) تسجيل مقابلات مع المدير السابق لداخلية الحياة الأستاذ حلبون صالح، ومرافق الشيخ الناصر السيد بكير الشيخ أَحْمَدَ.

(3) يشغل مفتى عام سلطنة عمان، ويعتبر أحد أعز أصدقاء الشيخ الناصر مرموري في سلطنة عمان، لما يربطهما من اهتمامات مشتركة في الدين الإسلامي والمذهب الإباضي.

الرسائل التي تردد من هنا وهناك. وقد احتفظت بهذا الحوار القيم في أرشيفي الخاص، لتأتي الذكرى العاشرة لوفاة الشيخ الناصر (2011م - 2021م)، والتي أراها فرصة مناسبة لنشر فحوى الحوار لأول مرة منذ عشر سنوات من إجرائه.

ويُبرّز الحوار تلّكم العلاقة المتنية والأخوة الصادقة التي تربط الشيخ أحمد الخليلي بالشيخ الناصر مرموري، أحد أبرز المرجعيات الإباضية في المغرب والشرق، بحيث دام تواصلهما حوالي 50 سنة في سبيل التعاون المثمر فيما مجال الدعوة الإسلامية، إرشاد الحجاج، والبعثات العلمية للطلبة، والتبادل الشفافي بين الجزائر وسلطنة عمان. ولعل صداقتهما المتماسكة الصافية مكنت الشيخ الخليلي من توديع الشيخ الناصر في لقاء آخر جمعهما قبل وفاته هذا الأخير ببعض ساعات فقط بمدينة القرارة جنوب الجزائر، أين كشف لنا في هذا الحوار عن تأثيره البليغ لفقدان أخيه وصديقه الشيخ الناصر مرموري.

ولعل الملاحظة البارزة لهذا الحوار أن إجابات الشيخ أحمد الخليلي عن أسئلة الحوار كانت دقيقة ومقتبسة جدا، بحيث لا نلمس فيها تفصيلاً وتوسيعاً وشرعاً مستفيضاً، ولكن نفهم من خلالها حجم التزاماته الواسعة، ومدى تأثيره برحيل الشيخ الناصر عليه رحمة الله.

### نص الحوار:

#### 1- متى بدأت علاقتكم بالشيخ الناصر؟

بدأت علاقتي بالشيخ مرموري من خلال تردداته إلى موسم الحجّ ولقائه بالحجاج العمانيين، فقد كانوا ينقلون إلى أخباره، وكانت بداية ذلك عندما كنت بزنجبار قبل عودتي إلى عمان، فقد حدثني عنه بعض الحجاج الذين التقوا به في موسم عام 1382 هـ / 1962م، أي في السنة التي استقلت فيها الجزائر وتحررت من الاستعمار الفرنسي البغيض، ثم توطدت علاقتي به منذ زيارتي الأولى للجزائر الشقيقة ومزارب العزيز، وكانت في عام 1392هـ / 1972م واستمرت العلاقة إلى أن فرق بيني وبينه ريب المون، وقد ظلت ذكراه عالقة بقلبي كما بقي مكانه يحتل في نفسي سواد العين وسويداء القلب.

**2- على ماذا كانت ترتكز علاقتكم بالشيخ الناصر؟**

العهد الذي بيني وبين الشيخ هو التعاون المثمر البناء فيما يعود على مصلحة الدعوة الإسلامية عموماً، ودعوة مذهب أهل الحق والاستقامة على وجه الخصوص.

**3- بماذا يتميز منهج الشيخ الناصر العلمي؟**

منهج الشيخ العلمي يتميز ببساطة، وبعد عن التعقيدات التي تحول بين العلم وطالبه.

**4- ما الذي يربط الشيخ الناصر بسلطنة عمان؟**

كانت للشيخ علاقة حميمة بسلطنة عمان، وهي تعود إلى الجذور التاريخية التي ربطت بين الشرق والغرب برابطة العقيدة والدين، فإن الإسلام رحم بين أهله، وزاد هذه العلاقة متانة وقوة وحدة المذهب الذي حافظ على جوهر الإسلام وصفائه، على أنَّ للشيخ علاقة خاصة بالعمانيين، فقد اختير لأن يكون أستاذًا في مدرسة بعثة عمان بالقاهرة، وكان نعم الأب الحاني على أبنائه الطلبة، ثم عندما رجع أدراجه إلى وطنه ومسقط رأسه (القرارار) أخذ معه بعض الطلبة للدراسة في معهد الحياة، ثم وصلت مجموعتان من الطلبة إلى المعهد المذكور، وكان الشيخ هو العين الساهرة على مصالح هؤلاء الطلبة والقلب الذي يتدفق حناناً ومودةً، كما كان المعلم المخلص الذي يحرص على نبوغ طلابه وتفوقهم، وكانت هذه الخصال المتميزة سبباً لارتباطه بسلطنة عمان قيادةً وحكومةً وشعباً، وتبوئه في قلوب العمانيين مكان الإجلال والتقدير إلى أن لقي ربه، ولأجل هذا كان كثير التردد في أسفاره إلى عمان بعد تماثله للشفاء.

**5- كيف ترى إلى أسلوب فتاوى الشيخ الناصر؟**

كان الشيخ في فتاواه ميالاً إلى التيسير، ومراجعة أطوار العصر مع عدم التفريط في الثوابت.

**6- من خلال تعاملاتكم مع الشيخ الناصر، ما هي القضايا التي كانت تثير اهتمامه الكبير؟**

لمست إبان لقائي به وحواري معه أنه كان على قدر عال من الاهتمام بقضايا الإسلام عموماً وقضايا المذهب على وجه الخصوص.

**7- ما دور الشيخ الناصر في البعثات الطلابية بين الجزائر وعمان؟**

أما دوره في البعثات الطلابية، فقد ذكرت أنه كان الراعي للطلبة العمانيين في معهد الحياة، سواء الذين جاء بهم بنفسه عند رجوعه من القاهرة، أو الذين التحقوا بالمعهد فيما

بعد، من خلال البعثات المتابعة، وكان كذلك المشرف على ابتعاث الطلاب المزابين للدراسة في سلطنة عمان في معهد العلوم الشرعية، وإليه يعود فضل فكرة هذا الابتعاث بعد الله عز وجل.

#### **8- التقىتم عدّة مرات بالشيخ الناصر في البقاع المقدسة، ففيما كان يتجلّى دوره هناك؟**

كان دوره في بعثات الحجّ دور المرشد الوعي والمفتى الخبير، فقد عهده يتردد كل عام إلى الموسم، ويتولى التوعية والإرشاد والإفتاء والتوجيه بين إخواننا الحجاج المزابين.

#### **9- صف لنا اللقاء الأخير الذي جمعكم بالشيخ الناصر قبل وفاته بسويعات.**

كان آخر لقاء بيني وبين الشيخ في حرم معهد الحياة العامر بالقرارة الآمنة المحروسة قبل وفاته بسويعات، وكان لذلك اللقاء أثر بالغ في نفسي، لأنّه كان لقاء وداع في هذه الحياة، وكلّنا نضرع إلى الله سبحانه أن يبدلنا به لقاء خالداً في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

#### **10- كيف استقبلتم خبر وفاته؟**

كان نعيه إلى صدمة عنيفة ألمت بي لو لا برد التسليم لأمر الله سبحانه والرضا بقضاءه الذي هوّن المول وخفّف من حرّ المصاب.

#### **11- ما هي نصيحتكم على ضوء سيرة الشيخ الراحل الناصر مرموري؟**

نصيحي بعد رحيله لجميع إخواننا في الجزائر وفي عمان وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي أن يحفظوا العهد وأن يلزمو النهج، وأن يحرصوا على النهوض بالأمة إلى أوج المالي وقمم الفضيلة، والعروج بها إلى درجات العلم الرفيعة، ليتجدد الخير فيها، ويتوالى العمل الصالح، وتحيا الدعوة قوية عزيزة شامخة الأنف مرفوعة الرأس برعاية الله لها وإنفاص رجالها البررة، والله ولي التوفيق.



# من وحي التواصل الدخاري الجزائر العماني

الأستاذ الشاعر: سليمان بن عمر دوّاق  
آت يزجن . الجزائر

أدام الله روح التبادل الثقافي بين الجزائر وعمان، وقيض الله لتراث البلدين مزيداً من رجال مخلصين، غيورين، أكفاء، يسهرون على خدمة هذا التراث، بحثاً وتحقيقاً واستثماراً فيما يعود على الإنسانية جماء بالخير. وما أحسب هذا اللقاء التاريخي إلّا خطوة أخرى في هذا الصّدد، نسأل الله خيرها وبركتها.

وفي إطار هذه الأجواء الحميّمة يطيب لي أن أسجل حضوراً شعريّاً في بلد الشعر، قائلاً:

إلى (مسقط) الغراء سعياً إلى الوصل  
لموطئنا الثاني المبارك بالأهلي  
لآل (عمان) الغر، وذا من الأصل  
وكم سبقتنا في الزيارة من رسول  
نباركه رأياً، نركيه بالفعل  
في مذهب حق، كم تميز بالعقل  
لكلم طوّوا حيداً لنا يُعرى البذل  
نزددها إشرقاً، تنعم بالتهليل  
تبلغها باسم (الجزائر). أي تدلي  
وبين (عمان) الخير، صاحبة الفضل  
بيان (عماناً) في سياستها تعلي  
تسامحها - حقاً فريد بلا مثلٍ

طارت بنا الأسواق وهي أصيلةٌ  
وما عجب في أن تطير وفيه  
لتتحمل من (ميزاب) وذا تكُنه  
أتينا ولسن الأولين زيارةً  
أتينا ولاء لتراث نجده  
أتينا لأمم شرفتنا أصاله  
أتينا نؤدي بغض حق لإخوة  
أتينا لوجه الله، نعلي ثقافه  
أتينا سعاة، حاملين رسائله  
بحسنه علاقات متينة بينها  
(جزائرنا) الفضل لدعهما فناعمه  
حضارتها بالسلام، تعشق روحه

يَسِيرُ عَلَى نَهْجِ السَّمَاحَةِ بِالْكُلِّ  
مَاءِيْ حُرُوبٍ، لَا تَكُفُّ عَنِ القَتْلِ  
بِدُونِهِمَا تَضْحَى الْبَرِيَّةُ فِي الْوَيْلِ  
فِيَّا رَبُّ لُطْفًا- بِالْخَلِيقَةِ مِنْ جَهَلٍ  
نَجَاهَةٌ مِنَ الْبَلْوَى سِوَى مَنْهَجِ الرُّسْلِ  
يُطْعِمُهُمَا هَذِي التُّرَاثُ كَمَا الْأَصْلِ  
وَقَدْ حَمَلُوهَا، لَا مَنَاصَ مِنَ الْحَمْلِ  
وَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ غَدَّا سَاعَةَ الْفَصْلِ  
بَأَنْ يَرْفَعُوا رَأْسَ الْفَضِيلَةِ مِنْ ذُلِّ  
بِلَا مَطْمِعٍ فِي الْمَالِ أَوْ رَهْبَةِ الْقَتْلِ  
فِي حَضْرَةِ أَرْبَابِ الْبَيَانِ مِنَ الْأَهْلِ  
لِرُؤْيَا أَحْبَابٍ كِرَامٍ ذَوِي نُبُلٍ  
جَزَاؤُهُمْ رِضْوَانٌ رَّبِّي عَلَى الْوَصْلِ

فِيَا لَيْتَ بُلْدَانَ الْبَسِيْطَةِ حُكْمُهَا  
لِيَنْعَمَ كُلُّ الْخَلْقِ بِالسَّلْمِ، تَخْتَفِي  
فَمَا أَحْوَاجَ الْأَنَامَ لِلرُّشْدِ وَالْهُدَى  
وَهَذَا لَعْمَرِي مَا نَعِيشُ حَضِيرَةُ  
أَرَاهَا تَرَدَّتِ فِي الْمَهَاوِيِّ، وَمَا لَهَا  
وَمَا الرُّسْلُ إِلَّا الْحَامِلِينَ ثَقَافَةً  
هُمْ وَارِثُوا هَذِي الْإِلَهِ أَمَانَةً  
فَإِنْ ضَيَّعُوهَا، ضَيَّعُوا أُمَّةً لَهُمْ  
أَهِيبُ بِأَرْبَابِ الْثَقَافَةِ نَاصِحًا  
بِجُرَأَتِهِمْ فِي الْحَقِّ دُونَ تَرَدُّدٍ  
وَمَالِي وَهَذَا الْهَدْرُ يَنْتَابُ مَنْطِقِي  
وَعُذْرِي شُغُورُ الْمَسَرَّةِ طَالِبِي  
أَحَاطُونَا بِالْتَّرْحِيبِ، قَلَّ نَظِيرُهُمْ

نظمت في آت إزجن، بتاريخ:

18 ربيع الثاني 1441هـ / 15 ديسمبر 2019



# ملتقى الجزائر وعمان والحقيقة والجمان

الأستاذ الشاعر: موسى بن قسورة بن منصور العامري

سمائل. سلطنة عمان

أُلقيت هذه الأبيات في الملتقى الجزائري العماني الثاني الذي نظمه نادي نزوى بسلطنة عُمان... (ملتقى الجزائر وعمان والحقيقة والجمان).

فيِمَ الشَّرْقُ رُوحِي كَيْ تُحِيمَهَا  
يَحْكِي لِي السَّحْرَ فِي أَهْمَا شَوَّاطِهَا  
وَقُصْرُهَا مِنْ تَرَابِ الْمَسَكِ يَحْوِيَهَا  
ضَيَاءً دَرِّبِ تَسَامِي فِي عَوَالِهَا  
فَخَرَّ سَحْرُ الْمَعَانِي بَيْنَ مُلْقِهَا  
فَبَتُّ فِي حَضْرَةِ الْقَدُوسِ أَعْلَمِهَا  
خَلَعْتُ نَعْلِي عَلَى أَعْتَابِ وَادِيهَا  
فَطَارَ كَالْقَطْرِيَّجَرِي فِي روَابِهَا  
كَالنُورِ فِي غِيمَةِ الرَّحْمَى يُلْمِيهَا  
وَبِإِيمَهَا أَزْهَرُ خَضْرُ فَوَاغِيَهَا  
رِبَاهُ فَاغْفَرْلَنَا كَيْ نَلْتَقِي فِيهَا  
كَائِنَهُ وَرَدَّهُ فِي كِفِ مُهَدِّمَهَا  
أَرْسَلْتُ شَعْرِي سَفِيرًا كَيْ يَلَاقِهَا  
نَصْرُلَوْطَنِهِ قَدْ كَانَ مُفْدِيَهَا  
وَنَجْمَةُ الْلَّيلِ تَرُوِي لِي تَجْلِيَهَا  
فَنَلَثُ غَيْثَ الْهَنْدِي مِنْ جُودِ مُعْطِيَهَا  
فِي خَتْفِي إِنْ تَجَلَّى دَفَءُ حَامِيَهَا  
لَأَصْبِحَ الْقَلْبُ مُشْتَاقًا لِحَادِهَا

رُوحُ مِنَ الْغَرْبِ نَادَتِنِي مَغَانِيهَا  
وَمِنْ جَانِبِي نَسَرِينُ وَرَدَتِهَا  
فَكَانَ مَسْكُهَا خَلْفَ الْجَبَالِ (طُوي)  
وَأَشْرَقَتْ فِي ذَرِي (الْأَوْرَاسِ) تَمْنَحِنِي  
فَرُحِّتُ أَلْقِي الْعَصَافِيَّ كِلِّ نَاحِيَّهَا  
وَقَفَتْ بِالظُّورِ أَتَلُو سَفَرَ مَعْهِدِهَا  
وَسُرِّتْ فِي ظَلْمَةِ الْأَسْفَارِ تَصْبِحِنِي  
لَكَنَّ قَلْبِي سَرِّي فِي وَمْضِ غَيْمَتِهَا  
وَاسْتَلَمْهُ الْقَلْبُ أَسْرَارَ النِّدَأِ وَغَدا  
تَقُولُ رَؤْيَا كَأَنِي بَيْنَ رَابِيَّهَا  
فِي جَنَّةِ الْخَلِدِ نَمَشِي وَهِي دَاعِيَّهَا  
هُوَ (الْجَزَائِرِ) سَرُّبَاتَ يَنْفُحُنِي  
لَمَّا تَجَلَّى عَلَى الْمَيْزَابِ مُوكِبُهَا  
فَذَّبَسَاحِتِهَا بِالْمَاحِقَاتِ دَعَا  
فَالنُورُ أَشْرَقَ مِنْ أَوْرَادِ رَوْضَتِهَا  
فَكَنْتُ كَالْقَفْرِ إِذْ مَا كَنْتُ أَعْرُفُهَا  
يَلْتَفُ حَوْلِي نَسِيمُ الْبَرِدِ يَلْسُعني  
لَوْسَاجِدُ فِي ثَرَاهَا بَاتَ يَذْكُرُهَا

في خلوتي بين أذكري أصلها  
تفجر الخير في شتى أراضيها  
بل أجمعُ الجهد كي أوفي حوارها  
كطلاعة الشمس والجاري يناديها  
حي الجزائر حي أهل واديهما  
فأزهرت جنباتي من روابيهما  
يلوح بالنور في أرجا نواحيهما  
ويبتغي بعده نهرا ليرويهما  
وذكرها ذاع في باقي معاليها  
فسكُرُّه يقظةً يروي تجليهما  
تنفس الحب مني عند طارمهها  
قصيدي طائر الشادي يغنمها  
أرض المعرف والقرآن يعليمها  
لساحة (القطب) في أسمى معانها  
روحى بساحتها والنور يرويهما  
والاعتصام بحبِ الله يحميها  
أسماوهم خلدت والجبر ينبعها  
و(جاء) كان وصلا وهو راعيها  
هديا من العلم قلبُ الشيخ يعلمها  
بحبل سيده بالحق يغنيها  
مصلياً ذاكراً صدقأً أصافها  
بين المراجع بالتأليف يبنيها  
تردان نوراً بأعلام تجليهما  
ساس التراث وجَدَ السير يعلمهها  
ببسملة الطهر ضاءٌ في نواحها  
نهر معين وبالتوجه يشرمها  
وبالتحية فاحت حين يهديها

في كل قافية أرنو لبس متها  
تعلم الجيل من أسفارها وها  
على مقام الوفا قد جئت أشكُرها  
نور (الجزائر) يبقى للورى قبساً  
وسرت في شجنِ الكون يهتف لي  
رأيتها جنةً خضراء وارفةً  
ومربى من سنا أنوارها قمرٌ  
من ذا الذي أطفأ الميزاب عطشه  
ذكر (الجزائر) يزهو في مجالسنا  
فهم قلبي بسكر الحب مغبطاً  
كأنها رئة في الصدر أحملها  
كأنها وزع عزاب بخلوتها  
أرض البطولة والأرواح تفديها  
يا صحفة الوجد إن الشوق يدفعني  
تلك (الجزائر) أرض ذكرها فلق  
عُرى التواصل تبقى بيننا أبداً  
روادها نخبة للوصول قد عملوا  
ومنهم (النور) (قطب) مع محققهم  
وفي الورى حكم (المرموري) رتلها  
بيوض من أسيخ المعروف معتصماً  
قد زرتهما مهدياً قلبي (لكعبتها)  
طابت لنا (وابن حجام) بساحتها  
قاد التراث لمجد ذاع في دول  
وابن (صالحها) أعني (محمد) من  
تحفُهم غصبة زانت شمائلهم  
وابن (جهلان) من يروي معارفها  
أرى ( بشيراً ) تجلت نحونا يدُه

بِيَنَ الْمَدَارِسِ بِالْتَّعْلِيمِ يُحِيِّهَا  
 (مَنَارٌ) (بُو سَعْدَةٍ) نَبَعاً جَرَى فِيهَا  
 يَرْدُ الصَّوْتَ قَرآنًا سَمَا فِيهَا  
 بِحَازٍ كَالْأَسَدِ الْكَرَارِ يَحْمِيهَا  
 (دَوَاقٌ) أَبْيَانُهُ طَابَتْ مَعَانِيهَا  
 فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سَمِّتَا يَوْفِيهَا  
 (بِالْحَاجِ نَاصِرٌ) كَرَامٌ مِنْ أَهْلِهَا  
 رَأَيْتُهَا تَرْتَقِي وَالْعِلْمُ يَنْمِيهَا  
 فَوْقَ الْأَدِيمِ هُدِيَ الْأَعْلَامِ يُقْرِبُهَا  
 (بِقَلْبِهِ سَوقُ أَهْرَاسٍ) يَحْيِهَا  
 وَسَرُّهَا فِي دَمِي بِالرُّوحِ أَفْدِيهَا  
 أَهْلُ الْعِلُومِ بِقَاصِيهَا وَدَانِيهَا  
 جُسُورُهَا فِي هَوَاءِ الْجَوَّ تُبَهِّهَا  
 مَدَائِنُ النُّورِ وَالْأَسَادُ تَأْوِيهَا  
 رُوحُ التَّنَاغُمِ فِي شَتَى نَوَاحِيهَا  
 (مَلِيْكَةٌ) تَرْتَقِي طَابَتْ أَعْالِيهَا  
 عَلَى الْمَدَارِسِ (بَارِيَانُ ) تَقْرِبُهَا  
 بَانِي الرِّجَالِ كَوَالِيهَا وَقَاضِيهَا  
 لَهَا تَوْجِهُ نُورُ الْعِلْمِ يُحِيِّهَا  
 كَذَا الْجَزَائِرِ فِي شَتَى نَوَاحِيهَا

وَحَوْلُهُ فَتِيَّةٌ كَالْبَدْرِ طَلَعْتُهُمْ  
 بِهَا مُعَلِّمُهَا الزَّاهِي بِبَسْمَتِهِ  
 مَعْلُمٌ جَادَ بِالْتَّعْلِيمِ فِي سَعَةٍ  
 (بِشِيرٌ مُوسَى) أَتَى نَصْرًا لِأَمَّتِهِ  
 (بِاجْوِ) تَسْنَمَ فِي الْفَصْحَى أَعْالِيَهَا  
 (حَدَبُونُ ) مَنْ يَرْتَقِي شَأْوِ بِحُكْمِهِ  
 (بَهْوُنُ ) (بِالْيَاسِ) (وَالْمَزَهُودِيِّ) نَذْكُرُهُمْ  
 أَرْضُ (الْجَزَائِرِ) بَابُ صَبْعٍ يَهْجِنَّا  
 كَأَمْهَا جَنَّةٌ فِي الْأَرْضِ يَسْكُنُهَا  
 فَطَارَ بِي حَادِيَ الْأَشْوَاقِ مَتَجَهًا  
 (وَفِي مَدَارُوشِ) قَلْبٌ ضَمْ جَوَهْرَةً  
 إِلَى (قَسْنَطِينَيَّةِ) الْأَمْجَادِ يَقْصُدُهَا  
 مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَالْأَطْوَادُ تَحْرِسُهَا  
 قَصْرُ (مِيزَابِ) زَانْتُ فِي شَوَامِخِهَا  
 مِنْ (الْقَرَارَةِ) حَتَّى (الْعَطْفِ) يَجْمِعُهَا  
 (بُونُورَةِ) (وَبَنِي يَزْجَنِ) كَإِسْوَرَةٍ  
 (غَرْدَاءِ) الْعَزْتَبْدُورَيَّةِ رَفَعَتْ  
 (وَلِلْحَيَاةِ) تَجْلِي (مَعْهُدُ) الْعُلَمَاءِ  
 جَزَائِرُ الْحَبِّ دَارُ عَشْقُهَا أَبْدِي  
 فَاحِمُ إِلَيْيِ عَمَانَ الْخَيْرِ مِنْ ضَرَرِهِ

سلطنة عمان - سمايل،

27 ربيع الآخر 1441 هـ / 24 ديسمبر 2019 م



# رسائل جامعية

1

## ملخص أطروحة دكتوراه

د/ يوسف بن سليمان باباوسما عيل



# القطامي فلي مجلس محمد سعيد نظاره - لحراء الله - مطادرك

(1342-1883هـ / 1925م)

- دراسة نموذجية للمحاكم الشرعية في الجزائر -

[babouelkacem23@gmail.com](mailto:babouelkacem23@gmail.com)

تاریخ المناقشة: 04 رمضان 1439هـ الموافق لـ 20 ماي 2018

قبل وصول الاحتلال الفرنسي إلى وادي مزاب كان القضاء الشّرعي الإباضي تحت سلطة حلقة العزّابة، ومن مهام شيخ العزّابة النّظر في جميع ما يُرفع إليه من خصومات وفق المذهب الإباضي، بإجراءات تَسْمَى بالبساطة لا تعقيد فيها، ولا يأخذ شيخ العزّابة - مقابل مهامه التي أنيطت به في الحلقة - أيًّا أجرٍ من المتراضين أو غيرهم.

وبعد الإعلان الرّسمي عن إلحاق مزاب بفرنسا سنة 1882م أصدر المُحتل الفرنسي في 07 نوفمبر 1882م أمراً يقضي بإحداث سبع محاكم شرعية إباضية، موزعة على قرى وادي مزاب، تشكّل من قاضٍ وعدلين، وعلى رأسها مجلساً للاستئناف بغرداية، يتشكّل من ثمانية أعضاء بما فيهم الكاتب (باش عدل)، ثم أتبع هذا الأمر بقرار

01 جانفي 1883م المتضمن تعين قضاة المحاكم الشرعية الإباضية بوادي مزاب ونوابهم، وقرار 28 فيفري 1883م المتضمن تعين أعضاء مجلس الاستئناف بغرداية.

وفي ظل تزايد سفر المزابين إلى المدن الكبرى بالشمال الجزائري للاسترزاق، بدأت المطالبة بإنشاء محاكم شرعية إباضية خاصة بهم في تلك المدن، فأصدر رئيس الجمهورية الفرنسي في يوم 29 ديسمبر 1890م مرسوماً يقضى بإنشاء ثلاث محاكم شرعية إباضية في كلّ من الجزائر العاصمة، وقسنطينة، ومعسكر، تتشكل كلّ واحدة منها من قاض، وباش عدل واحد أو أكثر، وعدل واحد أو أكثر، ثمّ حُولت بعد ذلك محكمة معسكر إلى مدينة وهران؛ بسبب انتقال المزابين للعمل فيها بكثافة، وفي 26 فيفري 1891م أنشأ المحاكم العامّ الفرنسي بالجزائر - بموجب المادة الثانية من المرسوم السابق - محكمة شرعية إباضية فرعية بكلّ من: قصر البخاري، والأصنام (الشلف حالياً)، وتيارت وباتنة وسوق أهراص، تشمل كلّ واحدة منها على باش عدل واحد، وعدل واحد أو أكثر.

وكلّ المحاكم الشرعية الإباضية سواء أكانت موجودة بوادي مزاب أم خارجه، يُطعن في أحکامها بالاستئناف أمام مجلس الاستئناف الشرعي الإباضي بغرداية، إلا أنَّ الطاعن في الحكم - بموجب المادة الثانية من المرسوم 08 جانفي 1870م - له الاختيار في الاستئناف بين مجلس الاستئناف الشرعي الإباضي بغرداية أو محكمة الاستئناف الفرنسية بالبلدية، ولكن في سنة: 1925م ألغى المحتل الفرنسي الطعن بالاستئناف أمام مجلس الاستئناف الشرعي الإباضي بغرداية، وجعله قاصراً فقط على محكمة الاستئناف الفرنسية بالبلدية.

ويعقد مجلس الاستئناف جلساته - بصفة عامة - بروضة مسجد عمّي سعيد، والذي يقع خارج قصر غرداية من الناحية الشمالية الشرقية، ويترفع في سفح هضبة تطلّ على مجرى وادي مزاب، وسط مقبرة فسيحة تحيط به من كلّ جانب، تُعرف بمقبرة الشّيخ عمّي سعيد بن عليّ الجريبي، صاحب الفضل في إحياء وادي مزاب بنور العلم، بعد قドومه من جزيرة جربة بتونس سنة: 884هـ.

يختار أعضاء مجلس الاستئناف من قِبَل فُضلاء البلد بوادي مزاب، ثمّ يُعينون في مناصبهم بموجب قرار يصدره الحاكم العام الفرنسي بالجزائر، ولم يُشترط في اختيارهم

أي مؤهل علمي، بل يكفي أن يكون المختار منهم مطلعا على نظام القضاء، وعارفا بأحكامه، وذا سيرة حسنة، إشتهر بين أبناء المجتمع المزايي بالعفة والاستقامة.

وقد مر مجلس الاستئناف بمسجد عمّي سعيد - عبر مسيرته التأريخية - بعهدتين من حيث نمط تشكيلة أعضائه، وهما:

### عهد الاستقلال العضوي لتشكيلة مجلس الاستئناف (1300هـ-1311هـ/ 1883م-1894م):

كانت بداية هذا العهد بصدور قرار: 28 فيفري 1883م، الذي أعلن بموجبه الحاكم العام الفرنسي عن الأعضاء الأوائل للمُشكّلين لمجلس الاستئناف بعد إنشائه، والذين تمّ تعينهم كأعضاء مستقلّين عن قضاة المحاكم الشرعية الإباضية، بحيث لا يوجد أيّ عضو منهم ضمن قائمة قضاة المحاكم الشرعية الإباضية، التي أصدرها الحاكم العام الفرنسي بموجب القرار المؤرّخ في: 01 جانفي 1883م.

### عهد الاندماج العضوي لتشكيلة مجلس الاستئناف (1311هـ-1343هـ/ 1894م-1925م):

في أوائل سنة: 1894م بدأ نمط تشكيلة مجلس الاستئناف يتغيّر عما كان عليه في العهد الأول؛ إذ أصبح أعضاء مجلس الاستئناف يُعيّنون من بين قضاة المحاكم الشرعية الإباضية، وبمجرد حلول شهر سبتمبر من عام: 1896م صار الأعضاء المُشكّلون لمجلس الاستئناف كُلُّهم من قضاة المحاكم الشرعية الإباضية؛ حتى إنّه في حالة غياب أحدّهم عن موعد انعقاد المجلس، يحضر نيابة عنه نائبه في المحكمة (باش عدل).

ويتشكل مجلس الاستئناف بمسجد عمّي سعيد من ثمانية أعضاء بما فيهم الرئيس وكانت المجلس، والصادق القانوني لانعقاده يكون بحضور ثلاثة أعضاء على الأقل من أصل ثمانية، وقد بلغ عدد الأعلام الذين تعاقبوا على عضوية المجلس ستة وعشرين علماً، حيث قضى كلّ واحد منهم مدة معينة في المجلس، تحمل فيها مسؤولية النّظر في الدّعاوى المستأنفة من مختلف المحاكم الشرعية الإباضية، كما تداول على رئاسة المجلس ستة رؤساء، وثلاثة كُتاب عُرفوا باسم: "باش عدل"، وكان لهم أعون يُساعدونهم في تأدية مهامهم، وهم: المُترجم، والخبراء، والوكلاء بالخصومة (المحامون).

ولم يكن لأعضاء مجلس الاستئناف بمسجد عمّي سعيد مُرتب قار مقابل أتعابهم، وإنما كانوا يتقاسمون مداخل المجلس -من رسوم قضائية مختلفة- حسب تعريفة خاصة هذا جانب، ومن جانب آخر فإن سلطتهم القضائية مقيّدة بال اختصاصات الآتية:

**الاختصاص المذهبي:** كل القضايا المستأنفة أمام مجلس الاستئناف، يفصل فيها وفق فقه المذهب الإباضي، سواءً أكان المتقارضون من الإباضية أم من غيرهم.

**الاختصاص النوعي:** يختص أعضاء المجلس بالنظر في جميع دعاوى الاستئناف المتعلقة موضوع زراعتها بالأحوال الشخصية، أو المواريث، أو المسائل المدنية والتجارية، أو بعض المخالفات البسيطة التي لا تدخل في اختصاص المنظومة الجنائية الفرنسية.

**الاختصاص الشخصي:** لم يكن نظر أعضاء المجلس قاصرا على المنازعات القائمة بين بني مزاب فحسب، بل كان ممتدًا إلى غيرهم من المتقارضين؛ كإخوانهم في الديانة من عروش وفرق العرب المالكية، أو من أهل الدّمة من اليهود المتساكين.

**الاختصاص غير القضائي:** قد باشر أعضاء مجلس الاستئناف -إلى جانب اختصاصهم القضائي- أعمالاً أخرى غير قضائية، إلا أنها ذات صلة بالقضاء من مفهومه العام، وتتمثل في البت في مسائل فقهية، كانت محل خلاف بين بني مزاب، ومنح وثيقة حسن السيرة، والكفاءة المهنية للوكلاء بالخصوص المترّبصين في المحاكم الشرعية الإباضية.

**أما الاختصاص المكاني، والقيمي، فهو غير وارددين فيما يُرفع إلى مجلس الاستئناف بمسجد عمّي سعيد من دعاوى استئنافية.**

وتتمثل أدلة الإثبات التي اعتمد عليها أعضاء المجلس في قضائهم فيما يأتي: الإقرار، والشهادة، والكتابة (البينة الخطية)، واليمين، والخبرة، والمعاينة.

ومن جانب أصول التقاضي، فإن الطعن بالاستئناف أمام مجلس الاستئناف بمسجد عمّي سعيد تضبطه الأسس الآتية:

إنَّ جميع الأحكام الصادرة عن المحاكم الشرعية الإباضية تكون خاضعة للطعن بالاستئناف أمام مجلس الاستئناف، إلَّا الأحكام الصادرة في دعاوى لا تزيد قيمتها على مائتي (200) فرنك فرنسي.

إنَّ مُهلة الطعن بالاستئناف أمام مجلس الاستئناف، تنقضي في مُدَّةٍ ثلاثة يوْمَان يوماً من يوم صدور الحكم المطعون فيه.

لا يُرفع إلى مجلس الاستئناف إلَّا ما سبق طرحه على المحاكم الشرعية الإباضية، وفصلت فيه بحکم قطعي.

لا ينظر مجلس الاستئناف إلَّا في أحكام المحاكم الشرعية الإباضية المطعون ضدَّها بالاستئناف. لا ينظر مجلس الاستئناف في الطلبات، أو البيانات (الحجج) الجديدة التي لم سبق طرحُها على المحاكم الشرعية الإباضية.

كما أنَّ التقاضي أمام مجلس الاستئناف بمسجد عمِّي سعيد يتمُّ وفق الإجراءات الآتية:

ثُحرَّك دعوى الاستئناف بناء على طلب من المستأنف، يُودع لدى المحكمة الشرعية الإباضية الصادرة للحكم المطعون فيه، فإذا استوفى الطلب جميع شروط القبول يُقيد في السُّجل المُعد لذلك من قبل كاتب المحكمة، ثم يُرسَل نسخة منه إلى مجلس الاستئناف بمسجد عمِّي سعيد، مرفقة بنسخة طبق الأصل من حُكْم المحكمة.

بعد إحالة طلب الطعن بالاستئناف إلى مجلس الاستئناف، يُحدَّد موعد للمحاكمة؛ ليُبلغ المستأنف والمستأنف عليه بالحضور إليها حسب أصول التبليغ القضائية، واستقراء تواریخ الأحكام فإنَّ مجلس الاستئناف يعقد -بصفة دورية- مرَّةً كلَّ يوم أحدٍ من مطلع الشهر الميلادي، ولا يلتجأ إلى عقد جلسات استثنائية إلَّا في حالة كثرة عدد الدُّعاوى المستأنفة إليه، أمَّا جلوس أعضاء المجلس للحكم، فغالب الظنُّ أَنَّه كان في الفترة الزَّمانية المتقدمة من الصباح إلى ما قبل الظَّهير.

بعد إتمام إجراءات الطعن بالاستئناف، ينعقد مجلس الاستئناف بمسجد عمِّي سعيد؛ لينظر في الدُّعوى حسب ما تقضي به قواعد حضور الخصوم أو غيابهم، وكذا العوارض التي قد تطرأ عليها، ولا ينطق برأيه فيها إلَّا بعد قفل باب المحاكمة ومداولة الحكم وتسويبه، والذي لا يخرج من أحد صور الحكم الآتية:

- ❖ تأييد حُكْم المحكمة المطعون فيه.
- ❖ تعديل حُكْم المحكمة المطعون فيه بعد تأييده.
- ❖ إبطال حُكْم المحكمة المطعون فيه وإصدار حُكْمٍ جديداً مكانه.
- ❖ الدعوة إلى الصلح والحكم به.

ويعجرد صدور الحكم، يكون مجلس الاستئناف بمسجد عمّي سعيد قد استنفذ ولايته إزاء النزاع، ولا يستطيع -بعد ذلك- العدول عمّا قضى به، أو تعديله، أو إحداث إضافة إليه، كما يعتبر حُكْم المجلس حكماً نهائياً حائز القوّة الشّيء المقصيّ به، ولا يمكن الاعتراض عليه إلاً عن طريق الطعن بالنقض، أمام محكمة الاستئناف الفرنسية بمدينة البليدة.

وقد اعتمد أعضاء مجلس الاستئناف في إصدار أحكامه على مصادر متعددة، وهي:

- ❖ القرآن الكريم والسنّة الشرفية.
- ❖ العرف الجاري بين الناس.
- ❖ الآثار الواردة عن التابعي جابر بن زيد (إمام المذهب الإباضي).
- ❖ الكتب الفقهية: حيث كانت جلّها من مؤلفات الفقه الإباضي، إلاً كتاباً واحداً من الفقه المالكي.
- ❖ الأحكام القضائية السابقة.
- ❖ التشريعوضعي (المرسوم 08 جانفي 1870م): يرجع إليه أعضاء المجلس، لمعرفة الحكم الذي ينطبق على الجانب الشكلي للدعوى الاستئنافية.



## رسائل جامعية

(2)

### ملخص رسالة ماجستير

أ/ جابر بن محمد ناصر بوجام



### المتحد العلمي

في السياق الحضاري المتازم

علماء ضوئي نموذجي الرشد

فريق البحث العلمي لجمعية التراث الجزائرية

(نوفمبر 1990 - 2006)

Djaber-n@veecos.net

السنة الجامعية: 1442-1441هـ / 2019-2020م

إشكالية الدراسة:

يحاول الباحث من خلال هذه الرسالة التطرق إلى عوامل تشكل "الجامعة العلمية" و"المتحد العلمي" في السياق الحضاري المتازم، والحيثيات المساعدة في إنتاج المعرفة باعتبارها المهدف من تشكّل هذه "الجامعة العلمية"، ويطرح الإشكال التالي: لقد استطاع التنظيم الأكاديمي خارج السياق العربي / الإسلامي إيجاد "مجتمعات المعرفة" التي استطاعت أن تقدم للبشرية علما "تفعياً" أثمر تطوراً

حضارياً مشهوداً، على عكس السياق الآخر الذي لازال متآزماً يحاول ويجهد من أجل أن يقدم "علماء نافعاً"، والسؤال المعرفي: هل يمكن اعتبار تجربة "فريق البحث العلمي" لجمعية التراث محاولة في هذا المجال؟ وكيف نستطيع من خلال جهود هذا الفريق تقييم جهود تجربة أخرى في السياق نفسه وهي جهود "نموذج الرشد" باعتباره امتداداً لتلك الحركة فيما سمي بـ"رحلة الفتى"؟.

وقد وقع التركيز على جهود "فريق البحث العلمي" للجمعية التراث في الفترة الزمنية ما بين 1990 التي تمثل مرحلة بداية نشاط الجمعية بعد الترسيم القانوني، و2006 باخر إصدار جماعي أ negligence الفريق وهو "معجم مصطلحات الإباضية".

#### طبيعة الدراسة:

يندرج هذا البحث ضمن تخصص الدراسات الحضارية في الفكر الإسلامي باعتماد مداخل "علم اجتماع العلوم" و"علم اجتماع العالم"، ليدرس "ما حول المعرفة" من حيث البيئة التي تتشَّعَّج فيها المعرفة، وحركة الباحثين في إنتاج المعرفة.

#### أسئلة الدراسة:

وضع الباحث أسئلة فرعية للإشكالية الرئيسة وهي:

- ❖ ما دلالة "المتحد العلمي"، وما هي معايير تأسيسه من خلال "علم اجتماع العالم"؟ وما هي العلاقة التي تجمع بين "المتحد العلمي" والعلماء الذين يشكلونه و"النموذج المعرفي" الذي يجمعهم؟
- ❖ ما هي الجهدات التي قام بها "فريق البحث العلمي" لجمعية التراث لبعث العمل البشيقي الجماعي، وما هي مشاريعه، وكيف كانت الحركة بين الباحثين؟
- ❖ ما هو "نموذج الرشد"؟ وكيف يمكن التاريخ له ولمشاريعه البحثية الجماعية؟ وكيف يمكن اكتشاف نقاط ضعف النموذج وتشخيص الأسئلة الحرجة التي تستقبل المستغلين حوله، ثم الإجابة عليها؟

**أهداف الدراسة:**

- ❖ التأريخ لتجربة جماعية مهمة في حركة إنتاج المعرفة في سياقنا الحضاري لم تحظ بما يليق بها دراسة ونقداً للاستفادة منها مستقبلاً.
- ❖ استخراج معايير وضوابط تثري بها المعرفة البشرية متجاوزين عقدة "ولع الغلوب بالغالب" لنفهم في تحقيق الشعار الذي سَكَّهُ الشيخ علي يحيى معمَّر "المعرفة، التعارف، الاعتراف".
- ❖ تقييم جهود "نموذج الرشد" البحثية الجماعية وإسنادها إلى معايير قريبة فكريًا وجغرافيًا.

**عرض الدراسة:**

تم تقسيم البحث للإجابة عن الأسئلة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وملاحق:

**الفصل الأول: ثلاثة: "المتحد العلمي"، و"النموذج المعرفي"، والعالم: الدلالة والعلاقة.**

وفي الحديث عن الأعمدة الثلاثة لحركة "إنتاج المعرفة": العالم أَسْـ البناء المعرفي، و"المتحد العلمي" نقطة التقاء العلماء والباحثين، و"النموذج المعرفي" المؤطر للحركة والداعم لها.

ما لوحظ في مسار البحث أنَّ تقصيَّ تاريخية مفردة ما في اللغة العربية من أصعب المهام التي تعترض الباحث؛ لعدم وجود معاجم لتاريخية المفردات العربية، وافتقار اللغة العربية في عصرنا إلى مجتمع لغوية توحد المصطلح المترجم؛ فلا يوجد اتفاق على ترجمة مفهوم (scientific community) إلى العربية، واختلفت ما بين "الجماعة العلمية" و"المجتمع العلمي" و"المتحد العلمي" ، فاستعملَّ منهاج "الزمرة المصطلحية" أو "العنacيد الاصطلاحية" في ترجمة المفهوم إلى العربية حتى لا تخترق الترجمة في بعد دون آخر مما يشوش في تلقي المفهوم في اللغة المترجم لها.

تنتمي زمرة "المتحد العلمي" (Scientific Community) إلى الحقل المعرفي الذي يعني بدراسة الجانب الاجتماعي للعلم وحياة العالم، أما "النموذج المعرفي"

فهو أداة تحليلية منهجية لفهم تركيبة الواقع والظاهرة الإنسانية والتعامل معها، والعلاقة بينهما علاقة تبادلية؛ علاقة تأثير وتأثير محورها "العالِم"؛ المفهوم الذي لا يخضع لرجوعية فكرية واحدة لها السلطة في إثبات تعريف واستبعاد آخر، وتختلف أدواره بين المنظومتين "التوحيدية" و"المادية" إلى أدوار حديّة وأخرى ثانوية.

#### ❖ الفصل الثاني: "فريق البحث العلمي"، والمشاريع البحثية الجماعية (1990-2006).

وفيه تفصيل عن تاريخية إنشاء "فريق البحث العلمي" لجمعية التراث، والظروف التي نشأت فيها الجمعية ومراحل تأسيس فريق البحث، والشخصيات التي أثرت المسيرة وأثرت في المسار، والأعمال البحثية الجماعية التي أنجزت.

استعرض هذا الفصل المشاريع البحثية الجماعية التي أنجزها "فريق البحث العلمي" وهي: "فهرسة شرح النيل"، و"معجم أعلام الإباضية"، و"دليل خطوطات وادي ميزاب"، و"معجم مصطلحات الإباضية"، وأيضاً المشاريع التي تم التفكير فيها ولم يتم إنجازها، وتم تحليلها من خلال ثلاثة: التنظيم، والتكونين، والنشر المعرفي، باعتبارها مؤشرات على وجود "المتحد العلمي".

إن مشاريع "فريق البحث العلمي" لجمعية التراث صنعت الفارق في بيتها، من حيث أنها جنت مختلف أطياف المجتمع للتفاعل والاهتمام، فلم تقتصر على الباحث المنكّب على التحقيق والتخيّج والتحرير، بل تجاوزت إلى المحسنين الذين جادوا بالوقت وبالمال، والمشايخ الذين جادوا بالنصائح والإرشاد، ولم يكن الفريق يركّز على المُتَّج فقط، بل كان رأس ماله الباحث المشارك؛ فكان الحفاظ على شبكة العلاقات الاجتماعية بين الباحثين هي رأس مال الاجتماع لإنجاز المشاريع البحثية الجماعية.

#### ❖ الفصل الثالث: "المتحد العلمي" ضمن "نموذج الرشد"

هذا الفصل محاولة لتاريخ "نموذج الرشد" من خلال "صورة الفتى" التي تتشكل من مجموع الفاعلين ضمن مشاريع "نموذج الرشد"؛ باستحضار السياق الذي عاش فيه "الفتى"، ونقد المشاريع الجماعية التي أنجزها. فـ"رحلة الفتى" هي مجموع الفاعلين الذين أنتجوا مشروعًا أو ساهموا في إنجازه، وأيضاً أولئك الذين استفزوا "الفتى"

بأسئلتهم؛ إما عن قلق أو عن تعتن، ابتدأت عندما قرر "الفتى" أن يكون ضمن فريق عمل، قائداً للمجموع تارة، أو مكلفاً بمهمة ضمن مجموع تارة أخرى.

"رحلة الفتى" أطّرها "نموذج الرشد" باعتباره "أداة تحليلية منهجية لفهم تركيبة الواقع والظاهرة الإنسانية، ثم التعامل معها في حركة دائبة بين الفكر والواقع وبين العلم والعمل"، واستطاع "نموذج الرشد" أن يكون مرجعية فكرية من خلال "بطاقة كتابك" التي جاءت محاولة لتعزيز الثقة بين المؤلف والقارئ، ومن خلال موقع فيسوكس الذي وجد نفسه بين خيارين إما موافقة التطور التكنولوجي أو الاندثار.

إلا أنّ "نموذج الرشد"، رغم إنجازاته وأيضاً محاولاته التي وصفها البعض بأنها رائدة، لم يصل بعد إلى حالة "العقل الجمعي" وحالة "المتحد العلمي" التي ينشدتها، ولم يطمئن بعد إلى مؤشرات تبشره بقرب تحقيق ذلك، مما يدفعه إلى السؤال في كل مرّة عن السبب، وعن المنهج في معالجة الإشكال.

### التوصيات:

1. العمل الجماعي محور تأسيس "المتحد العلمي"، مرتبط بوجود الفكرة الجامعية ذات الصبغة العملية التطبيقية، فالاكتفاء بنقاش الفكرة المجردة -على أهمية هذا الفعل- سيؤدي بها بعد أمد؛ إن لم يُصاحب هذا النقاش بـ"بنية العمل" وـ"سؤال الفعل"، فالسؤال هو الذي يمنع المعنى للفعل الإنساني ويمده بالطاقة ليتحرك.
2. وبالإضافة إلى الفكرة الجامعية "بنية العمل"، يحتاج العمل الجماعي إلى وجود الإطار التنظيمي "جمعية، مؤسسة، ... الخ" ليمنحه الاستمرارية والدؤام، وينحه القدرة على استدعاء الطاقة وسهولة الحركة، كما يمنحه الصرامة في العمل.
3. يتأسس "المتحد العلمي" على وجود محرك وقلب نابض يضخ الدماء في العروق، حاملاً الأكسجين والغذاء لأطراف الجسم، ويختلف وجوده باختلاف طبيعة نشاط "المتحد العلمي"، لكن المشترك أن المحرك لا يمكن أن يكون فرداً ولا أن يكون "كل المجموع"، بل "بعضاً من كُلّ"، فال فكرة قد تبدأ بفرد أو اثنين، لكن لا بد على "المحرك" من إقناع آخرين للانضمام إلى الفريق وحمل لهم ليسستطيع المشروع المواصلة.

4. "المتحد العلمي" في السياق الحضاري المتأزم يتسم بالمكابدة للوصول، ولا يمكن الحديث عن نقطة النهاية في هذه الحقبة الحضارية؛ فرحلة البحث عن أنجع السبل وأقوى المناهج للوصول إلى حالة "المتحد العلمي" تتسم بالتعقيد والصعوبة؛ لأنها تعامل مع النفس البشرية المتقلبة المزاج الصعبة المراس، وحياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الأصحاب والأعراب على السواء خير مثال، ولا سبيل لمقاربة الحال إلا بجهد جماعي مستصحبين آية ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾.

5. ويبقى سؤال التفرغ الكلي من عدمه مرتبًا بالسياقات المختلفة، ولعل الأنسب في السياق الحضاري المتأزم الذي لازال ضعيفاً في الاستثمار في البحث العلمي ضمن القطاع الخاص، وبخاصة في العلوم الإنسانية، الاقتصر على التطوع، أو على أقصى تقدير التفرغ الجزئي بنظام "الأيام أو الدورات المغلقة" في الشهر.

6. تشبيه محاولة تحقيق المتحد العلمي في السياق الحضاري المتأزم صبّ الماء في إناء مشروخ -بتعبير الشيخ الغزالى-، قد يتسرّب الماء لكن سيقى القليل المحفوظ ويواصل صاحب الإناء إصلاح الشرخ في الإناء لأنه لا يملك غيره، فحالة "المتحد العلمي" في السياق المتأزم هي محاولة الإصلاح والإبداع معاً، هي مهمة ثنائية الأبعاد صعبة الإنجاز، تجمع بين التخلية والتحليلة، فلا يمكن إيقاف عملية التنفيذ لأن السياق ضاغط ومحاج، وفي نفس الوقت لا بد من معالجة التشوّهات حتى لا تتكاثر.

7. ومن أجل الحفاظ على الرابطة الفكرية التي تجمع أعضاء المتحد العلمي وجوب الاهتمام بالشكل كما المحتوى؛ ذوقاً وجمالاً، وضرورة العمل في مكان واحد -إضافة إلى العمل عن بعد-؛ لأن الالتقاء والعمل معاً يزيد في تقارب القلوب وتفقد الأحوال، وهذا يتطلب أيضاً البراعة الدقيقة للأعمال وتنوع محاورها ما بين أعمال فردية وأخرى جماعية، وما بين برامج صارمة وأخرى ترفيهية، وما بين برامج للافادة وأخرى للاستفادة.

8. يحتاج "المتحد العلمي" إلى شخصية " وسيط الخير" الذي لا يذيب الجليد فحسب بل ويفتت الصخر، فالبيئة في السياق الحضاري المتأزم جافة في أغلبها وليس متجمدة، والصخر يحتاج إلى مكابدة وصبر لتفتيته حتى تعود العلاقة

بين أعضاء "المتحد العلمي" حية وفعالة، ويستدعي ذلك من هذا "ال وسيط"؟ الذي قد يكون القائد للمجموع أو عضوا يحمل هم المجتمع، أن يتحلى بصفات "الجمع" قبل أن يطلبها من غيره؛ فمن تام الرشد التزام الإنسان بما يحمل الآخرين عليه، على أن تُمَلَّ هذه الصفات أو انعدامها لا ينبغي أن يوقف عملية إصلاح العلاقات والتشبيك بينها، فالإنسان مراوح بين إقبال وإدبار، ولا منجي إلا بالوجود ضمن مجموع.

9. وإذا أردنا مقاربة الحال لتحقيق حالة "المتحد العلمي" فنحن ملزمون بتفعيل ما يزخر به تراثنا الإسلامي من مبادئ ومعايير؛ بإعادة قراءته من مداخل معرفية جديدة ومستفيدين مما توصل إليه العلم في عصرنا من دون تطرف؛ إلغاء أو ذوبانا، فالممنظومة الغربية استطاعت أن تقنن "علم اجتماع العلوم"، ووضعت معايير ومقاييس لمعالجتها، وأرخت له من يوم اكتشافه دون اعتبار "للتراث المعرفي" الذي تؤمن به، وتجد في تراثنا مؤشرات لهذا العلم مما يفرض علينا الكشف عنها وإضافتها لما وصلت إليه المعرفة في زماننا، لنفهم في بنائها، ونزرع الأمل في أبناء أمتنا، ونساعدهم في تحظى حالة الانبهار والتبعية لكل وافد غربي، وبذلك نعيد للمعرفة أصالتها التي شوّهتْ باستبعاد الوحي من مصادرها.

**ختاماً:**

أدعوا الله أن أكون قد وفّقت لإبراز جهود جمعية التراث وما أبدعه الفريق من آليات عمل ومن أعمال بحثية جماعية، لازالت تتپس بالحياة، وأدعو الله بالرحمة للمشايخ الذين رعوا ذلك الفريق فأنجز، وبالبركة لمن بقي منهم وعلى رأسهم د. محمد ناصر الذي أسس الفكرة وأطلق العمل فتلقّنه أبناءه الباحثون وواصلوا المسيرة ولا زالت متواصلة بحمد الله.

وأخير، أود التنويه إلى أن الرسالة طبعت بالشراكة بين جمعية التراث ومؤسسة كتابك تحت عنوان: «إنتاج المعرفة في سياق حضاري متازم»، راجيا من الباحثين تقديم ملاحظاتهم ونقدتهم لنسفهم في "إنتاج المعرفة" و"التداول المعرفي".

# أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ

## المُسْتَظْهَرُونَ لِكِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ بِالْقَرَارِ



من تاريخ: 01 شعبان 1441 هـ / 25 مارس 2020 م

إلى تاريخ: 01 شعبان 1442 هـ / 15 مارس 2021 م

رقم	الاسم الكامل	تاريخ الاستظهار	تاريخ الميلاد	المدينة
1	بوراس سندس بنت سليمان بن محمد	04 مئتان 1441 هـ 29 مارس 2020 م	2002-11-20	القرارة
2	أوجانة فاطمة بنت حمو بن عبد الرحمن	06 مئتان 1441 هـ 31 مارس 2020 م	2009-05-06	القرارة
3	حميد أوجانة إسراء بنت عبد الله	08 مئتان 1441 هـ 02 إبريل 2020 م	2006-04-19	القرارة
4	الشيخ بالحاج منيرة بنت عمر بن زكرياء بن	15 مئتان 1441 هـ 09 إبريل 2020 م	1993-08-13	بومساعيل الجزائر
5	وعلي فتيحة بنت عيسى بن إبراهيم	16 مئتان 1441 هـ 10 إبريل 2020 م	2001-03-26	القرارة
6	حاجي أسماء بنت إبراهيم بن مسعود	18 مئتان 1441 هـ 12 إبريل 2020 م	2006-06-28	القرارة
7	بحماني الحاج إبراهيم بن منير بن محمد	21 مئتان 1441 هـ 15 إبريل 2020 م	1998-10-25	ورقلة
8	حميد أوجانة عبد النور بن عبد الرحمن بن	29 مئتان 1441 هـ 23 إبريل 2020 م	2003-07-21	القرارة
9	أوجانة ياسين بن أحمد بن محمد	07 مئتان 1441 هـ 30 إبريل 2020 م	2005-07-12	القرارة
10	حريز عائشة بنت مصطفى بن محمد	23 مئتان 1441 هـ 16 أكتوبر 2020 م	2001-09-26	القرارة
11	الشيخ بالحاج محمد بن صلاح الدين بن	26 مئتان 1441 هـ 19 مايو 2020 م	2005-04-02	القرارة
12	بوشن رزيقة بنت مسعود بن إبراهيم	29 مئتان 1441 هـ 23 مايو 2020 م	2001-03-03	القرارة
13	بعاج خليل بن الحاج بن إبراهيم	02 مئتان 1441 هـ 25 مايو 2020 م	1998-10-17	القرارة

رقم	الاسم الكامل	تاريخ الاستظهار	تاريخ الميلاد	المدينة
14	العنق سندس بنت إبراهيم بن محمد	21 جوان 2020 م ـ 13 صفر 1441 هـ	2004-03-23	القرارة
15	بسيس فردوس بنت عبد الرحمن بن صالح	13 ذي القعده 1441 هـ ـ 05 جويلية 2020 م	2003-12-03	القرارة
16	سليمان زيتون سمية بنت جمال بن أحمد	15 ذي القعده 1441 هـ ـ 07 جويلية 2020 م	2004-08-31	البلدة
17	بن عمر بایة بنت مصطفى بن سليمان	28 ذي القعده 1441 هـ ـ 18 جويلية 2020 م	2001-01-12	القرارة
18	الدغور منال بنت مسعود بن محمد	01 ذي الحجه 1441 هـ ـ 22 جويلية 2020 م	2001-02-09	القرارة
19	حشوش إيمان بنت محمد بن يوسف	09 ذي الحجه 1441 هـ ـ 30 جويلية 2020 م	2001-11-15	القرارة
20	بوعبون سامية بنت عيسى بن إبراهيم	19 ذي الحجه 1441 هـ ـ 19 أوت 2020 م	1998-07-20	القرارة
21	حميد أوجانة إكراام بنت عبد العزيز بن	25 ذي الحجه 1441 هـ ـ 15 أوت 2020 م	2005-08-20	القرارة
22	أولاد باحماني هناء بنت إبراهيم بن صالح	25 ذي الحجه 1441 هـ ـ 15 أوت 2020 م	1999-11-20	القرارة
23	الواوثر سندس بنت مصطفى بن بکير	28 ذي الحجه 1441 هـ ـ 18 أوت 2020 م	2004-07-29	تقرت
24	كروم أسماء بنت سليمان بن باسعيد	29 ذي الحجه 1441 هـ ـ 19 أوت 2020 م	1999-05-11	القرارة
25	بن عبد الله حنان بنت نورالدين بن حمودة	06 صفر 1442 هـ ـ 25 أوت 2020 م	2000-06-24	القرارة
26	ابن الشيخ لقمان بن علي بن محمد	04 صفر 1442 هـ ـ 23 أوت 2020 م	2004-09-10	القرارة
27	رمضاني هاجر بن إسماعيل بن إبراهيم	08 صفر 1442 هـ ـ 27 أوت 2020 م	2001-08-21	القرارة
28	بيوض نصيرة بنت مصطفى بن بکير	10 صفر 1442 هـ ـ 29 أوت 2020 م	2000-02-07	القرارة
29	حمدی عیسى أمینة بنت عمر بن إبراهيم	11 صفر 1442 هـ ـ 30 أوت 2020 م	2004-10-25	سيدي احمد الجزاير
30	تسريقي خديجة بنت جمعة	01 صفر 1442 هـ ـ 19 سبتمبر 2020 م	2000-07-02	مالي
31	زغموم طه بن عمر بن حمو	06 صفر 1442 هـ ـ 23 سبتمبر 2020 م	2006-01-03	غرداية
32	الحاج مسعود فائزه بنت عبد الرحمن	12 صفر 1442 هـ ـ 30 سبتمبر 2020 م	1999-02-26	القرارة
33	بن عمر مشاربنت الحاج موسى بن محمد	16 صفر 1442 هـ ـ 04 أكتوبر 2020 م	2005-10-24	القرارة

رقم	الاسم الكامل	تاريخ الاستظهار	تاريخ الميلاد	المدينة
34	بسبيس هدى بنت عيسى بن صالح	19 صفر 1442هـ 08 أكتوبر 2020م	2005-06-12	القرارة
35	حمدي بابا وفاء بنت أحمد	20 صفر 1442هـ 08 أكتوبر 2020م	2003-04-03	القرارة
36	بن عمر مارية بنت مصطفى بن سليمان	01 ربيع الأول 1442هـ 18 أكتوبر 2020م	2003-01-21	الجزائر
37	خربيه رفيدة بنت سليمان بن بكير	02 ربيع الأول 1442هـ 19 أكتوبر 2020م	2004-01-30	البلدية
38	رحمة بنت جمعين	05 ربيع الأول 1442هـ 22 أكتوبر 2020م	2000-10-21	بورندي
39	جاكيني عائشة بنت أبي يكر	05 ربيع الأول 1442هـ 22 أكتوبر 2020م	2000-12-31	باموكو
40	ناصر ربيع بن يحيى بن محمد	05 ربيع الأول 1442هـ 22 أكتوبر 2020م	2004-12-28	الأبيار
41	بن عيسى إلهام بنت بهون بن قاسم	07 ربيع الأول 1442هـ 24 أكتوبر 2020م	2003-09-05	القرارة
42	حميدأوجانة مارية بنت عمر بن الحاج أحمد	10 ربيع الأول 1442هـ 27 أكتوبر 2020م	2005-07-20	القرارة
43	خربيه نسرین بنت عبد النور بن عمر	10 ربيع الأول 1442هـ 28 أكتوبر 2020م	2006-07-02	القرارة
44	خربيه نسيبة بنت محمد بن بكير	17 ربيع الأول 1442هـ 03 نوفمبر 2020م	2003-05-28	البلدية
45	خياط مسعود بن بكير بن سليمان	18 ربيع الأول 1442هـ 04 نوفمبر 2020م	2004-11-22	القرارة
46	الوارث ماما عزيزة بنت أحمد بن يحيى	19 ربيع الأول 1442هـ 05 نوفمبر 2020م	2002-02-20	القرارة
47	حشحوش عزالدين بن محمد بن يوسف	24 ربيع الأول 1442هـ 10 نوفمبر 2020م	2004-09-24	القرارة
48	العنق رحمة بنت مصطفى بن عمر	26 ربيع الأول 1442هـ 12 نوفمبر 2020م	2005-07-29	القرارة
49	قشار فردوس بنت محمد بن يوسف	29 ربيع الأول 1442هـ 15 نوفمبر 2020م	2000-02-13	القرارة
50	الدوادي سعيدة بنت عبد الرحمن بن حمودة	01 ربيع الأول 1442هـ 16 نوفمبر 2020م	1998-02-01	القرارة
51	الجون سمية بنت يوسف بن محمد	02 ربيع الأول 1442هـ 17 نوفمبر 2020م	2003-03-26	القرارة
52	بعاج شيماء بنت نورالدين بن إبراهيم	15 ربيع الأول 1442هـ 30 نوفمبر 2020م	200/02/28	القرارة
53	تاوريت عبد اللطيف بن احمد بن بكير	16 ربيع الأول 1442هـ 01 ديسمبر 2020م	2004-05-12	القرارة

رقم	الاسم الكامل	تاريخ الاستظهار	تاريخ الميلاد	المدينة
54	الراعي رياض بن قاسم بن إبراهيم	17 شعبان 1442 هـ 02 ديسمبر 2020 م	1999-03-19	القرارة
55	حريز شيماء بنت إبراهيم بن بكير	19 شعبان 1441 هـ 04 ديسمبر 2020 م	2005-11-12	القرارة
56	كان أحمد بن حمد بن أحمد	20 شعبان 1442 هـ 05 ديسمبر 2020 م	1997-08-25	مالي
57	بن عمر كريمة بنت الحاج موسى بن محمد	21 شعبان 1441 هـ 06 ديسمبر 2020 م	2003-06-20	القرارة
58	سليمان بوعصباته أيمن بن محمد بن قاسم	22 شعبان 1442 هـ 07 ديسمبر 2020 م	2006-09-02	القرارة
59	بن صالح يوسف بن صالح بن محمد	25 شعبان 1442 هـ 10 ديسمبر 2020 م	2003-12-17	القرارة
60	أوجانه محمد بن مصطفى بن قاسم	06 جمادى الأولى 1442 هـ 21 ديسمبر 2020 م	2006-07-27	القرارة
61	بن عمر رستم بن مصطفى بن بكير بن الحاج	15 جمادى الأولى 1442 هـ 30 ديسمبر 2020 م	2004-11-07	الحراش
62	حفار لالة بنت محمد بن الناصر	12 جمادى الأولى 1442 هـ 27 ديسمبر 2020 م	2020-01-18	القرارة
63	بن لولو مريم بنت عبد الرحمن بن أحمد	15 جمادى الأولى 1442 هـ 30 ديسمبر 2021 م	2003-02-11	القرارة
64	بن عمر عبد المجيد بن عبد الوهاب بن بكير	16 جمادى الأولى 1442 هـ 30 جانفي 2021 م	2005-06-13	القرارة
65	حشحوش سارة بنت عبد المجيد بن محمد	16 جمادى الأولى 1442 هـ 31 ديسمبر 2020 م	2002-04-09	القرارة
66	حريري عائشة بنت يوسف بن عمر	21 جمادى الأولى 1442 هـ 05 جانفي 2021 م	1999-07-26	القرارة
67	بن عمر فاروق بن يوسف بن محمد	26 جمادى الأولى 1442 هـ 10 جانفي 2021 م	2002-07-05	القرارة
68	حماني بنوري لطيفة بنت إبراهيم بن حميسى	26 جمادى الأولى 1442 هـ 10 جانفي 2021 م	2005-02-05	القرارة
69	بسليس بية بنت نور الدين بنت صالح	27 جمادى الأولى 1442 هـ 11 جانفي 2021 م	2000-09-13	بنورة
70	أولاد بامون بشرى بنت بنوح بن حمودة بن	27 جمادى الأولى 1442 هـ 11 جانفي 2021 م	1997-12-06	القرارة
71	ناصر بوجام هاجر بنت طارق بن أحمد	07 جمادى الأولى 1442 هـ 21 جانفي 2021 م	2000-09-25	القرارة
72	عبد الرحمنى كلثوم بنت عبد الرحمن بن	10 جمادى الأولى 1442 هـ 24 جانفي 2021 م	1999-09-05	القرارة
73	يوسفى هاجر بنت حمو بن يوسف بن حمو	13 جمادى الأولى 1443 هـ 27 جانفي 2021 م	2002-09-04	غردية

رقم	الاسم الكامل	تاريخ الاستظهار	تاريخ الميلاد	المدينة
74	خرف سارة بنت نور الدين بن ابراهيم	13 جمادى الأولى 1443 هـ 27 جانفي 2021 م	1999-07-18	الجزائر
75	كروم سارة بنت مصطفى بن باسعيد	14 جمادى الأولى 1443 هـ 28 جانفي 2021 م	2004-10-16	القرارة
76	بن عمر مارية بنت مصطفى بن مسعود	17 جمادى الأولى 1442 هـ 31 جانفي 2021 م	2005-11-04	القرارة
77	بيوض فائزة بنت حمو بن بكير	20 جمادى الأولى 1442 هـ 03 فيفري 2021 م	1980-11-13	القرارة
78	حفار فردوس بنت حسن بن عبد الحميد	21 جمادى الأولى 1442 هـ 04 فيفري 2021 م	2006-03-08	القرارة
79	بن عبد الله فردوس بنت عيسى بن عبد الله	22 جمادى الأولى 1442 هـ 05 فيفري 2021 م	1998-03-04	القرارة
80	حمدي حنان بنت سليمان بن محمد	26 جمادى الأولى 1442 هـ 09 فيفري 2021 م	1994-07-13	القرارة
81	نجار هاجر بنت حمو بن صالح	28 جمادى الأولى 1442 هـ 11 فيفري 2021 م	2001-11-24	القرارة
82	الشيخ بال حاج مارية بنت البشير بن محمد	05 ربىع الثاني 1442 هـ 17 فيفري 2021 م	2006-04-23	القرارة
83	بن عيسى أمينة بنت ابراهيم بن حمو	06 ربىع الثاني 1442 هـ 18 فيفري 2021 م	2002-10-07	القرارة
84	حشوش أبو بكر بن محمد بن بكير	19 ربىع الثاني 1442 هـ 03 مارس 2021 م	2003-08-25	القرارة
85	خفياني قليل عائشة بنت عمر بن محمد	20 ربىع الثاني 1442 هـ 04 مارس 2021 م	2001-09-17	القرارة
86	ابن سماعييل عائشة بنت سعيد بن علي	25 ربىع الثاني 1442 هـ 09 مارس 2021 م	1997-06-01	القرارة
87	الدغور مريم بنت محمد بن سليمان	30 ربىع الثاني 1442 هـ 14 مارس 2021 م	2000-01-07	القرارة
88	حفار سعاد بنت صالح بن داودي	04 ذي القعدين 1442 هـ 18 مارس 2021 م	1999-08-10	القرارة

خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ فَعَلَمَهُ

